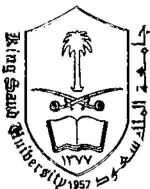
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الثقافة الإسلامية
شعبة العقيدة



منهج أئمة الدعوة النجدية في الرد على أهل البدع

من خلال دراسة الرسائل والمسائل النجدية

الجزء الأول

بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الباحث

عبدالله بن مفلح آل حامد



إشراف

الدكتور / الشفيع الماحي أحمد

للعام الجامعي ١٤٢٢ - ١٤٢٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد :

فإن خير الحديث كتاب الله عز وجل وخير الهدى هدي محمد بن عبدالله ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة .

ومن تمسك بهما فقد هدي ومن خالفهما فقد زاغ وضل ، ولقد كانت عقيدة الإسلام في زمن رسول الله والصدر الأول من عصر صحابته والتابعين واحدة والمنهج واضح ليله كنهاره لا يزيغ عنه إلا هالك ، ثم ظهرت طوائف البدع والضلال ودعاة الفرقة والانحراف بعد ذلك ، وقد تميز السلف الصالح بالتمسك بما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة على فهم صحابة رسول الله وأتباعه ، ثم تبعهم على مر العصور أئمة خير تمسكوا بمنهجهم واقتفوا أثرهم ، وقد قيض الله للإسلام والمسلمين دعوة صالحة قائمة على دعوة التوحيد الصحيح ، قام بها شيخ الإسلام الإمام المجدد / محمد بن عبدالوهاب رحمه الله اقتفى أثر السلف الصالح ودعى إلى تصحيح العقائد ، وقد لقي مقاومة أهل البدع والضلال ، حتى قيض الله الإمام الهمام محمد بن سعود ـ رحمه الله ـ حيث وفقه الله لنصرة هذه الدعوة ، فكان لاتفاقهما خير للإسلام والمسلمين عامة ، وهذه البلاد خاصة ، فصحح المعتقد وجمع الناس بعد فرقة ، وقد سار على منهجه أبناؤه وأتباعه من العلماء ، واستمر التلازم على الخير بين ولاة الأمور وبين العلماء في هذه البلاد ، وقد تميز من سار على منهج الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب ، وأصبح يطلق على من تبع منهجه من العلماء في هذه البلاد (أئمة الدعوة) ، وكان لهم أثر خير في جميع أمور الدين ، ويتضح ذلك إذا تم التدقيق في منهجهم من أهل العلم المنصفين ، وهذا المنهج ولله الحمد امتداد لمنهج السلف الصالح رضوان الله عليه أجمعين ، وقد رغبت الاستفادة من

تقديم الرسالة المتممة لمرحلة الماجستير في جانب من جوانب منهج أئمة الدعوة ، هو منهجهم في الرد على أهل البدع ، ولأن هذا الموضوع كبير وطويل رغبت أن أحصر الدراسة ، في دراسة منهجهم العقدي في الرد على أهل البدع من خلال دراسة الرسائل والمسائل النجدية ، هذا وأسأل الله التوفيق والإعانة .

الباحث

المبحث الأول :

أ) التعريف بالرسائل والمسائل النجدية :

تقع الرسائل والمسائل النجدية في سبعة عشر مجلداً مقسم على النحو الآتي :

١ ـ مجموعة الرسائل والمسائل النجدية : وتقع في خمسة مجلدات ، طبعت للمرة الأولى ١٣٤٩هـ في مطبعة المنار في مصر على نفقة الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ ، وطبعت للمرة الثانية على نفقة أحد المحسنين بدار الرحمة بالرياض .

٢ ـ الدرر السنية في الأصول النجدية : وتقع في ١٢ مجلداً وطبعت في طبعتها الخامسة ١٤١٦هـ .

وهي تضم بقسميها رسائل ومسائل علماء نجد .

حدود الدراسة :

ستقتصر الدراسة على الرسائل والمسائل النجدية العقدية التي وردت في الدرر السنة والرسائل والمسائل النجدية ، وقد يستفاد من بعض الكتب والمراجع الداعمة لما في هذه الرسائل والمسائل .

ب) أهمية الموضوع وسبب اختياره :

١ ـ إن الرسائل والمسائل النجدية تُعد من أشمل كتب الدعوة في بيان منهج الدعوة الإصلاحية في هذه البلاد ، فأحببت إبراز منهج أئمة الدعوة العقدي في الرد على أهل البدع .

٢ ـ الرغبة في خدمة هذا المنهج الصحيح ـ إن شاء الله ـ والإفادة منه .

٣ ـ بيان أن منهج أئمة الدعوة مأخوذ ومستمد من منهج السلف الصالح .

٤ ـ أنها اشتملت على مسائل العقيدة المختلفة لأئمة الدعوة في نجد بأسلوب سهل وعملي .

أهداف البحث :

١ ـ بيان منهج أئمة الدعوة في التعامل من أهل البدع ، حيث أنه منهج مطبق في الواقع وكانت نتائجه سليمة .

٢ ـ إيضاح أن منهجهم في التعامل مع أهل البدع مستمد من منهج السلف الصالح .

٣ ـ إبراز جهود أئمة الدعوة في التعامل مع أهل البدع وأثره في هذه البلاد وخارجها .

٤ ـ بيان سلامة منهج أئمة الدعوة في التعامل مع أهل البدع وتميزه عن المناهج الأخرى التي كثرت في عصرنا الحاضر .

٥ ـ حاجة بعض أبناء هذه البلاد إلى معرفة ما لعلمائهم من خير وفضل ومرد ذلك صحة المعتقد وسلامة المنهج .

ج) منهج البحث :

يعتمد البحث ـ إن شاء الله ـ على المنهج الاستقرائي مروراً بالمنهج التحليلي .

المبحث الثاني : التعريف بالمنهج لغة واصطلاحاً :

المنهج : لغـــة :[هو الطريق الواضح] [1] .

اصطلاحاً :[١ ـ بعضهم يعرفه بتعريفه اللغوي الطريق الواضح .

٢ ـ وبعضهم عرفه بالوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال .

٣ ـ وبعضهم عرفه بما وردت به السنة .] [2]

البدعة: لغـــة :[من بدع الشيء يبدعه بدعاً ، وابتدعه أي أنشأه وبدعه والبدعة هي كل محدثة .] [3]

اصطلاحاً :[الحدث في الدين بعد الاكمال ، وبعضهم عرفها بما استحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال .] [4]

[وبعضهم عرفها بأنها كل عمل عُمل على غير مثال سبق فهو بدعة .] [5]

[وبعضهم عرفها بأنها طريق في الدين مخترعة تضاهي الشرعية ، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية .] [6]

Choice - J choice

---

[1] المصباح المنير ، طبعة مكتبة لبنان ١٩٩٠ ص ٢٤٠ . لسان العرب ج٢ ، طبعة دار صادر ١٤١٠هـ ، ص٣٨٣

[2] الكليات ، لأبي البقاء الكفوي ، طبعة مؤسسة الرسالة ، ص ٩١٣ ، ٢٢٤

[3] لسان العرب ، ج٨ ، ص٦

[4] الكليات ، المرجع السابق ، ص٣٤٣

[5] المرجع نفسه ، ص٢٢٦

[6] الاعتصام ، للشاطبي ، ج١ ، دار بن عفان ، ص٥١

مصطلحات البحث :

١ ـ أئمة الدعوة : المقصود بهم العلماء في المملكة العربية السعودية من اتباع منهج الإمام المجدد / محمد بن عبدالوهاب رحمة الله عليه وتلاميذه ، ومن سار على نهجهم إلى يومنا الحاضر .

٢ ـ عندما يوجد قوسين في الرسالة بالشكل [ ] فما بينهما منقول من المصدر المشار إليه في الهامش .

٣ ـ عندما يوجد الشكل ـ ـ فما بينهما نص نقله صاحب المصدر من مصدر آخر أو كلام مضاف من عندي .

المبحث الثالث : حكم الرد على أهل البدع وأهميته ، ومنهج السلف الصالح في الرد عليهم :

[لقد قامت رسالات الرسل كلها على قاعدتين عظيمتين ، وأصلين كبيرين :

الأولى : (أن أعبدوا الله) .

الثانية : (واجتنبوا الطاغوت) .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[١] .

وكل دعوة لا ترتكز في غاياتها وأهدافها ومنهجها على هذين الأصلين فهي مخالفة لنهج المرسلين وناقصة ، ولا تؤتي ثمارها المرجوة .

فقاعدة (أن أعبدوا الله) : تعني تحقيق التوحيد والعقيدة السليمة ، وطاعة الله تعالى واتباع شرعه .

وقاعدة (واجتنبوا الطاغوت) : تعني تجنب الأهواء والافتراق والبدع وما تؤول إليه من الشرك والكفر ، والظلم ، والفسق ، والإعراض عن دين الله .

وكل الدين جملة وتفصيلاً يدور على هاتين القاعدتين .

ولذا تضمنت الدعوة إلى الله تعالى غايتين لا تصح إلا بهما وهما ركناها :

الركن الأول : تقرير الدين والعقيدة والشريعة ، وتعلمها ، وتعليمها ، ونشرها ، والعمل بها .

---

[١] سورة النحل : ٣٦

الركن الثاني : حماية الدين والعقيدة والشريعة والدفاع عنها ، وبيان ما يخالفها ، وكل ذلك منهج القرآن ، وعليه عمل النبي ﷺ وأصحابه وأئمة السلف ، وهو سبيل المؤمنين .

فكتاب الله تعالى القرآن الكريم عُني بالتحذير من مناهج الشرك والكفر والضلالة والبدع ، وعرض شبهاتهم وبيان فسادها ، كقوله تعالى ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [١].

وقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [٢]، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٤] ، وقوله تعالى : ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ

---

(١) سورة الكهف : ٢٨
(٢) سورة الأنبياء : ٢٢
(٣) سورة البقرة : ١١٨
(٤) سورة البقرة : ٨٠
(٥) سورة يونس : ٦٨

﴿ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [2] .

ولقد تضمنت أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ الرد على الخصوم وبيان فساد منهجهم ، قال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [3] .

وغير ذلك كثير من كتاب الله تعالى ، فكما جاءت آيات كثيرة في تقرير العقيدة ، وبيان الدين ، كذلك جاءت آيات كثيرة في بيان عقائد أهل الأهواء والزيغ والضلال ، وبيان فساد أصولهم وكشف شبهاتهم الباطلة .

والسنة كذلك شتملت على الكثير من ذلك في أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته ، كقوله : لتتبعن سنن من كان قبلكم [4]، وإخباره ﷺ ـ على سبيل التحذير ـ بأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة [5] ، وإخباره عن دعاة الضلالة ، وعن صفات الخوارج وعن الفتن ، وكقوله ﷺ : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، قالت عائشة يحذر مما صنعوا [6].

---

(1) سورة التوبة : ٣٠

(2) سورة آل عمران : ٧

(3) سورة العلق : ٦ ـ ٧

(4) انظر صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام ، ح/ ٧٣٢٠ ، من فتح البارى ٣٠٠/١٣ ، أخرجه أحمد في المسند ١٢٥/٤

(5) أخرجه بنحوه ابن أبي عصم في السنة ٣٢/١ رقم ٦٣ ، وأخرجه ابن ماجه رقم ٣٩٩٢ ، ١٣٢٢/٢

(6) أخرجه البخاري رقم ٥٨١٥ كتاب اللباس ، ومسلم رقم ٥٣١ كتاب المساجد

ثم الصحابة رضي الله عنهم لما ظهرت الأهواء في آخر عهدهم كالخوارج والشيعة والقدرية ، تكلموا في بدعها وأشخاصها على سبيل التحذير ، بالمناظرة ، وإقامة الحجة ، والرد ، والدفاع عن السنة ، وكشف الباطل ، وبيان زيف شبهاته ، وتحصين الأمة من دعاته بالهجر ، والتغريب والضرب والحبس والقتل ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [1] .

ثم التابعون وتابعوهم وأئمة السنة كانوا على هذا النهج ، وكانت عنايتهم بهذا الجانب كبيرة ، فكلما كثرت البدع والأهواء والفرق زادت عناية السلف بردها ومقاومتها ، وتنوعت اساليبهم ، وتعددت مناهجهم ، فأنشأوا المصنفات ، والمؤلفات ، ورووا الآثار في الرد والبيان وحماية الدين ، واتخذوا كل ما استطاعوا من الوسائل والأساليب الشرعية في ذلك .

والمتأمل لآثار السلف يجد أن مشاهير الأئمة الكبار في تاريخ هذه الأمة استفاض عنهم الاهتمام بأمر حماية العقيدة ، والدفاع عنها ، والتصدي للبدع والضلالة والأهواء وأهلها .. والنقول في ذلك لا تكاد تحصى عن أولئك الأئمة الكبار : كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وابن مسعود ، وأبي موسى الأشعري ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعائشة وأسماء بنتي أبي بكر وغيرهم من الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين .

ثم مَنْ بعدهم كأبي العالية ، وابن سيرين ، وابن المسيب ، وعطاء ، ومجاهد ، والحسن البصري ، وعمر بن عبدالعزيز ، والأوزعي ، وأيوب السختياني ، وثابت البناني ، وابن عون ، وإبراهيم بن أدهم ، وابن المبارك ، ومالك ، وأبي حنيفة ، والشافعي ، والزهري ، والشعبي ، والدارمي ، وأحمد بن حنبل ، والبخاري ، والأشعري ، والبربهاري

---

[1] سورة البقرة : ١٩١

، وابن خزيمة ، والطحاوي ، وابن بطة ، والآجري ، اللالكائي ، والصابوني ، وتلاميذهم ، مما لا يكادون يحصون كثرة [1].

ثم ابن تيمية وابن القيم وتلاميذهما .

ثم محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه إلى يومنا وغير هم كثير كثير .

كل أولئك الأخيار استفاض عنهم التصدي للأهواء والبدع وأهلها ، وعليه :

فإن التصدي لأهل البدع والأهواء والافتراق من سنن الهدي ، ومن مطالب الدين وغاياته ، ومن أبواب الجهاد ، وأعلى درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن غايات الدعوة ومقاصدها .

وكما قال الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله ـ الرد على المخالف من أصول الإسلام ـ .

أما أنه من أبواب الجهاد فلأن النبي ﷺ قال فيما رواه أنس رضي الله عنه : جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم [2] .

وقال يحيى بن يحيى ـ أحد أعلام السلف ـ : الذب عن السنة أفضل الجهاد ، وقد استشهد بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية على أن الرادّ على أهل البدع مجاهد .

والجهاد بالقلم فرع من الجهاد باللسان ، بل هو أبلغ وأبقى وأعم فائدة .] [3]

---

(1) راجع كتب السنن والسير مثل السنة لعبدالله بن أحمد ، وشرك اللالكائي ، والإبانتين لابن بطة ، والرد على الجهمية لكل من الإمام أحمد ، والبخاري ، والدارمي ، وابن قتيبة ، وتاريخ ابن جرير وابن كثير ، وذم الكلام للهروي ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ، وسائر مصنفات السلف وآثارهم .

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك ٨١/٢ ، وصححه ووافقه الذهبي ، والسيوطي في الجامع الصغير ، وصححه ٥٥٤/١ ، وصححه الألباني في الجامع الصغير رقم ٣٠٨٥ وأخرجه أحمد في المسند ١٢٤/٣ ، ١٥٣ ، ٢٥١ ، وأبو داود رقم ٢٥٠٤ ، ٢٢/٣

(3) دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، الدكتور ناصر العقل ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ، دار اشبيليا ، ص ٥ ـ ٩

وللسلف الصالح أصول يعتمدون عليها في الردود وغيرها ، يقول الشيخ صالح العبود :

[إن أصول السلف الصالح ، التي يصدرون عنها ، ويرجعون إليها عند الاختلاف ، ويردون إليها عند التنازع ، وينزلون على حكمها ، ويعتمدون عليها في العلم والدين ، تتلخص فيما يلي :

المصدر الأول : كتاب الله تعالى ، وهو كلامه ، أصدق الكلام ، ولا أصدق منه .

المصدر الثاني : السنة الشريفة ، وهي هدي محمد ﷺ ، خير الهدي ، ولا هدي خير منه ، وهي التي تفسر القرآن وتبينه ، وهي مثل القرآن في الحجة ، ولا تناقضه .

المصدر الثالث : الإجماع ـ إجماع المسلمين ـ ، هم الجماعة ، أهل السنة ، الذين لا يجتمعون على ضلالة .

والإجماع الذي ينضبط هو كما كان عليه السلف الصالح من القرون الثلاثة الأولى ، وأما بعدهم ، فكثر الاختلاف وانتشرت الأمة .

المصدر الرابع : فهذه الثلاثة هي موازين أهل السنة والجماعة ، يزنون بها كل شيء ، ولا يزنونها بشيء ، وهذا هو معنى القياس ، فأنهم يزنون بهذه الثلاثة المتقدم ذكرها طرداً ، وهو التسوية بين المتماثلات ، وعكساً ، وهو التفرقة بين المختلفات ، يزنون بذلك جميع ما عليه الناس من أعمال وأفعال واقوال وأحوال باطنة وظاهرة مما له تعلق بالعمل والدين .][1].

---

(1) عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ، وأثرها في العالم الإسلامي ، الدكتور صالح بن عبدالله العبود ، جزء ١ ، الطبعة الثانية ، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨

خطة البحث :

وتتكون من مقدمة ، وستة فصول ، وخاتمة ، وفهارس ، على التفصيل الآتي :

المقدمة : تشتمل على :

المبحث الأول :

أ) التعريف بموضوع البحث .

ب) أهمية الموضوع وسبب اختياره .

ج) منهجي في البحث .

المبحث الثاني : التعريف بالمنهج لغةً واصطلاحاً

أ) المنهج لغة

ب) المنهج اصطلاحاً

المبحث الثالث : حكم الرد على أهل البدع وأهميته ، ومنهج السلف الصالح في الرد عليهم .

الفصل الأول : ترجمة موجزة لبعض أئمة الدعوة في نجد

المبحث الأول : الشيخ حمد بن معمر رحمه الله (١١٦٠ ـ ١٢٢٥ هـ) .

المبحث الثاني : الشيخ حسين بن غنام رحمه الله (... ـ ١٢٢٥ هـ) .

المبحث الثالث : الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله (١٢٠٠ ـ ١٢٣٣ هـ) .

المبحث الرابع : الشيخ عبدالله بن محمد رحمه الله (١١٦٥ ـ ١٢٤٢ هـ) .

المبحث الخامس : الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن معمر رحمه الله (١٢٠٣ ـ ١٢٤٤ هـ) .

المبحث السادس : الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله (١١٩٤ ـ ١٢٨٢ هـ) .

المبحث السابع : الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله (١١٩٣ ـ ١٢٨٥ هـ) .

المبحث الثامن : الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله (١٢٢٥ ـ ١٢٩٣ هـ) .

المبحث التاسع : الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله (١٢٢٧ ـ ١٣٠١ هـ) .

الفصل الثاني : موضوعات الردود

المبحث الأول : بيان أنواع التوحيد .

أ) توحيد الربوبية .

ب) توحيد الألوهية .

ج) توحيد الأسماء والصفات .

المبحث الثاني : الولاء والبراء .

المبحث الثالث : مسألة الإيمان .

المبحث الرابع : مسألة الشفاعة .

المبحث الخامس : مسألة الحكم والتحاكم .

الفصل الثالث : طرق المبتدعة في التلبيس وإثارة الفتن

المبحث الأول : الألفاظ المجملة .

المبحث الثاني : الزخرفة اللفظية الكلامية .

المبحث الثالث : حمل نصوص الكتاب والسنة على المصطلحات الحادثة .

المبحث الرابع : تضخيم شبهاتهم بالأوهام المكذوبة .

المبحث الخامس : ضعف أهل البدع في الرد وضعف حججهم .

المبحث السادس : كيد أهل البدع لأهل السنة والوقيعة بهم .

المبحث السابع : عدم فهم كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسول الله ﷺ .

المبحث الثامن : أهل البدع لا يناظرون الراسخوان في العلم .

الفصل الرابع : منهج أئمة الدعوة العقدي في الرد على أهل البدع

المبحث الأول : الاعتماد على الكتاب والسنة .

المبحث الثاني : الاعتماد على أقوال الصحابة والتابعين .

المبحث الثالث : الأخذ بالرأي الممدوح شرعاً .

المبحث الرابع : اللغة وكلام العرب .

المبحث الخامس : مصادر أئمة الدعوة في الرسائل والمسائل .

الفصل الخامس : **من خصائص منهج أئمة الدعوة**

المبحث الأول : تقرير مسائل العقيدة وبأسلوب علمي رصين وفق منهج السلف الصالح .

المبحث الثاني : اعتمادهم على النصوص التي تبين الواقعة .

المبحث الثالث : الاعتماد على النقل الصحيح والعقل الصريح .

المبحث الرابع : سهولة التناول ووضوح الأسلوب .

المبحث الخامس : الاجتهاد وترك التعصب المذموم .

المبحث السادس : اقتران العلم بالعمل والإعراض عن الفضول .

الفصل السادس : **أثار المنهج في الداخل والخارج**

المبحث الأول : آثاره في الداخل .

المبحث الثاني : آثاره في الخارج .

الخاتمة :

الفهارس العامة :

١) فهرس الآيات .

٢) فهرس الأحاديث .

٣) فهرس الأعلام المترجمين .

٤) فهرس المواضع والأماكن .

٥) فهرس المراجع .

٦) فهرس موضوعات البحث .

تنبيهات :

١) نظراً لأهمية الموضوع ، وتعلق كثير من مباحثه بأصول الدين ، فإني أجتهد في أخذ ما يحويه المبحث من الدرر السنية ، أو من الرسائل والمسائل ، وإذا وجدت أن ما يحويه المبحث ، أو أحد عناصره ، بحث من أحد العلماء ، فإني آخذ ما بحثه في هذا المبحث ، أو أحد عناصره ، بالإضافة لما آخذه من أقوال أئمة الدعوة في الدرر السنية والرسائل والمسائل .

٢) أن أكثر ما تم الاعتماد عليه هو منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب من رسائله ومسائله ، لأن أئمة الدعوة ساروا على نهجه وأجتهد في أخذ أقوال أخرى في نفس الموضوع لأئمة الدعوة لبيان أن منهجهم واحد لا يتغير .

٣) أن جل ما في الرسائل والمسائل موجود في الدرر السنية إن لم يكن كله ، ولذلك فإن الاعتماد في البحث على الدرر السنية .

٤) أن البحث يتركز على أخذ نماذج من أقوال أئمة الدعوة في المسألة ، ولا يهدف حصر الأقوال في المسألة ، لأن ذلك سيطيل البحث ، وهذا ليس غاية في البحث ، أو هدف من أهدافه ، وقد يتكرر النص لمناسبة الموضع أو اختلاف الناقل وتجنبت عدم الإحاله حتى لأقطع ذهن القارئ بالرجوع لما سبق ذكره .

٥) لقد قصدت الأخذ ببعض أقوال المعاصرين من أتباع أئمة الدعوة ، لبيان أن هناك من يحمل هذه الدعوة ويسير على نهجها ، حتى وقتنا الحاضر ، ولله الحمد .

٦) لقد تم الاعتماد بشكل رئيسي على كتاب الشيخ صالح العبود في بيان منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مسائل التوحيد والإيمان والشفاعة وآثار الدعوة لاطمئناني لفهمه لمنهج أئمة الدعوة ، ولأنه يعد امتداداً لهم ، حيث أنه طالب علم نجيب تخرج في العلم على يد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ، ومؤلفه يدل على ماقلت ولقد حرصت على نقل قوله وتوثيقه ، دون تدخل مني بالحذف والتلخيص خوفاً من وضع الشيء في غير موضعه أو تحريفه إلى غير مقصده ، كذلك تم الاعتماد على كتاب الشيخ ناصر العقل في الفصل الثالث المتعلق بطرق المبتدعة ، لأنه ماكتبه جمع أقوال أهل العلم الأعلام وربطها بواقعنا المعاصر .

٧) أني اجتهدت في أخذ النصوص التي استعنت بها في هذه الرسالة كما وردت عن أصحابها دون تدخل مني فيها بالتلخيص أو توجيه ما فيها ، سوى ما يتعلق بالأمور التاريخيه أو مايربط بين الفقرات ، خوفاً من وضع الشيء في غير موضعه أو تحريفه إلى غير مقصده .

٨) لقد توسعت في بعض المسائل لأهميتها واختلاف أئمة الإسلام نحوها ، ولم أقتصدعلى أخذ الشاهد فقط ، رغبة مني في إشباع المسألة بأقوال أهل العلم النفيسه ، سيما وأن هذه الرسائل في أصول الدين الحنيف .

٩) في الولاء والبراء ركزت على منهج الأئمة فيه ، ولم أذكر كل أقوالهم وكما يقول معالي الشيخ / صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ ، بأن في أقوال أئمة الدعوة محكم ومتشابه فإذا رد المتاشبه للمحكم ، بانت المسألة ووضح الأمر .

١٠) أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الملك سعود منارة العلم والعلماء ، وكذلك أصحاب الفضيلة الأساتذة في قسم العقيدة الأفاضل ، الذين استفدت من علمهم وأدبهم وتوجيهاتهم ، كما أشكر الدكتور إبراهيم العروان رئيس قسم الثقافة السابق الذي كان له دور في تشجيعي للدراسة والاستفادة ، وأخص بالشكر الدكتور الشفيع الماحي أحمد ، الذي يجمع بين خصلتين يحبهما الله ورسوله ﷺ الحلم والأناة ، فكان خير موجه ، ومرشد ، لإنجاز هذه الرسالة ، وقد استفدت كثيراً من توجيهاته وخبرته ، التي لم يبخل بها عليّ ، أستاذاً عندما كنت على مقاعد الدراسة ، أو مشرفاً وموجهاً في إنجاز هذا البحث ، كما أشكر المشايخ الأفاضل الذين سيقرؤون هذا البحث بتوجيهاتهم التي سوف تكون محل العناية والاهتمام والتنفيذ وهم فضيلة الدكتور / حمد بن عبدالمحسن التويجري الأستاذ المساعد و رئيس قسم العقيدة ووكيل الدراسات العليا في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وفضيلة الدكتور / سليمان بن قاسم العيد الأستاذ المشارك بجامعة الملك سعود ، هذا وسأل الله التوفيق والإعانة .

الباحث

الفصل الأول

ترجمة موجزة لبعض أئمة الدعوة في نجد

وفي هذا الفصل تسعة مباحث هي :

- المبحث الأول : الشيخ حمد بن معمر رحمه الله (١١٦٠ ـ ١٢٢٥ هـ)
- المبحث الثاني : الشيخ حسين بن غنام رحمه الله (... ـ ١٢٢٥هـ)
- المبحث الثالث : الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله (١٢٠٠ ـ ١٢٣٣هـ)
- المبحث الرابع : الشيخ عبدالله بن محمد رحمه الله (١١٦٥ ـ ١٢٤٢هـ)
- المبحث الخامس : الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن معمر رحمه الله (١٢٠٣ ـ ١٢٤٤هـ)
- المبحث السادس : الشيخ عبدالله ابابطين رحمه الله (١١٩٤ ـ ١٢٨٢هـ)
- المبحث السابع : الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله (١١٩٣ ـ ١٢٨٥هـ)
- المبحث الثامن : الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله (١١٢٥ ـ ١٢٩٣هـ)
- المبحث التاسع : الشيخ حمد بن علي بن عتيق رحمه الله (١٢٢٧ ـ ١٣٠١هـ)

المبحث الأول : الشيخ حمد بن معمر رحمه الله (١١٦٠هـ ــ ١٢٢٥هـ)[١]

نسبه : حمد بن ناصر بن الأمير عثمان بن حمد بن عبدالله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن محمد بن معمر بن حمد بن حسن بن طوق بن سيف ، من العناقر الذين هم بطن كبير من بني سعد ، وبنو سعد إحدى قبائل بني تميم القبيلة المشهورة .

مولده ونشأته : ولد في العيينة عام ١١٦٠هـ ، وقد ولد في بيت إمارة حيث أن جده عثمان كان أميراً للعيينة ، وهي من أكبر مدن نجد وبعد مقتل جده انتقل مع والده إلى الدرعية ، وعمره أربعة عشر عاماً ، وقد كان والده من أنصار الدعوة السلفية وقتل والده مجاهداً في نشر الدعوة في جيش الإمام عبدالعزيز بن محمد .

شيوخه : بعد انتقاله من العيينة إلى الدرعية أهتم بالعلم ونهل من معين كبار أئمة الدعوة وعلى رأسهم شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ، ومن مشايخه :

١ ـ الشيخ حمد بن مانع .

٢ ـ الشيخ محمد بن علي بن غريب .

٣ ـ الشيخ حسين بن غنام .

أهم أعماله وآثاره : له أعمال عديدة وآثار جليلة منها :

١ ــ التدريس : بعد أن بلغ الشيخ حمد المبلغ الكبير من العلم جلس لطلاب العلم الذين تقاطروا على الدرعية للنهل من العلم على يديه وقد تخرج على يديه عدد كبير من العلماء كان لهم أثر عظيم في تعليم العلم ونشره ولعل من أبرزهم الشيخ العلامة ـ المجدد الثاني عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب إمام الدعوة عند إنشاء الدولة السعودية الثانية ــ .

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ـ عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام ـ الطبعة الثانيــة ـ ج٢ من ص ١٢١

٢ ـ القضاء : عينه الإمام سعود بن عبدالعزيز قاضياً في الدرعية ، ثم عينه رئيساً لقضاء مكة المكرمة .

٣ ـ الإفتاء : قُصِدَ الشيخ حمد بالأسئلة والفتاوى من أرجاء الجزيرة العربية ، فأجاب عنها الإجابة المحررة السديدة .

٤ ـ المناظرات والإرشادات : بعثه الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود على رأس ركب من العلماء لمناظرة علماء مكة بناءً على طلب أميرها ، وقد ظهر عليهم الشيخ حمد بحجته ، وأسكتهم بأدلته وبراهينه ، فسلموا له ، وأذعنوا لأقواله ودلائله .

وفاته :[١] توفي في شهر ذي الحجة من عام ١٢٢٥هـ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

---

[١] عنوان المجد في تاريخ نجد ـ عثمان بن بشر النجدي ـ الجزء الأول ص ١٥٤

المبحث الثاني : الشيخ حسين بن غنام رحمه الله (.... هـ - ١٢٢٥هـ)[١]

نسبه : هو حسين بن أبي بكر آل غنام من قبيلة بني تميم .

مولده ونشأته : ولد ونشأ في بلدة المبرز في الأحساء ، وتعلم في صباه القراءة والكتابة وقرأ على علماء الأحساء من آل مبارك وآل عبدالقادر وهو مالكي المذهب وله اهتمامات أدبية ويقول الشعر ولما أرتفع شأن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - رحل إلى الدرعية .

شيوخه : بعد انتقاله للدرعية درس على يد الإمام المجدد وبعض أبنائه وكبار تلاميذه حتى تشرب منهج الدعوة وكان من كبار المدافعين عنها .

ومن شيوخه : الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

أهم أعماله وآثاره :

١ - التدريس : جلس المترجم له في الدرعية للتدريس فأخذ عنه عدد من كبار العلماء فأفادوا منه ، ومن تلاميذه :

أ - الشيخ ناصر بن حمد بن معمر .

ب - الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن معمر .

جـ - الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب .

٢ - مؤلفاته : أ - روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام .

ب - العقد الثمين في شرح أصول الدين .

جـ - وله قصائد لو جمعت لجاءت في ديوان متوسط .

وفاته :[٢] توفي في شهر ذي الحجة من عام ١٢٢٥هـ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

---

[١] علماء نجد خلال ثمانية قرون - المرجع السابق - ج٢ ، من ص ٥٦ إلى ص ٥٨

[٢] عنوان المجد في تاريخ نجد - المرجع السابق - ج١ - ص ١٥١

المبحث الثالث : الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله (١٢٠٠ هـ ـ ١٢٣٣هـ)[١]

نسبه : هو الشيخ المحدث سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

مولده ونشأته : ولد في الدرعية في عام ١٢٠٠هـ ، ونشأ في بيت علم ولم يدرس على يد والده لأنه جاء في آخر أيامه ولكنه تعلم من علماء الدرعية .

شيوخه : من شيوخه الشيخ الإمام الحسن بن خالد الشريف الحسني العرشي .

أهم أعماله وآثاره :

١ ـ ولي القضاء في مكة والدرعية .

٢ ـ اختاره الإمام سعود بن عبدالعزيز مدرساً لحاشيته .

٣ ـ مؤلفاته :

أ) تيسير العزيز الحميد ، شرح كتاب التوحيد .

ب) منسك لطيف مفيد .

جـ) الدلائل في عدم موالاة أهل الشرك .

د) رفع الإشكال .

هـ) رسالة في بيان تعدد الجمعة .

و) فتاوى ورسائل محررة مفيدة .

ز) حاشيته النفيسة المفيدة على المقنع .

ح) له الكثير من النظم .

وفاته :[٢] قتل رحمه الله سنة ١٢٣٣هـ .

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ـ المرجع السابق ـ ج٢ ، ص ٣٤١ ـ ٣٤٩

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد ـ المرجع السابق ـ ج١ ـ ص ٢١٢

المبحث الرابع : الشيخ عبدالله بن محمد رحمه الله (١١٦٥ هـ ـ ١٢٤٢هـ)[١]

نسبه : هو الشيخ عبدالله أبن الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

مولده ونشأته : ولد في مدينة الدرعية ، ونشأ في بيت والده نشأة دينية صالحة وفي جو علمي وفي وسط كريم .

شيوخه : نهل العلم من والده الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وكفى بالشيخ مربياً ومعلماً .

أهم أعماله وآثاره : خلف والده في زعامته الدينية ومرجع علماء الدعوة وقضاتها وعاصر ثلاثة من أئمة آل سعود الحاكمين القائمين وهم الإمام عبدالعزيز والإمام سعود بن عبدالعزيز والإمام عبدالله بن عبدالعزيز ، وقد ذب عن الدعوة وتصدى للرد على مناوئيها ، الذين كثروا لما ظهرت في البلاد ، وأصبح لها اتباع .

تلاميذه :

أ) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب .

ب) عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب .

جـ) علي بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب .

د) عبدالرحمن بن حسين .

هـ) علي بن حسين .

وغيرهم كثير لأنه كان مرجع أهل العلم في بلاد نجد بعد والده رحمهما الله جميعاً .

عقبه : له ثلاثة أبناء .

وفاته :[٢] توفي عام ١٢٤٢هـ في القاهرة ، حيث نقل إليها بعد سقوط الدرعية .

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ـ المرجع السابق ـ ج٢ ، ص ١٦٩ ـ ١٧٩ .

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد ـ المرجع السابق ـ

المبحث الخامس : الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن معمر رحمه الله (١٢٠٣ هـ ـ١٢٤٤هـ)[١]

نسبه : هو الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان بن حمد بن عبدالله ينتهي نسبه إلى معمر بن حمد التميمي ، وهو من آل معمر نسبةً إلى جده معمر ، ومن العناقر إحدى بطون بني سعد ، وبنو سعد إحدى قبائل بني تميم .

مولده ونشأته : ولد في مدينة الدرعية سنة ١٢٠٣هـ ونشأ فيها وكان من بيت علم .

شيوخه : منهم :

أ) والده الشيخ حمد بن معمر . ب) الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب .

جـ) الشيخ حسين بن محمد بن عبدالوهاب . د) الشيخ علي بن محمد بن عبدالوهاب .

هـ) حسين بن غنام . و) أحمد بن حسن بن رشيد

وكثير من علماء الدرعية .

أهم أعماله وآثاره :

١ ـ ولي القضاء في الدرعية ضمن جملة قضاة .

٢ ـ عمل مدرساً في جامع الدرعية.

٣ ـ مؤلفاته :

أ) اختصاره لتنظيم ابن عبد القوي في الفقه .

ب) الزيارة النفسية .

جـ) منحة القريب في الرد على عباد الصليب .

وفاته :[٢] توفي في مدينة المنامة في البحرين عام ١٢٤٤هـ .

---

[١] علماء نجد خلال ثمانية قرون ـ المرجع السابق ـ ج٢ ، ص ٣٧٦ ـ ٣٤٥

[٢] عنوان المجد في تاريخ نجد ـ المرجع السابق ـ ج١ ـ ص ٣٣

المبحث السادس : الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله (١١٩٤ هـ ـ ١٢٨٢هـ) [(١)]

نسبه : هو الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز الملقب كأسلافه بابطين العائذي نسباً وترجع أسرته إلى آل مغيرة المتفرعين من قبيلة بني لام .

مولده ونشأته : ولد في روضة سدير لعشر بقين من ذي الحجة عام ١١٩٤هـ . ونشأ بها نشأة حسنة .

شيوخه :

١ ـ الشيخ محمد طراد الدوسري .

٢ ـ الشيخ حمد بن ناصر بن معمر .

٣ ـ الشيخ أحمد بن حسن العفالقي .

٤ ـ الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب .

أهم أعماله وآثاره :

١ ـ عين قاضياً للطائف وملحقاتها .

٢ ـ من مؤلفاته :

أ) الفتاوى .

ب) رسالة في تجويد القرآن .

جـ) الانتصار .

د) تأسيس التقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس .

هـ) حاشية على شرح المنتهي .

و) اختصر بدائع الفوائد لابن القيم .

٣ ـ ولي القضاء في عمان .

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ـ المرجع السابق ـ ج٤ ـ ص ٢٢٥ ـ ٢٤٤

٤ . ولي القضاء في الوشم وسدير والقصيم .

من تلاميذه :

١ ـ الشيخ علي بن محمد آل راشد .

٢ ـ الشيخ عبدالله بن بشر .

٣ ـ الشيخ حمد بن إبراهيم السناني .

٤ ـ الشيخ محمد بن عبدالله بن مانع .

٥ ـ الشيخ محمد بن عبدالله بن حميد .

وغيرهم كثير .

وفاته:[١] توفي رحمه الله في شقراء في السابع من جمادى الأولى عام ١٢٨٢ هـ .

---

(١) علماء نجد في ثمانية قرون ـ المرجع السابق ـ ص٢٤١

المبحث السابع : الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله (١١٩٣ هـ ـ ١٢٨٥هـ)[١]

نسبه : هو الإمام العلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب .

مولده ونشأته : ولد في مدينة الدرعية سنة ١١٩٣هـ ونشأ بها وتربى في حجر جده وفي جو علمي نهل من معينه فأصبح مبرزاً فيه وسمي المجدد الثاني وعندما عادت الدولة السعودية أصبح عالمها .

شيوخه :

١ ـ جده الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

٢ ـ عمه الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب .

٣ ـ الشيخ حمد بن ناصر بن معمر .

٤ ـ الشيخ حسين بن غنام .

وغيرهم من جميع المذاهب والأمصار .

أهم أعماله وآثاره :

١ ـ جلس للتدريس في الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى .

٢ ـ شارك في صد حملة طوسون العثمانية .

٣ ـ دافع عن الدرعية حتى سقطت ورحل إلى مصر حيث مكث فيها ٨ سنوات ثم عاد لنجد عام ١٢٤١هـ .

مؤلفاته :

أ) فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد .

ب) قرة عيون الموحدين .

ج) الرد على عثمان بن منصور .

---

[١] علماء نجد خلال ثمانية قرون ـ المرجع السابق ـ ج١ ، ص ١٨٠ ـ ٢٠١

د) الرد على داود بن جرجيس .

هـ) مختصر العقل والنقل .

و) مختصر تفسير سورة الإخلاص .

ز) مجموعة كبيرة من الرسائل والفتاوى .

تلاميذه : تخرج على يديه جمع كبير من المشايخ منهم :

١ ـ ابنه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن .

٢ ـ الشيخ حسن بن حسين آل الشيخ .

٣ ـ الشيخ حمد بن علي بن عتيق .

٤ ـ الشيخ عبدالرحمن بن مانع .

وغيرهم كثير .

وفاته :[١] توفي رحمه الله في الرياض عشية يوم السبت في اليوم الحادي عشر من ذي القعدة عام ١٢٨٥هـ ودفن في مقبرة العود بالرياض .

---

[١] علماء نجد في ثمانية قرون ـ المرجع السابق ـ ص ١٩٤

المبحث الثامن : الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله (١٢٢٥ هـ ـ ١٢٩٣هـ)[١]

نسبه : هو الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب .

مولده ونشأته : ولد في مدينة الدرعية عام ١٢٢٥هـ ونشأ بها حتى سقطت الدرعية وذهب مع والده لمصر عام ١٢٣٣هـ .

شيوخه : ١ ـ والده الشيخ عبدالرحمن بن حسن .

٢ ـ الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب .

٣ ـ الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب .

كما تلقى العلوم في جامعة الأزهر على يد بعض المشايخ من أمثال إبراهيم الباجوري وأحمد الصعيدي .

أهم أعماله وآثاره :

١ ـ ساعد والده في التدريس والفتيا ثم خلفه بعد وفاته عام ١٢٨٥هـ .

٢ ـ كان له دور في تسكين الفتنة التي حدثت لأسرة آل سعود .

٣ ـ مؤلفاته :

أ) تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس .

ب) رد على عثمان بن منصور اسماه ـ مصباح الظلام ـ في الرد على من كذب على الشيخ الإمام .

ج) البراهين الإسلامية .

د) رد على الصافي .

هـ) عيون الرسائل والمسائل .

وغيرها .

---

[١] علماء نجد خلال ثمانية قرون ـ المرجع السابق ـ ج١ ، ص ٢٠٢ ـ ٢١٤

٤ ـ تلاميذه : كثير منهم :

١) أبنه الشيخ عبدالله .

٢) الشيخ إسحاق .

٣) الشيخ حسن بن حسين آل الشيخ .

٤) الشيخ سليمان بن سحمان .

٥) الشيخ محمد بن محمود .

وغيرهم كثير .

وفاته :[١] توفي في مدينة الرياض في اليوم الرابع عشر من شهر ذي القعدة عام ١٢٩٣هـ وكان عمره ٦٨عاماً رحمه الله .

---

[١] علماء نجد في ثمانية قرون ـ المرجع السابق ـ ص١٩٤

المبحث التاسع : الشيخ حمد بن علي بن عتيق رحمه الله (١٢٢٧ هـ ـ ١٣٠١هـ)[١]

نسبه : هو الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضه .

مولده ونشأته : ولد في الزلفي سنة ١٢٢٧هـ ، ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم ثم سافر إلى الرياض .

شيوخه : كثير منهم :

١ ـ الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب .

٢ ـ الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن .

٣ ـ الشيخ علي بن حسين .

٤ ـ الشيخ عبدالرحمن بن عدوان .

أهم أعماله وآثاره :

١ ـ ولي القضاء في الخرج والدلم وحوطة بني تميم والأفلاج .

٢ ـ له دور في إخماد الفتنة بين أبناء فيصل بن تركي بن عبدالله بن سعود .

٣ ـ مؤلفاته :

أ) شرح التوحيد ـ إبطال التنديد ـ .

ب) سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الشرك .

ج) الدفاع عن أهل السنة والاتباع .

د) الرد على ابن دعيج .

وغيرهم كثير

٤ ـ تلاميذه : كثيُر منهم :

١) أبناؤه سعد وعبدالعزيز و عبداللطيف .

---

[١] علماء نجد خلال ثمانية قرون ـ المرجع السابق ـ ج٢ ، ص ٨٤

٢) الشيخ عبدالله بن عبداللطيف .

٣) الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف .

٤) الشيخ حمد بن عبداللطيف .

٥) الشيخ محمد بن سحمان .

وغيرهم كثير .

وفاته :[١] توفي المترجم له في بلدة العمار بالأفلاج عام ١٣٠١هـ رحمه الله .

---

[١] علماء نجد في ثمانية قرون . المرجع السابق . ص٩١

الفصل الثاني

موضوعات الردود

وفي هذا الفصل خمسة مباحث هي :

- **المبحث الأول : بيان أنواع التوحيد**
- **المبحث الثاني : الولاء والبراء**
- **المبحث الثالث : مسألة الإيمان**
- **المبحث الرابع : مسألة الشفاعة**
- **المبحث الخامس : مسألة الحكم والتحاكم**

المبحث الأول : بيان أنواع التوحيد :

إن المتصفح لكتب أئمة الدعوة وعلى رأسهم الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ، يجد أن بعضهم قسّموا التوحيد إلى نوعين توحيد الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد الألوهية ، حيث قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب :

[التوحيد نوعان ، توحيد الربوبية ، وهو : أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير ، عن الملائكة ، والأنبياء ، وغيرهم ، وهذا حق لا بد منه ، لكن لا يدخل الرجل في الإسلام ، بل : أكفر الناس مقرون به ، قال الله تعالى :﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[1] ، وأن الذي يُدخل الرجل في الإسلام هو توحيد الإلهية ، وهو ألا يعبد إلا الله ، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ، وذلك : أن النبي ﷺ بعث ، وأهل الجاهلية يعبدون أشياء مع الله ، فمنهم من يعبد الأصنام ، ومنهم من يدعو عيسى ، ومنهم من يدعو الملائكة ، فنهاهم عن هذا وأخبرهم : أن الله أرسله ليوحّد ، ولا يدعى أحد ، لا الملائكة ، ولا الأنبياء ، فمن تبعه ، ووحّد الله ، فهو الذي يشهد أن لا إله إلا الله ، ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة واستنصرهم والتجأ إليهم ، فهو الذي جحد لا إله إلا الله ، مع إقراره : أنه لا يخلق ولا يرزق إلا الله ، وهذه جملة : لها بسط طويل ، ولكن الحاصل : أن هذا مجمع عليه بين العلماء .

---

(١) سورة يونس : ٣١

فلما جرى في هذا الأمة ما أخبر به نبيها ﷺ حيث قال : لتتبعن سنن من كان قبلكم ، حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه [١] وكان من قبلهم ، كما ذكر الله عنهم : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[٢]، وصار ناس من الضالين يدعون أناساً من الصالحين في الشدة والرخاء مثل عبدالقادر الجيلاني ، وأحمد البدوي ، وعدي بن مسافر وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح ، صاح عليهم أهل العلم من جميع الطوائف ، أعني على الداعي ، وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم .

وبيّن أهل العلم : أن هذا هو الشرك الأكبر ، عبادة الأصنام ، فإن الله سبحانه : إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يدعى معه إله آخر ، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصورة على صورهم ، لم يكونوا يعتقدون أنها تنزل المطر أو تنبت النبات وإنما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تنهى عن أن يُدعى أحد من دونه ، لا دعاء عبادة ولا دعاء الاستغاثة .

وأعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي ﷺ بأنهم يدعون الملائكة والأولياء والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب إليهم ، وإلا فهم مقرون بأن الأمر لله ، فهم لا يدعونها إلا في الرخاء ، فإذا جاءت الشدائد أخلصوا لله ، قال الله تعالى :﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ ﴾[٣]][٤].

---

[١] البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، التجرد والصريح ، ص٣٢٥

[٢] سورة التوبة : ٣١

[٣] سورة الاسراء : ٦٧

[٤] الدرر السنية في الأجوبة النجدية . ج١ . الطبعة الخامسة . ص ٦٥ ـ ٦٧

ومنهم من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام وهي توحيد الربوبية ، وتوحيد الإلهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، ولعلّي أختار ما ورد في كتاب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب لمؤلفه العلامة الشيخ / سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب والذي جاء فيه ما نصه :

[الكتاب مصدر كتب يكتب كتاباً وكتابة وكتباً ومدار المادة على الجمع ومنه تكتب بنو فلان إذا اجتمعوا ، والكتيبة لجماعة الخيل ، والكتابة بالقلم لاجتماع الكلمات والحروف ، وسمي الكتاب كتاباً لجمعه ما وضع له ، ذكره غير واحد ، والتوحيد مصدر وحد يوحد توحيداً ، أي جعله واحداً وسمي دين الإسلام توحيداً لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له ، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له ، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذين جاءوا به من عند الله وهي متلازمة ، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر ، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب ، وإن شئت قلت التوحيد : التوحيد نوعان توحيد في المعرفة والإثبات ، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وتوحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الإلهية والعبادة . ذكره شيخ الإسلام وابن القيم وذكر معناه غيرهما .

النوع الأول : توحيد الربوبية والملك ، وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه وأنه المحيي والمميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار والذي له الأمر كله وبيده الخير كله القادر على ما يشاء ، ليس له في ذلك شريك ، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الآلهية لأن الله تعالى حكى عن المشركين أنهم مقرون بهذا التوحيد لله وحده ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ

ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[١] وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[٤] فهم كانوا يعلمون أن جميع ذلك لله وحده ولم يكونوا بذلك مسلمين ، بل قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[٥] قال مجاهد في الآية : إيمانهم بالله قولهم : إن الله خلقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره ، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وعن ابن عباس وعطاء والضحاك نحو ذلك ، فتبين أن الكفار يعرفون الله ويعرفون ربوبيته وملكه وقهره ، وكانوا مع ذلك يعبدون ويخلصون له أنواعاً من العبادات كالحج والصدقة والذبح والنذر والدعاء وقت الاضطرار ونحو ذلك ، ويدّعون أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام ، فأنزل الله تعالى ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٦] وبعضهم يؤمن بالبعث والحساب وبعضهم يؤمن بالقدر .

كما قال زهير :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر	ليوم الحساب أو يعجل فينقم

---

[١] سورة يونس : ٣١
[٢] سورة الزخرف : ٨٧
[٣] سورة العنكبوت : ٦٣
[٤] سورة النمل : ٦٢
[٥] سورة يوسف : ١٠٦
[٦] سورة آل عمران : ٦٧

وقال عنترة :

يا عبل أين من المنية مهرب   إن كان ربي في السماء قضاها

ومثل هذا يوجد في أشعارهم ، فوجب على كل من عقل عن الله تعالى أن ينظر ويبحث عن السبب الذي أوجب سفك دمائهم وسبي نسائهم وإباحة أموالهم ، ومع هذا الإقرار والمعرفة وما ذاك إلا لإشراكهم في توحيد العبادة الذي هو معنى لا إله إلا الله .

النوع الثاني : توحيد الأسماء والصفات ، هو الإقرار بأن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم له المشيئة النافذة والحكمة البالغة وأنه سميع بصير رؤوف رحيم على العرش استوى وعلى الملك احتوى وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العُلى .

وهذا أيضاً لا يكفي في حصول الإسلام ، بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمه من توحيد الربوبية والإلهية ، والكفار يقرون بجنس هذا النوع وأن كان بعضهم قد ينكر بعض ذلك إما جهلاً وإما عناداً ، كما قالوا : لا نعرف الرحمان إلا رحمان اليمامة ، فأنزل الله فيهم ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾[1] .

قال الحافظ ابن كثير : والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود وعناد وتعنت في كفرهم فإنه قد وجد في بعض أشعار الجاهلية تسمية الله بالرحمان .

قال الشاعر : وما يشأ الرحمان يعقد ويطلق .

وقال الآخر : لا قضب الرحمان ربي يمينها .

وهما جاهليان .

---

(١) سورة الرعد : ٣٠

وقال زهير :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

قلت : ولم يعرف عنهم إنكار شيء من هذا التوحيد إلا في اسم الرحمان خاصة ، ولو كانوا ينكرونه لردوا على النبي ﷺ ذلك كما ردوا عليه توحيد الإلهية .

فقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾(١) ، لاسيما السور المكية مملوءة بهذا التوحيد .

النوع الثالث : توحيد الإلهية المبني على إخلاص التأله لله تعالى ، من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والدعاء لله وحده ، وينبني على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له ، لا يجعل فيها شيئاً لغيره ، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما ، وهذا التوحيد هو الذي تضمنه قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٣) وقوله تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٤) وقوله تعالى : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾(٥) وقوله تعالى : ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(٦)

---

(١) سورة ص : ٥

(٢) سورة الفاتحة : ٥

(٣) سورة هود : ١٢٣

(٤) سورة التوبة : ١٢٩

(٥) سورة مريم : ٦٥

(٦) سورة هود : ٨٨

وقولـه تعـالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[2] .

وهـذا التوحيد هـو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره وهو أول دعوة الرسل وآخرها وهو معنى قول : لا إله إلا الله ، فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار ، قال الله تعـالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[3] ، فهـذا أول أمـر فـي القـرآن ، وقـال تعـالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[4] ، فهـذه دعـوة أول رسـول بعـد حـدوث الشـرك ، وقـال هـود لقومـه ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[5] ، وقـال صـالح لقومـه ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[6] ، وقـال شـعيب لقومـه ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[7] ، وقـال إبـراهيم عـليه السـلام لقومـه ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[8] ، وقـال تعـالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ

---

(1) سورة الفرقان : ٥٨
(2) سورة الحجر : ٩٩
(3) سورة البقرة : ٢١
(4) سورة المؤمنون : ٢٣
(5) سورة الأعراف : ٦٥
(6) سورة هود : ٦١
(7) سورة الأعراف : ٨٥
(8) سورة الأنعام : ٧٩

إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣] ، وقال هرقل لأبي سفيان لما سأله عن النبي ﷺ ما يقول لكم ؟ قال : يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ، وقال النبي ﷺ لمعاذ : أنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، وفي رواية أن يوحدوا الله [٤] وهذا التوحيد هول أول واجب على المكلف ، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك في الله ، كما هي أقوال لمن لم يدر ما بعث الله به ورسوله ﷺ من معاني الكتاب والحكمة فهو أول واجب وآخر واجب وأول ما يدخل به الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال ﷺ :من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة [٥] حديث صحيح رواه أبو داود والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وقال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله [٦] متفق عليه ، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح وأبدا فيه وأعاد وضرب لذلك أمثالاً بحيث أن كل سورة في القرآن فيها الدلالة على هذا التوحيد ، ويسمى هذا النوع توحيد الألهية لأنه مبني على إخلاص التأله وهو أشد المحبة لله وحده وذلك يستلزم إخلاص العبادة وتوحيد العبادة

---

[١] سورة الأنبياء : ٢٥

[٢] سورة الزخرف : ٤٥

[٣] سورة الذاريات : ٥٦

[٤] صحيح البخاري ، الطبعة الثالثة ، المحقق الدكتور مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير اليمامة ، بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ، ح ٦٩٣٧ / ٦ / ٢٦٨٥

[٥] رواه أبو داود في سننه ، كتاب الجنائز ، باب في التلقين ، ١٩/٤ .

[٦] صحيح مسلم ، المحقق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ح ٢٢ / ١ / ٥٣ ، وأخرجه البخاري ح / ٢٥ / ١ / ١٧

لذلك ، وتوحيد الإرادة ، لأنه مبني على إرادة وجه الله بالأعمال ، وتوحيد القصد ، لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده ، وتوحيد العمل ، لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده ، قال الله تعالى :﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[1] وقال : ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[2] وقال : ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ ﴾[3] إلى قوله ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[4]، إلى قوله ﴿ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾[5]، إلى قوله ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ۝ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ ﴾[6] ، إلى قوله ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[7] ، إلى قوله ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ۝ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[8] ، فكل هذه السور في الدعاء إلى هذا التوحيد ، والأمر به ، والجواب عن الشبهات والمعارضات ، وذكر ما عند الله لأهله من النعيم المقيم ، وما أعد لمن خالفه من العذاب الأليم ، وكل

---

(1) سورة الزمر : ٢
(2) سورة الزمر : ١١ - ١٢
(3) سورة الزمر : ١٤ - ١٥
(4) سورة الزمر : ٢٩
(5) سورة الزمر : ٣٨
(6) سورة الزمر : ٤٣ - ٤٤
(7) سورة الزمر : ٥٤
(8) سورة الزمر : ٦٤ - ٦٦

سورة في القرآن بل كل آية في القرآن داعية إلى هذا التوحيد ، شاهدة به ، متضمنة له ، لأن القرآن إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهو توحيد الربوبية ، وتوحيد الصفات فذاك مستلزم لهذا ، ومتضمناً له .

وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع ما يعبد من دونه أو أمر بأنواع من العبادات ، ونهى عن المخالفات فهذا هو توحيد الألهية والعبادة ، وهو مستلزم للنوعين الأولين ، متضمن لهما أيضاً .

وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وطاعته ، وما فعل بهم في الدنيا ، وما يكرههم به في الآخرة ، فهو جزاء توحيده .

وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، وما يحل بهم في العقبى من الوبال ، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد .

وهذا التوحيد هو حقيقة دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه ، كما قال النبي ﷺ : بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت [(١)] رواه البخاري ومسلم ، فأخبر أن دين الإسلام مبني على هذه الأركان الخمسة وهي الأعمال ، فدل على أن الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له ، بفعل المأمور ، وترك المحظور ، والإخلاص في ذلك لله .

وقد تضمن ذلك جميع أنواع العبادة ، فيجب إخلاصها لله تعالى ، فمن أشرك بين الله تعالى وبين غيره في شيء فليس بمسلم .

[(١)] أخرجه البخاري ح / ٨ / ١ / ١٢ ، ومسلم ح / ١٦ / ١ / ٤٥

فمنها : المحبة ، فمن أشرك بين الله تعالى وبين غيره في المحبة التي لا تصلح إلا لله فهو مشرك .

كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[1] .

ومنها : التوكل ، فلا يتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[3] . والتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلاَ الله شرك أصغر .

ومنها : الخوف ، فلا يخاف خوف السر إلا من الله ، ومعنى خوف السر ، هو : أن يخاف العبد من غير الله تعالى أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره ، فهذا شرك أكبر ، لأنه اعتقاد للنفع والضر في غير الله .

قال تعالى : ﴿ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[4] وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾[5] وقوله تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[6] .

ومنها : الرجاء ، فيما لا يقدر عليه إلا الله ، كمن يدعو الأموات أو غيرهم راجياً حصول مطلوبه من جهتهم فهذا شرك أكبر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ

---

(1) سورة البقرة : ١٦٥ - ١٦٧
(2) سورة المائدة : ٢٣
(3) سورة المجادلة : ١٠
(4) سورة النحل : ٥١
(5) سورة المائدة : ٤٤
(6) سورة يونس : ١٠٧

هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾[١] ، وقال علي رضي الله عنه : لا يرجون عبد إلا ربه .

ومنها : الصلاة والركوع والسجود .

قال الله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾[٢] وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾[٣] .

ومنها : الدعاء ، فيما لا يقدر عليه إلا الله ، سواء كان طلبه للشفاعة أو غيرها من المطالب .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾[٤] وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾[٦] ، وقوله تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾[٧] .

---

[١] سورة البقرة : ٢١٨
[٢] سورة الكوثر : ٢
[٣] سورة الحج : ٧٧
[٤] سورة فاطر : ١٣ - ١٤
[٥] سورة غافر : ٦٠
[٦] سورة يونس : ١٠٦
[٧] سورة الزمر : ٤٣ - ٤٤

ومنها : الذبح ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾[1] والنسك : الذبح .

ومنها : النذر ، قال تعالى : ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾[3] .

ومنها : الطواف ، فلا يطاف إلا ببيت الله . قال تعالى : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[4].

ومنها : التوبة ، فلا يتاب إلا لله ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾[5] وقال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[6] .

ومنها : الاستعاذة ، فيما لا يقدر عليه إلا الله ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾[7] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾[8] .

ومنها : الاستغاثة ، فيما لا يقدر عليه إلا الله ، قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾[9] .

---

(1) سورة الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣

(2) سورة الحج : ٢٩

(3) سورة الإنسان : ٧

(4) سورة الحج : ٢٩

(5) سورة آل عمران : ١٣٥

(6) سورة النور : ٣١

(7) سورة الفلق : ١

(8) سورة الناس : ١

(9) سورة الأنفال : ٩

فمن أشرك بين الله تعالى وبين مخلوق فيما يختص بالخالق تعالى من هذه العبادات أو غيرها فهو مشرك ، وإنما ذكرنا هذه العبادات خاصة ، لأن عباد القبور صرفوها للأموات من دون الله تعالى ، أو أشركوا بين الله تعالى وبينهم فيها ، وإلا فكل نوع من أنواع العبادة من صرفه لغير الله ، أو شرك بين الله تعالى وبين غيره فيه ، فهو مشرك ، قال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[1] .

وهذا الشرك في العبادة هو الذي كفر الله به المشركين ، وأباح به دماءهم وأموالهم ونسائهم ، وإلا فهم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق المدبر ليس له شريك في ملكه ، وإنما كانوا يشركون به في هذه العبادات ونحوها ، وكانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، فأتاهم النبي ﷺ بالتوحيد الذي هو معنى لا إله إلا الله الذي مضمونه أن لا يعبد إلا الله ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فضلاً عن غيرهما فقالوا ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[2].

وكانوا يجعلون من الحرث والأنعام نصيباً لله وللآلهة مثل ذلك ، فإذا صار شيء من الذي لله إلى الذي للآلهة تركوه لها ، وقالوا : الله غني ، وإذا صار شيء من الذي للآلهة إلى الذي لله تعالى ردوه ، وقالوا : الله غني ، والآلهة فقيرة . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[3].

---

[1] سورة النساء : ٣٦

[2] سورة ص : ٥

[3] سورة الأنعام : ١٣٦

وهذا بعينه يفعله عباد القبور ، بل يزيدون على ذلك فيجعلون للأموات نصيباً من الأولاد](١) .

وقد ورد أيضاً تقسيم التوحيد في إجابة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على سؤال سائل عن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الصفات فأجاب :

[توحيد الربوبية : هو الذي أقر به الكفار كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾(٢) .

وأما توحيد الألوهية ، فهو : إخلاص العبادة لله وحده من جميع الخلق ، لأن الإله في كلام العرب ، هو الذي يقصد للعبادة ، وكانوا يقولون : أن الله هو إله الآلهة ، لكن يجعلون معه آلة أخرى ، مثل الصالحين ، والملائكة ، وغيرهم ، ويقولون : إن الله يرضى هذا ويشفعون لنا عنده .

فإذا عرفت هذا ، معرفة جيدة ، تبين لك غربة الدين ، وقد استدل عليهم سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية ، على بطلان مذهبهم ، لأنه إذا كان هو المدبر وحده ، وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة ، فيكف يدعونه ، ويدعون معه غيره ، مع إقرارهم بهذا !!
وأما توحيد الصفات فلا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الآلوهية إلا بالإقرار بالصفات ، لكن الكفار : أعقل ممن أنكر الصفات ، والله أعلم](٣) .

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ـ ص١٧ ـ ٢٧
(٢) سورة يونس : ٣١
(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ـ ج٢ ـ ص ٧٢ ـ ٧٣

وقد قسم بعض أئمة الدعوة التوحيد إلى قسمين : توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وتوحيد الألوهية ، فجاء في كتاب فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد للشيخ الإمام عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ما نصه :

[قال العلامة ابن القيم رحمه الله : وأما التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب فهو نوعان : توحيد المعرفة والإثبات ، وتوحيد في الطلب والقصد ، فالأول هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ، وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمته ، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جدّ الإفصاح ، كما ورد في سورة الحديد ، وسورة طه ، وآخر الحشر ، وأول تنزيل السجدة ، وأول آل عمران ، وسورة الإخلاص بكاملها ، وغير ذلك .

النوع الثاني : ما تضمنته سورة ــ قل يأيها الكافرون ــ ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [١] ، وأول سورة تنزيل الكتاب ، وآخرها ، وأول سورة المؤمن ، ووسطها ، وآخرها ، وأول سورة الأعراف ، وآخرها ، وجملة سورة الأنعام ، وغالب سور القرآن ، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد ، شاهدة به داعية إليه .

فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله ، فهو التوحيد العلمي الخبري ، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه ، فهو التوحيد الإرادي الطلبي ، وإما أمر ونهي ، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه ، فهو حقوق التوحيد ومكملاته ، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد ، وما فعل بهم في الدنيا ، وما يكرمهم به في

---

[١] سورة آل عمران : ٦٤

الآخرة ، فهو جزاء توحيده ، وإما خبر أهل الشرك ، وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب ، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد ، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم . انتهى .

قال شيخ الإسلام : التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله : لا يعبد إلا إياه ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يوالي إلا له ، ولا يعادي إلا فيه ، ولا يعمل إلا لأجله ، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات ، قال تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾[١]، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[٤] ، وأخبر عن كل نبي من الأنبياء أنهم دعوا الناس لعبادة الله وحده لا شريك له وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾[٥] ، وقال عن المشركين : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾[٦] ، وهذا في القرآن كثير .

---

[١] سورة البقرة : ١٦٣

[٢] سورة النحل : ٥١

[٣] سورة المؤمنون : ١١٧

[٤] سورة الزخرف : ٤٥

[٥] سورة الممتحنة : ٤

[٦] سورة الصافات : ٣٥ - ٣٦

وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية ، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم ، كما يظن ذلك من يظنه ، من أهل الكلام والتصوف ، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد ، وأنهم إذا شهدوا هذا ، وفنوا فيه ، فقد فنوا في غاية التوحيد ، فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ، ونزهه عن كل ماينزه عنه ، واقر بأنه وحده خالق كل شيء : لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده ، فيقر بأنه وحده هو الإله المستحق للعبادة ، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له ، و ـ الإله ـ هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة وليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع ، فإذا فسر المسفر ـ الإله ـ بمعنى القادر على الاختراع ، وأعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف للإله ، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد ـ كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه ـ لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ ، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء ، وكانوا مع هذا مشركين قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[1] ، قال طائفة من السلف : تسألهم من خلق السموات والأرض ؟ فيقولون : الله وهم مع هذا يعبدون غيره ، قال الله تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[2] ، فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه ، يكون عابداً له دون ما سواه داعياً له دون ما سواه راجياً له خائفاً منه دون ما سواه يوالي فيه ويعادي فيه ويطيع رسله ويأمر بما أمر به وينهى عما نهى عنه :

---

(١) سورة يوسف : ١٠٦

(٢) سورة المؤمنون : ٨٤ - ٨٩

وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء واثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به وجعلوا له أنداداً ، قال تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾(٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ ﴾(٤) ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ، ويصوم وينسك لها ويتقرب إليها ثم يقول : إن هذا ليس بشرك إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً ، ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك](٥).

---

(١) سورة الزمر : ٤٣ - ٤٤

(٢) سورة يونس : ١٨

(٣) سورة الأنعام : ٩٤

(٤) سورة البقرة : ١٦٥

(٥) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ـ الطبعة الثالثة ـ ص ١٢ ـ ١٤ .

المبحث الثاني : الولاء والبراء :

أن منهج أئمة الدعوة رحمهم الله تعالى في الولاء والبراء هو منهج السلف الصالح ، يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن :

[وأما الموالاة والمعاداة ، فهي من أوجب الواجبات ، وفي الحديث : أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ـ وأصل الموالاة الحب ، وأصل المعادات البغض ، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ، ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة ، كالنصرة ، والأنس ، والمعاونه ، كالجهاد ، والهجرة ، ونحوها ذلك من الأعمال ، والولي ضد العدو] [1].

وقد جاء في رسالة أخرى للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ، كلام ، أوضح فيه المنهج الصحيح في الموالاة ، وقد ذكر أيضاً التكفير لارتباط التكفير بالموالاة ، وهذان الأمران كانا سبباً رئيسياً لخروج الخوارج والمعتزلة على الأئمة وتكفيرهم . وقد جاء في الرسالة وما يتبعها ما نصه :

[من عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن إلى عبدالعزيز الخطيب ، السلام على من اتبع الهدى ، وعلى عباد الله الصالحين ، وبعد : فقرأت رسالتك وعرفت مضمونها ، وما قصدته من الاعتذار ، ولكن أسأت في قولك : أن ما أنكره شيخنا الوالد ، من تكفيرهم أهل الحق ، واعتقاد إصابتكم ، أنه : لم يصدر منكم ، وتذكر أن إخوانك من أهل النقيع ، يجادلونك ، وينازعونك في شأننا ، وأنهم ينسبوننا إلى السكوت عن بعض الأمور ، وأنت تعرف أنهم يذكرون هذا غالباً ، على سبيل القدح في العقيدة ، والطعن في الطريقة ، وإن

---

[1] الرسائل والمسائل النجدية ـ ج ٣ ـ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠

لم يصرحوا بالتكفير ، فقد حاموا حول الحمى ، فنعوذ بالله من الضلال بعد الهدى ، ومن الغي عن سبيل الرشد ، والعمى .

وقد رأيت سنة أربع وستين ، رجلين من أشباهكم المارقين بالأحساء ، قد اعتزلا الجمعة والجماعة ، وكفرا من في تلك البلاد ، من المسلمين ، وحجتهم من جنس حجتكم ، يقولون : أهل الأحساء يجالسون ابن فيروز ، ويخالطونه ، هو أومثاله ، ممن لم يكفر بالطاغوت ، ولم يصرح بتكفير جده ، الذي ردع دعوة الشيخ محمد ، ولم يقبلها وعاداها .

قالا : ومن لم يصرح بكفره ، فهو كافر بالله ، لم يكفر بالطاغوت ، ومن جالسه ، فهو مثله ، ورتبوا على هاتين المقدمتين ، الكاذبتين ، الضالتين ، ما يترتب على الردة الصريحة من الأحكام ، حتى تركوا رد السلام ، فرفع إلي أمرهم ، فأحضرتهم ، وتهددتهم ، وأغلظت لهم القول ، فزعموا أولاً : أنهم على عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وأن رسائله عندهم ، فكشفت شبهتهم ، وأدحضت ضلالتهم ، بما حضرني في المجلس .

وأخبرتهم ببراءة الشيخ ، من هذا المعتقد والمذهب ، وأنه لا يكفر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله من الشرك الأكبر ، والكفر بآيات الله ورسله ، أو بشيء منها ، بعد قيام الحجة ، وبلوغها المعتبر ، كتفكير من عبد الصالحين ، ودعاهم مع الله ، وجعلهم أنداداً له ، فيما يستحقه على خلقه ، من العبادات ، و الإلهية ، وهذا مجمع عليه أهل العلم والإيمان ، وكل طائفة من أهل المذاهب المقلدة ، يفردون هذه المسألة ، بباب عظيم يذكرون فيه حكمها ، وما يوجب الردة ، ويقتضيها وينصون على الشرك ، وقد أفرد ابن حجر هذه المسألة بكتاب سماه : الإعلام بقواطع الإسلام .

وقد أظهر الفارسيان المذكوران التوبة والندم ، وزعما أن الحق ظهر لهما ، ثم لحقا بالساحل ، وعادا إلى تلك المقالة ، وبلغنا عنهم ، تكفير أئمة المسلمين ، بمكاتبة الملوك

المصريين ، بل كفروا من خالط من كاتبهم ، من مشائخ المسلمين ، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى ، والحور بعد الكور .

وقد بلغنا عنكم نحو من هذا ، وخضتم في مسائل من هذا الباب ، كالكلام في الموالاة ، والمعاداة ، والمصالحة والمكاتبات ، وبذل الأموال ، والهدايا ، ونحو ذلك ، من مقالة أهل الشرك بالله ، والضلالات ، والحكم بغير ما أنزل الله عند البوادي ، ونحوهم من الجفاة ، لا يتكلم فيها إلا العلماء من ذوي الألباب ، ومن رزق الفهم عن الله ، وأوتي الحكمة ، وفصل الخطاب .

والكلام في هذا يتوقف على معرفة ما قدمناه ، ومعرفة أصول عامة ، كلية ، لا يجوز الكلام في هذا الباب ، وفي غيره ، لمن جهلها ، وأعرض عنها ، وعن تفاصيلها ، فإن الإجمال ، والإطلاق ، وعدم العلم ، بمعرفة مواقع الخطاب ، وتفاصيله ، يحصل به من اللبس ، والخطأ ، وعدم الفقه عن الله ، ما يفسد الأديان ، ويشتت الأذهان ، ويحول بينها ، بين فهم السنة والقرآن ، قال ابن القيم في كافيته رحمه الله تعالى :

فعليك بالتفصيل والتبيين فالـ ... إطلاق والإجمال دون بيان

قد أفسدا هذا الوجود وخبطا ... الأذهان والآراء كل زمان

وأما التكفير بهذه الأمور ، التي ظننتموها من مكفرات أهل الإسلام ، فهذا مذهب الحرورية المارقين الخارجين على علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، ومن معه من الصحابة ، فإنهم أنكروا عليه تحكيم أبي موسى الأشعري ، وعمرو بن العاص ، في الفتنة التي وقعت بينه وبين معاوية وأهل الشام ، فأنكرت الخوارج عليه ذلك ، وهم في الأصل من أصحابه ، من قراء الكوفة والبصرة ، وقالوا : حكمت الرجال في دين الله ، وواليت

معاوية ، وعمراً وتوليتهما ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾[1] وضربت المدة بينك وبينهم ، وقد قطع الله هذه الموادعة والمهادنة ، منذ أنزلت : براءة .

وطال بينهما النزاع والخصام ، حتى أغاروا على سرح المسلمين وقتلوا من ظفروا به من أصحاب علي ، فحينئذ شمر رضي الله عنه لقتالهم ، وقتلهم دون النهروان ، بعد الإعذار والإنذار ، والتمس : ـ المخدج ـ المنعوت في الحديث الصحيح ، الذي رواه مسلم وغيره من أهل السنن ، فوجده علي ، فسر بذلك وسجد لله شكراً على توفيقه ، وقال : لو يعلم الذين يقاتلونهم ، ماذا لهم على لسان محمد ﷺ ، لنكلوا عن العمل هذا وهم أكثر الناس عبادة ، وصلاة ، وصوماً[2] .

ولفظ الظلم ، والمعصية ، والفسوق ، والفجور ، والموالاة ، والمعاداة ، والركون ، والشرك ، ونحو ذلك من الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة ، قد يراد بها مسماها المطلق وحقيقتها المطلقة ، وقد يراد بها مطلق الحقيقة ، والأول هو الأصل عند الأصوليين ، والثاني لا يحمل الكلام عليه ، إلا بقرينة لفظية ، أو معنوية ، وإنما يعرف ذلك بالبيان النبوي ، وتفسير السنة ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4].

وكذلك اسم المؤمن والبر والتقي ، يراد بها عند الإطلاق والثناء غير المعنى المراد في مقام الأمر والنهي ، ألا ترى أن الزاني والسارق والشارب ونحوهم ، يدخلون في عموم

---

(١) سورة يوسف : ٤٠

(٢) أخرجه مسلم ح / ١٠٦٤ ، ٧٤٤/٢

(٣) سورة إبراهيم : ٤

(٤) سورة النحل : ٤٣ - ٤٤

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [١] وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ [٣] ، ولا يدخلون في مثل قوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ﴾ [٤] وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾ [٥].

وهذا هو الذي أوجب للسلف ترك تسمية الفاسق ، باسم الإيمان والبر ، وفي الحديث : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه أبصارهم فيها ، وهو مؤمن [٦] وقوله : لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه [٧] لكن نفي الإيمان هنا ، لا يدل على كفره ، بل يطلق عليه اسم الإيمان ، ولا يكون كمن كفر بالله ورسله ، وهذا هو الذي فهمه السلف ، وقرروه في باب الرد ، على الخوارج ، والمرجئة ، ونحوهم ، من أهل الأهواء ، فافهم هذا ، فإنه مضلة أفهام ، ومزلة أقدام .

وأما إلحاق الوعيد المرتب على بعض الذنوب والكبائر ، فقد يمنع منه مانع ، في حق المعين ، كحب الله ورسوله ، والجهاد في سبيله ورجحان الحسنات ، ومغفرة الله ورحمته ، وشفاعة المؤمنين ، و المصائب المكفرة ، في الدور الثلاثة ، ولذلك ، لا يشهدون لمعين من أهل القبلة ، بجنة ولا نار ، وإن أطلقوا الوعيد ، كما أطلقه

---

(١) سورة المائدة : ٦
(٢) سورة الأحزاب : ٦٩
(٣) سورة المائدة : ١٠٦
(٤) سورة الحجرات : ١٥
(٥) سورة الحديد : ١٩
(٦) أخرجه البخاري بحديث رقم ٢٣٤٣ ، جزء ٢ ، صفحة ٨٧٥
(٧) رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه

القرآن ، والسنة ، فهم يفرقون ، بين العام المطلق ، والخاص المقيد ، وكان عبدالله حماراً ، يشرب الخمر ، فأتى به إلى رسول الله ﷺ ، فلعنه رجل ، وقال ما أكثر ما يؤتى به إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : لا تلعنه ، فإنه يحب الله ورسوله [1] مع : أنه لعن الخمر ، وشاربها ، وبائعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه .

وتأمل قصة حاطب بن أبي بلتعة ، وما فيها من الفوائد ، فإنه هاجر إلى الله ورسوله ، وجاهد في سبيله ، لكن حدث منه : أنه كتب بسر رسول الله ﷺ إلى المشركين من أهل مكة ، يخبرهم بشأن رسول الله ﷺ ومسيره لجهادهم ، ليتخذ بذلك يداً عندهم تحمي أهله وماله بمكة ، فنزل الوحي بخبره ، وكان قد أعطى الكتاب : ظعينة جعلته في شعرها ، فأرسل رسول الله ﷺ علياً والزبير في طلب الظعينة [2] ، وأخبرهما ، أنهما يجدانها في روضة : خاخ ، فكان ذلك ، وتهدداها ، حتى أخرجت الكتاب من ظفائرها ، فأتى به رسول الله ﷺ ، فدعا حاطب بن أبي بلتعة ، فقال له : ما هذا ؟ ، فقال : يا رسول الله ، إني لم أكفر بعد إيماني ، ولم أفعل هذا رغبة عن الإسلام ، وإنما أردت أن تكون لي عند القوم يد ، أحمي بها أهلي ومالي ، فقال ﷺ : صدقكم ، خلوا سبيله [3] وأستأذن عمر في قتله ، فقال : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، قال : وما يدريك ، أن الله أطلع على أهل بدر ، فقال : أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم [4] وأنزل الله في ذلك

---

[1] رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الحـ ، ص ٤٩٣ .

[2] الضغينة : المرأة مادامت في الهودج ، أنظر مختار الصحاح زين الدين الـــرازي ، تحقيق حمزة فتح الله ، طبع سنة ١٤١٣هـ مؤسسة الرسالة ، بيروت .

[3] أخرجه البخاري ح /٢٨٤٥ ، ١٠٩٥/٣ ومسلم ح /٢٤٩٤ ، ١٩٤١/٤

[4] أخرجه البخاري ح /٢٨٤٥ ، ١٠٩٥/٣ ومسلم ح /٢٤٩٤ ، ١٩٤١/٤

صدر سورة الممتحنة فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [١] الآيات .

فدخل حاطب في المخاطبة باسم الإيمان ، ووصفه به ، وتناوله النهي بعمومه ، و له خصوص السبب ، الدال على إرادته ، مع أن في الآية الكريمة ، ما يشعر : أن فعل حاطب نوع موالاة ، وأنه أبلغ إليهم بالمودة ، وأن فاعل ذلك قد ضل سواء السبيل ، لكن قوله : صدقكم ، خلوا سبيله [٢] ظاهر في أنه لا يكفر بذلك ، إذا كان مؤمناً بالله ورسوله ، غير شاك ولا مرتاب ، وإنما فعل ذلك لغرض دنيوي ، لو كفر لما قال : خلوا سبيله .

ولا يقال ، قوله ﷺ : وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر ، قال أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم [٣] هو المانع من تكفيره ، لأنا نقول : لو كفر لما بقي من حسناته ما يمنع من لحاق الكفر ، وأحكامه ، فإن الكفر : يهدم ما قبله لقول تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾ [٤] وقوله : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [٥] ، والكفر محبط للحسنات والإيمان بالإجماع ، فلا يظن هذا .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [٦] ، وقوله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [٧] ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ

---

[١] سورة الممتحنة : ١
[٢] أخرجه البخاري ح /٢٨٤٥ ، ١٠٩٥/٣ ومسلم ح /٢٤٩٤ ، ١٩٤١/٤
[٣] أخرجه البخاري ح /٢٨٤٥ ، ١٠٩٥/٣ ومسلم ح /٢٤٩٤ ، ١٩٤١/٤
[٤] سورة المائدة : ٥
[٥] سورة الأنعام : ٨٨
[٦] سورة المائدة : ٥١
[٧] سورة المجادلة : ٢٢

أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[١] ، فقد فسرته السنة ، وقيدته ، وخصته بالموالاة المطلقة العامة .

وأصل : الموالاة ، هو : الحب ، والنصرة ، والصداقة ، ودون ذلك : مراتب متعددة ، ولكل ذنب : حظه وقسطه ، من الوعيد والذم ، وهذا عند السلف الراسخين في العلم ، من الصحابة والتابعين ، معروف من هذا الباب ، وفي غيره ، وإنما أشكل الأمر ، وخفيت المعاني ، والتبست الأحكام على خلوف من العجم ، والمولدين ، الذين لا دراية لهم بهذا الشأن ، ولا ممارسة لهم بمعاني السنة والقرآن .

ولهذا قال الحسن رضي الله عنه : من العجمة أتوا ، وقال عمرو بن العلاء لعمرو بن عبيد لما ناظره في مسألة : خلود أهل الكبائر في النار ، واحتج ابن عبيد : أن هذا وعد والله لا يخلف وعده ، يشير إلى ما في القرآن ، من الوعيد على بعض الكبائر والذنوب ، بالنار والخلود ، فقال له ابن العلا ، من العجمة أتيت ، هذا وعيد لا وعد ، وأنشد قول الشاعر :

وإني وإن أوعدته أو وعدته　　　لمخلف إيعادي ومنجز موعد

وقال بعض الأئمة فيما نقل البخاري و غيره : إن من سعادة الأعجمي والعربي ، إذا أسلما أن يوفقا لصاحب سنة ، وإن من شقاوتهما : أن يمتحنا وييسرا لصاحب هوى وبدعة .

ونضرب لك مثلاً ، هو : أن رجلين تنازعا في آيات من كتاب الله ، أحدهما خارجي والآخر مرجئ ، قال الخارجي : إن قوله ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٢] دليل على حبوط أعمال العصاة والفجار وبطلانها ، إذ لا قائل : أنهم من عباد الله المتقين ، قال

---

(١) سورة المائدة : ٥٧

(٢) سورة المائدة : ٢٧

المرجئ : هي في الشرك ، فكل من اتقى الشرك يقبل منه عمله ، لقوله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[1] ، قال الخارجي : قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[2] يرد ما ذهبت إليه .

قال المرجئ ، المعصية هنا : الشرك بالله ، واتخاذ الأنداد معه ، لقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[3] قال الخارجي ، قوله : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾[4] دليل : على أن الفساق من أهل النار الخالدين فيها ، قال له المرجئ ، قوله في آخر الآية : ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾[5] دليل على أن المراد من كذب الله ورسوله ، والفاسق من أهل القبلة مؤمن كامل الإيمان .

ومن وقف على هذه المناظرة ، من جهال الطلبة والأعاجم ، ظن أنها الغاية المقصودة ، وعظ عليها بالنواجذ ، مع أن كلا القولين لا يرتضي ، ولا يحكم بإصابته أهل العلم والهدى ، وما عند السلف والراسخين في العلم خلاف هذا كله ، لأن الرجوع إلى السنة المبينة للناس ما نزل إليهم ، واجب ، وأما أهل البدع ، والأهواء فيستغنون عنها بآرائهم وأهوائهم وأذواقهم .

---

(١) سورة الأنعام : ١٦٠
(٢) سورة الجن : ٢٣
(٣) سورة النساء : ٤٨
(٤) سورة السجدة : ١٨
(٥) سورة السجدة : ٢٠

وقد بلغني أنكم تأولتم قوله تعالى في سورة محمد : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ﴾[١] على بعض ما يجري في أمراء الوقت ، من مكاتبة أو مصالحة أو هدنة لبعض رؤساء الضالين ، والملوك المشركين ، ولم تنظروا لأول الآية ، وهي قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ﴾[٢] ولم تفقهوا المراد من هذه الطاعة ، ولا المراد من الأمر بالمعروف المذكور في هذه الآية الكريمة ، وفي قصة : صلح الحديبية ، وما طلبه المشركون واشترطوه وأجابهم إليه رسول الله ﷺ ما يكفي في رد مفهومكم ، ودحض أباطيلكم][٣].

وقد أصل الشيخ عبداللطيف بن حسن ، لمسألة الموالاة والمعاداة وما يدخل في حكمها خمسة أوصول :

[الأصل الأول : أن السنة والأحاديث النبوية ، هي المبينة للأحكام القرآنية ، وما يراد من النصوص الواردة في كتاب الله ، في : باب معرفة حدود ما أنزل الله ، كمعرفة المؤمن ، والكافر ، والمشرك ، والموحد ، والفاجر ، والبر ، والظالم ، والتقي ، وما يراد بالموالاة ، والتولي ، ونحو ذلك من الحدود ، كما أنها المبينة لما يراد من الأمر بالصلاة ، على الوجه المراد ، في عددها ، وأركانها ، وشروطها ، وواجباتها ، وكذلك : الزكاة ، فإنه لم يظهر المراد من الآيات الموجبة ، ومعرفة النصاب ، والأجناس التي تجب فيها من الأنعام ، والثمار ، والنقود ، ووقت الوجوب ، واشتراط الحول في بعضها ، ومقدار ما يجب في النصاب ، وصفته ، إلا ببيان السنة وتفسيرها .

---

(١) سورة محمد : ٢٦
(٢) سورة محمد : ٢٥
(٣) الدرر السنية ، ج ١ ، ص ٤٦٦ - ٤٧٦

وكذلك الصوم والحج ، جاءت السنة ببيانهما ، وحدودهما ، وشروطهما ، ومفسداتهما ، ونحو ذلك ، مما توقف بيانه على السنة ، وكذلك أبواب الربا ، وجنسه ، ونوعه ، وما يجري فيه ، وما لا يجري ، والفرق بينه ، وبين البيع الشرعي ، وكل هذا البيان : أخذ عن رسول الله ﷺ برواية الثقات العدول ، عن مثلهم ، إلى أن تنتهي السنة إلى رسول الله ﷺ ، فمن : أهمل هذا وأضاعه ، فقد سد على نفسه ، باب العلم والإيمان ، ومعرفة معاني : التنزيل ، والقرآن .

الأصل الثاني : أن الإيمان أصل ، له شعب متعددة ، كل شعبة منها تسمى إيماناً ، فأعلاها : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق ، فمنها ما يزول الإيمان بزواله إجماعاً كشعبة الشهادتين ، ومنها : مالا يزول الإيمان بزواله إجماعاً ، كترك إماطة الأذى عن الطريق ، وبين هاتين الشعبتين ، شعب متفاوتة ، منها : ما يلحق بشعبة الشهادة ، ويكون إليها أقرب ، ومنها : ما يلحق بشعبة إماطة الأذى عن الطريق ، ويكون إليها أقرب ، والتسوية بين هذه الشعب في اجتماعها ، مخالف للنصوص ، وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها .

وكذلك الكفر : أيضاً ذو أصل وشعب ، فكما أن شعب الإيمان ، إيمان ، فشعب الكفر : كفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان ، ولا يسوي الكفر بينهما في الأسماء والأحكام ، وفرق بين من ترك الصلاة ، أو الزكاة ، أو الصيام ، أو أشرك بالله ، أو استهان بالمصحف ، وبين من يسرق ، ويزني ، أو يشرب ، أو ينهب ، أو صدر منه نوع موالاة ، كما جرى لحاطب ، فمن سوى بين شعب الإيمان في الأسماء والأحكام ، أو سوى بين شعب الكفر في ذلك ، فهو مخالف للكتاب والسنة ، خارج عن سبيل سلف الأمة ، داخل في عموم : أهل البدع والأهواء .

الأصل الثالث : أن الإيمان مركب ، من قول وعمل ، والقول : قسمان ، قول القلب ، وهو : اعتقاده ، وقول اللسان ، وهو : التكلم بكلمة الإسلام ، والعمل قسمان : عمل القلب ، وهو : قصده ، واختياره ، ومحبته ، ورضاه ، وتصديقه ، وعمل الجوارح ، كالصلاة والزكاة والحج ، والجهاد ، ونحو ذلك من الأعمال الظاهرة ، فإذا زال تصديق القلب ، ورضاه ، ومحبته ، وصدقه ، زال الإيمان بالكلية ، وإذا زال شيء من الأعمال ، كالصلاة ، والحج ، والجهاد ، مع بقاء تصديق القلب ، وقبوله ، فهذا : محل خلاف ، هل يزول الإيمان بالكلية إذا ترك أحد الأركان الإسلامية ، كالصلاة ، والحج ، والزكاة ، والصيام ، أو لا يزول ؟ وهل : يكفر تاركه أو لا يكفر ؟ وهل : يفرق بين الصلاة ، وغيرها ، أو لا يفرق ؟

فأهل السنة : مجمعون على أنه لا بد من عمل القلب ، الذي هو : محبته ، ورضاه ، وانقياده ، والمرجئة تقول : يكفي التصديق ، فقط ، ويكون به مؤمناً ، والخلاف ، في أعمال الجوارح ، هل يكفر ، أو لا يكفر ، واقع بين أهل السنة ، والمعروف عند السلف : تكفير من ترك أحد المباني الإسلامية ، كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، ـ وهو القول الأول ـ ، والقول الثاني : أنه لا يكفر إلا من جحدها .

والثالث : الفرق بين الصلاة وغيرها ، وهذه الأقوال ، معروفة ، وكذلك : المعاصي ، والذنوب ، التي هي : فعل المحظورات ، فرقوا فيها : بين ما يصادم أصل الإسلام ، وينافيه ، وما دون ذلك ، وبين ما سماه الشارع كفراً ، وما لم يسمه ، هذا ما عليه أهل الأثر ، المتمسكون بسنة رسول الله ﷺ ، وأدلة هذا مبسوطة في أماكنها .

الأصل الرابع : أن الكفر نوعان ، كفر عمل ، وكفر جحود وعناد ، وهو : أن يكفر بما علم ، أن الرسول ﷺ جاء به من عند الله ، جحوداً ، وعناداً ، من : أسماء الرب ، وصفاته ، وأفعاله ، وأحكامه ، التي أصلها : توحيده ، وعبادته وحده لا شريك له ،

وهذا : مضاد للإيمان من كل وجه ، وأما : كفر العمل ، فمنه ما يضاد الإيمان ، كالسجود للصنم ، والاستهانة بالمصحف ، وقتل النبي ﷺ ، وسبه ، وأما : الحكم بغير ما أنزل الله ، وترك الصلاة ، فهذا كفر عمل ، لا كفر اعتقاد ، وكذلك قوله ﷺ : لا ترجعوا بعدي كفاراً ، يضرب بعضكم رقاب بعض [1] وقوله : من أتى كاهناً ، فصدقه ، أو امرأة في دبرها ، فقد كفر بما أنزل على محمد ، فهذا : من الكفر العملي ، وليس كالسجود للصنم ، والاستهانة بالمصحف ، وقتل النبي ﷺ وسبه ، وإن كان الكل ، يطلق عليه : الكفر .

وقد سمى الله سبحانه : من عمل ببعض كتابه ، وترك العمل ببعضه ، مؤمناً بما عمل به ، وكافراً بما ترك العمل به ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾[2] فأخبر تعالى : أنهم أقروا بميثاقه ، الذي أمرهم به والتزموه ، وهذا يدل على تصديقهم به ، وأخبر أنهم عصوا أمره ، و قتل فريق منهم فريقاً آخرين ، وأخرجوهم من ديارهم ، وهذا : كفر بما أخذ عليهم ، ثم أخبر : أنهم يفدون من أسر من ذلك الفريق ، وهذا إيمان منهم بما أخذ عليهم في الكتاب ، وكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق ، كافرين بما تركوه منه .

فالإيمان العملي : يضاده الكفر العملي ، والإيمان الاعتقادي ، يضاده الكفر الاعتقادي ، وفي الحديث الصحيح : سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر [3] ففرق بين سبابه وقتاله ، وجعل أحدهما فسوقاً لا يكفر به ، والآخر كفراً ، ومعلوم أنه إنما أراد

---

[1] أخرجه البخاري ح / ١٢١ / ١ / ٥٦ ، ومسلم ح / ٦٥ / ١ / ٨١

[2] سورة البقرة : ٨٤ - ٨٥

[3] أخرجه البخاري ح / ٦٦٦٥ / ٦ / ٢٥٩٢ ، ومسلم ح / ٦٤ / ١ / ٨١

الكفر العملي ، لا الاعتقادي ، وهذا الكفر : لا يخرجه من الدائرة الإسلامية ، والملة بالكلية ، كما لم يخرج الزاني ، والسارق ، والشارب من الملة ، وإن زال عنه اسم الإيمان .

وهذا التفصيل ، قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله ، وبالإسلام ، والكفر ، ولوازمهما ، فلا تتلقى هذه المسائل إلا عنهم ، والمتأخرون : لم يفهموا مرادهم ، فانقسموا فريقين ، فريق أخرجوا من الملة بالكبائر ، وقضوا على أصحابها بالخلود في النار ، وفريق جعلوهم مؤمنين ، كاملي الإيمان ، فأولئك غلوا ، وهؤلاء جفوا ، وهدى الله أهل السنة للطريقة لمثلى ، والقول الوسط ، الذي هو في المذاهب ، كالإسلام في الملل ، فها هنا كفر دون كفر ، ونفاق دون نفاق ، وشرك دون شرك ، وظلم دون ظلم ، فعن ابن عباس رضي الله عنه ، قي قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[1] قال : ليس هو الكفر الذي تذهبون إليه ، رواه عنه سفيان ، وعبدالرزاق ، وفي رواية أخرى : كفر لا ينقل عن الملة ، وعن عطاء : كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق .

وهذا بين في القرآن لمن تأمله ، فإن الله سبحانه : سمى الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً ، وسمى الجاحد لما أنزل الله على رسوله كافراً ، وليس الكفران على حد سواء ، وسمى الكافر ظالماً ، في قوله : ﴿ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2] ، وسمى من يتعد حدوده ، في النكاح ، والطلاق ، والرجعة ، والخلع ، ظالماً ، وقال : ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ

---

(1) سورة المائدة : ٤٤

(2) سورة البقرة : ٢٥٤

ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾[١] وقال يونس عليه السلام : ﴿ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢] وقال آدم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾[٣] وقال موسى : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾[٤] ، وليس هذا الظلم ، مثل ذلك الظلم ، وسمى الكافر فاسقاً ، قوله : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[٥] وقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٦] وسمى العاصي فاسقاً ، في قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾[٧] وقال في الذين يرمون المحصنات : ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٨] وقال : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾[٩] وليس الفسوق كالفسوق .

وكذلك الشرك : شركان ، شرك : ينقل عن الملة ، وهو الشرك الأكبر ، وشرك : لا ينقل عن الملة ، وهو الشرك الأصغر ، كشرك الرياء ، وقال تعالى : في الشرك الأكبر : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[١٠] وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾[١١] وقال تعالى

---

[١] سورة الطلاق : ١
[٢] سورة الأنبياء : ٨٧
[٣] سورة الأعراف : ٢٣
[٤] سورة القصص : ١٦
[٥] سورة البقرة : ٢٦
[٦] سورة البقرة : ٩٩
[٧] سورة الحجرات : ٦
[٨] سورة النور : ٤
[٩] سورة البقرة : ١٩٧
[١٠] سورة المائدة : ٧٢
[١١] سورة الحج : ٣١

في شرك الرياء ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[١] وفي الحديث : أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر [٢] وفي الحديث : من حلف بغير الله ، فقد أشرك [٣] ومعلوم : أن حلفه بغير الله لا يخرجه عن الملة ، ولا يوجب له حكم الكفار ، ومن هذا قوله ﷺ : الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل [٤] فانظر : كيف انقسم الشرك ، والكفر ، والفسوق ، والظلم ، وإلى ما هو كفر ينقل عن الملة ، وإلى ما لا ينقل عن الملة .

وكذلك : النفاق ، نفاقان ، نفاق اعتقادي ونفاق علمي ، والنفاق الاعتقادي : مذكور في القرآن ، في غير موضع ، أوجب لهم تعالى به : الدرك الأسفل من النار ، والنفاق العملي ، جاء في قوله ﷺ : أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلة من النفاق ، حتى يدعها ، إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ، وإذا أؤتمن خان [٥] وكقوله ﷺ : آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان [٦] قال بعض الأفاضل : وهذا النفاق قد يجتمع مع أصل الإسلام ، ولكن إذا استحكم وكمل ، فقد ينسلخ صاحبه من الإسلام بالكلية ، وإن صلى وصام ، وزعم أنه مسلم ، فإن الإيمان ينهى عن هذه الخلال ، فإذا كملت للعبد ، ولم يكن له ما ينهاه عن شيء منها ، فهذا لا يكون إلا منافقاً خالصاً .

---

[١] سورة الكهف : ١١٠

[٢] أخرجه الإمام أحمد ح /٢٣٦٨٠ ، ٤٢٨/٥

[٣] أخرجه أبو داود ح /٣٢٥١ ، ٢٢٣/٣

[٤] أخرجه الإمام أحمد ح /١٩٦٢٢ ، ٤٠٣/٤

[٥] أخرجه البخاري ح/٣٤ ، ٢١/١ ، ومسلم ح /٥٨ ، ٧٨/١

[٦] أخرجه البخاري ح/٣٣ ، ٢١/١ ، ومسلم ح/٥٩ ، ٧٨/١

الأصل الخامس : أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد ، أن يسمى مؤمناً ، ولا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر ، أن يسمى كافراً ، وإن كان ما قام به كفر ، كما أن لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم ، أو من أجزاء الطب ، أو من أجزاء الفقه ، أن يسمى عالماً ، أو طبيباً ، أو فقيهاً ، وأما الشعبة نفسها ، فيطلق عليها اسم الكفر ، كما في الحديث : اثنتان في أمتي هما بهم الكفر ، الطعن في النسب ، والنياحة على الميت [١] وحديث : من حلف بغير الله فقد كفر [٢] ولكنه لا يستحق الكفر على الإطلاق .

فمن عرف : هذا عرف فقه السلف ، وعمق علومهم ، وقلة تكلفهم ، قال ابن مسعود : من كان متأسياً ، فاليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم : اختارهم الله لصحبة نبيه ، فاعرفوا لهم حقهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، وقد كاد الشيطان بني آدم ، بمكيدتين ، عظيمتين ، لا يبالي بأيهما ظفر ، أحدهما : الغلو ومجاوزة الحد ، والإفراط ، والثاني : هو الإعراض ، والترك ، والتفريط .

قال ابن القيم : لما ذكر شيئاً من مكائد الشيطان ، قال بعض السلف : ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان ، إما إلى تفريط وتقصير ، وإما إلى مجاوزة وغلو ، ولا يبالي بأيها ظفر ، وقد اقتطع أكثر الناس إلا القليل ، في هذين الواديين ، وادي التقصير ، ووادي المجاوزة والتعدي ، والقليل منهم الثابت ، على الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، وعد رحمه الله كثيراً من هذا النوع ـ إلى أن قال ـ وقصر

---

(١) أخرجه مسلم : ح / ٦٧ / ١ / ٨٢

(٢) أخرجه الحاكم: ح /٤٥ ، ٦٥/١ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

بقوم ، حتى قالوا : إيمان أفسق الناس ، وأظلمهم ، كإيمان جبريل ، ومكائيل ، فضلاً عن أبي بكر ، وعمر ، وتجاوز بآخرين ، حتى أخرجوا من الإسلام ، بالكبيرة الواحدة][1] .

وجاء في رسالة للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب بأنه لا يجوز إظهار موافقة المشركين على دينهم واستدل بأدلة كثيرة منها :

[﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[2] فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى ، وكذلك المشركون ، لا يرضون عن النبي ﷺ حتى يتبع ملتهم ويشهد أنهم على حق ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[3] وفي الآية الأخرى ﴿ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4]][5] .

ومن الأدلة التي أستشهد بها الشيخ سليمان :

[قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾[6] ، أخبر تعالى أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم عن الإسلام ، فإنهم لا يقتنعون منهم بدون الكفر][7] .

---

[1] الدرر السنية في الأجوبة النجدية . ج١ . ص ٤٧٧ . ٤٨٥
[2] سورة البقرة : ١٢٠
[3] سورة البقرة : ١٢٠
[4] سورة البقرة : ١٤٥
[5] الدرر السنية : ج ٨ ، ١٢٢
[6] سورة آل عمران : ١٤٩
[7] الدرر السنية : ج ٨ ، ص ١٢٤

[وقال تعالى : ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾[1] وأخبر تعالى أنه ولي المؤمنين وناصرهم ، وهو خير الناصرين ، ففي ولايته وطاعته كفاية وغنية عن طاعة الكفار][2] .

ولا يجوز للمسلم اتباع المشركين ، والدخول في جملتهم ، والشهادة أنهم على حق ، ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله لأن الولاية لله ولرسوله وللمؤمنين قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾[3] فأخبر الله تعالى خبراً بمعنى الأمر ، بولاية الله ورسوله والمؤمنين ، وفي ضمنه النهي عن موالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين .

وبالجملة فإن الحب في الله والبغض في الله أصل من أصول الإيمان ، يجب على العبد مراعاته .

وفي رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن جاء قوله :

[البراء من الشرك وأهله ، ومباينتهم في المعتقد والقول والعمل ، وبغضهم وجهادهم والبراءة من كل من اتخذ أولياء من دون المؤمنين ، ولم يجاهد هم حسب طاقته ، ولم يتقرب إلى الله بالبعد عنهم ، وبغضهم ومراغمتهم][4] .

وفي رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن جاء قوله :

[وما جاء في القرآن من النهي والتغليظ والتشدد في موالاتهم وتوليهم دليل على أن أصل الأصول لاستقامة له ولاثبات له إلا بمقاطعة أعداء الله وحربهم وجهادهم والبراءة

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٠
(٢) الدرر السنية : ج ٨ ، ١٢٤
(٣) سورة المائدة : ٥٥
(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ـ ج ٨ . ص٣٦٥

منهم والتقرب إلى الله بمقتهم وعيبهم][1] .

ولخص الشيخ العلامة / صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان ، وهو أحد العلماء الذين على نهج أئمة الدعوة في الوقت الحاضر في كتابة ، محاضرات في العقيدة والدعوة الولاء والبراء في الإسلام على النحو التالي :

[**أولاً : من مظاهر موالاة الكفار** :

١ ـ التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما .

٢ ـ إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم والذب عنهم .

٣ ـ اتخاذهم بطانة ومستشارين .

٤ ـ مدحهم والإشادة بما هم عليه .

٥ ـ الاستغفار لهم والترحم عليهم .

ثانياً : من مظاهر موالاة المؤمنين :

١ ـ الهجرة إلى بلاد المسلمين .

٢ ـ مناصرة المسلمين ومعاونتهم .

٣ ـ التألم لألمهم والسرور بسرورهم .

٤ ـ النصح لهم ومحبة الخير لهم .

٥ ـ احترامهم وتوقيرهم .

٦ ـ أن يكون معهم في مختلف أحوالهم .

٧ ـ زيارتهم ومحبة الالتقاء بهم والاجتماع معهم .

٨ ـ احترام حقوقهم .

---

[1] مجموعة الرسائل النجدية ـ ج٣ ـ ص٥٢

٩ ـ الرفق بالضعفاء .

١٠ ـ الدعاء لهم والاستغفار لهم .

وقال أيضاً أن من علامات الولاء بين المسلمين التزاور ، و الجلوس مع المؤمنين والأمر بالمعروف .

ومن علامات البغض في الله :

١ ـ النهي عن موالاة اليهود والنصارى .

٢ ـ النهي عن موالاة أعداء الله ولو كانوا أقرب الأقرباء](١) .

---

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة ـ الشيخ صالح الفوزان ـ الطبعة الأولى ـ ج١ ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ص٣١٠

المبحث الثالث : مسألة الإيمان :

وفي مسألة الإيمان أوضح إمام هذه الدعوة شيخ الإسلام والمسلمين محمد بن عبدالوهاب عقيدته في هذه المسألة ، حيث قال :[أعتقد أن الإيمان قول باللسان ، وعمل بالأركان ، واعتقاد بالجنان ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، وهو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق][1].

وقال الإمام المجدد رحمه الله في الإيمان الشرعي ما نصه : [أعلم رحمك الله أن الإيمان الشرعي : هو الإيمان بالأصول الستة فمن الإيمان بالله الإيمان بالكتب التي أنزل الله ، والإيمان بالرسل الذين أرسلهم الله ، ومن الإيمان بهم معرفة مراد الله في إرسالهم كما قال تعالى : ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[2]][3].

وقال رحمه الله : [الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان ، وأركانه : ستة ، أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره كله من الله ، والدليل قوله تعالى : ﴿ ۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[4] .

ودليل القدر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[5]][6] .

---

[1] الدرر السنية في الأجوبة النجدية - ج١ - الطبعة الخامسة ، ص٣٣

[2] سورة البقرة : ٢١٣

[3] الدرر السنية في الأجوبة النجدية - ج١ - الطبعة الخامسة ، ص ١٨١

[4] سورة البقرة : ١٧٧

[5] سورة القمر : ٤٩

[6] الدرر السنية : ج ١ ، ١٣١

ولعل منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب أوضحه مفصلاً الدكتور صالح بن عبدالله العبود وهو خلاصة ما ورد في كتب الشيخ ورسائله ، وأئمة الدعوة كلهم استقوا من علمه ومنهجه ، ويقول الشيخ صالح العبود في مسألة الإيمان :

[يقول الشيخ [١] : وأصول الإيمان ستة : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره .

ويقول يخاطب جماعة كتب إليهم عما يعتقده : أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعدا لموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره .

ويقول الشيخ : يدعو إلى الإيمان ، وإذا قيل لك ما الإيمان ؟

فقل : هو أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، كله من الله .

والدليل قوله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[٢] . ودليل القدر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[٣] .

هذه العبارة التي عبر بها الشيخ بياناً واعتقاداً ودعوة قد تضمنت أصول الإيمان الستة المذكورة في حديث جبريل وقد ألف الشيخ كتاباً في أصول الإيمان اشتمل على أبواب عديدة يورد تحت كل باب ما يناسبه من النصوص ، وأكثرها من الحديث الشريف .

ويقول الشيخ : إن الإيمان بالأصول الستة هو الإيمان الشرعي][٤].

---

[١] المقصود بالشيخ / الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى

[٢] سورة البقرة : ٢٨٥

[٣] سورة القمر : ٤٩

[٤] عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفيه ، صالح العبود ، ج١ ، ص٣٧٩ ـ ٣٨٠

الإيمان بالله تعالى :

ولقد أوضح الشيخ صالح العبود منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الأصل الأول من أصول الإيمان بقوله:

[إن الشيخ يؤمن بالله ، ويثبت وجوده ، وأنه متصف بصفات الجلال والعظمة والكمال، منزه من كل عيب ونقص ، وأنه المستحق للعبادة كلها ، لا إله غيره ، ولا رب سواه .

ويعتقد أن من الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولاتعطيل ،ومن غير تشبيه ولاتمثيل ، بل يعتقد أن الله سبحانه وتعالى كما قال عن نفسه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) ويقول الشيخ : فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل ، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل ، فلا انفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا أحرف الكلم عن مواضعه ، ولا الحد في أسمائه وآياته ، ولا أكيف ، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه ، لأنه تعالى أعلم بنفسه وبغيره واصدق قيلاً وأحسن حديثاً ، ولاسمي له ، ولا كفو له ، ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ والله أحد ، وهو الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد](٣) .

ولإرتباط التوحيد بالإيمان فقد بيّن الشيخ صالح العبود منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقوله :

---

(١) سورة الشورى : ١١

(٢) سورة الصافات : ١٨٠ - ١٨٢

(٣) عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ، المرجع السابق ، ص ٣٨٠ ـ ٣٨١

] أما توحيد الربوبية : هو أن الله سبحانه منفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم ، والإقرار بهذا حق لا بد منه ، لكن لا يدخل الرجل في الإسلام لأن أكثر الناس مقرون به .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

ويقول الشيخ : إن هذا التوحيد هو الذي أقر به الكفار واستدل بالآية المذكورة .

ويقول الشيخ : وأما توحيد الألوهية ، فهو : إخلاص العبادة لله وحده عن جميع الخلق ، لأن الإله في كلام العرب هو الذي يقصد للعبادة ، وكانوا يقولون : إن الله سبحانه هو إله الآلهة ، لكن يجعلون معه آلهة أخرى ، مثل الصالحين والملائكة وغيرهم ، يقولون : إن الله يرضى هذا ويشفعون لنا عنده .

فإذا عرفت هذا معرفة جيدة ، تبين لك غربة الدين ، وقد استدل عليهم سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم ، لأنه إذا كان هو المدبر وحده ، وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة ، فكيف يدعون معه غيره مع إقرارهم بهذا ؟ .

إذاً ، فتوحيد الألوهية هو أن لا يعبد العبد إلا الله وحده ، ولا يشرك معه في العبادة أحداً ، لا ملكاً مقرباً ، ولا نبيناً مرسلاً ، فضلاً عن من دونهما .

وهذا هو الذي يدخل الرجل في الإسلام ، وذلك أن من أتي به ، فقد أتى بتوحيد الربوبية ، لأنه متضمن له ، وهو من نتائج توحيد الربوبية الواجبة .

أما توحيد الأسماء والصفات : وهو الإقرار بها كما وردت في الكتاب والسنه نفياً وإثباتاً ، من غير تمثيل ولاتعطيل ، ولاتحريف في اللفظ والمعنى عن ظاهره اللائق بالله

---

(١) سورة يونس : ٣١

تعالى ولاتكيف فإن الشيخ يجعله مع توحيد الربوبية ، بجامع أنهما نوع واحد ، وهو توحيد المعرفة والأثبات .

ويقول الشيخ : وأما توحيد الصفات ، فلا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات ، لكن الكفار أعقل ممن أنكر الصفات ، ذلك أن العلم بأسماء الله وصفاته هو أصل العلوم ، وبمعرفتها يستدل على التوحيد ، وأن التوحيد لا يكون إلا عن العلم بأنه لا إله إلا الله بيقين ، والشهادة بذلك نطقاً باللسان مع تصديق القلب وعمل الجوارح بمقتضاه ، وهذا يعني المعرفة التامة بتفرد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته ، كما عليه المسلون من أهل السنة والجماعة ، أتباع رسول الله ﷺ ، الذي هو أعلم الأمة برب العالمين ووحدانيته .

وقد بين السلف أن العبادة إذا كانت كلها لله ، فلا تكون إلا بإثبات الصفات والأفعال ، فمن شهد أن لا إله الله ، لابد أن يثبت الصفات ، لأنه يشهد أن لا معبود بحق إلا الله ، وكون الله تعالى هو المعبود وحده ، ما يدل على علمه العظيم وقدرته العظمية ، وهاتان الصفتان أصل جميع الصفات ، ومن هنا يثبت جميع الصفات بخلاف من ظن أن معنى لا إله إلا الله أي : لا يقدر على الخلق إلا الله ، فإن الأمر يؤول به إلى إنكار الصفات أيضاً ، لأن منكر الألوهية هو منكر لحقيقة الربوبية والأسماء والصفات أيضاً ، ولا يغلط في توحيد الألوهية إلا من لم يعط توحيد الربوبية حقه .

وأهل الجاهلية وإن أقروا بتوحيد الربوبية ، فإنهم لم يعطوه حقه ، وهو توحيد العبادة ، فلذلك كانوا مشركين ، ولم ينفعهم توحيد الربوبية حيث لم يعطوه حقه .

أما منكر الصفات ، فإنه منكر لحقيقة الألوهية ، فإن من شهد أن لا إله إلا الله صدقاً من قلبه ، لابد أن يثبت الصفات والأفعال ، ولذا آل الأمر بمن ينكر الصفات إلى إنكار الرب تعالى .

ويقرر الشيخ أن الربوبية والألوهية يجتمعان في اللفظ فيفترقان في المعنى ، ويفترقان في اللفظ فيجتمع المعنيان في لفظ كل واحد من اللفظين المفترقين ، أي يفترقان إذا ذكرا معاً كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ [1] .

وكما يقال : رب العالمين وإله المرسلين .

ويجتمعان عند الإفراد كما في قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [2] .

وقوله : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾ [3] .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾ [4] .

وكما في قولهم : ﴿ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [5] .

وكما في قول القائل من ربك ؟ وقول الملكين في القبر : من ربك ؟ ومعناه : من إلهك لأن الربوبية التي أقر بها المشركون ما يمتحن أحد بها ، فالربوبية في هذا ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة لها عند الاقتران .

قال : فينبغي التفطن لهذه المسألة ، مثال الفقير والمسكين نوعان في قوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [6] .

---

[1] سورة الناس : ١ - ٣
[2] سورة الحج : ٤٠
[3] سورة الأنعام : ١٦٤
[4] سورة فصلت : ٣٠ ، سورة الأحقاف : ١٣
[5] سورة الكهف : ١٤
[6] سورة التوبة : ٦٠

ونـوع واحـد في قوله ﷺ : أفترض الله عليهم صدقه تؤخذ من أغنياهم فترد إلى فقرائهم [١] ، فعلى هذا ، يقرر الشيخ أن الربوبية إذا قرن ذكر لفظها مع الألوهية تكون قسيمة للألوهية، وتفسر بأشهر معانيها ، وهو أنها تعنى فعل الرب ، مثل : الخلق ، والرزق ، والإحياء ، والإماتة ، وإنزال المطر ، وإنبات النبات ، وتدبير الأمور .

وكذا الألوهية تفسر بأشهر معانيها ، وهو أنها تعنى فعل العبد التعبدي : مثل الدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والإنابة ، والرغبة ، والرهبة ، والنذر ، والاستعانة ، وغير ذلك من أنواع العبادة .

ويقول الشيخ في تلازم الربوبية والألوهية في جواب حين سئل رحمه الله : ما قول الشيخ في تسميته المعبودات أربابا ، إذ الرب يطلق على المالك ، والمعبود على الإله ، وكل اسم من أسمائه جل وعلا له معنى يخصه بالتخصيص دون التداخل بالتعميم ؟

الجواب : الرب والإله في صفة الله تبارك وتعالى متلازمة غير مترادفه ، الرب من الملك والتربية بالنعم ، والإله من التأله ، وهو القصد لجلب النفع ودفع المضرة بالعبادة ، ولذلك صارت العرب تطلق الرب على الإله ، فسموا معبوداتهم أرباباً من دون الله لأجل ذلك ، أي لكونهم يسمون الله رباً ، بمعنى إلهاً .

والإله : أسم صفة لكل معبود بحق أو باطل ، ثم غلب على المعبود بحق ، وهو الله تعالى ، وهو الذي يخلق ويرزق ويدبر الأمور والتأله : التعبد .

وقول الله تعالى : ﴿ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ أي : معبودهم الذي لا معبود لهم غيره ، فلا يدعى ولايرجى ولايخلق ولايرزق إلا هو ، فخلقهم وصورها وأنعم عليهم وحماهم

---

[١] رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، بواسطة مختصر البخاري للزبيدي ، ص١٦٤

مما يضرهم بربويته ، وقهرهم وأمرهم ونهاهم وصرفهم كما يشاء بملكه ، واستعبدهم بالإلهية الجامعة لصفات الكمال كلها .

ويقرر الشيخ أن النهي عن الشرك والأمر بـ ـ لا إله إلا الله ـ ليس أحدهما مكرراً للآخر ، بل هما أصلان كبيران ، وإن كانا متلازمين .

والنهي عن الشرك يستلزم الكفر بالطاغوت ، ولا إله إلا الله تستلزم الإيمان بالله ، وقد قرن الأنبياء بين النهي عن الشرك والأمر بالتوحيد .

والتوحيد مبنى على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لاشريك له ، وهذا هو توحيد الربوبية ، وواحد في ذاته وصفاته لانظير له وهذا هو توحيد الأسماء والصفات ، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له ، وهذا هو توحيد الألوهية .

وهذه الأنواع على ترتيبها متلازمة ، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر ، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر ، فما ذاك إلا لأنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب ، فهي وحدة مترابطة .

وبهذا يتبين المراد بتنويع التوحيد ، وأنه ليس كل نوع يمكن أن يؤتى به منفصلاً عن الآخر.

وإن شئت قلت : التوحيد نوعان : توحيد في المعرفة ولإثبات ، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وتوحيد في الطلب والقصد ، وهو توحيد الإلهية والعبادة ، كما فعل الشيخ رحمه الله تعالى ، تبعاً لشيخ الإسلام ابن تيمية .

ولا خلاف بين أهل السنة والجماعة أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختل شيء من هذا ، لم يكن الرجل مسلماً .

فإن عرف التوحيد ولم يعمل به : فهو كافر معاند ، كفرعون وإبليس وأمثالهما ، وهذا يغلط فيه كثير من الناس .

وإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يعتقده بقلبه ، فهو منافق خالص ، وهو شر من الكافر : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [(١)] ، وهذا كثير أيضاً .

وهكذا يقرر الشيخ التلازم بين توحيد الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد الألوهية ، ويقول بأن الله تعالى يعرف عباده بتقرير ربوبيته ، ليرتقوا بها في معرفة إلهيته التي هي مجموع عبادته على مراده ، نفياً وإثباتاً ، علماً وعملاً ، جملة وتفصيلاً .

ويقول : فاعلم أن أهم ما فرض على العباد معرفة أن الله رب كل شيء ومليكه ومدبره بإرادته ، فإذا عرفت هذا ، فانظر ماحق من هذه صفاته عليك ، بالعبودية ، بالمحبة ، والإجلال ، والتعظيم ، والخوف ، والرجاء ، والتأله المتضمن للذل والخضوع لأمره ونهيه ، فإن الله قد استعبد الناس بالإلهية الجامعة لصفات الكمال كلها .

ويقول الشيخ : وفي سورتي الإخلاص بيان العقيدة السلفية الصحيحة ، وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل ، وتوحيد المعرفة والإرادة ، وتوحيد الاعتقاد والقصد ، وسميتا بسورتي الإخلاص ، لأن ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ خلصت قارئها من الشرك العلمي ، كما خلصته ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ من الشرك العملي ، ولما كان العلم قبل العمل ، وهو إمامه وسائقه والحاكم عليه ، كانت ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن ، و ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ تعدل ربع القرآن .

وقد جعل السلف سورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أصلاً في الرد على المشبهة والمعطلة وفي التمييز بين مثبتي الرب والخالق الأحد الصمد وبين المعطلين ، ومن قوله : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ .

---

(١) سورة النساء : ١٤٥

فـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ السورة متضمنة لما يجب إثباته له تعالى من الأحدية المنافية لمطلق الشركة بوجه من الوجوه ، ونفى الولد والوالد المقرر لكمال صمديته وغناه وأحديته ، ونفى الكفء المتضمن لنفي الشبيه والمثيل والنظير ، فتضمنت إثبات كل كمال ، ونفى كل نقص ، ونفى إثبات شبيه له أو مثيل في كماله ، ونفى مطلق الشرك ، وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الذي يباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك .

كما جعلوا سورة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ أصلاً في التمييز بين من يعبد الله وبين غيره ، وإن أقر كل منهما بأن الله رب كل شيء ومليكه ، والتمييز بين المخلصين وبين المشركين ، من قوله : ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾[١] .

والتوحيد أعظم من فريضة الصلاة والزكاة والصوم ، كما أن الشرك أعظم المحرمات ، أعظم تحريماً من الزنى والسرقة والكبائر ، والتوحيد رأس أعمال أهل الجنة ، كما أن رأس أعمال أهل النار الشرك بالله تعالى .

والشيخ يعتقد أن الإسلام : هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهل الشرك .

فالتوحيد هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢] .

---

[١] سورة الكافرون : ٢ - ٣

[٢] سورة الروم : ٣٠

وهو الصراط المستقيم ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾(١) .

وهو شهادة الحق ، والعمل بمقتضاها ، كما في ـ الصحيح ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، قال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً (٢) .

وهو الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فأنه يراك ، وهو الذي بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ .

قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء (٤) رواه مسلم .

ورواه أحمد من حديث ابن مسعود وفيه : ومن الغرباء ؟ قال : النزاع من القبائل ، وفي رواية : الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس (٥) .

---

(١) سورة الأنعام : ١٥٣

(٢) أخرجه مسلم ح / ٨ / ١ /٣٧

(٣) سورة هود : ١١٦

(٤) أخرجه مسلم ح / ١٤٥ / ١ / ١٣٠

(٥) أخرجه الإمام أحمد ح /١٦٠٤ ، ١٨٤١ قال في جمع الزوائد أخرجه الطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو نفسه .

وللترمذي من حديث كثير بن عبدالله عن ابيه عن جده : طوبي للغرباء ، الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي [١] .

وفي حديث عمرو بن عبسة السلمي أنه لما جاء الى رسول الله ﷺ بمكة ، قال له : وما أنت ؟ فقال رسول الله ﷺ : أنا نبي ، فقال له : وما نبي ؟ فقال رسول الله ﷺ : أرسلني الله ، فقال : بأي شيء أرسلك ؟ فقال : أرسلني بصلة الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لايشرك به شيء ، فقال له : ومن معك على هذا ؟ قال : حر وعبد [٢] .

قال الشيخ في هذا الحديث : إن عمرو بن عبسة فهم المراد من التوحيد ، وأنه توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له ، وكسر الأوثان ، ومعلوم أن كسرها لايستقيم إلا بشدة العداوة وتجريد السيف ، وأن هذا أمر كبير غريب ، ولأجل هذا ، قال : كم معك على هذا ؟ قال : حر وعبد ، فأجابه أن جميع العلماء والعباد والملوك والعامة مخالفون له ، ولم يتبعه على ذلك إلا من ذكر ، فهذا أوضح دليل على أن الحق قد يكون مع أقل القليل ، وأن الباطل قد يملأ الأرض ، ولله در الفضيل بن عياض رحمه الله حيث قال : لا تستوحش من الحق لقلة السالكين ، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين ، وأحسن منه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] ، وهو ملة إبراهيم الذي كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين .

---

[١] أخرجه الترمذي ح /٢٦٣٠ ، ١٨/٥ وقال حسن صحيح .

[٢] أخرجه مسلم ح / ٨٣٢ / ١ / ٥٦٩

[٣] سورة سبأ : ٢٠

وهو الأسوة الحسنة التي أخبر بها الله في كتابه ، فقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[1] .

وقد سفه نفسه من رغب عن هذه الملة ، فلا خير إلا فيها ، ولا شر إلا فيما خالفها ، حنيفية في التوحيد ، سمحة في العمل ، إلى قيام الساعة ، ووسعت جميع الناس ، فامروا باتباعها . ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[2].

وأمر رسول الله محمد ﷺ باتباعها ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[3] .

وعن أبي مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : إن لكل نبي ولاة من النبيين ، وإن وليي أبي وخليل ربي [4] ثم قرأ : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5] .

رواه الترمذي في التفسير ، والإمام أحمد في ـ المسند ـ ويقول الشيخ : وتأمل أن الإسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل الشرك ، وإن لم يعادهم ، فهو منهم ، وإن لم يفعله .

ويزيد الشيخ هذا المعنى إيضاحاً في ثمان حالات استنبطها من قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ

---

(١) سورة الممتحنة : ٤
(٢) سورة البينة : ٥
(٣) سورة النحل : ١٢٣
(٤) أخرجه الإمام أحمد ح /٣٨٠٠ ، ٤٠٠/١ ، وأخرجه الترمذي ح /٢٩٩٥ ، ٢٢٣/٥
(٥) سورة آل عمران : ٦٨

وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [(١)] .

قال رحمه الله تعالى : فيه ثمان حالات :

الأولى : ترك عبادة غير الله مطلقاً ، ولو جادله أبوه وأمه بالطمع الجليل والإخافة الثقيلة ، كما جرى لسعد رضي الله عنه مع أمه .

الحالة الثانية : أن كثيراً من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه لا يفطن لما يريد الله من قلبه من إجلاله ورهبته ، فذكر هذه الحالة بقوله :﴿ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾[(٢)] .

الحالة الثالثة : إن قدرنا أنه ظن وجود الترك والفعل ، فلا بد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة ، ولو لم يقض هذا الغرض إلا بالهرب عن بلد فيها كثير من الطواغيت الذين يبلغون الغاية في العداوة ، حتى يصرح أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم .

الحالة الرابعة : إن قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث ، فقد لا يبلغ الجد في العمل بالدين ، والجد والصدق هو إقامة الوجه للدين .

الحالة الخامسة : إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع ، فلا بد له من مذهب ينتسب اليه ، فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية ، ويترك كل مذهب سواها ، ولو كان صحيحاً ، ففي الحنيفية عنه غنية .

الحالة السادسة : إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الخمس ، فلا بد أن يتبرأ من

---

(١) سورة يونس : ١٠٤ - ١٠٦

(٢) سورة يونس : ١٠٤

المشركين فلا يكثر سوادهم .

الحالة السابعة : إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست ، فقد يدعو من غير قلبه نبياً أو غيره لشيء من مقاصده ، ولو كان ديناً يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا ، خصوصاً عند الخوف ، أنه لا يدخل في هذا الحال .

الحالة الثامنة : إن ظن سلامته من ذلك كله ، لكن غيره من إخوانه فعله خوفاً أو لغرض من الأغراض : هل يصدق الله أن هذا ـ ولو كان أصلح الناس ـ قد صار من الظالمين ؟ أو يقول : كيف يكفر وهو يحب الدين ويبغض الشرك ؟ وما أعز من يتخلص من هذا ! بل ما أعز من يفهمه وإن لم يعمل به ! بل ما أعز من لا يظنه جنوناً ! .

ومن ذلك يستنتج الشيخ أن أصل الدين وقاعدته أمران :

الأولى : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه .

الثاني : الإنذار عن الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله ، وهذا هو الذي بعثت به الرسل إلى أممهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1]][2].

---

[1] سورة النحل : ٣٦

[2] عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ، صالح العبود ، ج ١ ص ٣٨١ . ٣٩٩

الإيمان بالملائكة :

وهو الأصل الثاني من أصول الإيمان الواجب الإيمان بها ، ومنهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب بينه الشيخ صالح العبود بقوله :

[والشيخ يؤمن بالملائكة ، ويصدق بوجودهم ، ويعتقد أنهم عباد لله مكرمون ، لا يسبقون الله بالقول وهم بأمره يعملون ، والله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ، وهم من خشية الله مشفقون .

وقال الشيخ في كتاب ـ أصول الإيمان ـ : ـ باب ذكر الملائكة والإيمان بهم ـ .

ثم يستدل على الإيمان بهم بقول الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [1].

ويستدل الشيخ بقول الله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [2] .

ويؤمن الشيخ بكل ما ورد من وصفهم وذكرهم وأصنافهم وأعيانهم في القرآن الكريم والسنة الشريفة .

قال في ـ كتاب التوحيد ـ : باب قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [3] .

ثم أورد الشيخ حديثاً من ـ صحيح البخاري ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إذا قضى الله الأمر في السماء ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ،

---

(1) سورة البقرة : ١٧٧

(2) سورة النجم : ٢٦

(3) سورة سبأ : ٢٣

كأنه سلسلة على صفوان ، ينفذهم ذلك ، حتى إذا فزع عن قلوبهم ، قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، وهو العلي الكبير ... [(١)] الحديث .

قال الشيخ : فيه تفسير الآية ، وسبب سؤالهم في ذلك ، وأن الغشي يعم أهل السماوات كلهم .

ويقول الشيخ في كلامه على الفوائد من قصة آدم وإبليس : ومن فوائدها : الدلالة على الملائكة وعلى بعض صفاتهم .

وذكر الشيخ من صفاتهم أنهم يتنزلون على الذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا ، بأن لايخافوا ولا يحزنوا ويبشروا بالجنة التي كانوا يوعدون ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[(٢)] .

ومنهم مقربون ، ومع ذلك هم عبيد لله تعالى ، لا يستنكفون من ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[(٣)] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[(٤)] .

وجعلهم الله رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، قال تعالى : ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ ﴾[(٥)] .

---

(١) أخرجه البخاري : ح / ٤٥٢٢ / ٤ / ١٨٠٤

(٢) سورة فصلت : ٣٠

(٣) سورة النساء : ١٧٢

(٤) سورة الأنبياء : ١٩ - ٢٠

(٥) سورة فاطر : ١

ومنهم حملة العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمـنوا ، كمـا قـال تعـالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[1] .

وقد خلقوا من نور ، كما في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : خلقت الملائكة من النور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم [2] . رواه مسلم وغيره ، وهم كثيرون .

قال الشيخ : لما ثبت في بعض أحاديث المعراج أنه ﷺ رفع له البيت المعمور ، الذي هو في السماء السابعة ، وقيل : في السادسة ، بمنزلة الكعبة في الأرض ، وهو بحيال الكعبة ، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : ما في السماء موضع قدم إلا عليه ملك ساجد ، أو قائم ، فذلك قول الملائكة [3] : ﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴾[4].

قال الشيخ : رواه : محمد بن نصر ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، وأبو الشيخ .

وقد وصف بعضهم بعظمة خلقه ، كما في الحديث عن جابر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ، ما بين

---

(1) سورة فاطر : ٧

(2) أخرجه مسلم : ح / ٢٩٩٦ / ٤ / ٢٢٩٤

(3) أخرجه الطبراني في الاوسط : ح /٣٥٦٨ ، ٤٤/٤

(4) سورة الصافات : ١٦٥ - ١٦٦

شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام [١] . رواه أبو داود والبيهقي في ـ الأسماء والصفات ـ ، والضياء في ـ المختارة ـ .

ومن سادتهم جبريل عليه السلام ، قد وصفه الله تعالى بالأمانة وحسن الخلق والقوة ، فقال تعالى : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾[٢] .

ومن شدة قوته رفع مدائن قوم لوط عليه السلام ـ وكن سبعاً ـ بمن فيهن من الأمم ، وكانوا قريباً من أربع مائة ألف ، ومن معهم من الدواب والحيوانات ، وما لتلك المدائن من الأراضي ، على طرف جناحه ، حتى بلغ بهن عنان السماء ، حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم وصياح ديكتهم ، ثم قلبها ، فجعل عاليها سافلها، فهذا هو شديد القوى ، وقوله : ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ ، أي : ذو خلق حسن وبهاء وسناء وقوة شديدة ، قال معناه ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال غيره : ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ أي : ذو قوة .

وقال تعالى في صفته : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[٣] .

أي : له قوة وبأس شديد ، وله مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند ذي العرش المجيد ، ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ ﴾ ، أي مطاع في الملأ الأعلى ، ﴿ أَمِينٍ ﴾ ، أي : ذي أمانة عظيمة .

ولهذا كان السفير بين الله وبين رسله .

---

[١] أخرجه أبو داود : ح /٤٧٢٧ ، ٢٣٢/٤

[٢] سورة النجم : ٥ - ٦

[٣] سورة التكوير : ١٩ - ٢١

وقد كان يأتي إلى رسول الله ﷺ في صفات متعددة ، وقد رآه على صفته التي خلقه الله عليها مرتين ، وله ستمائة جناح ، روى ذلك عن البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه [١] .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله رضي الله عنه ، قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في صورته ، له ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سد الأفق ، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم [٢] .

قال الشيخ : ـ إسناده قوي ـ .

وللبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ لجبرائيل : ألا تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ [٣] فنزلت : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾[٤] .

ومن سادتهم ميكائيل عليه السلام ، وهو موكل بالقطر والنبات .

ومن ساداتهم إسرافيل ، وهو صاحب الصور، أي : الذي ينفخ في الصور .

وروى الترمذي وحسنه الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن ، وحتى جبهته ، وأصغى

---

[١] أخرجه البخاري : ح / ٤٥٧٥ / ٤ / ١٨٤٠

[٢] أخرجه الإمام احمد : ح /٣٩١٥ ، ٤١٢/١

[٣] أخرجه البخاري : ح / ٧٠١٧ / ٦ / ٢٧١٣

[٤] سورة مريم : ٦٤

سمعه ، ينتظر متى يؤمر فينفخ ؟ ، قالوا : فما نقول يا رسول الله ؟ قالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا [١] .

وجبرائيل وميكائيل وإسرافيل من المختارين المصطفين من الملائكة ، كما قال النبي ﷺ : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة [٢] .

قال : ومن سادهم ملك الموت ، ولم يجيء مصرحاً باسم في القرآن ، ولا في الأحاديث الصحيحة ، وقد جاء في بعض الآثار تسميته بعزرائيل ، والله أعلم ، قاله الحافظ ابن كثير .

وقال : إنهم بالنسبة إلى ما هيأهم الله له أقسام : فمنهم حملة العرش ، ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش ، وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة ، وهم المقربون كما قال تعالى : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[٣] .

ومنهم سكان السماوات السبع ، يعمرونها عبادة دائمة ليلاً ونهاراً ، كما قال تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[٤] .

ومنهم الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور .

قال الشيخ : قلت : الظاهر أن الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور سكان السماوات .

---

[١] أخرجه الحاكم : ح / ٨٦٧٧ / ٤ / ٦٠٣ ، والترمذي ح / ٢٤٣١ / ٤ / ٦٢٠ وقال حديث حسن .

[٢] أخرجه مسلم : ح / ٧٧٠ / ١ / ٥٣٤

[٣] سورة النساء : ١٧٢

[٤] سورة الأنبياء : ٢٠

ومنهم موكلون بالجنان ، وإعداد الكرامات لأهلها ، وتهيئة الضيافة لساكنيها ، من ملابس ، ومآكل ، ومشارب ، ومصاغ ، ومساكن ، وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومنهم الموكلون بالنار ـ أعاذنا الله منها ـ ، وهم الزبانية ، ومقدموهم تسعة عشر، وخازنها مالك ، وهو مقدم على الخزنة ، وهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾(٢).

وقال تعالى : ﴿ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾(٤) .

ومنهم الموكلون بحفظ بني آدم ، كما قال تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾(٥).

قال ابن عباس : ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء أمر الله ، خلوا عنه .

---

(١) سورة غافر : ٤٩

(٢) سورة الزخرف : ٧٧

(٣) سورة التحريم : ٦

(٤) سورة المدثر : ٣٠ - ٣١

(٥) سورة الرعد : ١١

وقال مجاهد : ما من عبد إلا وملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام ، فما منها شيء يأتيه يريده ، إلا قال له : وراءك ، إلا شيء يأذن الله تعالى فيه فيصيبه .

ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد ، كما قال تعالى : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[٢] .

قال الحافظ بن كثير : ومعنى إكرامهم : أن يستحي منهم فلا يملي عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبونها ، فإن الله خلقهم كراماً في خلقهم وأخلاقهم .

ثم قال ما معناه : إن من كرمهم أنهم لا يدخلون بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا جنب ولا تمثال ولا يصحبون رفقه معه كلب أو جرس .

وروى مالك والبخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ـ وهو أعلم بهم ـ كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون [٣] ، وفي رواية أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : اقرؤوا إن شئتم : ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٤].

---

[١] سورة ق : ١٧

[٢] سورة الانفطار : ١٠ - ١٢

[٣] أخرجه البخاري : ح / ٣٠٥١ / ٣ / ١١٧٨ ، وأخرجه مسلم : ح /٤٣٩/١/٦٣٢

[٤] سورة الإسراء : ٧٨

وروى الإمام أحمد ومسلم حديث : ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه [١] .

وفي المسند و السنن حديث : إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع [٢].

والأحاديث في ذكرهم عليهم السلام كثيرة جداً] [٣].

الإيمان بكتب الله :

وهو الأصل الثالث من أصول الإيمان ، وقد بين الشيخ صالح العبود منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب في هذا الأصل بقوله :

[والشيخ يؤمن بكتب الله ، ويصدق بأنها كلام الله ، وأنها حق ونور وهدى، وما سمى الله منها كالتوراة والإنجيل والزبور يؤمن بها بأسمائها ، كما يؤمن بأن لله كتباً أخرى لا يعلم أسماءها وعددها إلا الله سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى : ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [٤] .

قال الشيخ رحمه الله : فيها أمر الله أن نقول ما ذكر في الآية ، وليس هذا من إظهار العمل الذي إخفاؤه أفضل ، والإيمان بجميع المنزل ، وعدم التفرقة بين أحد منهم ،

---

[١] أخرجه مسلم ح / ٢٦٩٩ / ٣ / ٢٠٧٤

[٢] رواه أبو داود في سننه ، كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم

[٣] عقيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ، صالح العبود ، ج ١ ص ٣٩٩ ـ ٤١١

[٤] سورة البقرة : ١٣٦ - ١٣٧

والتصريح بالإسلام ، وبإخلاص ذلك لله ، وليس هذا من الثناء على النفس ، بل من بيان الدين الذي أنت عليه ، ولهذا ، قال بعض السلف : ينبغي لكل أحد أن يعلم هذه الآية أهل بيته وخدمه ، وفيها التصريح بأن الإيمان هو العمل .

ويعتقد الشيخ أن القرآن هو الكتاب لا ريب فيه ، كلام الله ، منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، وأنه تكلم به حقيقة ، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ .

وأنه الكتاب الشامل على الكتب السابق ، لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله .

وقول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [1] .

قال الشيخ : هذا من عطف الخاص على العام .

وفي قوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

يقول الشيخ : في ذلك وصف القرآن بأنه كتاب منزل إلى النبي ﷺ والنهي عن الحرج بفاء التفريع : ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ .

وذكر الحكمة في ذلك ، وهي الإنذار العام والذكر الخاص ، والأمر باتباعه ، والتحريض على ذلك بأنه منزل إلينا من ربنا : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ .

والنهي عن اتباع ما سواه .

---

(١) سورة البقرة : ٤

(٢) سورة الأعراف : ٢ - ٣

وقول الله تعالى : ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[١] .

يستنبط الشيخ من هذه الآيات أن القرآن كاف عما سواه من الكتب ، وأنه المراد بأحسن القصص ، لا قصة يوسف وحدها ، وأن قوله : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ ، أي : هذه آيات الكتاب المبين الواضح الذي يوضح الأشياء المبهمة ، وقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي : تفهمون معانيه ، والقصص مصدر قص الحديث يقصه قصصاً ، أي : أي بإيحائنا إليك هذا القرآن ، وقوله : ﴿ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ ، أي : الجاهلين به ، وهذا مما يبين جلالة القرآن ، لأن فيه دلالة على أن علمه ﷺ من القرآن وفيه دلالة على جلالة الله وقدرته ، ودلالة على عظيم نعمته على نبيه ﷺ ، وفيه دلالة على كذب من ادعى أن غيره من الكتب أوضح منه .

وفي قوله تعالى : ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾[٢] .

يقول الشيخ ما معناه بأن فيها الترغيب في القرآن بجمعه بين الوصفين : ﴿ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ و ﴿ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ، فقوله : ﴿ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ : معرف بالألف واللام ، لاستغراقه معنى ﴿ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ .

---

[١] سورة يوسف : ١ - ٣

[٢] سورة الحجر : ١ - ٢

والذكر هو القرآن ، وقد حفظه الله عن شياطين الجن والإنس ، حفظاً كافياً في تصديق الرسول ﷺ عن إنزال الملائكة كما يقترح المعاندون قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1] .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[2].

قال الشيخ : فيها المنة بإيتاء السبع المثاني والقرآن العظيم وفيه التعزية عما أصابه وعما صرف عنه .

والقرآن الكريم تبيان لكل شيء ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[3].

فمن ابتغى الهدى من غيره ضل ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[4].

ويقول الشيخ : وقد مَنّ الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين .

فلا يأتي صاحب باطل بحجة ، إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[5] .

---

(١) سورة الحجر : ٦ - ٩
(٢) سورة الحجر : ٨٧
(٣) سورة النحل : ٨٩
(٤) سورة الزخرف : ٣٦ - ٣٧
(٥) سورة الفرقان : ٣٣

قال بعض المفسرين : هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة .

ويبين الشيخ موقف المؤمن من متشابه القرآن ، فيقول : إن الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾[1] .

وقد صح عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمى الله ، فاحذروهم [2] . وهو عن عائشة رضي الله عنها ، متفق عليه .

ففي هذا نعلم أن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه .. ونقطع أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله .

فالشيخ يرد المتشابه إلى المحكم ، ويؤمن بالجميع ويعلم أن المتشابه لا يناقض المحكم .

ويستدل الشيخ بما رواه ابن جرير عن سعد بن أبي وقاص، قال : أنزل الله على النبي ﷺ القرآن ، فتلاه زماناً ، فقالوا : يا رسول الله ! لو حدثتنا [3] ، فنزل : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[4] .

---

[1] سورة آل عمران : ٧

[2] أخرجه البخاري ح / ٤٢٧٣ / ٤ / ١٦٥٥ ، ومسلم ح / ٢٦٦٥ / ٤ / ٢٠٥٣

[3] أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ، كتاب الزهد ، أبواب في الموعظة ونحوها ، ٢١٩/١٠

[4] سورة الزمر : ٢٣

ويقول الشيخ : ومما يدل على أن القرآن كاف عما سواه من الكتب، أن عمر أتى النبي ﷺ بكتاب فقرأه عليه ، فغضب فقال : أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء ، فيخبروكم بحق فتكذبونه ، أو بباطل فتصدقونه ، والذي نفسي بيده ، لو كان موسى حياً ، ما وسعه إلا اتباعي . رواه أحمد ، وفي لفظ : أنه استكتب جوامع من التوراة وقال : ألا أعرضها عليك ؟ وقوله : لو أصبح موسى حياً ، ثم اتبعتموه وترتكموني ، لضللتم ، إنكم حظي من الأمم ، و أن حظكم من الأنبياء [١] .

قال الشيخ : وقد انتفع عمر بهذا ، فقال للذي نسخ كتاب دنيال : امحه بالحميم والصوف الأبيض ، وقرأ عليه أول هذه السورة ، وقال : لئن بلغني أنك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس ، لأنهكنك عقوبة .

وفي كتاب أصول الإيمان عقد الشيخ باباً سماه باب الوصية بكتاب الله عز وجل ، وقوله تعالى : ﴿ اتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[٢] .

وأورد في ذلك أحاديث عن النبي ﷺ ، منها ما رواه مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله خطب ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإنما أنا بشر ، يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله ، وتمسكوا به ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال : وأهل بيتي ، وفي لفظ : كتاب الله ، هو حبل الله المتين ، ومن اتبعه ، كان على الهدى ، ومن تركه ، كان على الضلالة . رواه مسلم [٣].

---

[١] أخرجه الإمام أحمد ح / ١٥١٩٥ / ٣ / ٣٨٧
[٢] سورة الأعراف : ٣
[٣] أخرجه مسلم ح / ٢٤٠٨ / ٤ / ١٨٧٣

وله في حديث جابر الطويل ، أنه ﷺ قال في خطبة يوم عرفة : وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به ، كتاب الله ، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ . قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . قال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها إلى الناس : اللهم اشهد ثلاث مرات .[1]

وقد ألف الشيخ في فضائل القرآن الكريم كتاباً طبع مقدمة لما جمع من تفسيره ، فذكر الشيخ فيه : باب فضائل تلاوة القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه ، وباب ما جاء في تقديم أهل القرآن وإكرامهم ، وباب وجوب تعلم القرآن وتفهمه واستماعه والتغليظ على من ترك ذلك ، وباب الخوف على من لم يفهم القرآن أن يكون من المنافقين ، وباب قول الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾[2] ، وباب إثم من فجر بالقرآن ، وباب إثم من تأكل بالقرآن ، وباب الجفاء عن القرآن ، وباب من ابتغى الهدى من غير القرآن ، وباب الغلو في القرآن ، وباب ما جاء في اتباع المتشابه ، وباب وعيد من قال في القرآن برأيه وبما لا يعلم ، وباب ما جاء في الجدال في القرآن ، وباب ما جاء في الاختلاف في القرآن في لفظه أو معناه ، وباب إذا اختلفتم فقوموا ، وباب قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾[3] ، وباب ما جاء في التغني بالقرآن .

وقد ذكرنا في منهج الشيخ أنه يعتبر القرآن المرجع الأصلي الذي يجب الرجوع إليه ولا يجوز الإعراض عنه ، لقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴾[4] .

---

(١) أخرجه مسلم : ح / ١٢١٨ / ٢ / ٨٨٦

(٢) سورة البقرة : ٧٨

(٣) سورة الكهف : ٥٧

(٤) سورة طه : ٩٩ - ١٠٠

وقولـه تعـالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[1] .

وقولـه تعـالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[2] .

والحاصل أن الشيخ يؤمن بكتب الله المنزلة ، ويصدق بأنها كلام الله حقيقة ، ويصدق بأسماء ما سمى منها ، ويخص القرآن الكريم بالتعبد بتلاوته وقراءته وتدبره ، واتباع ما فيه ، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ، وتحليل ما أحل ، وتحريم ما حرم ، لأنه بيان لكل شيء ، وخاتم لكل باب ، ومهيمن عليه ، وصراط مستقيم ، وأحسن الحديث ، وحبل الله المتين ، فالاعتصام به عصمة ، وهو كلام الله الذي لا نظير له من الكلام في دفع الشر ، وأنه صالح لكل زمان ومكان][3] .

الإيمان بالرسل :

وهو الأصل الرابع من أصول الإيمان ، ومنهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب إمام أئمة الدعوة بينه الشيخ صالح العبود بقوله :

[ويؤمن الشيخ بالرسل الذين أرسلهم الله ، والأنبياء الذين نبأهم الله ، ومن الإيمان بهم معرفة مراد الله في بعثتهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[4].

---

[1] سورة طه : ١٢٤

[2] سورة الزخرف : ٣٦ - ٣٧

[3] عقيدة محمد بن عبدالوهاب السلفية ، صالح العبود ، ج ١ ، ص ٤١١ ـ ٤٢٢

[4] سورة البقرة : ٢١٣

وأما الحكمة الأخرى ، فذكرها أيضاً في غير موضع ، منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[1] .

فقوله : ﴿ مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ وقوله : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ ، هما حكمة الله في إيجاد الخليقة ، وإليهما ترجع كل حقيقة .

ويعتقد أنهم صادقون فيما أخبروا به ، وأنهم بلغوا الرسالة ، وأدوا الأمانة ، وأنه يجب احترامهم ، وعدم التفريق بينهم ، وأن من كذّب واحداً منهم ، فقد كذّب جميع الرسل .

ويؤمن الشيخ بمن سمى الله منهم في كتابه باسمه ، كإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، والأسباط ، وموسى ، وعيسى ، ومن قبلهم نوح ، وخاتمهم محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليماً كثيراً ، وكل من صرح باسمه في القرآن الكريم والسنة يؤمن به باسمه ، ومن لم يصرح باسمه ، فيؤمن به على الإطلاق كما ورد .

وأول الرسل نوح ، وآخرهم محمد عليه الصلاة والسلام ، والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[2] .

---

[1] سورة النساء : ١٦٣ - ١٦٥

[2] سورة النساء : ١٦٣ - ١٦٦

وإن إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن ، وجعله الله للناس إماماً في التوحيد ، وما كان من المشركين .

وقد أعطى موسى عليه الصلاة والسلام قوة في جسمه ، أخذاً من قصته في القرآن ، وبطشه بالعدو ، وقدرته على السقاية للمرأتين من ماء مدين ، ومن خصوصياته التي اشتهر بها تكليم الله إياه ، ولذلك يذكرها إبراهيم عليه السلام حين يحيل إذا طلبت منه الشفاعة ، وقد أرسل إلى فرعون قومه بتسع آيات بينات ، ولأصحابه فضيلة على من سواهم من قومه .

وأن يوسف جميل الظاهر بالحسن ، وجميل الباطن بالعفة ، وهو كريم عارف ، صرف الله عنه السوء والفحشاء ، وكان من المخلصين .

وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .

وأن الأنبياء يتفاوتون في الفضل ، وأنهم أشد الناس بلاء.

وأن قصص الرسل ممدوح ، وفيه عبرة لا يفهمها إلا أولو الألباب .

ولا نبي إلا رعى الغنم ، ورعي الغنم صفة كمال .

وأن الرسل من البشر ، كلهم رجال ، وليس في الجن ولا في النساء رسل ، وأنهم من أهل القرى .

وأنه يجوز عليهم الخطأ والنسيان فيما لا تعلق له بتبليغ الرسالة ، ولا تنكر إصابة الشيطان للأنبياء بما لا يقدح في النبوة ، وأنهم على بشريتهم وإن كانوا أنبياء ، وهذا من أدلة التوحيد ، وهم يحتاجون إلى التنبيه على فضل لا إله إلا الله ، كما في قصة موسى حين قال : يا رب ! علمني شيئاً أذكرك به .. الحديث [١].

---

[١] أخرجه بن حبان ح/٦٢١٨/١٤/١٠٢ ، والنسائي في السنن الكبرى ح /١٠٦٧٠ /٦/ ٢٠٨

وأن دينهم التوحيد ، وأن الدعوة إلى توحيد الله سبيلهم وسبيل من اتبعهم وبذلك أرسلوا ورسالتهم حق .

وخلاصة رسالتهم : هي أن يدعو المخالفين إلى أن يوحدوا الله تعالى ، ويتركوا الشرك به ، كما قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[١] .

وأن رسالة الرسل عمت كل أمة من بني آدم ، وكل أمة لها رسولها الذي يخصها ، وأن الله يثيب من أطاع الرسل بالجنة ، ويعاقب من عصاهم بالنار .

وأرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين ، والدليل قوله تعالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[٢] .

وأنهم ما أتوا أممهم إلا بالوحي .

ويرى أن الله سبحانه اختار الأنبياء من ولد آدم ، واختار الرسل من الأنبياء ، واختار من الرسل أولي العزم منهم ، وهم الخمسة المذكورون في سورتي الأحزاب والشورى .

والشيخ يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾[٣] .

---

[١] سورة النحل : ٣٦

[٢] سورة النساء : ١٦٥

[٣] سورة الأحزاب : ٧

وإلى قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[١] .

ويقول الشيخ : واختار من أولي العزم الخليلين : إبراهيم ومحمداً صلى الله وسلم عليهما أجمعين .

وأن الله أخذ الميثاق الشديد على الرسل لئن بعثت فيهم رسول الله محمد ﷺ ليؤمنن به ولينصرنه ، فأقروا بذلك ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٢] .

ويقول الشيخ في كلامه على قصة آدم وإبليس : ومن فوائدها أنها من أدلة الرسل عامة ، ومن أدلة نبوة محمد ﷺ خاصة .

ويؤمن بأن نبينا محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين ، وأنه لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ، والدليل قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣] .

ويقول الشيخ : والدليل على أنه رسول الله ﷺ من العقل والنقل : أما النقل ، فواضح . وأما العقل ، فنبه عليه القرآن ، من ذلك ترك الله خلقه بلا أمر ولا نهي

---

[١] سورة الشورى : ١٣

[٢] سورة آل عمران : ٨١ - ٨٢

[٣] سورة التوبة : ١٢٨

لا يناسب في حق الله ، ونبه عليه في قوله : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ ﴾(١) .

ومنها أن قول الرجل : إني رسول الله ، إما أن يكون خير الناس ، وإما أن يكون شرهم وأكذبهم ، والتمييز بين ذلك سهل يعرف بأمور كثيرة ، ونبه على ذلك بقوله : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾(٢) .

ومنها شهادة الله بقوله : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾(٣) .

ومنها شهادة أهل الكتاب بما في كتبهم ، كما في الآية .

ومنها ـ وهي أعظم الآيات العقلية ـ هذا القرآن الذي تحداهم الله بسورة من مثله ، ونحن إن لم نعلم وجه ذلك من جهة العربية ، فنحن نعلمها من معرفتنا بشدة عداوة أهل الأرض له، علمائهم وفصحائهم ، وتكريره هذا ، واستعجازهم به، ولم يتعرضوا لذلك على شدة حرصهم على تكذيبه ، وإدخال الشبه على الناس .

ومنها تمام ما ذكرنا ، وهو إخباره سبحانه أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسورة مثله إلى يوم القيامة ، فكان كما ذكر ، مع كثرة أعدائه في كل عصر ، وما أعطوا من الفصاحة والكمال والعلوم .

---

(١) سورة الأنعام : ٩١
(٢) سورة الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٢
(٣) سورة الرعد : ٤٣

ثم استمر الشيخ يذكر الأدلة العقلية فيقول : ومنها نصرة من اتبعه ، ولو كانوا أضعف الناس ، ومنها خذلان من عاداه وعقوبته في الدنيا ، ولو كانوا أكثر الناس وأقواهم .

ومنها أنه رجل أمي لا يخط ولا يقرأ الخط ولا أخذ عن العلماء ولا ادعى ذلك أحد من أعدائه ـ مع كثرة كذبهم وبهتانهم ـ ومع هذا أتى بالعلم الذي في الكتب لأولى ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[1].

ومن ذلك ما استدلت به خديجة من صفاته الكريمة ، حيث قالت : أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً . ثم استدلت بما فيه من الصفات على أن من كان كذلك ، لم يخزه الله أبداً ، فعلمت بفطرتها وكمال عقلها أن الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة تناسب كرامة الله وإحسانه ولا تناسب الخزي [2] .

وقد عصم الله رسوله ﷺ من الناس ، فاجتهدت قريش في قتله ، وأخفاه الله عنهم ، وحفظه وصاحبه في الغار .

وفي معرض إيراد الشيخ أدلة تحت باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان ، أورد حديث ثوبان رضي الله عنه لمسلم ، أن رسول الله ﷺ قال : إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد ! إذا قضيت

---

[1] سورة العنكبوت : ٤٨

[2] أخرجه البخاري ح / ٤٦٧٠ / ٤ / ١٨٩٤ ، ومسلم ح / ١٦٠ / ١ / ١٣٩ ـ ١٤٢.

قضاء ، فإنه لا يرد ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً [١] ، ورواه البرقاني في صحيحه . وزاد : وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وقع عليهم السيف ، لم يرفع إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة ، ولا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى .

قال الشيخ : فيها من الآيات العظيمة إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب ، وأخبر بمعنى ذلك ، فوقع كما أخبر ، بخلاف الجنوب والشمال ، وإخباره بأنه أعطى الكنزين وإخباره ، بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين ، وإخباره بأنه منع الثالثة ، وإخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع إذا وقع ، وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة ، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة ، وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول .

ويقول الشيخ رحمه الله في قوله تعالى في آخر سورة يوسف خطاباً لرسول الله ﷺ : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[٢] . فيه تنبيه الله على آية الرسالة ، بأن هذه القضية غيب لا يتوصل إليه الرسول ﷺ إلا بالوحي ، لكونه لا يقرأ ولا يخط

---

[١] أخرجه مسلم ح / ٢٨٨٩ / ٤ / ٢٢١٥

[٢] سورة يوسف : ١٠٢ - ١٠٧

ولا أخذ عن عالم ، وتقرير هذه الحجة بقوله : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ ﴾ ، لأن هذا لا سبيل إلى العلم به إلا بالوحي أو بحضوره ، وأن مكرهم خفي حتى لو حضرهم أحد ، لخفي عليه .

ويقول الشيخ في قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1] .

يقول الشيخ : فيها شبهتهم في كونه بشراً ، وذلك واضح ، لأنهم إن كانوا ممن يقر بالرسالة في الجملة ، فالنكال الذي أوقع الله بمن خالف الرسل الذي سمعوه وشاهدوه حجة عليهم ، وفيها الرد عليهم في قولهم : ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ﴾[2] أو نحو ذلك ، لأن الرسل ما أتوا الأمم إلا بالوحي ، وفيها استجهال الله إياهم ، حيث لم يسيروا في الأرض فيعتبروا بمن قبلهم ، فدل ذلك على أن فهم ذلك مقدور لهم .

ويذكر الشيخ أن رسول الله ﷺ اقتصر من الأدلة على الوحي ، ففيه كفاية ، وتبرأ من دعوى أن عنده خزائن الله ، أو أنه يعلم الغيب ، أو أنه ملك ، كما قال تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[3] .

ويقول الشيخ : إن الذي يقتصر على الوحي هو البصير ، وضده الأعمى .

---

[1] سورة يوسف : ١٠٩

[2] سورة البقرة : ١١٨

[3] سورة الأنعام : ٥٠

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله هي : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع ، وأن محمدً عبد لا يعبد ، ورسول الله لا يكذب ، بل يطاع ويتبع ، وهو خيرة الله من خلقه ، وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده ، وكل ما قاله حق ، وكل ما أخبر عنه صدق .

وتتضمن هذه الشهادة الإيمان بأن خاتم الرسل هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، من ذرية إسماعيل بن ابراهيم الخليل ، عليه وعلى نبياً أفضل الصلاة والسلام ، ـ إنتقل إلى الرفيق الأعلى ـ وله من العمر ثلاث وستون سنة ، منها أربعون قبل النبوة ، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً ، نبىء بـ ـ اقرأ ـ ، وأرسل بـ ـ المدثر ـ وبلده مكة ، وهاجر الى المدينة ، بعثه الله بالنذارة عن الشرك ، ويدعو الى التوحيد ، فلما أخذ على هذا عشر سنين ، عرج به إلى السماء ، وفرضت عليه الصلوات الخمس ، وصلى في مكة ثلاث سنين ، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة ، فلما استقر بالمدينة ، أمر ببقية شرائع الإسلام ، مثل : الزكاة ، والصوم ، والجهاد ، والحج ، والآذان ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... وغير ذلك من شرائع الإسلام ، أخذ على هذا عشر سنين أيضاَ ، وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه ، ودينه باق ، لا خير إلا دل الأمة عليه ، ولا شر إلا حذرها منه ، والخير الذي دل عليه التوحيد ، وجميع ما يحبه الله ويرضاه ، والشر الذي حذر منه الشرك ، وجميع ما يكرهه الله ويأباه . بعثه الله إلى الناس كافة ، وكل ماقاله حق ، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس ، ودعوته عامة لكل زمان ومكان ، إلى قيام الساعة ،

وهذه من فضيلته على الأنبياء ، والدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1] .

وأكمل الله به الدين ، والدليل قوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[2] .

والدليل على موته ﷺ قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾[3] .

وهو يوم القيامة صاحب الحوض المورود ، والمقام المحمود ، أول شافع وأول مشفع ، ولا ينكر شفاعته إلا أهل البدع ، فله الشفاعة الكبرى ، وهي المقام المحمود ، وأسعد الناس بها أهل التوحيد الخالص ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

وطريق رسول الله ﷺ هو صراط الذين أنعم الله عليهم ، فالمُنعم عليهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، والمسلم في كل ركعة من صلاته يسأل الله أن يهيده طريقهم ، والمراد بذلك الدين الذي أنزله الله على رسول ﷺ ، وكل ما خالفه من طريق أو علم أوعبادة ، فليس بمستقيم .

ويعتقد الشيخ أن الإيمان به ﷺ حقيقة يقتضى نصرته وطاعته والهدى في ذلك ، فإن من حقوقه ﷺ طاعته ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[4] .

---

[1] سورة الأعراف : ١٥٨

[2] سورة المائدة : ٣

[3] سورة الزمر : ٣٠ - ٣١

[4] سورة النساء : ٥٩

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[١] .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك ، عصموا مني دماءهم وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل [٢] . رواه مسلم .

ولهما عن أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاث من كن فيه ، وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار [٣] .

ولهما عن أنس مرفوعاً : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين [٤] .

ورسول الله ﷺ على خلق عظيم وعدل وتواضع ، يعرف ذلك حتى أعداؤه .

وكان ﷺ أشرح الخلق صدراً ، وأطيبهم نفساً ، لما جبل عليه ﷺ من الكرم العظيم ، بالإضافة إلى ما خصه الله به من شرح صدره بالرسالة وخصائصها وتوابعها ، وشرح صدره حساً ، وإخراج حظ الشيطان منه .

وله ﷺ الفضائل العظيمة ، فيقول الحق الذي لا يقدر غيره أن يقوله .

وهو الرسول النبي الأمي ، حبيب الله وصفيه من خلقه ﷺ ، وأقرب الخلائق منزلة عند الله تعالى .

---

[١] سورة الحشر : ٧

[٢] أخرجه مسلم ح / ٢٢ / ١ / ٥٣

[٣] أخرجه البخاري ح / ١٦ / ١ / ١٤ ، ومسلم ح / ٤٣ / ١ / ٦٦

[٤] أخرجه البخاري ح / ١٥ / ١ / ١٤ ، ومسلم ح / ٤٤ / ١ /٦٧

ويقول الله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].

فيها أن آيات الله لا نظير لها في دفع الشر في سائر الكلام ، كما أن رسول الله ﷺ لا نظير له في الأشخاص في دفع ذلك ، وهو سيد المرسلين ، وسيد ولد آدم على الحقيقة من غير افتخار .

وقد أكرمه الله بالخلة ، وهي أعلى من المحبة ، كما كان إبراهيم .

ولابد من الأدب مع رسول الله ﷺ ، وتعظيم حرمته ، وعدم التقدم بين يديه ، وقد نزل تغليظ في ذلك في أول سورة الحجرات ، ووصف الله الذين ينادون رسول الله ﷺ من وراء الحجرات بأن أكثرهم لا يعقلون .

وكان ﷺ في حياته يسأله المسلمون الاستسقاء ، ويتوسلون بدعائه ويستشفعون ، وهو ﷺ في البرزخ تعرض عليه أعمال أمته من الصلاة والسلام عليه ، وهو ﷺ أفضل جميع الخلائق والأنام ، وسيد ولد آدم عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام .][2]

وموقف إمام الدعوة من الصحابة وآل البيت والمسلمين بينه الشيخ صالح العبود بقوله :

[ويرى الشيخ فضيلة أمة محمد ﷺ على غيرها من الأمم بالكمية والكيفية ، وأن الله سبحانه اختار ولد إسماعيل من أجناس بني آدم ، ثم اختار منهم بني كنانة من خزيمة ، ثم اختار من ولد كنانة قريشاً ، ثم اختار من قريش بني هاشم ، ثم اختار من بني هاشم سيد ولد آدم محمداً ﷺ ، كما في ــ المسند ــ عن معاوية بن حيدة مرفوعاً : وأنتم

---

[1] سورة آل عمران : ١٠١

[2] عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ، المرجع السابق ، ص ٤٢٢ ـ ٤٤١

توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله [١] ، فهم أفضل الأمم ، واختار لهم أفضل القِبَل ، كما اختار لهم أفضل الرسل ، وأفضل الكتب ، واخرجهم من خير القرون ، بأفضل الشرائع ، ومنحهم خير الأخلاق ، وأسكنهم خير الأرض .

ويؤمن بأن أفضل أمة محمد ﷺ أبو بكر الصديق ، وفي قول النبي ﷺ : ولو كنت متخذاً من امتي خليلاً ، لاتخذت أبا بكر خليلاً [٢] ، يرى الشيخ في هذا التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة ، وفيه الإشارة إلى خلافته .

ويقول الشيخ في ـ تلخيصه ـ عن ابن تيمية رحمه الله : ذكر غير وأحد الإجماع على أن الصديق أعلم الأمة ، وهذا بين ، فإنهم لم يختلفوا في مسألة في ولايته ، إلا فصلها بحجة من الكتاب والسنة ، كما بين لهم موته ﷺ ، وموضع دفنه ، وقتال مانعي الزكاة ، وأن الخلافة في قريش ، واستعمله ﷺ على أول حجة حجت من مدينته ، وعلم المناسك ـ أدق العبادات ـ ولولا سعة علمه بها ، لم يستعمله ، ولم يستخلف غيره ، لا في حج ، ولا في صلاة ، وكتاب الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ أخذ أنس من أبي بكر ، وهو أصح ما روي فيها ، وفي الجملة ، لا يعرف مسألة غلط فيها ، وعرف لغيره مسائل كثيرة ، وتنازعوا بعده في مسائل الجد والأخوة والعمريّتين والعول وغير ذلك من مسائل الفرائض ، ومسألة الحرام ، والطلاق الثلاث بكلمة ، والخلية ، والبرية ، والبتة ، وغير ذلك من مسائل الطلاق ، وفي مسائل صارت نزاعاً إلى اليوم ، لكنه في خلافة عمر نزاع محض ، وقوي النزاع في خلافة عثمان ، حتى حصل كلام غليظ من بعضهم لبعض ، وفي خلافة علي صار النزاع بالسيف ، ولم يعلم أنه استقر بينهم نزاع في

---

[١] أخرجه الترمذي : ح / ٣٠٠١ / ٥ / ٢٢٦ ، قال في جمع الزوائد رجاله ثقات ، الجزء ١٠ ص ٣٩٧ .

[٢] أخرجه البخاري ح / ٤٥٥ / ١ / ١٧٨ ، ومسلم ح / ٢٣٨٣ / ٤ / ١٨٥٥

خلافة أبي بكر في مسألة واحدة ، وذلك لكمال علمه ، ثم التي خولف فيه بعد موته قوله فيها أرجح .

ويشرح الشيخ مثلاً من ذلك ، وهو أنه لما مات رسول الله ﷺ ، ارتد غالب من أسلم ، وحصلت فتنة عظيمة ثبت الله فيها من أنعم عليهم بالثبات بسبب أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فإنه قام فيها قياماً لم يدانه فيه أحد من الصحابة ، ذكرهم فيه مانسوا ، وعلمهم ما جهلوا ، وشجعهم لما جبنوا ، فثبت الله به دين الإسلام .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [١] .

يقول الشيخ : قال الحسن : هم والله أبو بكر وأصحابه .

ويقول : جعلنا الله من أتباعه وأتباع ما حمله وأصحابه .

ثم عمر الفاروق رضي الله عنه ، فهو الثاني بعد أبي بكر رضي الله عنه في الخلافة والفضل ، وهو المحدث الملهم الذي أمرنا باتباع سنته ، وله الفضائل المشهورة ، والسوابق المأثورة .

ثم عثمان ذو النورين ، وهو ثالث الخلفاء في الخلافة والفضل ، رضي الله عنه ، كان من ذوي السابقة والشرف والعلم ، هاجر الهجرتين ، وصلى القبلتين ، وزوجه رسول الله ﷺ ابنتيه لما توفيت الأولى معه زوجه الأخرى وكان رسول الله ﷺ يقدمه ويستحي منه .

---

[١] سورة المائدة : ٥٤

ثم علي المرتضى ، رابع الخلفاء الراشدين في الخلافة والفضل ، ومن فضائله قتل الخوارج رضي الله عنه ، ومن فضيلته رضي الله عنه ما ورد في الحديث المتفق عليه عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه . فبات الناس يدوكون ليلتهم ، أيهم يعطاها ؟ فلما أصبحوا ، غدوا على رسول الله ﷺ ، كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن ابي طالب ؟ فقيل : هو يشتكي عينيه ، فأرسل إليه ، فأتى به ، فبصق في عينيه ، ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحاتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم [١] قال الشيخ : فيه فضيلة علي رضي الله عنه .

ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ، وهم : طلحة ، والزبير ، وسعد بن ابي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعبدالرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وهو أمين الأمة .

ثم أهل بدر رضي الله عنهم ، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان رضى الله عنهم ، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم .

ويترضى عن أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ المطهرات من كل سوء ، ويعتقد فضلهن على مراتبهن .

ويقول في ـ تلخيصه ـ عن ابن تيمية رحمه الله : له ﷺ على الأمة حق لا يشركهم فيه غيرهم ، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة مالا يستحق سائر قريش ، وقريش

---

[١] أخرجه البخاري ح / ٣٤٩٨ / ٣ / ١٣٥٧

يستحقون مالا يستحق سائر أجناس بني آدم ، على هذا دلت النصوص ، وتفضيل الجملة على الجملة لا يقتضي تفضيل كل فرد ، كالقرن الأول على الثاني ، والثاني على الثالث وأما نفس ترتيب الثواب والعقاب على القرابة ، ومدح الله للمعين وكرامته عنده ، فهذا لا يؤثر فيه النسب وهذا لا ينافي ما ذكرنا قبله ، كما قال ـ الناس معادن ـ إلخ ، فالأرض إذا كان فيها معدن ذهب ومعدن فضية ، فالأول خير ، لأنه مظنه وجود أفضل الأمرين ، فإن تعطل ولم يخرج ذهباً ، كان ما يخرج الفضة أفضل منه ، ولهذا كان في بني هاشم النبي ﷺ الذي لا يماثله أحد في قريش ، وفي قريش الخلفاء وغيرهم مالا نظير له في العرب ، وفي العرب من السابقين الأولين ما لا نظير له في سائر الأجناس فالأصل المعتبر هو الإيمان والتقوى ، دون من ألغى فضيلة الأنساب مطلقاً ، ودون من ظن أن الله مفضل الإنسان بنسبه على من هو مثله في التقوى ، وكلا القولين خطأ هما متقابلان ، فالفضل بالنسب للمظنه والسبب وبالتقوى لليقين والتحقيق والغاية ، فالأول سبب وعلامة والثاني يفضل به ، لأنه تحقيق وغاية ، والثواب يقع على هذا ، لأن الحقيقة قد وجدت ، فلم يعلق الحيكم بالمظنه ، ولأن الله يعلم الأشياء على ما هي عليه ، ولهذا كان رضى الله عن السابقين أفضل من الصلاة على آل محمد ، لأن الأول إخبار بما حصل ، والثاني سؤال ما لم يحصل ، ومحمد أخبر الله تعالى أنه يصلى عليه وملائكته ، فالفضيلة بنوع لا يستلزم الأفضلية مطلقاً ، ولهذا كان في الأغنياء من هو أفضل من جمهور الفقراء .

وعلى العموم ، فالشيخ يعتقد في الآل والأصحاب ومن تبعهم بإحسان ما ورد به الكتاب والسنة ، والأصل المعتبر هو الإيمان والتقوى ، فيؤمن بفضائل الصحابة الوراده وشمائلهم المروية ، وعمق عملهم عل مراتبهم ، ويترضى على كل واحد منهم لأنه صحابي من صحابة رسول الله ﷺ ، ويرفض مسلك الرافضة في الصحابة ، لما في قصة

الحديبية ، فلقد ذكر الله رسوله وحزبه ومدحهم بأحسن المدح فقال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[1] .

قال الشيخ : والرافضه تصفهم بضده .

ويرفض مسلك الخوارج أيضاً ، وتبرأ منهم ، يقول رحمه الله في وقعة الجمل : إن مقصود الصحابة الإصلاح بين الناس ، وإجماع الكلمة ، ولكن ، كان في العسكرين ناس من الخوارج ، فخافوا من تمالؤ العسكرين عليهم ، فتحيل الخوارج حتى أثاروا الحرب بينهما من غير رأي ، فكانت وقعة الجمل المشهورة .

وقال في الحكمين بين علي ومعاوية رضى الله عنهما ـ لم يتفق الحكمان على شئ ـ.

وقال الشيخ في الحسن لما ترك الأمر لمعاوية مراعاة لمصلحة المسلمين : لقد جرى مصداق ما صح عن رسول الله ﷺ ، أنه قال في الحسن : إن بني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به فئتين عظيمتين من المسلمين [2] .

ثم أورد الشيخ ما صح عن النبي ﷺ أنه قال في الخوارج : يخرجون على حين فرقة بين الناس تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق [3] .

وأورد الشيخ : فحصل بمجموع ما ذكرنا أن الصواب مع سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد وأكثر الصحابة الذين قعدوا واعتزلوا الطائفتين وأن على بن

---

[1] سورة الفتح : ٢٩

[2] أخرجه البخاري ح / ٣٥٣٦ / ٣ / ١٣٦٩

[3] أخرجه البخاري ح / ٣٤١٤ / ٣ / ١٣٢١ ، ومسلم ح / ١٠٦٤ / ٢ / ٧٤٦

أبي طالب وأصحابه أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه ، وأن الفريقين كلهم لم يخرجوا من الإيمان وأن الذين خرجوا من الإيمان إنما هم من أهل النهروان .

ثم قال الشيخ : وأجمع أهل السنة على السكوت عما شجر بين الصحابة رضى الله عنهم ولا يقال فيهم إلا الحسنى ، فمن تكلم في معاوية أو غيره من الصحابة فقد خرج عن الإجماع .

والخلاصة : أن الشيخ يتولى أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً ويذكر محاسنهم ، ويترضى عنهم ويستغفر لهم ويكف عن مساوئهم ويسكت عما شجر بينهم ويعتقد فضلهم عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[١] .

ويقول الشيخ في ـ تلخيصه ـ عن ابن تيمية رحمه الله : إذا تكلم فيمن دون الصحابة ، كالملوك المختلفين وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل ، فإن العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال ، والظلم محرم مطلقاً لا يباح بحال ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْ ﴾[٢] ، وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار ، وهو بغض مأمور به فإذا كان هذا قد نهى صاحبه أن يظلم من أبغظه ، فكيف في بغض مسلم بتأول أو شبهة أو هوى ؟ والعدل مما اتفق أهل الأرض على مدحه والظلم مما اتفقوا على ذمه .

---

[١] سورة الحشر : ١٠

[٢] سورة المائدة : ٨

والله أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط وأخبر أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وأمر بتقواه بقدر الاستطاعة ودعا المؤمنون بقوله :﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[1] .

فقال : قد فعلت . فدلت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها وأن المخطئ والناسي لا يؤاخذه .

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴾[2] .

فمن آذى مؤمناً حياً أو ميتاً بغير ذنب يوجب ذلك دخل في الآية ، ومن كان مجتهداً لا إثم عليه ، فآذاه مؤذ ، فقد آذاه بغير ما اكتسب ، ومن أذنب وتاب أو غفر له بسبب آخر ، فآذاه مؤذ فقد آذاه بغير ما اكتسب .

ويقر الشيخ بكرامات الأولياء والصالحين ، ومالهم من المكاشفات ، وهم على صلاحهم رضى الله عنهم ، وهم كما قال الله فيهم : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3] . إلى أنهم لا يستحقون من حق الله شيئاً ولا يطلب منهم مالا يقدر عليه إلا الله ، وهم بريئون ممن أشرك بالله كبراءه عيسى من النصارى ، وموسى من اليهود ، وعلي من الرافضة ، وكذلك عبدالقادر الجيلاني رحمه من أتباع الشيطان الذين ينتسبون إليه ويتسمون بالفقراء الجيلانية .

ثم بين الشيخ أن هؤلاء الذين يزعمون حب الصالحين ، وهم يخالفونهم ويشركونهم مع الله في الدعاء والنذر والذبح وغير ذلك من العبادة التي لا تصلح إلا الله ، أن هؤلاء في الحقيقة أعداء الصالحين ، أما من هداه الله فلم يدع إلا الله ، فهو والله الذي

---

(1) سورة البقرة : ٢٨٦
(2) سورة الأحزاب : ٥٨
(3) سورة يونس : ٦٢

يحبهم ، لأن من أحب قوماً أطاعهم ، فمن أحب الصالحين حقيقة يطيعهم ، فلا يعتقد إلا في الله كما في طريقتهم .

ويقول الشيخ في استنباطاته من قصة آدم وإبليس في خوارق العادة وما هو منها كرامة وغير كرامة : إنه لا ينبغي للمؤمنين أن يغتر بخوارق العادة إذا لم يكن مع صحابها استقامة على أمر الله ، فإن اللعين أنظره الله تعالى ، ولم يكن ذلك إلا إهانة له وشقاء له وحكمة بالغة يعلمها الحكيم الخبير ، فينبغي للمؤمن أن يميز بين الكرامات وغيرها ، ويعلم أن الكرامة هي لزوم الاستقامة ، ومن ذلك يعلم أن الأمور التي يحرص عليها أهل الدنيا قد تكون عقوبة ومحنة والجاهل يظنها نعمة مثل المال والجاه وطول العمر ، فإن الله أعطى اللعين من النظرة ما أعطاه ، وكذلك الفاجر قد يعطيه الله سبحانه كثيراً من القوى والإدراكات في العلوم والأعمال ، حتى في صحة الفراسة فصدق الله فراسته في قوله : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] .

فإن قيل : في الحديث : أتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله [٢] فلا يناقض ما ذكرناه ، بل يدل على المؤمن أتم في هذه الخصلة من غيره وأصدق ، كما كان في العلم والإيمان والأعمال والحلم والصبر وغير ذلك ، ولو كان للفجار شئ من ذلك .

وبذلك القول في الفصل في عطاء الدنيا بعد أن ذكر خطأ كثير من الناس في نظره إلى ذلك ، فقال : بعضهم يظن أن هذا كله نقص أو مذموم ، وأن التجرد من المال مطلقاً هو الصواب ، وبعض يظن أن عطاء الدنيا يدل على رضى الله ، وكلاهما على غير

---

[١] سورة سبأ : ٢٠

[٢] رواه الترمذي في سننه ، أيوب تفسير القرآن ، من سورة الحجر ، رواه الطبراني ، راجع تخريجه في كشف الخفاء ومذيل الإلباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، الجزء ١ ، ص ٤١ ـ ٤٢

الصواب ، وذلك أن من أنعم الله عليه بولاية أو مال فجعلها طريقاً إلى طاعة الله فهو ممدوح ، وهو أحد الرجلين الذين يغبطهما المؤمنين ، وأن كان غير هذا ، فلا . فإن العطاء ما أغنى أصحاب الحجر .

قال تعالى : ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۝ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[1] .

ما أغنى عنهم ذلك وقت البلاء كما أغنت الأعمال الصالحة عن أهلها برحمة الله تعالى .

ولا يشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ ولكنه يرجو للمحسن ، ويخاف عل المسئ ، ولا يكفر أحداً من المسلمين بذنب ، ولا يخرجه من دائرة الإسلام .

ويرى أن الفرقة الناجية وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية وهم وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية وهم وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج .

ويرى الجهاد ماضياً مع كل إمام براً كان أو فاجراً ، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة ، والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال ، ولا يبطله جور جائر ولا عدل عادل .

---

[1] سورة الحجر : ٨٢ - ٨٤

ويرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ، ما لم يأمروا بمعصية الله ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة ، وجبت طاعته وحرم الخروج عليه .

ويقول الشيخ في ـ تلخيصه ـ عن ابن تيمية : مذهب أهل السنة أن الأمراء الظلمة مشاركون فيما يحتاج إليهم فيه من طاعة الله ، فيصلى خلفهم ، ويجاهد معهم ، ويستعان بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن حكم منهم بعدل ، نفذ حكمه ، وأن أمكن تولية بر ، لم يجز تولية فاجر ، فيجتهدون في الطاعة بحسب الإمكان كما قال الله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[1] .

ويعلمون أن الله بعث محمد ﷺ بصلاح العباد ، فإذا اجتمع صلاح وفساد ، رجحوا الراجح منهما ، وقل من خرج على سلطان ، إلا إذا كان ما تولد عن فعله من الشر أعظم من الخير فلا أقاموا ديناً ، ولا أبقوا دنيا ، وأن كان فيهم خلق من أهل العلم والدين ، وهذا مما يبين ما أمر به ﷺ من الصبر على وجور الأئمة وهو الأصلح ، فالشارع أمر كلاً بما هو أصلح له وللمسلمين ، فأمر الولاة بالعدل والنصح لرعيتهم ، وأمر بالصبر على استيثارهم ، وعدم منازعتهم الأمر ، والفتن في كل زمان بحسب رجاله ، والفتنة تمنع معرفة الحق وقصده والقدرة عليه ، ففيهما من الشبهات ما يلبس الحق بالباطل ، حتى لا يتميز لكثير من الناس ، ومن الشهوات ما يمنع قصد الحق ، ومن قوة الشر ما يضعف القدرة على الخير ، ولهذا يقال : ـ فتنه عمياء صما ـ .

ويرى أن الإمام نائب عن المسلمين يتصرف في مصالحهم وقيام الدين ، فإن تعين للدفع عن الإسلام والذب عن حوزته استجلاب أعداء الإسلام إليه ليأمن شرهم ، ساغ ذلك

---

[1] سورة التغابن : ١٦

بل تعين ، ومبنى الشريعة باحتمال أدنى المفسدتين لدفع أعلاهما ، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما ، بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين .

ويرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا ، ويحكم عليهم بالظاهر ، وبكل سرائرهم إلى الله ، ويعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة ، ويرى خلع جميع البدع ، لأن الله سبحانه وتعالى أخبر بأنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسول الله ﷺ ، وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا ، وترك البدع والتفرق والأختلاف فقال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [6] .

---

(١) سورة المائدة : ٣
(٢) سورة الأعراف : ٣
(٣) سورة آل عمران : ٣١
(٤) سورة يوسف : ١٠٨
(٥) سورة الأنعام : ١٥٣
(٦) سورة الحشر : ٧

ويرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة .

ويؤمن بكل ما أخبر به النبي ﷺ من أخبار الفتن والحوادث وأشراط الساعة ، وما جاء في المهدى ، وخروج الدجال ، ونزول عيسى ، وأنه لا يزال حياً وسكنى المدينة وعمارتها ، وخروج الدابة ، ونحو ذلك وقد ألف الشيخ في ذلك كتاباً بعنوان ــ هذه أحاديث في الفتن والحوادث التي أخبر النبي ﷺ أنها ستكون بعده ــ][1] .

الإيمان باليوم الآخر :

وهو الأصل الخامس من أصول الإيمان ، لايصح إيمان عبداً إلاّ بالإيمان بهذا الأصل ، ومنهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب بينه الشيخ صالح العبود بقوله :

[والشيخ يؤمن بالبعث بعد الموت وبإعادة الأوراح إلى الأجساد ، وقيام الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلاً يوم تأتي الساعة كمال قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2] .

وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾[3] .

قال الشيخ ما مضمونه : فيها ذكر الإيمان باليوم الآخر بعد ذكر الإيمان بالله تعالى ، مما يبين أنه عله للأيمان بالله ، فمن لم يؤمن باليوم الآخر ، لا يؤمن بالله تعالى ، ولا يؤمن بلقائه يوم القيامة .

---

[1] عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ، صالح العبود ، ج ١ ، ص ٤٢٢ ـ ٤٥٨
[2] سورة الحجر : ٨٥ - ٨٦
[3] سورة طه : ١٥ - ١٦

ويقول الشيخ في صدر سورة هود : فيه من العلوم علم الإيمان باليوم الآخر ، وذكر أنه إلى الله المرجع ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(١) .

يقول الشيخ : فيها ذكر الجنة والنار ، وذكر العرض على الله وكلام الأشهاد ، وأن افتراء الكفار ضل عنهم ، وكانوا هم الأخسرون في الأخرة .

وفي قول الله تعالى : ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾(٢) .

قال الشيخ : فيها تعظيم ذلك اليوم وذكر الأمر الهائل في كل نفس ، ونفى الظلم ولو عن الإشرار .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾(٣) .

قال الشيخ : فيها الإيمان باليوم الأخر ، والوعظ بذلك عن الطغيان ، وتسلية المطغي عليه بذلك ، وكونه إلى رب محمد ﷺ ، ففيه الجزاء على الأعمال .

ويقول الشيخ : والناس إذا ماتوا يبعثون ، والدليل قوله تعالى : ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾(٥) .

---

(١) سورة هود : ٧
(٢) سورة النحل : ١١١
(٣) سورة العلق : ٨
(٤) سورة طه : ٥٥
(٥) سورة نوح : ١٧ - ١٨

وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم ، والدليل قوله تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَٰـٔوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾(١).

ومن كذب بالبعث ، كفر والدليل قوله تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(٢) .

ويقول الشيخ في كلامه على قصة آدم وإبليس : وفي القصة فوائد عظيمة وعبر لمن اعتبر بها منها أن خلق آدم من تراب من أبين الأدلة على المعاد كما استدل عليه سبحانه في غير موضع وعلى قدرته سبحانه وعظمته ورحمته وعقوبته وإنعامه وكرمه وغير ذلك من صفاته التي تدل على البعث .

وفي قول الله تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾(٣) .

قال الشيخ فيها : إن الإعثار عليهم لحكمة ومعرفة المؤمن إذا أعثر عليهم أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ، كما رد الله موسى إلى أمه لتعلم أن وعد الله حق ، فتأمل هذا العلم ما هو ؟ وقوله : ـ وأن الساعة لا ريب فيها ـ أي : لما وقع بينهم النزاع وذلك أن بعض الناس زعم أن البعث للأوراح خاصة ، فأعثر عليهم ليكون دليلاً على بعث الأجساد .

ومن قصة موسى والخضر عليهما السلام يستنبط مسائل في الأصول ، منها الدليل على اليوم الأخر ، لأن من أعظم الأدلة إحياء الموتى في دار الدنيا .

---

(١) سورة النجم : ٣١
(٢) سورة التغابن : ٧
(٣) سورة الكهف : ٢١

ومن دليل المعاد المبدأ كما قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[١] .

قال الشيخ : فيه ذكر المعاد والاستدلال عليه بالمبدأ أي : لا بد أن يخلقكم للبعث كما بدأ خلقكم من نطفه .

ومن الإيمان باليوم الآخر يؤمن الشيخ بما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت ، فيؤمن بفتنه القبر وبعذاب القبر ونعيمه وبإعادة الأرواح إلى الأجساد وحالتها في البرزخ وحالة الأموات ونحو ذلك .

فأما الفتنه ، فالناس يفتنون في قبورهم ، فيقال للرجل : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ .

يقول الشيخ : فمن لم يعرف ربه بمعنى معبوده ودينه ورسوله الذي أرسله الله إليه بدلائله في الدنيا ، ولم يعمل به سئل عنه في القبر ، فلم يعرفه ومن لم يعرفه في القبر ، ضربته الملائكة بمرزبه من حديد لو اجتمع عليها الجن والأنس ، ما أطاقوا حملها ومن عرفه بدليله وعمل به في الدنيا ومات عليه ، سئل في القبر ، فيجيب بالحق فأنه ذكر في الحديث : أن العبد المؤمن أو الموقن إذا وضع في قبره سألته الملائكه عن ربه وعن دينه وعن نبيه ؟ فيقول : ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبي محمد ، جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا وصدقنا واتبعنا فيقال له : نم صالحاً ، قد علمنا أنك مؤمن [٢] ، وأعظم البينات الذي جاء به الرسول كتاب الله ، كمال قال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٣] .

---

[١] سورة الأعراف : ٢٩

[٢] أخرجه البخاري ح / ٨٦ / ١ / ٤٤

[٣] سورة البقرة : ٢٣

وأما المنافق والمرتاب ، إذا سئل عن ذلك يقول : هاه ، لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ، فتعذبه الملائكة ، وقد ألف الشيخ كتاب ـ أحكام تمني الموت ـ جمع فيه أحاديث عن الرسول ﷺ ، وآثاراً عن السلف الصالح ، تناول أموراً تتعلق بالموت والقبر وحالة الأوراح المقبوضة في البرزخ ويعتبر هذا المؤلف موسوعة في ماورد في هذه الأمور ، وقد استغرق (٧٨) صفحة .

ويؤمن الشيخ بالحساب ، وأن الحساب متوقف على الرسالة وأنه عام حتى المرسلين ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾[1].

قال الشيخ : وفي ذلك أن الله يقص عليهم ما فعلوا بعلمه ، وأنه شهيد على الجزئيات .

كما يؤمن الشيخ بالميزان ، وأنه الحق ، وأن له كفتين ، وأن الفلاح بسبب ثقله ، والخسارة بسبب خفته ، وأن سبب الخفة الظلم بآيات الله تعالى ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[2] .

ويؤمن بالحوض المورود .

وأن الناس يرون أعمالهم كلها يوم القيامة ، بدليل قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[3] .

---

(١) سورة الأعراف : ٦ - ٧

(٢) سورة الأعراف : ٨ - ٩

(٣) سورة الزلزلة : ٧ - ٨

وقد أشار الشيخ إلى أن هذه الآية ـ الآية الجامعة الفاذة ـ .

ويقر الشيخ أن الجزاء من جنس العمل ، وأن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها .

ومن مشاهد القيامة في قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾[١] .

يقول الشيخ : فيها صعق أهل السماوات والأرض إلا من استثنى الله ، وفيها النفخة الثانية ، فإذا هم قيام ينظرون ، ويلاحظ ـ إذا ـ الفجائية ، وفيها إتيان الرب سبحانه ، وإشراق الأرض بنوره ، وإضافة الأرض إليه ، ووضع الكتاب ، والإتيان بالنبيين والشهداء ، والقضاء بينهم بالحق ، وتوفية كل نفس عملها ، وبيان أنه لا يقع في الخصومات شيء مما وقع في الدنيا ، لكونه سبحانه وتعالى أعلم .

وفي شأن الجنة والنار يؤمن الشيخ بهما ، وأنهما موجودتان الآن ، وأن للإيمان بهما فضل عظيم ، وأن الدور ثلاث : فدار أخلصت للطيب ، ودار أخلصت للخبيث ، ودار امتزج فيها الخبيث بالطيب ، وهي هذه الدار الدنيا ، فإذا كان يوم المعاد ، ميز الله الخبيث من الطيب ، فجعل الطيب بحذافيره في الجنة ، وجعل الخبيث بحذافيره في النار ، فعاد الأمر إلى دارين فقط .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢] .

---

[١] سورة الزمر : ٦٨ - ٧٠

[٢] سورة الزمر : ٧١ - ٧٥

قال الشيخ : فيها سياقة الكفار وكونهم زمراً ، وفتح أبوابها وقت مجيئهم ، وتقريع الخزنة لهم ، وكون كل رسول يتلو الآيات وينذر بذلك اليوم ، وكون الرسالة عمت ، واعترافهم ، وأن الذي منعهم كون كلمة العذاب حقت على من كفر ، وقول الخزنة : أدخلوها خالدين ، وبيان أن التكبر سبب الكفر ، وفيها سوق أهل الجنة وكونهم زمراً ، وفتح الأبواب لهم ، وتسليم الملائكة ، وقولهم : طبتم فأدخلوها خالدين ، وقولهم : الحمد لله .. الخ ، حمدوه على صدق الوعد ، وعلى أنه أورثهم الأرض يتبؤون منها حيث شاؤوا ، وإثبات دخولها بالعمل ،وأنها أجر العاملين ، ورؤية الملائكة حافين من حول العرش ، والقضاء بالحق ، وقول الخلائق كلهم : الحمد لله رب العالمين .

وبالجملة ، فإن الشيخ يؤمن بكل ما أخبر النبي ﷺ به مما يكون بعد الموت ، فيؤمن بفتنة القبر ونعيمه ، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد ، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلاً ، وتدنو منهم الشمس ، وتنصب الموازين ، وتوزن بها أعمال العباد ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه ، فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ، وتنشر الدواوين ، فآخذ كتابه بيمينه ، وآخذ كتابه بشماله ، ويؤمن بحوض نبينا محمد ﷺ بعرصة القيامة ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، ويؤمن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم ، ويؤمن بشفاعة النبي ﷺ ، وأنه أول شافع ، وأول مشفع ، ويؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنهما اليوم موجودتان ، وأنهما لا يفنيان ، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته][1] .

---

(1) عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ، صالح العبود ، ج ١ ، ص ٤٥٩ ـ ٤٦٨

الإيمان بالقدر :

وهو الأصل السادس من أصول الإيمان ، ومنهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب بينه الشيخ صالح العبود بقوله :

[يقول الشيخ : وأؤمن بأن الله فعال لما يريد ، ولا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره ، ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور.

والصبر على أقدار الله من الإيمان بالله ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١] .

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم .

ويذكر الشيخ كيفية الإيمان بالقدر ، وهي أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطئك لم يكن ليصيبك ، وأن الإيمان بذلك فرض ، ولا يجد أحد طعم الإيمان ، ولن يبلغ حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، ومن لم يؤمن به ، أحرقه الله بالنار ولو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ، ثم أنفقه في سبيل الله ، ما قبل الله منه ، حتى يؤمن بالقدر ، بدليل قول النبي ﷺ : الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره [٢] وأن رسول الله ﷺ ، تبرأ ممن لم يؤمن به ، أخذاً من حديث عبادة بن الصامت ، أنه قال لابنه : يا بني : إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : أكتب فقال : رب وماذا

---

[١] سورة التغابن : ١١

[٢] أخرجه البخاري ح / ٥٠ / ١ / ٢٧ ، ومسلم ح / ٨ / ١ / ٣٦

أكتب ؟ قال : أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة . يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من مات على غير هذا فليس مني [١] .

وفي كتاب أصول الإيمان للشيخ بعد أن ذكر باب الإيمان بالله ومعرفته أردفه مباشرة بالإيمان بالقدر قبل ذكر الملائكة والرسل والكتب ، مما يشير إلى أن القدر من شأن الله تعالى ومن صفته ، ولأن الإيمان بالقدر من حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى .

يذكر الشيخ في كتاب الإيمان أدلة القدر من القرآن الكريم ، مثل قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[٥] .

ويذكر أدلته أيضاً من السنة المطهرة ، مثل : قوله في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء [٦] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة . قالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال : أعملوا ، فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فييسر

---

(١) أخرجه أبو داود ح / ٤٧٠٠ / ٤ / ٢٢٥
(٢) سورة الأنبياء : ١٠١
(٣) سورة الأحزاب : ٣٨
(٤) سورة الصافات : ٩٦
(٥) سورة القمر : ٤٩
(٦) أخرجه مسلم ح / ٢٦٥٣ / ٤ / ٢٠٤٤

لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة ، فييسر لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[1] ، [2] .

ومثل حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات ، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار ، فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة ، فيدخلها [3] متفق عليه .

ومثل حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : كل شيء بقدر ، حتى العجز والكيس [4] رواه مسلم .

وعن قتادة في قوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾[5] .

قال : يقضى فيها ما يكون في السنة إلى مثلها ، رواه عبدالرزاق وابن جرير ، وقد روي ذلك عن ابن عباس والحسن وأبي عبدالرحمن السلمي وسعيد بن جبير ومقاتل .

وفيما يروى عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[6] .

---

(1) سورة الليل : ٥ - ٧

(2) أخرجه البخاري ح / ٤٦٦٦ / ٤ / ١٨٩١

(3) أخرجه البخاري ح / ٣٠٣٦ / ٣ / ١١٧٤ ، ومسلم ح / ٢٦٤٣ / ٤ / ٢٠٣٦

(4) أخرجه مسلم ح / ٢٦٥٥ / ٤ / ٢٠٤٥

(5) سورة القدر : ٤

(6) سورة الرحمن : ٢٩

قال : يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء . رواه عبدالرزاق وابن المنذر والطبراني والحاكم .

ثم نقل الشيخ كلام ابن القيم لما ذكر هذه الأحاديث وما في معناها ، ومحصله أن الأدلة دلت على تقدير يومي ، وتقدير حولي ، وتقدير عمري ، عند تعلق الروح ، وعند أول خليقه ، وتقدير سابق على وجوده ، لكن بعد خلق السماوات والأرض ، وتقدير سابق على خلق السماوات والأرض ألف سنة ، وكل واحدة من هذه المقادير كالتفصيل من التقدير السابق .

وينقل الشيخ تفصيلاً لقدر الله السابق ، فيقول ما حاصله : وتقدير الله السابق هو ثبوت الشيء في العلم والتقدير ، وليس ثبوت عينه في الخارج ، بل العالم يعلم الشيء ويكتبه ويتكلم به ، وليس لذاته في الخارج وجود ، وهذا العلم والكتاب هو الذي ينكره القدرية الذي كفرهم الأئمة حين ناظروهم بالعلم فجحدوه ، أما من أقر به فقد خصم ، وقد بينه الكتاب والسنة ، وأداب النبي ﷺ عن السؤال الوارد عليه ، وهو أنترك العمل لأجله ؟ فقال : اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له [1]][2] .

من مباحث الإيمان :

وهناك مباحث أخرى للإيمان بين الشيخ صالح العبود منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيها بقوله :

[ويعتقد الشيخ أن حقيقة الإيمان هو التصديق ، وأنه قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان ، كما قال الحسن البصري : ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ، ولكن ما

---

[1] أخرجه البخاري ح / ٤٦٦٦ / ٤ / ١٨٩١

[2] عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، صالح العبود ، ج ١ ، ص ٤٦٨ ـ ٤٧٤

وقر في القلوب ، وصدقته الأعمال . وأن الأعمال من الإيمان ، والإيمان بضع وسبعون شعبة : أعلاها شهادة لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق .

ويقول الشيخ : إن الله سبحانه قد أمرنا أن نقول : آمنا ، كما قال تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[1] .

قال الشيخ : وليس هذا من إظهار العمل الذي إخفاءه أفضل ، وفي ذلك الإيمان بجميع المنزل ، وعدم التفريق بين الرسل ، والتصريح بالإسلام ، والتصريح بإخلاص ذلك لله ، وليس هذا من الثناء على النفس ، بل من بيان الذي أنت عليه ، ولهذا قال بعض السلف : ينبغي لكل أحد أن يُعلّم هذه الآية أهل بيته وخدمه .

وأن قول الله تعالى : ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ ﴾[2] .

بعد قوله تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾[3] .

فيه التصريح أن الإيمان هو العمل .

وأجاب الشيخ عن سؤال حول أبيات تضمنت خمس مسائل من مسائل العقيدة التي يسمونها أصول الدين ، هي : ما هو أول واجب ؟ وهل يكتفي في مسائل الأصول بالتقليد أو غلبة الظن أو لأبد من اليقين ؟ وهل يشترط في الواجب النطق بالشهادتين أو يصير مسلماً بالمعرفة ؟ وهل الإيمان قول باللسان من غير عقيدة بالقلب ؟ وهل الأعمال من الإيمان يزيد وينقص بها ؟ .

---

(١) سورة البقرة : ١٣٦

(٢) سورة البقرة : ١٣٧

(٣) سورة البقرة : ١٣٦

وفيما يلي السؤال والجواب :

سئل الشيخ عن معنى هذه الأبيات :

أول واجب على الإنسـان　　　مـعـرفة الإلـه بـاستيقـان

فأجاب : تمام الكلام يعين على فهم معناه :

أول واجب على الإنسـان　　　مـعـرفة الإلـه بـاستيقـان

والنطق بالشهادتين اعتبرا　　　لصحة الإيمان ممن قدرا

إن صدق القلب وبالأعمال　　　يكون ذا نقص وذا إكمال

فذكر في هذا الكلام خمس مسائل من مسائل العقائد التي يسمونها أصول الدين :

الأولى : أختلف في أول الواجب : فقيل : النظر ، وقيل : القصد إلى النظر ، وقيل : المعرفة .

الثانية : هل يكتفي في مسائل الأصول بالتقليد أو غلبة الظن أو لابد من اليقين ؟ فذكر أن الواجب في معرفة الله هو اليقين .

الثالثة : هل يشترط في الواجب النطق بالشهادتين أو يصير بالمعرفة ؟ فذكر أنه لا يصير مسلماً إلا بالنطق للقادر عليه ، والمخالف في ذلك جهم ومن تبعه ، وقد أفتى الإمام أحمد وغيره من السلف بكفر من قال : أنه يصير مسلماً بالمعرفة ، وتفرع على هذه المسائل مسائل ، منها : من دعي إلى الصلاة فأبى مع الإقرار بوجوبها ، هل يقتل كفراً أم حداً ؟ .

الرابعة : أن ابن كرام وأتباعه يقولون : أن الإيمان قول باللسان من غير عقيدة القلب ، مع أنهم يوافقون أهل السنة أنه مخلد في النار ، فذكر أنه لابد مع النطق بتصديق القلب .

الخامسة : المسألة المشهورة : هل الأعمال من الإيمان ويزيد وينقص بها أم ليست من الإيمان ؟ والمخالف في ذلك أبو حنيفة ومن تبعه ، الذي يسمون مرجئة الفقهاء ، فرجح الناظم مذهب السلف : أن الأعمال من الإيمان ، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

إذا ثبت هذا ، فكل هذه المسائل واضحة ، إلا المسألة الأولى المسؤول عنها ، وهي معرفة الإله ، ما هي ؟ فينبغي التفطن لهذه ، فإنها أصل الدين ، وهي الفارقة بين المسلم والكافر ، وبيان ذلك أنه ليس المراد معرفة الإله الإجمالية ، يعني : معرفة الإنسان أن له خالقاً ، فإنها ضرورية فطرية، بل معرفة الإله ، هل هذا مختص بالله لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، أو لغيره قسط منه ؟ فأما المسلمون أتباع الأنبياء فإجماعهم على أنه مختص ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [١] .

والكافرون يزعمون أنه هو الإله الأكبر ، ولكن معه آلهة أخرى ، تشفع عنده ، وهذا باطل .

وفي تفاوت الإيمان ومراتبه وعلو إيمان بعض المؤمنين على بعض ، يقول الشيخ في جوابه عن سؤال استفتي به : وأما قوله : رب أرني كيف تحي الموتى ، فمن أعظم الأدلة على تفاوت الإيمان ومراتبه ، حتى الأنبياء ، فهذا طلب الطمأنينة ، فكيف بغيره ، ولذلك قال رسول الله ﷺ في الصحيح : نحن أحق بالشك من إبراهيم [٢] .

وأما قوله في كلام البقرة والذيب : آمنت به أنا وأبو بكر وعمر . وليسا في ذلك المكان فكان هذا الإيمان بالغيب المخالف للمشاهدة ، وذلك أن الناس يشاهدون البهائم

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٥

(٢) أخرجه البخاري ح / ٣١٩٢ / ٣ / ١٢٣٣ ، ومسلم ح / ١٥١ / ١ / ١٣٣

لا تتكلم ، فما أخبر النبي ﷺ أن هذا جرى فيما مضى ، تعجبوا من ذلك ، مع إيمانهم ، فقال : آمنت به أنا وأبو بكر وعمر [١] . فلما ذكرهما لهذا المقام العظيم الذي طلب إبراهيم في مثله العيان ليطمئن قلبه مع كونهما ليسا في المجلس ، دل ذلك على أن إيمانهما أعلى من إيمان غيرهما ، خصوصاً لما قرنهما بإيمانه ﷺ .

ويعتقد الشيخ أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها ، للحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أنس : قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار [٢] .

وفي رواية : لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى ... إلى آخره .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : من أحب في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله، وعادى في الله ، فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان ، وإن كثرت صلاته وصومه ، حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس في أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً [٣] . رواه ابن جرير .

وقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾[٤] .

قال : المودة .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المزارعه ، باب أستخدام البقر للحراثه .
(٢) أخرجه البخاري ح / ١٦ / ١ / ١٤ ، ومسلم ح / ٤٣ / ١ / ٦٦
(٣) قال في مجمع الزوائد ، رواه الطبراني في الكبير وفيه ليث من يسلم والأكثر على ضعفه ١/٩٠
(٤) سورة البقرة : ١٦٦

قال الشيخ : فيه أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها ، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها .

ويفسر الإيمان والتقوى في قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾[1] .

فيقول : الإيمان يدخل فيه الدين كله ، وأيضاً يدخل كله في التقوى ، وأما إذا فرق بينهما كما هنا ، فالإيمان الأمور الباطنة ، والتقوى الأمور الظاهرة ، وإذا قلت : الإيمان فعل الواجبات ، والتقوى ترك المحرمات ، فقد أصبت .

ثم يذكر أن تفسير التقوى جاء في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[2] .

وأن هذا أحسن ما فسرت به ، فالمتقي يأتي بالصدق إن كان مخبراً ، ويصدق بالصدق إن كان سامعاً ، وهذا هو الإحسان ، كما تبين بالآية ، بعده : ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3] .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[4] .

الجمع بين التقوى والإيمان ، ومعرفة الفرق بينهما ، وأن من جمع بينهما فهو من المحسنين ، لقوله تعالى :﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[5].

---

(١) سورة يوسف : ٥٧
(٢) سورة الزمر : ٣٣
(٣) سورة الزمر : ٣٤
(٤) سورة يوسف : ٩٠
(٥) سورة يوسف : ٩٠

ويعتقد أن الإيمان بجميع شعبه حق ، وما ناقضه باطل ، فمن آمن الإيمان كله ، ولم يلبس إيمانه بشرك ، كان من أهل الأمن في الآخرة والاهتداء في الدنيا ، لقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[1] .

ويدخل الإسلام في الإيمان ، فإذا أفرد كقوله في الجنة : ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ ﴾[2] ، فيدخل فيه الإسلام ، وإذا ذكر الإسلام والإيمان ، كقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾[3].

فالإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان في القلب ، والإيمان أعلى من الإسلام ، فيخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام ، ولا يخرجه من الإسلام إلى الكفر ، فيخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام الذي ينفعه وإن كان ناقصاً ، كما في آية الحجرات : ﴿ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ﴾[4] ، وحقيقة الأمر أن الإيمان يستلزم الإسلام قطعاً ، وأما الإسلام ، فقد يستلزم الإيمان وقد لا يستلزمه .

ويعتقد الشيخ أن الإيمان بجميع شعبه وأركانه مرتبة عالية من مراتب دين الإسلام ، ودين الإسلام وسط بين طرفين وهدى بين ضلالتين ، وحق بين باطلين ، وإذا لاح واتضح لم يضره كثرة المخالف ، ولا قلة الموافق .

وأن الإيمان يزيد بالطاعة والأعمال الصالحة وينقص بالمعصية ، و هو لا يتجزأ ، ولا يلزم إذا ذهب بعضه أن يذهب كله ، ويخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وفي قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان .

---

(١) سورة الأنعام : ٨٢
(٢) سورة الحديد : ٢١
(٣) سورة الأحزاب : ٣٥
(٤) سورة الحجرات : ١٤

قال الشيخ فيما لخصه عن شيخ الإسلام ابن تيمية : تواترت الأحاديث بخروج من قال : لا إله إلا الله من النار إذا كان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة أو خردلة أو ذرة ، وكثير منهم أو أكثرهم يدخلها ، وتواترت أنه يحرم على النار من قال : لا إله إلا الله ، لكن جاءت مقيدة بالإخلاص واليقين ، ويموت عليها ، فكلها مقيدة بهذه القيود الثقال ، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص واليقين ، ومن لا يعرف ذلك ، يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت ، وغالبهم إنما يقولها تقليداً أو عادة ، وغالب ما يفتن عند الموت أو في القبر أمثال هؤلاء ، كما في الحديث : سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته [١] ، وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد أو اقتداء بأمثالهم ، وهم اقرب الناس من قوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾[٢] .

فلا منافاة بين الأحاديث ، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين ومات عليها ، امتنع أن ترجح سيئاته ، فإن كان قالها على الكمال المانع من الشرك الأصغر والأكبر ، فهو غير مصر على ذنب ، وإن كان على وجه خلص به من الأكبر ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك ، فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات ، فترجح بها الحسنات ، كما في حديث البطاقة ، وهذا خلاف من رجحت سيئاته ، لأنه معه الشرك الأصغر ، وأتى بعد ذلك بسيئات تنضم إلى ذلك الشرك ، فترجح سيئاته ، فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين ، فيضعف قول : لا إله إلا الله ، فيمتنع الإخلاص في القلب ، فيصير المتكلم بها كالهاذي أو النائم أو من يحسن صوته بآية من القرآن من غير ذوق طعم ولا حلاوة ، فالذي قالها بيقين وصدق تام : إما ألا يكون مصراً على سيئة أو يكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته ، والذين دخلوا النار ، فاتهم أحد الشرطين .

---

[١] أخرجه البخاري ح / ٨٦ / ١ / ٤٤ ، ومسلم ح / ٩٠٥ / ٢ / ٦٢٤

[٢] سورة الزخرف : ٢٢

ويرى أن قلب الإنسان يجتمع فيه الضدان ، المعرفة والإنكار ، والعلم والجهل ، والإيمان والكفر ، والحكم للغالب منهما ، فقد يكون في الرجل مادتان ، فأيهما غلبت عليه ، كان من أهلها ، فإن أراد الله بعبده خيراً طهره قبل الموافاة ، فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار ، وحكمته تعالى تأبى أن يجاوره العبد في داره بخبائثه ، فيدخل النار طهرة له ، ولما كان المشرك خبيث الذات ، لم تطهره النار ، كالكلب إذا دخل البحر ، ولما كان المؤمن الطيب بريئاً من الخبائث ، كانت النار حراماً عليه ، إذ ليس فيه ما يقتضي تطهيره ، فسبحان من بهرت حكمته العقول .

ويفرق بين الكفر الأكبر المخرج من الملة والكفر الذي من دونه ولا يخرج من الملة ، وكذلك الشرك ، ويقول : كيف تعجبون من كلامي في رجل من المتأخرين غلط في قوله : يا أكرم الخلق ! ولا تفطنون لمثل قول أنس بن مالك في أهل زمانه : ما أعرف فيهم شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة ، وهذه الصلاة قد ضيعت ؟ هل تظنون هذا المتأخر خيراً وأعلم من أولئك ؟ ولكن هذه الأمور لا علم لكم بها ، وتظنون أن من وصف شركاً أو كفراً ، أنه الكفر الأكبر المخرج عن الملة .

ويعتقد الشيخ أنه لابد من استدامة حال الإيمان حتى يموت عليه ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[١] ، فإن الأعمال بالخواتيم ، والعبرة بكمال النهاية لا نقص البداية ، ونسأل الله حسن الختام][٢].

---

[١] سورة الحجر : ٩٩

[٢] عقيدة محمد بن عبدالوهاب السلفية ، صالح العبود ، ج١ ، ص ٤٧٤ ـ ٤٨٥

المبحث الرابع : مسألة الشفاعة :

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في هذه المسألة :

[وأومن بشفاعة النبي ﷺ ، وأنه أول شافع ، وأول مشفع ، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال ، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ ۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[3] وهو لا يرضى إلاّ التوحيد ، ولا يأذن إلا لأهله ، وأما المشركون ، فليس لهم من الشفاعة نصيب ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[4]][5] .

وإن في إبراز ما جاء في كتاب التوحيد للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وشرحه لحفيده الشيخ سليمان بن عبدالله وحفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن ما يوضح عقيدتهم في الشفاعة ، حيث ورد في شرح الشيخ سليمان بن عبدالله ما نصه :

[لما كان المشركون في قديم الزمان وحديثه إنما وقعوا في الشرك لتعلقهم بأذيال الشفاعة ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[6] وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ

---

(1) سورة الأنبياء : ٢٨
(2) سورة البقرة : ٢٥٥
(3) سورة النجم : ٢٨
(4) سورة المدثر : ٤٨
(5) الدرر السنية ، ج١ ، ص ٣١
(6) سورة يونس : ١٨

أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[١] وكذلك قطع الله أطماع المشركين ، منها وأخبر أنه شرك ، ونزه نفسه عنه ، ونفى أن يكون للخلق من دونه ولي أو شفيع ، كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[٢] ، أراد المصنف في هذا الباب إقامة الحجج على أن ذلك هو عين الشرك وأن الشفاعة التي يظنها من دعا غير الله ليشفع له كما يشفع الوزير عند الملك منتفية دنيا وأخرى ، وإنما الله هو الذي يأذن للشافع ابتداء ، لا يُشَفَّعُ ابتداء كما يظنه أعداء الله . فإن قلت : إذا كان من اتخذ شفيعاً عند الله إنما قصده تعظيم الرب . تعالى وتقدس أن يتوصل إليه إلا بالشفعاء ؟! فلما كان هذا القدر شركاً .

قيل : قصده للتعظيم لا يدل على أن ذلك تعظيم لله تعالى ، فكم من يقصد التعظيم لشخص ينقصه تعظيمه ، ولهذا قيل في المثل المشهور : يضر الصديق الجاهل ولا يضر العدو العاقل ، فإن اتخاذ الشفعاء والأنداد من دون الله هضم لحق الربوبية ، وتنقص للعظمة الإلهية ، وسوء ظن برب العالمين ، كما قال تعالى : ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾[٣] ، فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به ، ولو أحسنوا به الظن لوحدوه حق توحيده ، ولهذا أخبر سبحانه وتعالى عن المشركين إنهم ما قدروه حق قدره ، وكيف يقدره حق قدره من اتخذ من دونه نداً أو شفيعاً يحبه ويخافه ويرجوه ويذل له ويخضع له ويهرب من سخطه ويؤثر مرضاته ويدعوه ويذبح له وينذر ، وهذه هي التسوية التي أثبتها المشركون بين

---

(١) سورة الزمر : ٣

(٢) سورة السجدة : ٤

(٣) سورة الفتح : ٦

الله وبين آلهتهم وعرفوا وهم في النار أنها كانت باطلاً وضلالاً ، فيقولون وهم في النار : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١] ، ومعلوم أنهم ماساووهم به في الذات والصفات والأفعال ولا قالوا إن آلهتكم خلقت السموات والأرض وأنها تحيي وتميت وإنما ساووهم به في المحبة والتعظيم والعبادة ، كما ترى عليه أهل الإشراك ممن ينتسب إلى الإسلام ، وإنما كان ذلك هضماً لحق الربوبية وتنقصاً لعظمة الألهية ، وسوء ظن برب العالمين ، لأن المتخذ للشفعاء والأنداد ، إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلى من يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو معين ، وهذا أعظم التنقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته ، وكل ما سواه فقير إليه بذاته ، وإما أن يظن أن الله سبحانه إنما تتم قدرته بقدرة الشفيع ، وإما أن يظن أنه لا يعلم حتى يعلمه الشفيع ، أو لا يرحم حتى يجعله الشفيع يرحم ، أو لا يكفي وحده ، أو لا يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده كما يشفع عند المخلوق ، أو لا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الشفيع أن يرفع حاجتهم إليه ، كما هو حال ملوك الدنيا ، وهذا أصل شرك الخلق ، أو أن يظن أنه لا يسمع حتى يرفع الشفيع إليه ذلك ، أو يظن أن للشفيع عليه حقاً ، فهو يقسم عليه بحقه ، ويتوسل إليه بذلك الشفيع ، كما يتوسل الناس إلى الأكابر والملوك بمن يعز عليهم ، ولا تمكنهم مخالفته ، وكل هذا تنقص للربوبية وهضم لحقها ، ذكر معناه ابن القيم ، فلهذه الأمور وغيرها أخبر سبحانه وتعالى أن ذلك شرك ، ونزه نفسه عنه فقال : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٢] .

---

[١] سورة الشعراء : ٩٧ - ٩٨

[٢] سورة يونس : ١٨

فإن قلت : إنما حكم سبحانه وتعالى بالشرك على من عبد الشفعاء ، أما من دعاهم للشفاعة فقط ، فهو لم يعبدهم فلا يكون ذلك شركاً .

قيل : مجرد اتخاذ الشفعاء ملزوم للشرك ، والشرك لازم ، كما أن الشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه وتعالى ، والتنقص لازم له ضرورة شاء المشرك أم أبى ، وعلى هذا فالسؤال باطل من أصله لا وجود له في الخارج ، وإنما هو شيء قدره المشركون في أذهانهم ، فإن الدعاء عبادة بل هو مخ العبادة ، فإذا دعاهم للشفاعة فقد عبدهم وأشرك في عبادة الله شاء أم أبى .

قال : وقول الله عز وجل : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾[1] .

والإنذار : هو الإعلام بموضع المخافة : وقوله : به . قال ابن عباس بالقرآن . وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ ، أي أنذر يا محمد بالقرآن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب وهم المؤمنون ، كما روي عن ابن عباس والسدي وعن الفضيل بن عياض : ليس كل خلقه عاتب ، إنما عاتب الذين يعقلون فقال : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أي : وهم المؤمنون أصحاب القلوب الواعية ، فإنهم المقصودون والمنظور إليهم ، لا أصحاب التجمل والسيادة ، فإن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، وقوله : ﴿ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ قال الزجاج : موضع ليس نصب على الحال كأنه قال متخلين من ولي وشفيع والعامل فيه يخافون ، وقال ابن كثير : ليس لهم من دونه يومئذ ولي ولا شفيع من عذابه إن أرادهم به لعلهم يتقون ، فيعملون في هذه

---

[1] سورة الأنعام : ٥١

الدار عملاً ينجيهم الله به من عذابه يوم القيامة ، قلت: فنفى سبحانه وتعالى عن المؤمنين أن يكون لهم ولي أو شفيع من دون الله كما هو دين المشركين ، فمن اتخذ من دون الله شفيعاً فليس من المؤمنين ولا تحصل له الشفاعة ، وليس في الآية دليل على نفي الشفاعة لأهل الكبائر بإذن الله كما ادعته المعتزلة ، بل فيها دليل على نفي اتخاذ الشفعاء من المؤمنين ، وعلى نفيها بغير إذن الله ، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع كما قال : ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [1] .

قال وقوله : ﴿ لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [2].

وهكذا أوردها المصنف ، ونتكلم عليها وعلى الآية التي قبلها ليتضح المعنى ، قال الله تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[3]، فقوله أم اتخذوا ، أي : بل اتخذوا ، أي المشركون والهمزة للإنكار من دون الله شفعاء ، أي أتشفع لهم عند الله بزعمهم كما قال : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[4] وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[5] ، فكذبهم وكفرهم بذلك ، وقال تعالى :

---

[1] سورة يونس : ٣

[2] سورة الزمر : ٤٤

[3] سورة الزمر : ٤٣ - ٤٤

[4] سورة يونس : ١٨

[5] سورة الزمر : ٣

﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾[١] ، فهذا هو مقصود المشركين ممن عبدوهم وهو الشفاعة لهم عند الله .

قوله : من دون الله ، أي من دون إذنه وأمره ، والحال أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، وأن يكون المشفوع له مرتضى ، وههنا الشرطان مفقودان ، فإن الله سبحانه لم يجعل اتخاذ الشفعاء ودعاءهم من دونه سبباً لإذنه ورضاه ، بل ذلك سبب لمنعه وغضبه .

قوله : ﴿ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[٢] أي : أيشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم ، أو أموات كذلك ، حتى لا يملكون الشفاعة كما قال : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ ﴾[٣] أي : هو مالكها كلها فليس لمن تدعونهم منها شيء ، قال البيضاوي : لعله رد لما عسى يجيبون به ، وهو أن الشفعاء أشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى أنه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة إلا بإذنه ، ولا يستقل بها ، وقوله : ﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ﴾[٤] تقرير لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه بأنه مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم في أمره دون إذنه ورضاه ، فاندرج في ذلك ملك الشفاعة ، فإذا كان هو مالكها بطل اتخاذ الشفعاء من دونه كائن من كان ، وقوله : ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي : فتعلمون أنهم لا يشفعون ، ويخيب سعيكم في عبادتهم ، بل يكونون عليكم ضداً ويتبرؤون من عبادتكم كما قال تعالى : ﴿ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾[٥] وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ

---

[١] سورة الأحقاف : ٢٨
[٢] سورة الزمر : ٤٣
[٣] سورة الزمر : ٤٤
[٤] سورة الحديد : ٢
[٥] سورة مريم : ٨٢

جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾[1] .

قال : وقوله : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[2] في هذه الآية رد على المشركين الذين اتخذوا الشفعاء من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام المصورة على صور الصالحين وغيرهم ، وظنوا أنهم يشفعون عنده بغير إذنه فأنكر ذلك عليهم ، وبين عظيم ملكوته وكبريائه وأن أحداً لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له في الكلام كقوله : ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ ﴾[3] وقوله : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[4] قال ابن جرير في هذه الآية ، نزلت لما قال الكفار : ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، فقال الله تعالى : ﴿ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾[5] وتقرر في هذه الآية أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة ، وهم الأنبياء والعلماء وغيرهم ، والإذن راجع إلى الأمر فيما نص عليه محمد ﷺ إذا قيل له : اشفع تشفع ، وكذلك قاله غير واحد من المفسرين .

قال : وقوله : ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾[6] .

---

(1) سورة يونس : ٢٨ - ٢٩

(2) سورة البقرة : ٢٥٥

(3) سورة النبأ : ٣٨

(4) سورة هود : ١٠٥

(5) سورة النساء : ١٧١

(6) سورة النجم : ٢٦

قال أبو حيان : كم خبرية ، ومعناها التكثير ، وهي في موضع رفع بالابتداء والخبر لا تغني ، والغناء جلب النفع ودفع الضرر بحسب الأمر الذي يكون فيه الغنى ، وكم : لفظها مفرد ومعناها : جمع ، وإذا كانت الملائكة المقربون لا تغني شفاعتهم إلا بعد إذن الله ورضاه أن يرضاه أهلاً للشفاعة ، فكيف تشفع الأصنام لمن عبدها ؟ قلت : في هذه الآيات من الرد على من عبد الملائكة والصالحين لشفاعة أو غيرها مالا يخفى ، لأنهم إذا كانوا لا يشفعون إلا بإذن من الله ابتداء ، فلأي معنى يدعون ويعبدون ؟ وأيضاً فإن الله لا يأذن إلا لمن ارتضى قوله وعمله ، وهو الموحد لا المشرك كما قال : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[1] والله لا يرتضي إلا التوحيد كما قال : وقال النبي ﷺ : أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه [2] ، فلم يقل : اسعد الناس بشفاعتي من دعاني فإن قال المشرك : أنا أعلم أنهم لا يشفعون إلا بإذنه لكن أدعوهم ليأذن الله لهم في الشفاعة لي ، قيل : فإن الله لم يجعل الشرك به ودعاء غيره سبباً لإذنه ورضاه ، بل ذلك سبباً لغضبه ، ولهذا نهى عن دعاء غيره في غير آية كقوله : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3] فتبين أن دعاء الصالحين من الملائكة والأنبياء وغيرهم شرك كما كان المشركون الأولون يدعونهم ليشفعوا لهم عند الله ، فأنكر الله عليهم ذلك ، وأخبر أنه لا يرضاه ولا يأمر به كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟

---

(1) سورة طه : ١٠٩
(2) أخرجه البخاري : ح ٩٩/ ١ /٤٩
(3) سورة يونس : ١٠٦
(4) سورة آل عمران : ٨٠

ٱلْعَذَابَ ﴾[1] قال ابن كثير تبرأت منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون أنهم يعبدونهم في الدنيا فتقول الملائكة : تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون . وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾[3] .

روى سعيد بن منصور والبخاري والنسائي وابن جرير عن ابن مسعود في الآية : كان نفر من الأنس يعبدون نفراً من الجن فأسلم نفر من الجن وتمسك الأنسيون بعبادتهم فأنزل الله : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[4] كلاهما بالياء [5].

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية لكان أهل الشرك يعبدون الملائكة والمسيح وعزيرا . وفي رواية عنه عندهما في قوله : ﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ ﴾[6] . قال عيسى وأمه وعزير . وقال تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾[7] إلى قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾[8] قال ابن اسحق لما ذكر قصة ابن الزبعري ومخاصمته لرسول الله ﷺ عند نزول هذه الآية قال : وأنزل الله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا

---

(1) سورة البقرة : ١٦٦
(2) سورة المائدة : ١١٦
(3) سورة الإسراء : ٥٦
(4) سورة الإسراء : ٥٧
(5) أخرجه مسلم : ح ٣٠٣٠ / ٤ / ٢٣٢١ ، والمؤلف نقل ذلك عن ابن كثير ٤٧/٣
(6) سورة الإسراء : ٥٦
(7) سورة الأنبياء : ٩٨
(8) سورة الأنبياء : ١٠١

مُبۡعَدُونَ ﴾[١] أي عيسى وعزير ومن عبد من الأحبار والرهبان الذين مضوا على أمر الله ، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾[٢] .

وروى ابن أبي حاتم عن الزهري قال : أنزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون : لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه [٣]، ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر آلهتنا من السب والشتم والشر ، وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه ما نال أصحابه من أذاهم وتكذيبهم وأحزنه ضلالتهم فكان يتمنى هداهم ، فلما أنزل الله سورة النجم قال : ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾[٤] ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الطواغيت فقال : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجي ، وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته ، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة وذلت بها ألسنتهم وتباشروا بها وقالوا ، إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه ، فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر النجم سجد ، وسجد كل من حضر من مسلم ومشرك [٥]، ففشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة فأنزل الله : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ

---

[١] سورة الأنبياء : ١٠١

[٢] سورة الحج : ٥٢

[٣] نقله المؤلف عن ابن كثير ٢٣٠/٣ ، وأخرجه الطبراني في الكبير ح/٨٣١٦/٩/٣٤

[٤] سورة النجم : ١٩ - ٢٠

[٥] قال في مجمع الزوائد رواه البزار والطبراني ١١٥/٧

ﱡﭐأَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦﱠ[1] ، فلما بين الله قضاءه وبرأه من سجع الشيطان أنقلب المشركون بعداوتهم وضلالتهم للمسلمين واشتدوا عليه ، وهي قصة مشهورة صحيحة رويت عن ابن عباس من طرق بعضها صحيح ، ورويت عن جماعة من التابعين بأسانيد صحيحة منهم عروة وسعيد بن جبير وأبو العالية وأبو بكر بن عبدالرحمن وعكرمة والضحاك وقتادة ومحمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس والسدي وغيرهم وذكرها أيضاً أهل السير وغيرهم وأصلها في الصحيحين والمقصود منها قوله : تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ، فإن الغرانيق هي الملائكة على قول . وعلى آخر الأصنام ولا تنافي بينهما ، فإن المقصود بعبادتهم الأصنام الملائكة و الصالحين كما تقدم عن البيضاوي ، فلما سمع المشركون هذا الكلام والمقتضي بجواز عبادة الملائكة ورجاء شفاعتهم عند الله ظنوا أن رسول الله ﷺ قاله ، فرضوا عنه وسجدوا معه ، وحكموا بأنه قد وافقهم على دينهم من دعاء الملائكة والأصنام للشفاعة حتى طارت الكلمة كل مطار ، وبلغ المهاجرين إلى الحبشة أنهم صالحوا رسول الله ﷺ فعرفت أن الفارق بينهم وبين رسول الله ﷺ هي مسألة الشفاعة لأنهم يقولون نريد من الملائكة والأصنام المصورة على صورهم بزعمهم أن يشفعوا لنا عند الله ، والرسول ﷺ قد أتاهم بإبطال ذلك والنهي عنه ، وتكفير من دان به وتضليلهم وتسفيه عقولهم ولم يرخص لهم في سؤال الشفاعة من الملائكة ولا من الأنبياء ولا الأصنام ، بل أتاهم بقوله تعالى : ﱡﭐقُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖﱠ[2] وقوله : ﱡﭐءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي

---

(1) سورة الحج : ٥٢

(2) سورة الزمر : ٤٤

شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[١] وهذا كثير جداً لمن تبعه ، والمقصود أن المشركين الأولين يدعون الملائكة والصالحين ليشفعوا لهم عند الله كما تشهد به نصوص القرآن وكتب التفسير والسير والآثار طافحة بذلك ، ويكفي العاقل المنصف قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾[٢] .

قال : وقوله : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٣] .

وهذه الآية هي التي قال فيها بعض العلماء : أنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب لمن عقلها . قال ابن القيم في الكلام عليها ، وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعاً قطعاً ، يعلم من تأمله وعرفه أنه من أتخذ من دون الله ولياً فمثله كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع ، والنفع لا يكون إلا ممن يكون فيه خصلة من هذه الأربع : إما مالك لما يريد عابده منه ، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً له كان معينا له وظهيراً ، فإن لم يكن معينا ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده ، فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً منتقلاً إلى ما دونه ، فنفى الملك والشراكة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك ، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بإذنه ، قال : فهو الذي يأذن للشافع ، إن لم يأذن له لم يتقدم في الشفاعة بين يديه كما يكون في حق المخلوقين ، فإن المشفوع عنده يحتاج إلى الشافع ومعاونته له ، فيقبل شفاعته وإن لم

---

[١] سورة يس : ٢٣ - ٢٤

[٢] سورة سبأ : ٤٠ - ٤١

[٣] سورة سبأ : ٢٢

يأذن له فيها ، وأما كل ما سواه فقير إليه بذاته وهو الغني بذاته عن كل ما سواه ، فكيف يشفع عنده أحد بدون إذنه ؟ فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً ونجاة وتجريداً للتوحيد ، وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته ، وتضمنه له ويظنه في نوع ، وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً ، وهذا الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثتهم من هو مثلهم وشر منهم ودونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك ، ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة ، إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية ، وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك ، وما دعا به القرآن وذمه وقع فيه وأقره ، ودعا إليه وصوبه وحسنه ، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه الجاهلية ، أو نظيره أو شر منه أو دونه ، فتنقض بذلك عرى الإسلام ، ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد ، ويبدع بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومفارقة الأهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً ، فالله المستعان ، وقال الله تعالى حاكياً عن أسلاف هؤلاء المشركين ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [١] فهذه حال من أتخذ من دون الله ولياً يزعم أنه يقربه إلى الله تعالى ، وما أعز من يخلص من هذا بل ما أعز من يعادي ما أنكره ، والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله ، وهذا عين الشرك ، وقد أنكره الله عليهم في كتابه ، وأبطله ، وأخبر أن الشفاعة كلها له ، وأنه

---

[١] سورة الزمر : ٣

لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن له الله تعالى أن يشفع له فيه ، ورضي قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء ، فإنه سبحانه وتعالى يأذن في الشفاعة فيهم لمن يشاء ، حيث لم يتخذوهم شفعاء من دونه ، فيكون أسعد الناس بشفاعته من يأذن الله تعالى له ، صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعاً من دون الله ، و الشفاعة التي أثبتها الله تعالى ورسوله ﷺ هي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده والتي نفاها الله تعالى هي الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء ، فيعاملون بنقيض مقصودهم من شفاعتهم ، ويفوز بها الموحدون .

ولكن تأمل الآية كيف أمرهم تعالى بدعاء الملائكة أمر تعجيز ، والمراد بيان أنهم لا يملكون شيئاً فلا يدعون لا لشفاعة ولا غيرها ، ثم أخبر أنهم هم الذين اتخذوهم بزعمهم شفعاء فنسبه إلى زعمهم وأفكهم الذي ابتدعوه من غير برهان ولا حجة من الله ، وهذه الآية نزلت في دعوة الملائكة ،ودخول غيرهم فيها من باب الأولى ، كما روى ابن أبي حاتم عن السدي في قوله : ﴿ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾[1] يقول : من عون من الملائكة . وكما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾[2] كما تقدم ، فإذا كان اتخاذ الملائكة شفعاء من دون الله شركاً ، فكيف باتخاذ الأموات كما يفعله عباد القبور ؟ أم كيف باتخاذ الفجار والفساق إخوان الشياطين من المجاذيب الذين جذبهم إبليس إلى جانبه وطاعته ، شفعاء ؟ وأعظم من ذلك اعتقاد الربوبية في هؤلاء الملاعين مع ما يشاهده أناس منهم من الفجور وأنواع الفسوق ، وترك الصلوات وفعل المنكرات والمشي في الأسواق عراة .

---

(١) سورة سبأ : ٢٢

(٢) سورة سبأ : ٢٣

كما قال بعض المتأخرين :

كقوم عراة في ذرى مصـــــر ما	على عورة منهم هناك ثياب
يدورون فيها كاشفين لعـــــورة	تواتر هذا لا يقال كـذاب
يعدونهم في مصر هم فضلاءهم	دعاؤهم فيما يرون مجاب

ومـن العجـب أنهـم لـم يـأتوا بشـيء يـدل عـلى كـون هـؤلاء الشـياطين مـن جمـلة المسلمين ، فضلاً عن كونهم أولياء ، فضلاً عن كونهم يدعون ويستغاث بهم ، إلا بشيء من المخاريق والسحر والشعبذة ، يدعون أن لهم كرامات ، وأنهم أولياء لما يظهرونه من المخاريق .

وأعلم أن الظلال والكفر إنما استولى على أكثر المتأخرين بسبب نبذهم كتاب الله وراء ظهورهم ، وإحسان الظن بمن سحرهم ، ودعا إلى نفسه ، واقتصارهم على القوانين والدعاوي والأوضاع التي وضعوها لأنفسهم ، وإلا فلو قرؤوا كتاب الله ، علموا بما فيه ورجعوا عند الاختلاف إليه لوجدوا فيه الهدى والشفاء والنور ولكن نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون وتقدم الكلام على بقية الآية .

قال المؤلف : قال أبو العباس : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً لله ، ولم يبق إلا الشفاعة ، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾[1] فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً ، ثم يقال له : أرفع رأسك ، وقل

---

[1] سورة الأنبياء : ٢٨

يسمع ، واسأل تعط ، وأشفع تشفع [١]، وقال أبو هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه [٢] ، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله ، وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص ، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه ، وينال المقام المحمود ، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص .

قوله : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، أي أن الله تعالى نفى في الآية المذكورة قبل ما يتعلق به المشركون من الاعتقاد في غير الله من الملك والشركة فيه والمعاونة والشفاعة ، فهذه الأمور الأربعة في التي يتعلق بها المشركون .

قوله : فنفى أن يكون لغيره ملك ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[٣] ، ومن لا يملك هذا المقدار ليس بأهل أن يدعى .

قوله : أو قسط منه . أي من الملك ، والقسط ـ بكسر القاف ـ هو النصيب من الشيء ، وذلك في قوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾[٤] أي ما لمن تدعون من الملائكة وغيرهم فيها ، أي في السموات والأرض من شرك ومن ليس بمالك ولا شريك للمالك فيكف يدعى من دون الله ؟

---

[١] أخرجه البخاري : ح / ٤٤٣٧ / ٤ / ١٧٤٧ ، ومسلم ح / ١٩٤ / ١ /١٨٤

[٢] أخرجه البخاري : ح / ٩٩ / ١ / ٤٩

[٣] سورة سبأ : ٢٢

[٤] سورة سبأ : ٢٢

قوله : أو أن يكون عوناً لله ، وذلك في قوله : ﴿ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾[1] أي ما لله ممن تدعونهم عوين .

قوله : ولم يبق إلا الشفاعة ، فتبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب ... الخ ، جملة الشروط التي لا بد وأن يكون أحدها في المدعو ، أربعة حتى يقدر على إجابة من دعاه .

الأول : الملك ، فنفاه بقوله : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ .

الثاني : إذا لم يكن مالكاً فيكون شريكاً للمالك ، فنفاه بقوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾ .

الثالث : إذا لم يكن مالكاً ولا شريكاً للمالك فيكون عوناً ووزيراً ، فنفاه بقوله : ﴿ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ .

الرابع : إذا لم يكن مالكاً ولا شريكاً ولا عويناً فيكون شافعاً فنفى سبحانه وتعالى الشفاعة عنده إلا بإذنه ، فهو الذي يأذن للشافع ابتداء فيشفع ، فبنفي هذه الأمور بطلت دعوة غير الله ، إذ ليس عند غيره من النفع والضر ما يوجب قصده بشيء من العبادة ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾[2] قال تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾[4] .

---

(١) سورة سبأ : ٢٢

(٢) سورة الفرقان : ٣

(٣) سورة يس : ٧٤ - ٧٥

(٤) سورة الفرقان : ٥٥

قوله : فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة ، كما نفاها القرآن ، يعني الشفاعة التي يطلبها المشركون من الشفعاء والأنداد من دون الله منتفية دنيا وأخرى ، كما قال تعالى عن مؤمن يس : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ۝ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[1] وقال تعالى : عن مؤمن آل فرعون : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴾[6] فهذه حال كل من دعي من دون الله لشفاعة أو غيرها في الدنيا والآخرة .

قوله : وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه لا يبدأ بالشفاعة أولاً .... إلى آخره ، هذا ثابت في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس وغيره عنه صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة قال : فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى أستأذن على ربي فإذا

---

(١) سورة يس : ٢٣ - ٢٤
(٢) سورة غافر : ٤٣
(٣) سورة الأحقاف : ٢٨
(٤) سورة هود : ١٠١
(٥) سورة الأنعام : ٩٤
(٦) سورة القصص : ٦٤

رايته وقعت له ، أو خررت ساجداً لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم قال : أرفع محمد قل يسمع وأشفع تشفع ، وسل تعطه فأرفع رأسي فأحمد بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أعود إليه ثانية ، فإذا رأيت ربي وقعت له ، أو خررت ساجداً لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول : ارفع محمد ، قل يسمع فتعطه ، واشفع تشفع . فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم اشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أعود ثالثة فإذا رأيت ربي وقعت له ، أو خررت ساجداً لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول : ارفع محمد ، قل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم اشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أعود الرابعة فأقول : يا رب ما بقي إلا من حبسه القرآن ... الحديث ، فبين ﷺ أنه لا يشفع إلا بعد الإذن في الشفاعة وفي المشفوع فيهم ، كمال قال : فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة [1].

قوله : وقال أبو هريرة من أسعد الناس بشفاعتك إلى آخره . هذا الحديث رواه البخاري ومسلم والنسائي عن آبي هريرة قال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ، فقال : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه [2] ، وفي رواية : خالصاً مخلصاً من قلبه أو نفسه [3]، رواه أحمد من طريق آخر ، وصححه ابن حبان ، وفيه : وشفاعتي لمن شهد أن لا إله

---

(1) أخرجه البخاري ح / ٤٤٣٧ / ٤ / ١٧٤٧ ، ومسلم ح / ١٩٤ / ١ / ١٨٤
(2) أخرجه البخاري ح ٩٩ / ١ / ٤٩
(3) أخرجه الإمام أحمد ح / ٢٢١١٣ / ٥ /٢٣٦

إلا الله مخلصاً ، يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه [١]، قال شيخ الإسلام : فجعل أسعد الناس بشفاعته أكملهم إخلاصاً ، وقال في الحديث الصحيح : من سال الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة [٢] ، ولم يقل : كان أسعد الناس بشفاعتي ، فعلم إنما يحصل للعبد بالتوحيد والإخلاص من شفاعة الرسول ﷺ وغيرها ما لا يحصل بغيره من الأعمال بل نهى عنه ، فذلك لا ينال به خير لا في الدنيا ولا في الآخرة ، مثل غلو النصارى في المسيح ، فإنه يضرهم ولا ينفعهم ، ونظير هذا في الصحيح عنه ﷺ أنه قال : لكل نبي دعوة مستجابة ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً [٣] ، وكذلك في أحاديث الشفاعة كلها إنما يشفع في أهل التوحيد ، فبحسب توحيد العبد لربه ، وإخلاصه دينه لله تعالى يستحق كرامة الله بالشفاعة وغيرها ، وقال ابن القيم ما معناه ، تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد ، عكس ما عند المشركين من أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء ، وعبادتهم وموالاتهم من دون الله ، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد ، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع ، ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذه ولياً أو شفيعاً أنه يشفع له ، وينفعه عند الله ، كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع من والاهم ، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحداً إلا بإذنه ، ولايأذن في الشفاعة إلا من رضي قوله وعمله ، كما قال تعالى في الفصل الأول : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[٤] . وفي الفصل الثاني : ﴿ وَلَا

---

[١] أخرجه ابن حبان ح / ٦٤٦٦ / ١٤ / ٣٨٤

[٢] أخرجه البخاري ح / ٥٨٩ / ١ / ٢٢٢ ، ومسلم ح / ٣٨٤ / ١ / ٢٨٨

[٣] أخرجه مسلم ح / ١٩٩ / ١ / ١٨٩

[٤] سورة البقرة : ٢٥٥

﴿يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[1] ، وبقي فصل ثالث هو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده ، واتباع رسوله ﷺ ، فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها .

وقال الحافظ : المراد بهذه الشفاعة ، المسؤول عنها هنا بعض أنواع الشفاعة ، وهي التي يقول ﷺ : أمتي أمتي [2] ، فيقال له اخرج من النار من كان في قلبه وزن كذا من الإيمان ، فأسعد الناس بهذه الشفاعة من يكون إيمانه أكمل ممن دونه ، وأما الشفاعة العظمى فالإراحة من كرب الموقف ، فأسعد الناس بها من يسبق إلى الجنة ، وهم الذين يدخلونها بغير حساب ، ثم الذين يلونهم وهو من يدخلها بغير عذاب بعد أن يحاسب ويستحق العذاب ، ثم من يصيبه لفح من النار ولا يسقط ، وأعلم أن شفاعته ﷺ في القيامة ستة أنواع كما ذكرها ابن القيم :

الأول : الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهي إليه فيقول : أنا لها [3] ، وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في المواقف ، وهذه شفاعة يختص بها ، لا يشركه فيها أحد .

الثاني : شفاعته لأهل الجنة في دخولها وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه .

الثالث : شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار فيشفع لهم أن لا يدخلوها .

---

(1) سورة الأنبياء : ٢٨

(2) أخرجه البخاري ح / ٧٠٧٢ / ٦ / ٢٧٢٧ ، ومسلم ح / ١٩٣ / ١ / ١٨٢

(3) أخرجه البخاري ح / ٧٠٧٢ / ٦ / ٢٧٢٧ ، ومسلم ح /١٩٣ / ١ /١٨٢

الرابع : شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم ، والأحاديث بها متواترة عن النبي ﷺ ، وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة ، وبدعوا من أنكرها وصاحوا به من كل جانب ، ونادوا عليه بالضلال .

الخامس : شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجتهم ، وهذه مما لم ينازع فيها أحد .

السادس : شفاعته في بعض الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابه ، وهذه خاصة بأبي طالب وحده .

قوله : وحقيقته ، أي حقيقة الأمر ، أي أمر الشفاعة أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص ، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ، ليكرمه وينال المقام المحمود ، فهذا هو حقيقة الشفاعة ، لا كما يظن المشركون والجهال أن الشفاعة هي كون الشفيع يشفع ابتداء فيمن شاء ، فيدخله الجنة وينجيه من النار ، ولهذا يسألونها من الأموات وغيرهم إذا زاروهم وذلك أنهم قالوا : أن الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله لا تزال تأتيه الألطاف من الله ، وتفيض على روحه الخيرات ، فإذا علق الزائر روحه به ، وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها ، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له ، قالوا فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده كله وإقباله عليه بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره ، وكل ما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب إلى انتفاعه به وشفاعته له .

قال ابن القيم : وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما ، وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها وقالوا : إذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح العلوية فاض عليها منها النور وبهذا السر عبدت الكواكب واتخذت لها الهياكل وصنف لها

الدعوات واتخذت الأصنام المجسدة لها وإيقاد السرج عليها وبناء المساجد عليها ، وهو الذي قصد الرسول ﷺ إبطاله ومحوه بالكلية ، وسد الذرائع المفضية إليه ، فوقف المشركون في طريقه وناقضوه في قصده وكان ﷺ في شق وهؤلاء في شق ، وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله ، قالوا : فإن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله ، وتوجه بهمته إليه ، وعكف بقلبه عليه ، صار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه من نصيب مما يحصل من الله ، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان ، فهو شديد التعلق به ، فيما يحصل لذلك السلطان من الأنعام والإفضال ينال ذلك المتعلق بحسب تعلقه به ، فهذا سر عبادة الأصنام وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطاله وتكفير أصحابه ولعنهم وأباح دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم ، وأوجب لهم النار ، والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله وإبطال مذهبهم .

قوله : وينال المقام المحمود ، أي المقام الذي يحمده فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك تعالى قال ابن جرير : قال أكثر أهل التأويل ذلك المقام الذي يقومه ﷺ الشفاعة للناس ليريحهم ربهم مما هم فيه من شدة ذلك اليوم ، وقال ابن عباس : المقام المحمود مقام الشفاعة ، وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وقال قتادة : هو أول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع ، وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود .

قوله : فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، يعني أن الشفاعة التي نفاها القرآن هي الشفاعة التي فيها شرك بالله ، من دعاء غير الله وعبادته ليشفع له عند الله ، فإن الله سبحانه وتعالى نفى هذه الشفاعة وأخبر أنها لا تكون أبداً بل أخبر أن ذلك شرك ونزه نفسه عنه ، ونفى أن يكون للمؤمنين ولي أو شفيع من دونه ، مع أن الشفاعة يوم

القيامة لهم بإذنه ، لا للمشركين كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[1] فنفى سبحانه أن تنفع الشفاعة أحداً إلا من أذن له الرحمن ورضي له قوله وعمله، وهو المؤمن المخلص ، وأما المشرك الداعي لغير الله ليشفع له فلا تنفعه الشفاعة ، ولا يؤذن لأحد في الشفاعة فيه ، كما قال : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[2] وقال تعالى :﴿ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴾[3].

قوله : وقد بين النبي ﷺ إلى آخره . تقدم ما يتعلق بذلك والله أعلم][4]

وكذلك ورد في شرح الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ عن الشفاعة ما نصه :

[قوله بيان الشفاعة أي : بيان ما أثبته القرآن منها وما نفاه ، وحقيقة ما دل القرآن على إثباته .

قوله : وقول الله عز وجل : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[5] الإنذار هو الإعلام بأسباب المخافة ، والتحذير منها .

قوله : به : قال ابن العباس بالقرآن : ﴿ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ وهم المؤمنون ، وعن الفضيل بن عياض : ليس كل خلقه عاتب إنما عاتب الذين يعقلون ،

---

(1) سورة طه : ١٠٩

(2) سورة المدثر : ٤٨

(3) سورة القصص : ٦٤

(4) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، للشيخ / سليمان بن عبدالله بن محمد ابن عبدالوهاب ، من ٢٣٥ إلى ص ٢٥٧

(5) سورة الأنعام : ٥١

فقال : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ وهم المؤمنون أصحاب القلوب الواعية .

قوله : ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ قال الزجاج : موضع ليس نصب على الحال ، كأنه قال : متخلين من كل ولي وشفيع ، والعامل فيه يخافون .

قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة .

وقوله : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[(١)] وقبلها : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[(٢)] وهذه كقوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[(٣)] فبين تعالى في هذه الآيات وأمثالها : أن وقوع الشفاعة على هذا الوجه منتف وممتنع وأن اتخاذهم شفعاء شرك ، يتنزه الرب تعالى عنه ، وقد قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾[(٤)] فبين تعالى أن دعواهم أنهم يشفعون لهم بتألههم : أن ذلك منهم إفك وافتراء .

---

(١) سورة الزمر : ٤٤

(٢) الزمر : ٤٣

(٣) سورة يونس : ١٨

(٤) سورة الأحقاف : ٢٨

وقوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ ﴾ أي هو مالكها ، فليس لمن تطلب منه شيء منها ، وإنما تطلب ممن يملكها دون كل من سواه ، لأن ذلك عبادة وتأليه لا يصلح إلا لله .

قال البيضاوي : لعله رد لما عسى أن يجيبوا به ، وهو أن الشفعاء أشخاص مقربون .

وقوله تعالى : ﴿ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ﴾[1] تقرير لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه ، لأنه مالك الملك ، فاندرج في ذلك ملك الشفاعة ، فإذا كان هو مالكها بطل أن تطلب ممن لا يملكها : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾[2] ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[3] .

قال ابن جرير : نزلت لما قال الكفار : ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، قال الله تعالى : ﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[4] .

قال : وقوله : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ قد تبين مما تقدم من الآيات : أن الشفاعة التي نفاها القرآن هي التي تطلب من غير الله ، وفي هذه الآية : بيان أن الشفاعة إنما تقع في الدار الآخرة بإذنه : كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[5] فبين أنها لا تقع لأحد إلا بشرطين : إذن الرب تعالى للشافع أن يشفع ، ورضاه عن المأذون بالشفاعة فيه ، وهو تعالى لا يرضى من الأقوال

---

(١) سورة الزمر : ٤٤
(٢) سورة البقرة : ٢٥٥
(٣) سورة الأنبياء : ٢٨
(٤) سورة الزمر : ٤٤
(٥) سورة طه : ١٠٩

والأعمال الظاهرة والباطنة إلا ما أريد به وجهه ، ولقي العبد به مخلصاً غير شاك في ذلك كما دل على ذلك الحديث الصحيح : وسيأتي ذلك مقرراً أيضاً في كلام شيخ الإسلام رحمه الله .

وقوله : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[1] قال ابن كثير رحمه الله : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[2] فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأنداد عند الله ، وهو لم يشرع عبادتهم ، ولا أذن فيها ، بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله ، وأنزل بالنهي على ذلك في جميع كتبه .

قال : وقوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[3] .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام على هذه الآيات : وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق به المشركون جميعها ، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع ، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع : إما مالك لما يريد عابده منه ، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً له كان معيناً له وظهيراً ، فإن لم يكن

---

[1] سورة النجم : ٢٦
[2] سورة سبأ : ٢٣
[3] سورة سبأ : ٢٢ - ٢٣

معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده ، فنفى الله سبحانه وتعالى المراتب الأربع نفياً مرتباً ، منتقلاً من الأعلى إلى الأدنى ، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك ، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه ، فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً ، وتجريداً للتوحيد ، وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته ، وتضمنه له ، ويظنونها في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً ، فهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ، ولعمر الله ، إن كان أولئك قد خلوا ، فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك .

ثم قال : ومن أنواعه ـ أي الشرك ـ طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم وهذا أصل شرك العالم ، فإن الميت قد انقطع عمله ، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً عمن استغاث به ، وسأله أن يشفع له عند الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه ، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لإذنه ، وإنما السبب كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن ، بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ، ومعادة أهل التوحيد ، ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات ، وهم قد تنقصوا بالخالق بالشرك وأولياءه الموحدين بذمهم وعيبهم ، ومعاداتهم ، وتنقوا من أشركوا به غاية التنقص ، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم أمروهم به ، وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم ، وما نجى من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله ، وعادى المشركين في الله ، واستغاثته بالله ، وقصده لله ، متبعاً لأمره ، متطلباً لمرضاته ، إذا سأل سأل الله ، وإذا استعان استعان بالله ، وإذا عمل عمل لله ، فهو لله وبالله ومع الله .

وهذا الذي ذكره هذا الإمام في معنى هذه الآية هو حقيقة دين الإسلام ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[1].

قوله : قال أبو العباس هذه كنية شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني ، إمام المسلمين رحمه الله .

قوله : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً لله ، فلم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تقع إلا لمن أذن له الرب ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾[2] فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ : أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده ، لا يبدأ بالشفاعة أولاً ، ثم يقال له : أرفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع . وقال أبو هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه . فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله ، وحقيقتها أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له وأن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود ، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص .

قوله : وقال أبو هريرة إلى آخره . هذا الحديث رواه البخاري والنسائي عن أبي هريرة ورواه أحمد وصححه ابن حبان وفيه : وشفاعتي لم قال لا إله إلا الله مخلصاً ،

---

(١) سورة النساء : ١٢٥

(٢) سورة الأنبياء : ٢٨

ويصدق قلبه لسانه ويصدق لسانه قلبه [١]، وشاهده في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، و إني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً [٢].

وقد ساق المصنف رحمه الله كلام شيخ الإسلام هنا ، فقام مقام الشرح والتفسير لما في هذا الباب من الآيات ، وهو كافٍ وافٍ بتحقيق مع الإيجاز . والله أعلم .

وقد عرف الإخلاص بتعريف حسن ، فقال الإخلاص : محبة الله وحده وإرادة وجهه .

وقال ابن القيم رحمه الله في معنى حديث أبي هريرة : تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد ، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم ، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب ، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد ، فحينئذ يأذن الله للشافع ان يشفع ، ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذه ولياً أو شفيعاً أنه يشفع له وينفعه عند الله كما يكون خواص الولاة والملوك تنفع من والاهم ، ولم يعلموا أنه لا يشفع عنده أحداً إلا بإذنه في الشفاعة ، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله ، كما قال في الفصل الأول : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [٣] وفي الفصل الثاني : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [٤] ، وبقي فصل ثالث ، وهو انه لا يرضى من القول والعمل

---

[١] أخرجه ابن حبان ح / ٦٤٦٦ / ١٤ / ٣٨٤

[٢] أخرجه مسلم ح / ١٩٩ / ١ / ١٨٩

[٣] سورة البقرة : ٢٥٥

[٤] سورة الأنبياء : ٢٨

إلا توحيده واتباع رسوله ﷺ فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من عقلها ورعاها .

وذكر أيضاً رحمه الله تعالى أن الشفاعة ستة أنواع :

الأول : الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم عليهم الصلاة والسلام ، حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول : أنا لها ، وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في الموقف ، وهذه شفاعة يختص بها لا يشركه فيها أحد .

الثاني : شفاعته لأهل الجنة في دخولها ، وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه .

الثالث : شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم ، فيشفع لهم أن لا يدخلوها .

الرابع : شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم ، و الأحاديث متواترة عن النبي ﷺ ، وقد أجمع الصحابة وأهل السنة قاطبة ويدَعوا من أنكرها وصاحوا به كل جانب ونادوا عليه بالضلال .

الخامس : شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم ، وهذه مما لا ينازع فيها أحد ، وكلها مختصة بأهل الإخلاص الذين لم يتخذوا من دون الله ولياً ولا شفيعاً . كما قال تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾[١] .

---

[١] سورة الأنعام : ٥١

السادس : شفاعته في بعض أهله الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابه ، وهذه خاصة بأبي طالب وحده .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيات .

الثانية : صفة الشفاعة المنفية .

الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة .

الرابعة : ذكر الشفاعة الكبرى ، وهي المقام المحمود .

الخامسة : صفة ما يفعله ﷺ أنه لا يبدأ بالشفاعة ، بل يسجد فإذا إذن له شفع .

السادسة : من أسعد الناس بها .

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله .

الثامنة : بيان حقيقتها][1] .

ويلاحظ التطابق بين ما استدل به إمامين من أئمة الدعوة في مسألة الشفاعة ، وفي هذا دلالة على وجود منهج واضح لهما يسيران عليه وهو الذي خطه الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى وهو منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(1) فتح المجيد ـ شرح كتاب التوحيد ، تأليف عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، الطبعة الثالثة ، من ص ١٥٩ إلى ص ١٦٥

المبحث الخامس : مسألة الحكم والتحاكم :

يرى شيخ الإسلام إمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب وهو قدوة أئمتها :

[وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله ، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته ، وحرم الخروج عليه ويرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا والحكم عليهم بالظاهر وبكل سرائرهم إلى الله ، ويعتقد : أن كل محدثة في الدين بدعة][1] .

وفي رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن بيّن فيها منهجه في الحكم والتحاكم بقوله :

[من عبدالرحمن بن حسن إلى من يصل إليه من الأخوان ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، تفهمون أن الجماعة فرض على الإسلام وعلى من دان بالإسلام كما قال تعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[2] ولا تحصل الجماعة إلا بالسمع والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين وفي الحديث الصحيح عن العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصانا قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ . وقد جمع الله أوائل الأمة على نبيه ﷺ وذلك بسبب الجهاد وكذلك الخلفاء رد الله بهم إلى الجماعة من خرج عنها وأقاموا الجهاد في سبيل الله فأظهر الله بهم دينه وفتح الله لهم الفتوح وجمع الله عليهم ، وتفهمون أن الله سبحانه وتعالى جمعكم على أمامكم عبدالله بن فيصل بعد وفاة والده فيصل رحمه الله فالي بايع بايع وهم الأكثرون والي ما بايع بايعوا لهم كبارهم

---

[1] الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج ١ ، الطبعة الخامسة ، ص٣٣

[2] سورة آل عمران : ١٠٣

واجتمعوا عليه أهل نجد باديهم وحاضرهم وسمعوا وأطاعوا ولا اختلف عليه أحد منهم حتى سعود بن فيصل بايع أخوه وهو ما صار له مدخال في أمر المسلمين لا في حياة والده ولا بعده ، ولا التفت له أحد من المسلمين ونقض البيعة وتبين لكم أمره أنه ساع في شق العصا واختلاف المسلمين على إمامهم وسعى في نقض بيعة الإمام وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[١] وسعود سعى في ثلاثة أمور كلها منكر نقض البيعة بنفسه وفارق الجماعة ودعا الناس إلى نقض بيعة الإسلام فعلى هذا يجب قتاله وقتال من أعانه وفي الحديث : من فارق الجماعة قيد شبر فمات فميتته جاهلية . وفي الحديث الآخر : فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه فإن كان أحد مشكل عليه وجوب قتاله في الحديث : إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار . فظاهر الحديث أن المراد ما يجري بين القبائل من العصبية أما عند ضربة عصا من قبيلتين أو فخذين أو طعنة فكل قبيلة أو فخذ يكون منهم حمية لمن كان منهم غير خروج على الإمام ونقض لبيعة الإسلام ولا شق عصا المسلمين ، وأهل العلم من الفقهاء وغيرهم ذكروا قتال العصبية وحكمه وقتال الباغي وحكمه فذكروا أنه يجب على الإمام في قتال العصبية أن يحملهم على الشريعة ، وأما البغاة فحكمهم أنهم يقاتلون حتى يفيؤا أو يرجعوا ويدخلوا في جماعة المسلمين فالفرق ظاهر بيّن ولله الحمد ، فاستعينوا بالله على قتال من بغي وطغى وسعى في البلاد بالفساد ، وهذا أمر فساده ظاهر ما يخفى على من له عقل واحتسبوا جهادكم وأجركم

---

(١) سورة النحل : ٩١ ـ ٩٢

على الله وأنتم سالمين والسلام . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين سنة ١٣٣٠ هجرية][١] .

وللشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بخصوص الحكم والتحاكم :

[رسالة إلى علي بن محمد وابنه محمد آل موسى وقد ذكرا له في أمر هذه الفتن والحوادث ، وما حصل في ضمنها من عظيم الكوارث ، فبيّن رحمه الله مبدأ هذه الفتنة والحكم في أهلها وجندها ، لأنه قد خفي على بعض المنتسبين إلى العلم والدين حقيقة الحكم الشرعي ، والقول الصواب المرضي ، وهو أن من استولى على المسلمين بالغلبة والسيف فالبيعة ثابتة له تنفيذ أحكامه وتصح إمامته باتفاق أهل العلم والدين وأئمة الإسلام ، لا يختلف في ذلك منهم اثنان ، وأنهم يرون المنع من الخروج عليه بالسيف وتفريق الأمة ، وإن كانت الأئمة ظلمة فسقة ، ما لم يروا كفراً بواحاً ، وقد جرى في تلك الفتنة من الخوض والمراء والجدل والاضطراب ، والإعراض عن منهج السنة والكتاب ، ما عم ضرره ، وطار في الأقطار شرره ، وصار سبباً وسلماً لوالاية المشركين ، الخ ما ذكره وهذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى الأخوين المكرمين علي بن محمد وابنه محمد بن علي سلمهما الله تعالى من الأسوأ وحماهما من طوارق المحن والبلوى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، فأحمد أليكما الله الذي لا إله إلا هو وهو للحمد أهل وهو على كل شيء قدير ، والخط وصل وصلكما الله بما يرضيه ، وجعلكما ممن يحبه ويتقيه ، وما ذكرتما صار معلوماً وهذه الحوادث والفتن أكبر مما وصفتم ، وأعظم مما إليه أشرتم ، كيف لا وقد تلاعب الشيطان بأكثر

---

[١] الرسائل والمسائل ، ج٢ ، ص ٧ ـ ٨

المنتسبين ، وصار سلماً لولاية المشركين وسبباً لارتداد المرتدين ، وموجباً لخفض أعلام الملة والدين ، وذريعة إلى تعطيل توحيد رب العالمين ، وإلى استباحة دماء المسلمين ، وهتك أعراض عباده المؤمنين ، فتنة لا يصل إليها حديث ولا قرآن [١] ولا يرعوي أبناؤها عما يهدي الإسلام والإيمان ، يعرف ذلك من منّ الله عليه بالعمل والبصيرة ، وصار على حظ من أنوار الشريعة المطهرة المنيرة ، وصار على نصيب من مراقبة عالم السر والسرائر ، وقد عرفتم مبنى هذه الفتنة وأولها والحكم في أهلها وجندها ، ثم صار لهم دولة بالغلبة والسيف واستولوا على أكثر بلاد المسلمين وديارهم ، وصارت الإمامة لهم بهذا الوجه ومن هذا الطريق كما عليه العمل عند كافة أهل العلم من أهل الأمصار في أعصار متطاولة ، وأول ذلك ولاية آل مروان لم تصدر لا عن بيعة ولا رأي ولا عن رضا من أهل العلم والدين ، بل بالغلبة ، حتى صار على ابن الزبير ما صار ، وإنقاد لهم سائر أهل القرى والأمصار ، وكذلك مبدأ الدولة العباسية ومخرجها من خراسان وزعيمها رجل فارسي مدعي أيامهم صال على من يليه ودعا إلى الدولة العباسية وشهر السيف وقتل من امتنع عن ذلك وقاتل ذلك ، وقتل ابن هبيرة أمير العراق ، وقتل خلقاً كثيراً لا يحصيهم إلا الله ، وظهرت الرايات السود العباسية وجاسوا خلال الديار قتلاً ونهباً في أواخر القرن الأول وشاهد ذلك أهل القرن الثاني والثالث من أهل العلم والدين وأئمة الإسلام ، كما لا يخفى على من شم رائحة العلم وصار على نصيب من معرفة التاريخ وأيام الناس .

---

[١] أي لا يصل إلى بيان المخرج منها حديث نبوي ولا قرآن إلهي بنص صريح لا يحتمل التأويل ، فكل فريق يتأول نصوصها بما يجعله المحق وخصمه المبطل حتى أن أحد أنصار الحق قد طعن في دينه من يظاهرهم على خصمهم وهو صاحب الرسالة التي يدافع الشيخ عنها .

وأهل العلم مع هذه الحوادث متفقون على طاعة من تغلب عليهم في المعروف يرون نفوذ أحكامه وصحة إمامته لا يتختلف في ذلك اثنان ويرون المنع من الخروج عليهم بالسيف وتفريق الأمة وإن كان الأئمة فسقة ما لم يروا كفراً بواحاً ونصوصهم في ذلك موجودة على الأئمة الأربعة وغيرهم وأمثالهم ونظراتهم .

إذا عرفت هذا فالحاصل في هذا العصر بين أهل نجد له حكم أمثاله من الحوادث السابقة في زمن أكابر الأئمة الأربعة وغيرهم كما قدمنا ، وصارت ولاية المتغلب ثابتة كما إليه أشرنا ، ووقع اتفاق ممن ينتسب إلى العلم لديكم على هذا كالشيخ إبراهيم الشثري في الحوطه وحسين وزيد في الحريق وخطوطهم عندنا محفوظة معروفة فيها تقرير إمامة سعود ، ووجوب طاعته ، ودفع الزكاة إليه ، والجهاد معه ، وترك الاختلاف عليه ، كل هذا موجود بخطوطهم فلا جرم قد صار العمل على هذا والاتفاق ، ثم توفى الله سعوداً واضطرب أمر الناس ، وخشينا الفتنة واستباحة المحرمات من باد وحاضر ، وتوقعنا حصول ذلك وانسلاخ أمر المسلمين ، فاستصحبنا ما ذكر وبنينا عليه ، وأختار أهل الحل والعقد من حمولة آل سعود ومن عندهم ومن يليهم نصب ـ عبدالرحمن بن فيصل ـ وذلك صريح في عدم الالتفات منهم إلى ولاية غير آل سعود ، ولهذا كتبنا من الرسائل التي فيها الأخبار بالبيعة والنهي عن سلوك طريق الفتن والاختلاف ، وأن يكون المسلمون يداً واحدة ، وذكرناهم قوله تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1] ونحو ذلك من الآيات ، وبعضاً مما ورد من الأحاديث الصحيحات ، فترك بعض من لديكم هذا المنهج وسلكوا طريقاً وعرة تقضي إلى سفك الدماء ، واختلاف الكلمة ، وتضليل من خالفهم ودعا بعضهم إلى ذلك واستحسنه من غير مشورة ولا بينة ، ولم ينصحوا إخوانهم

---

[1] سورة آل عمران : ١٠٣

ويوضحوا لهم وجه الإصابة فيما اختاروا وارتضوه ، وكان الواجب على من عنده علم أن ينصح الأمة ، وينصح أولاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، ويكرر الحجة وينظر في الدليل ويرشد الجاهل ويهدي الضال ، بحسن البيان وتقرير صواب المقال ، لكنهم أحجموا عن ذلك كله ولم يلتفتوا إلى المحاقة والله هو ولي الهداية ، الحافظ الواقي من موجبات الجهل والغواية ، وقد أوجب الله البيان وترك الكتمان ، وأخذ الميثاق على ذلك على من عنده علم وبرهان ، هذه صورة الأمر وحقيقة الحال ، وقد عرفتموه أولاً وآخراً في المكاتبات الواردة عليكم فلا يلتبس عليك الحال ، ولا يشتبه سبيل الهدى بالجهل والضلال ، وأذكر قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾[1] .

إذا رضي الحبيب فلا أبالي أقام الحي أم جد الرحيل

وأما الصلح بين المسلمين فهو من واجبات الإيمان والدين ولكن يحتاج إلى قوة وبصيرة يحصل بها نفوذ ذلك والإجبار عليه ، فإن وجدت إلى ذلك سبيلاً فأذكره لي أولاً ولا تألو جهداً إن شاء الله فيما يكف الفتن ويصلح به بين المسلمين وأسأل الله أن يُمن بذلك ، ويوفق لما هنالك ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم][2].

وقد بين الشيخ عمر بن محمد بن سليم بأن :

[إساءة الظن بولي الأمر وعدم الطاعة له ـ من كيد الشيطان ـ وهو من دين أهل الجاهلية الذين لا يرون السمع والطاعة ديناً ، بل كل منهم يستبد برأيه وهواه ، وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة ، على وجوب السمع والطاعة لولي الأمر ، في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، حتى قال : أسمع وأطع ، وإن أخذ مالك وضرب ظهرك ،

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٩

(٢) الرسائل والمسائل النجدية ، ج ٣ ، ص ١٦٦ ـ ١٦٩

فتحرم معصية ولي الأمر والاعتراض عليه في ولايته ، وفي معاملته ، وفي معاقدته ومعاهدته ، ومصالحته الكفار .

فإن النبي ﷺ حارب وسالم ، صالح قريشاً صلح الحديبية ، وهادن اليهود ، وعاملهم على خيبر ، وصالح نصارى نجران ، وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده ، ولا يجوز الاعتراض على ولي الأمر في شيء من ذلك ، لأنه نائب المسلمين ، والناظر في مصالحهم ، ولا يجوز الافتيات عليه بالغزو ، وغيره ، وعقد الذمة ، والمعاهدة إلا بإذنه .

فإنه لا دين إلا بجماعة ، ولا جماعة إلى بإمامة ، ولا إمامة إلاّ بسمع وطاعة ، فإن الخروج عن طاعة ولي الأمر ، من أعظم أسباب الفساد ، في البلاد والعباد] [(١)] .

[إذا فهم ما تقدم ، من النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وكلام العلماء المحققين ، في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر ، وتحريم منازعته والخروج عليه ، وأن المصالح الدينية والدنيوية لا انتظام لها إلا بإمامة والجماعة ، وتبين أن الخروج عن طاعة ولي الأمر ، والافتيات عليه ، بغزو أو غيره ، معصية ومشاقة لله ورسوله ، ومخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة .

وأما ما قد يقع من ولاة الأمور من المعاصي والمخالفات التي لا توجب الكفر ، والخروج من الإسلام ، فالواجب فيها مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق ، واتباع ما كان عليه السلف الصالح ، من عدم التشنيع عليهم في المجالس ، ومجامع الناس ، واعتقاد أن ذلك من إنكار المنكر ، الواجب إنكاره على العباد ، وهذا غلط فاحش ، وجهل ظاهر ،

---

(١) الدرر السنية ، ج ٩ ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠

لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه ، من المفاسد العظام في الدين والدنيا ، كما يعرف ذلك من نور الله قلبه ، وعرف طريقة السلف الصالح ، وأئمة الدين][1] .

[قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في رسالة له ، ذكرنا ها ههنا لعظم فائدتها ، قال رحمه الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبدالوهاب ، إلى من يصل إليه هذا الكتاب من الإخوان ، سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : يجري عندكم أمور تجري عندنا من سابق ، وننصح إخواننا إذا جرى منها شيء ، حتى فهموها ، وسببها أن بعض أهل الدين ينكر منكراً ، وهو مصيب ، لكن يخطيء في تغليظ الأمر ، إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان .

وقد قال تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2] .

وقال ﷺ : إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم . وأهل العلم يقولون : الذي يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، يحتاج إلى ثلاث : أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه ، ويكون رفيقاً فيما يأمر به وينهى عنه ، صابراً على ما جاءه من الأذى ، وأنتم محتاجون للحرص على فهم هذا والعمل به ، فإن الخلل إنما يدخل على صاحب الدين ، من قلة العمل بهذا ، أو قلة فهمه .

---

[1] الدرر السنية ، ج ٩ ، ص ١١٩

[2] سورة آل عمران : ١٠٢ ـ ١٠٣

وأيضاً يذكر العلماء : أن إنكار المنكر ، إذا صار يحصل بسببه افتراق ، لم يجز إنكاره ، فالله الله في العمل بما ذكرت لكم ، والتفقه فيه ، فإنكم إن لم تفعلوا ، صار إنكاركم مضرة على الدين ، والمسلم لا يسعى إلى في صلاح دينه ودنياه ، وسبب هذه القالة التي وقعت بين أهل الحوطة ، لو صار أهل الدين واجب عليهم إنكار المنكر ، فلما غلظوا الكلام ، صار فيه اختلاف بين أهل الدين ، فصار فيه مضرة على الدين والدنيا ، وهذا الكلام وإن كان قصيراً فمعناه طويل ، فلازم لازم ، تأملوه وتفقهوا فيه ، واعملوا به ، فإن عملتم به صار نصراً للدين ، واستقام الأمر إن شاء الله .

والجامع لهذا كله : إن صدر المنكر من أمير أو غيره ، أن ينصح برفق خفية ما يشترف أحد ، فإن وافق وإلا استلحق عليه رجلاً يقبل منه بخفية ، فإن لم يفعل فيمكن الإنكار ظاهراً ، إلا إن كان على أمير ، ونصحه ولا وافق ، واستلحق عليه ولا وافق ، فيرفع الأمر إلينا خفية ، وهذا الكتاب ، كل أهل بلد ينسخون منه نسخة ، ويجعلونها عندهم ثم يرسلونها لحرمة والمجمعة ، ثم للغاط والزلفي ، والله أعلم][1] .

[وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في أعلام الموقعين ، المثال الأول : أن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاباً إنكار المنكر ، ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله ، فإذا كان إنكار منكر يستلزم ما هو أنكر منه ، وأبغض إلى الله ورسوله ، فإنه لا يسوغ إنكاره ، وإن كان الله يبغضه ، ويمقت أهله ، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم ، فإنه أساس كل شر وفتنة ، إلى آخر الدهر .

وقد أستأذن الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ في قتال الأمراء ، الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ، وقالوا أفلا نقاتلهم ؟ فقال : لا ما أقاموا الصلاة . وقال :

---

[1] الدرر السنية ، ج ٩ ، ص ١١٩ ـ ١٢١

من رأى من أميره ما يكرهه ، فليصبر ولا ينزعن يداً من طاعة . ومن تأمل ما جرى على الإسلام ، في الفتن الكبار والصغار ، رآها من إضاعة هذا الأصل ، وعدم الصبر على منكر طلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه . انتهى

وقال ابن مفلح ، في الآداب : قال ابن حنبل ، اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق ، إلى أبي عبدالله ـ يعني الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ـ وقالوا له أن الأمر قد تفاقم وفشا ـ يعنون إظهار القول بخلق القرآن ، وغير ذلك ـ ولا نرضى بإمارته ولا سلطانه ، فناظرهم في ذلك ، وقال عليكم بالإنكار في قلوبكم ، ولا تخلعوا يداً من طاعة ، ولا تشقوا عصا المسلمين ، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم ، وانظروا في عاقبة أمركم ، واصبروا حتى يستريح بر ، ويستراح من فاجر ، وقال ليس هذا ـ يعني نزع أيديهم من طاعته ـ صواباً هذا خلاف الآثار][١] .

ولكثرة لغط الناس وغلطهم في هذا الزمان بخصوص الحكم ، فقد ورد في كتاب ـ المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم ـ كلام جميل ومناسب جداً ، والتعرض له في هذا المبحث مناسب سيما وأن المؤلف أحد من سار على نهج إئمة الدعوة وشُهد له بالعلم وكلف بالعمل وارتباطه بالحاكم والمحكوم فقد ورد في هذا الكتاب الضيئل في ورقاته الكبير في معناه درر عظيمة يحتاجه الكثير من المسلمين في هذا الزمان وهو على شكل أسئلة وأجوبة وقد جاء في الكتاب ما نصه :

[س ١ : سماحة الشيخ هناك من يرى اقتراف بعض الحكام للمعاصي والكبائر موجب للخروج عليهم ومحاولة التغيير وأن ترتب عليه ضرر للمسلمين في البلد ، والأحداث التي يعاني منها عالمنا الإسلامي كثيرة ، فما رأي سماحتكم ؟

---

[١] الدرر السنية ، ج ٩ ، ص ١٢١ ـ ١٢٢

ج ١ : بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه ، أما بعد :

فقد قال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[١] ، فهذه الآية نص في وجوب طاعة أولي الأمر وهم الأمراء والعلماء ، وقد جاءت السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ تبين أن هذه الطاعة لازمة وهي فريضة في المعروف .

والنصوص من السنة تبين المعنى ، وتفيد الآية بأن المراد طاعتهم بالمعروف ، فيجب على المسلمين طاعة ولاة الأمر في المعروف لا في المعاصي ، فإذا أمروا بالمعصية فلا يطاعون في المعصية لكن لا يجوز الخروج عليهم بأسبابها لقوله ﷺ : ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة [٢] . ومن خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية [٣] .

وقال ﷺ : على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة [٤] .

وسأله الصحابي ـ لما ذكر أنه يكون أمراء تعرفون منهم وتنكرون ـ قالوا : فما تأمرنا ؟ ، قال : أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم [٥] .

---

[١] سورة النساء : ٥٩

[٢] أخرجه مسلم ح / ١٨٥٥ / ٣ / ١٤٨٢

[٣] أخرجه مسلم ح / ٦٦٤٦ / ٦ / ٢٥٨٨

[٤] أخرجه مسلم ح / ٦٧٢٥ / ٦ / ٢٦١٢

[٥] أخرجه البخاري ح / ٦٦٤٤ / ٦ / ٢٥٨٨

قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله وقال : إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان [١] .

فهذا يدل على أنهم لا يجوز لهم منازعة ولاة الأمور ولا الخروج عليهم إلا أن يروا كفراً بواحاً ـ أي ظاهراً ومكشوفاً ـ عندهم من الله فيه برهان ، وما ذاك إلا لأن الخروج على ولاة الأمور يسبب فساداً كبيراً وشراً عظيماً فيختل به الأمن ، وتضيع الحقوق ولا يتيسر ردع الظالم ولا نصر المظلوم ، وتختل السبل ولا تأمن ، فيترتب على الخروج على ولاة الأمور فساد عظيم وشر كبير ، إلا إذا رأى المسلمون كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان ، فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان لإزالته إذا كان عندهم قدرة ، أما إذا لم يكن عندهم قدرة فلا يخرجوا ، وإذا كان الخروج يسبب شراً أكثر فليس لهم الخروج رعاية للمصالح العامة ، والقاعدة الشرعية المجمع عليها ـ أنه لا يجوز إزالة الشر بما هو أشر منه بل يجب درء الشر بما يزيله أو يخففه ـ وأما درء الشر بشر أكثر فلا يجوز بإجماع المسلمين فإذا كانت هذه الطائفة التي تريد إزالة هذا السلطان الذي فعل كفراً بواحاً وعندهم قدرة تزيله بها وتضع إماماً صالحاً طيباً من دون أن يترتب على هذا فساد كبير على المسلمين وشر أعظم من شر هذا السلطان فلا بأس ، أما إذا كان الخروج يترتب عليه فساد كبير واختلال الأمن وظلم الناس ، واغتيال من لا يستحق الاغتيال إلى غير هذا من الفساد العظيم ، فهذا لا يجوز بل يجب الصبر والسمع والطاعة في المعروف ومناصحة ولاة الأمور والدعوة لهم بالخير ، والاجتهاد في تخفيف الشر وتقليله وتكثير الخير ، هذا هو الطريق السوي الذي يجب أن يسلك لأن في ذلك مصالح

---

[١] أخرجه البخاري ح / ٦٦٤٧ / ٦ / ٢٥٨٨ ، و مسلم ح / ١٧٠٩ / ٣ / ١٤٧٠

للمسلمين عامة ولأن في ذلك تقليل الشر وتكثير الخير ، ولأن في ذلك حفظ الأمن وسلامة المسلمين من شر أكثر ، نسأل الله للجميع التوفيق والهداية .

س ٢ : سماحة الوالد : نعلم أن هذا الكلام أصل من أصول أهل السنة والجماعة ولكن هناك للأسف من أبناء أهل السنة والجماعة من يرى هذا فكراً انهزامياً وفيه شيء من التخاذل وقد قيل هذا الكلام .. لذلك يدعون الشباب إلى تبني العنف في التغيير ؟

ج ٢ : هذا غلط من قائله وقلة فهم ، لأنهم ما فهموا السنة ولا عرفوها كما ينبغي ، وإنما تحملهم الحماسة والغيرة لإزالة المنكر على أن يقعوا في ما يخالف الشرع كما وقعت الخوارج والمعتزلة ، حملهم حب نصر الحق أو الغيرة للحق ، حملهم ذلك على أن وقعوا في الباطل حتى كفروا المسلمين بالمعاصي ، أو خلدوهم في النار بالمعاصي كما تفعل المعتزلة .

فالخوارج كفروا بالمعاصي وخلدوا العصاة في النار ، والمعتزلة وافقوهم في العاقبة وأنهم في النار مخلدون فيها ، ولكن قالوا : أنهم في الدنيا في منزلة بين المنزلتين ، وكله ضلال ، والذي عليه أهل السنة هو الحق أن العاصي لا يكفر بمعصيته ما لم يستحلها .

فإذا زنا لا يكفر ، وإذا سرق لا يكفر ، وإذا شرب الخمر لا يكفر ، ولكن يكون عاصياً ضعيف الإيمان فاسقاً تقام عليه الحدود ولا يكفر بذلك إلا إذا استحل المعصية وقال أنها حلال ، وما قاله الخوارج في هذا باطل ، وتكفيرهم للناس باطل ، ولهذا قال فيهم النبي ﷺ : إنهم يمرقون من الإسلام ثم لا يعودون فيه [١] ـ بعض الحديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه مع اختلاف لفظه ـ ، يقاتلون أهل الإسلام ويَدَعُونَ أهل الأوثان هذه حال الخوارج بسبب غلوهم وجهلهم

---

[١] أخرجه البخاري ح / ٤٠٩٤ / ٤ / ١٥٨١ ، ومسلم ح / ١٠٦٣ / ٢ / ٧٤٠

وضلالهم ، فلا يليق بالشباب ولا غير الشباب أن يقلدوا الخوارج والمعتزلة ، بل يجب أن يسيروا على مذهب أهل السنة والجماعة على مقتضى الأدلة الشرعية فيقفون مع النصوص كما جاءت ، وليس لهم الخروج على السلطان من أجل معصية أو معاص وقعت منه ، بل عليهم المناصحة بالمكاتبة والمشافهة بالطرق الطيبة الحكيمة ، بالجدال وبالتي هي أحسن حتى ينجحوا وحتى يقل الشر أو يزول ويكثر الخير ، هكذا جاءت النصوص عن رسول الله ﷺ ، والله عز وجل يقول : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1] .

فالواجب على الغيورين لله وعلى دعاة الهدى أن يلتزموا بحدود الشرع وأن يناصحوا من ولاهم الله الأمور بالكلام الطيب والحكمة والأسلوب الحسن حتى يكثر الخير ويقل الشر ، وحتى يكثر الدعاة إلى الله وحتى ينشطوا في دعوتهم بالتي هي أحسن لا بالعنف والشدة ، ويناصحوا من ولاهم الله بشتى الطرق الطيبة السليمة مع الدعاء لهم في ظهر الغيب أن الله يهديهم ويوفقهم ويعينهم على الخير وأن الله يعينهم على ترك المعاصي التي يفعلونها وعلى إقامة الحق ، هكذا يدعو الله ويَضْرَعَ إليه أن يهدي ولاة الأمور وأن يعينهم إخوانه الغيورين ينصحهم ويعظهم ويذكرهم حتى ينشطوا في الدعوة بالتي هي أحسن لا بالعنف والشدة وبهذا يكثر الخير ويقل الشر ويهدي الله ولاة الأمور للخير والاستقامة عليه وتكون العاقبة حميدة للجميع .

س ٣ : لو افترضنا أن هناك خروجاً شرعياً لدى جماعة من الجماعات ، هل هذا يبرر قتل أعوان هذا الحاكم وكل من يعمل معه في حكومته مثل الشرطة والأمن وغيرهم ؟

ج ٣ : سبق وأن أخبرتك أنه لا يجوز الخروج على السلطان إلا بشرطين :

---

[1] سورة آل عمران : ١٥٩

أحدهما : وجود كفر بواح عندهم من الله فيه برهان . والشرط الثاني : القدرة على إزالة الحاكم إزالة لا يترتب عليها شراً كبيراً ، وبدون ذلك لا يجوز .

س ٤ : يظن البعض من الشباب أن مجافاة الكفار ممن هم مستوطنين في البلاد الإسلامية أو من الوافدين من الشرع ، ولذلك البعض يستحل قتلهم وسلبهم إذا رأوا منهم ما ينكرون ؟

ج ٤ : لا يجوز قتل الكافر المستأمن الذي أدخلته الدولة آمناً ولا قتل العصاة والتعدي عليهم بل يحالون للحكم الشرعي ، هذه مسائل يحكم فيها بالحكم الشرعي .

س ٥ : وإذا لم توجد محاكم شرعية ؟

ج ٥ : إذا لم توجد محاكم شرعية فالنصيحة فقط ، النصيحة لولاة الأمور وتوجيههم للخير والتعاون معهم حتى يحكموا شرع الله ، أما أن الآمر والناهي يمد يده أو يقتل أو يضرب فلا يجوز ، لكن يتعاون مع ولاة الأمور بالتي هي أحسن حتى يحكموا شرع الله في عباد الله ، وإلا فواجبه النصح وواجبه التوجيه وواجبه إنكار المنكر بالتي هي أحسن هذا هو واجبه ، قال الله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾[1] ، ولأن إنكاره باليد بالقتل أو الضرب يترتب عليه شر أكثر وفساد أعظم بلا شك ولا ريب لكل من سبر هذه الأمور وعرفها .

س ٦ : هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالذات التغيير باليد حق للجميع أم أنه حق مشروط لولي الأمر أو من يعنيه ولي الأمر ؟

---

[1] سورة التغابن : ١٦

ج ٦ : التغيير للجميع ، والرسول ﷺ يقول : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان [١] ، لكن التغيير باليد لا بد أن يكون عن قدرة لا يترتب عليها فساد أكبر وشر أكثر ، فليغير باليد في بيته : على أولاده على زوجته على خدمه ، أو موظف في الهيئة المختصة المعطاة له صلاحيات ، يغيره بيده ، وإلا فلا يغير شيئاً بيده ليس له فيه صلاحية ، لأنه إذا غير بيده يترتب ما هو أكثر شراً ويترتب بلاء كثير وشر عظيم بينه وبين الناس وبينه وبين الدولة ، ولكن يغير باللسان ـ كأن يقول : أتق الله يا فلان هذا لا يجوز ، هذا حرام عليك ، هذا واجب عليك ـ يبين له بالأدلة الشرعية باللسان ، أما باليد فيكون في محل الاستطاعة في بيته ، فيمن تحت يده ، فيمن أُذن له من جهة السلطان أن يأمر بالمعروف كالهيئات التي يأمرها السلطان ويعطيها الصلاحيات يُغيِّرون بقدر الصلاحيات التي أُعطوها على الوجه الشرعي الذي شرعه الله لا يزيدون عليه .

س ٧ : هناك من يرى ـ حفظك الله ـ أن له الحق في الخروج على الأنظمة العامة التي يضعها ولي الأمر في المرور والجمارك والجوازات الخ ، باعتبار أنها ليست على أساس شرعي فما قولكم حفظكم الله ؟

ج ٧ : هذا باطل ومنكر ، وقد تقدم أنه لا يجوز الخروج ولا التغير باليد ، بل يجب السمع والطاعة في هذه الأمور التي ليس فيها منكر ، بل نظمها ولي الأمر لمصالح المسلمين ، يجب الخضوع لها لذلك والسمع والطاعة في ذلك ، لأن في هذا من المعروف الذي ينفع المسلمين ، وأما الشيء الذي هو منكر ، ضريبة يرون أنها غير جائزة ، هذا يراجع فيها ولي الأمر بالنصيحة بالدعوة إلى الله ، وبالتوجيه إلى الخير لا بيده يضرب هذا

---

[١] أخره مسلم ح / ٤٩ / ١ / ٦٩

أو يسفك دم هذا أو يعاقب هذا بدون حجة ولا برهان ، لا بد أن يكون عنده سلطان من ولي الأمر يتصرف به حسب الأوامر التي لديه وإلا فحسبه النصيحة والتوجيه ، إلا فيمن هو تحت يده من أولاد وزوجات ونحو ذلك ممن له السلطة عليهم .

س ٨ : هل من مقتضى البيعة حفظك الله الدعاء لولي الأمر ؟

ج ٨ : من مقتضى البيعة النصح لولي الأمر ومن النصح : الدعاء له بالتوفيق والهداية وصلاح النية والعمل وصلاح البطانة ، لأن من أسباب صلاح الوالي ومن أسباب توفيق الله له أن يكون له وزيرُ صدق يعينهُ على الخير ، ويُذكره إذا نسي ، ويُعينه إذا ذكر ، هذا من أسباب توفيق الله له .

فالواجب على الرعية وعلى أعيان الرعية التعاون مع ولي الأمر في الإصلاح وإماتة الشر والقضاء عليه ، وإقامة الخير بالكلام الطيب والأسلوب الحسن والتوجيهات السديدة التي يرجى من ورائها الخير دون الشر ، وكل عمل يترتب عليه شر أكثر من المصلحة لا يجوز العمل على تغييره ، لأن المقصود من الولايات كلها تحقيق المصالح الشرعية ودرء المفاسد ، فأي عمل يعمله الإنسان يريد به الخير ويترتب عليه ما هو أشر مما أراد إزالته وما هو أنكر منه لا يجوز له .

س ٩ : ومن يمتنع عن الدعاء لولي الأمر حفظك الله ؟

ج ٩ : هذا من جهله ، وعدم بصيرته ، الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات ومن أفضل الطاعات ومن النصيحة لله ولعباده ، والنبي ﷺ لما قيل له إن دوساً [١] عصت

---

[١] (دوس) قبيلة الطفيل بن عمرو وأبي هريرة رضي الله عنهم وهم بنو دوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد ، والأزد من قحطان ، وبلاد دوس تقع الآن في جنوب المملكة العربية السعودية (إمارة منطقة عسير) .

قال : اللهم أهد دوساً وأت بهم ، اللهم أهد دوساً وأت بهم [1] ، يدعو للناس بالخير والسلطان أولى من يدعى له ، لأن صلاحه صلاحٌ للأمة فالدعاء له من أهم الدعاء ، ومن أهم النصح أن يُوفق للحق وأن يُعان عليه ، وأن يُصلح الله له البطانة وأن يكفيه الله شر نفسه وشر جلساء السوء ، الدعاء له بأسباب التوفيق والهداية ولصلاح القلب والعمل من أهم المهمات ومن أفضل القربات .

س ١٠ : هل منهج السلف نقد الولاة من فوق المنابر؟ وما منهج السلف في نصح الولاة ؟

ج ١٠ : ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع ، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان والكتابة إليه أو الاتصال بالعلماء الذي يتصلون به حتى يوجه إلى الخير وإنكار المنكر يكون من دون ذكر الفاعل فينكر الزنا وينكر الخمر وينكر الربا من دون ذكر من فعله ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير أن يذكر فلاناً يفعلها لا حاكم ولا غير حاكم .

ولما وقعت الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه ، قال بعض الناس لأسامة بن زيد رضي الله عنه ألا تكلم عثمان ؟ فقال : إنكم ترون أني لا أكلمه إلا أُسمعكم ؟ إني لا أكلمه فيما بيني وبينه دون أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من افتتحه .

ولما فتحوا ـ أي الخوارج ـ الشر في زمن عثمان رضي الله عنه وأنكروا على عثمان جهرة تمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية ، وقتل عثمان بأسباب ذلك ، وقتل جمع كثير من الصحابة

---

[1] أخرجه البخاري ح / ٢٧٧٩ / ٣ / ١٠٧٣ ، ومسلم ح / ٢٥٢٤ / ٤ / ١٩٥٧

وغيرهم بأسباب الإنكار العلني ، وذِكر العيوب علناً حتى أبغض الناس ولي أمرهم وقتلوه ، نسأل الله العافية . انتهى كلام الشيخ حفظه الله .

وبعد هذا نذكرك ـ رعاك الله ـ بحديث عياض بن غُنم قال : قال رسول الله ﷺ : من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبده علانية ولكن يأخذ بيده ويخلوا به فإن قبل منه فذاك ، وإلا كان قد أدى الذي عليه [1] .

قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية في ـ مناهج السنة النبوية ـ ٣ ، ٣٩٠ :

إن الناس قد تنازعوا في ولي الأمر الفاسق والجاهل : هل يُطاع فيما يأمر من طاعة الله ، وينفذ حكمه وقسمه إذا وافق العدل ؟ أو لا يطاع في شيء ، ولا ينفذ شيء من حكمه وقسمه ؟ أو يفرق في ذلك بين الإمام الأعظم وبين القاضي ونحوه من الفروع ؟

على ثلاثة أقوال ، أضعفها عند أهل السنة هو ـ رد جميع أمره وحكمه وقسمه ـ وأصحها عند أهل الحديث وأئمة الفقهاء هو القول الأول وهو ـ أن يُطاع في طاعة الله مطلقاً وينفذ حكمه وقسمه إذا كان فعله عدلاً مطلقاً ـ حتى أن القاضي الجاهل والظالم ينفذ حكمه بالعدل وقسمه بالعدل على هذا القول كما قول أكثر الفقهاء .

والقول الثالث : هو الفرق بين الإمام الأعظم وبين غيره لأن ذلك لا يمكن عزله إذا فسق إلا بقتال وفتنة بخلاف الحاكم ونحوه ، فإن يمكن عزله بدون ذلك ، وهو فرق ضعيف ، فإن الحاكم إذا ولاه ذو الشوكة لم يمكن عزله إلا بفتنة ، ومتى كان السعي في عزلة مفسدة أعظم من مفسدة بقائه ، لا يجز الإتيان بأعظم الفسادين لدفع أدناهما وكذلك الإمام الأعظم .

---

[1] ذكره أبي عاصم في السنة وقال إسناده صحيح ورجاله ثقات ٥٢٢/٢

ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم ، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة ، فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما ، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته .

والله تعالى لم يأمر بقتال كل ظالم وكل باغ كيفما كان ، ولا أمر بقتال الباغين ابتداءً بل قال : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ ﴾[١] ، فلم يأمر بقتال الباغية ابتداءً ، فكيف يأمر بقتال ولاة الأمر ابتداءً ؟

وفي صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : سيكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ، ومن أنكر سلم ، ولكن من رضي وتابع ، قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا ما صلوا [٢] ، فقد نهى رسول الله ﷺ عن قتالهم مع إخباره أنهم يأتون أموراً منكرة ، فدل على أنه لا يجوز الإنكار عليهم بالسيف كما يراه من يقاتل ولاة الأمر من الخوارج والزيدية والمعتزلة وطائفة من الفقهاء وغيرهم .

---

[١] سورة الحجرات : ٩

[٢] أخرجه مسلم ح / ١٨٥٤ / ٣ / ١٤٨٠

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال لنا رسول الله ﷺ : إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها ، قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم [١] .

فقد أخبر النبي ﷺ أن الأمراء يظلمون ويفعلون أموراً منكرة ، ومع هذا أمرنا أن نؤتيهم الحق الذي لهم ، ونسأل الله الحق الذي لنا ، ولم يأذن في أخذ الحق بقتال ، ولم يرخص في ترك الحق الذي لهم .

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : من رأى من أميره شيئاً يكرهه ليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً ، فمات مات ميتة جاهلية . وفي لفظ فإن من خرج من السلطان شبراً فمات ، مات ميتة جاهلية [٢] واللفظ للبخاري .

وقد تقدم قوله ﷺ لما ذكر أنهم لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته : قال حذيفة كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال : تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع [٣] . فهذا أمر بالطاعة من ظلم الأمير .

وتقدم قوله ﷺ : من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ، ولا ينزعن يداً عن طاعة [٤] ، وهذا نهي عن الخروج عن السلطان إن عصى .

وتقدم حديث عبادة رضي الله عنه : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعُسرنا ويُسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله . قال : إلا أن

---

[١] أخرجه البخاري ح / ٣٤٠٨ / ٣ / ١٣١٨ ، ومسلم ح / ١٨٤٣ / ٣ / ١٤٧٢

[٢] أخرجه البخاري ح / ٦٦٤٥ / ٦ / ٢٥٨٨ ، ومسلم ح / ١٨٤٩ / ٣ / ١٤٧٨

[٣] أخرجه مسلم ح / ١٨٤٧ / ٣ / ١٤٧٦

[٤] أخرجه مسلم ح / ١٨٥٥ / ٣ / ١٤٨٢

نقول - أو نقوم - بالحق حيث ما كنّا لا نخاف في الله لومة لائم .[١] ، فهذا أمر بالطاعة مع استئثار ولي الأمر ، وذلك ظلم منه ، ونهي عن منازعة الأمر أهله ، وذلك نهي عن الخروج عليه ، لأنه أهله هم أولوا الأمر الذي أمر بطاعتهم ، وهم الذين لهم سلطان يأمرون به ، وليس المراد من يستحق أو يولى ولا سلطان له ، ولا المتولي العادل ، لأنه قد ذكر أنهم يستأثرون ، فدل على أنه نهى عن منازعة ولي الأمر وإن كان مستأثراً ، وهذا باب واسع . انتهى .

وقال رحمه الله في (السياسة الشرعية) :

يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين إلا بها فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ،ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس إلى أن قال رحمه الله :

ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة وكذلك سائر ما أوجبه من - الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود - لا تتم إلا بالقوة والإمارة ولهذا رُوي - أن السلطان ظلُ الله في الأرض - وله كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون :

- لو أن لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسلطان - إلى أن قال رحمه الله :

فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يُتقرب بها إلى الله ، فإن التقرب إليها فيها ، بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات ، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرئاسة أو المال بها .

---

[١] أخرجه مسلم ح / ١٧٠٩ / ٣ / ١٤٧٠

قول العلامة ابن القيم رحمه الله

قال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه الفريد ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين ـ قال رحمه الله :

هذا فصل عظيم النفع جداً ، و قع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة ... إلى أن قال رحمه بعد أن ذكر أن الشريعة مبنية على مصالح العباد :

النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله ، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره ، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله ، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم ، فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر ، وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ، وقالوا : أفلا نقاتلهم ؟ فقال : لا ما أقاموا الصلاة [١]. وقال : من رأى من أميره ما يكره فليصبر ولا ينزعن يداً من طاعته [٢].

ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر ، فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه ، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها ، بل لما فتح مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك ، لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه ، فإنكار المنكر أربع درجات :

---

[١] أخرجه مسلم ح / ١٨٥٥ / ٣ / ١٤٨٢

[٢] أخرجه مسلم ح / ١٨٥٥ / ٣ / ١٤٨٢

الأولى : أن يزول ويخلفه ضده ، الثانية أن يقل وأن لم يَزُل بجملته ، الثالثة : أن يخلفه ما هو مثله ، الرابعة : أن يخلفه ما هو شر منه ، فالدرجتان الأوليان : مشروعتان ، والثالثة : موضع اجتهاد ، والرابعة : محرمة ، فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم البصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله كرمي النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك ، وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد ، وإلا كان تركهم على ذلك خيراً من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك ، وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المجون ونحوها وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتب الأولى ، وهذا باب واسع ، وسمعت شيخ الإسلام ـ يعني ابن تيمية ـ قدس الله روحه ونور ضريحه ، يقول : مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر ، فأنكر عليهم من كان معي ، فأنكرت عليه ، وقلت له : إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم .

وقال رحمه الله :

الفعل أو القول المفضي إلى المفسدة قسمان :

أحدهما : أن يكون وضعه للإفضاء إليها كشرب المسكر المفضي إلى مفسدة السكر ، والقذف المفضي إلى مفسدة الفرية ، والزنا المفضي إلى اختلاط المياه وفساد الفراش ونحو ذلك ، فهذه أفعال وأقوال وُضعت مفضية إلى مفاسد وليس لا ظاهر غيرها .

والثاني : أن تكون موضوعة للإفضاء إلى أمر جائز أو مستحب ، فيتخذ وسيلة إلى المحرم إما يقصده أو بغير قصد منه ، فالأول : كمن يعقد النكاح قاصداً به التحليل ،

أو يعقد البيع قاصداً به الربا أو يخالع قاصداً به الحنث ونحو ذلك ، والثاني : كمن يصلي تطوعاً بغير سبب في أوقات النهي أو يسب أرباب المشركين بين أظهرهم أو يصلي بين يدي القبر لله ونحو ذلك .

ثم هذا القسم من الذرائع نوعان :

أحدهما : أن تكون مصلحة الفعل أرجح من مفسدته ، والثاني : أن تكون مفسدته راجحة على مصلحته ، فهنا أربعة أقسام : الأول : وسلة موضوعة للإفضاء إلى المفسدة ، والثاني : وسيلة موضوعة للمباح قصد بها التوسل إلى المفسدة ، والثالث : وسيلة موضوعة للمباح لم يقصد بها التوسل إلى المفسدة لكنها مفضية غالباً ومفسدتها أرجح من مصلحتها ، الرابع : وسيلة موضوعة لمباح وقد تفضي إلى المفسدة ومصلحتها أرجح من مفسدتها .

فمثال القسم الأول والثاني قد تقدم ، ومثال القسم الثالث : الصلاة في أوقات النهي ومسبة آلهة المشركين بين ظهرانيهم ، وتزين المتوفى عنها في زمن عدتها وأمثال ذلك .

ومثال الرابع : النظر إلى المخطوبة والمستامة ـ أي : الجارية المعدة للبيع ـ والمشهود عليها ومن يطؤها ويعاملها وفعل ذوات الأسباب في أوقات النهي وكلمة الحق عند ذي سلطان جائر ونحو ذلك .

فالشريعة جاءت بإباحة هذا القسم أو استحبابه أو إيجابه بحسب درجاته في المفسدة .

وبقي النظر في القسمين الوسط : هل هما مما جاءت الشريعة بإباحتهما أو المنع منهما ؟

فنقول : الدلالة على المنع من وجوه :

ثم ذكر رحمه الله تسعاً وتسعين وجهاً إلى أن قال :

ـ الوجه الثامن والتسعون ـ : نهيه عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة وإن ظلموا أو جاروا ما أقاموا الصلاة سداً لذريعة الفساد العظيم والشر الكثير بقتالهم كما هو الواقع ، فإنه إن حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم أضعاف أضعاف ما هم عليه والأمة في بقايا تلك الشرور إلى الآن ، وقال : ـ إذا بُويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما ـ سداً لذريعة الفتنة .

وقال رحمه الله : ففي الترمذي وغيره من حديث أبي مسعود عن النبي ﷺ قال : نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها فرُبَّ حامل فقه إلى منه أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم [١].

وروى هذا الأصل عن النبي ﷺ ابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبو الدرداء ، وجبير بن مطعم ، وأنس بن مالك ، وزيد بن ثابت ، والنعمان بن بشير .

قال الترمذي : حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح وحديث زيد بن ثابت حديث حسن ، وأخرجه الحاكم في ـ صحيحه ـ حديث جبير بن مطعم والنعمان بن بشير وقال في حديث جبير على شرط البخاري ومسلم .

وقوله ﷺ : ثلاث لا يغلن عليهن قلب مسلم .. إلى آخره ، أي : لا يحمل الغل ولا يبقى فيه من هذه الثلاثة فإنها تنفي الغل والغش وهو فساد القلب وسخايمه فالمخلص لله إخلاصه يمنع غل قلبه ويخرجه ويزيله جملة ، لأنه قد انصرفت دواعي قلبه وإرادته إلى مرضاة ربه فلم يبق فيه موضع للغل والغش كما قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ

---

[١] أخرجه أبن حبان ح / ٦٧ / ١ / ٢٧٠

ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[1] ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾[2] فالإخلاص هو سبيل الخلاص ، والإسلام هو مركب السلام والإيمان خاتم الأمان .

وقوله ومناصحة أئمة المسلمين : هذا أيضاً منافٍ للغل والغش فإن النصيحة لا تجامع الغل إذ هي ضده فمن نصح الأئمة والأمة فقد برئ من الغل .

وقوله ولزوم جماعتهم هذا أيضاً مما يطهر القلب من الغل والغش فإن صاحبه للزوم جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها ويسوءه ما يسوؤهم ويسره ما يسرهم وهذا بخلاف من انحاز عنهم واشتغل بالطعن عليهم والعيب والذم لهم كفعل الرافضة والمعتزلة وغيرهم ، فإن قلوبهم ممتلئة غلاً وغشاً ولهذا تجد الرافضة أبعد الناس من الإخلاص وأغشهم للأئمة والأمة وأشدهم بعداً عن جماعة المسلمين فهؤلاء أشد الناس غلاً وغشاً بشهادة الرسول والأمة عليهم وشهادتهم على أنفسهم بذلك فإنهم لا يكونون قط إلا أعواناً وظهراً على أهل الإسلام فأي عدو قام للمسلمين كانوا أعوان ذلك العدو بطانته وهذا أمر قد شاهدته الأمة منهم ، ومن لم يشاهده فقد سمع منه ما يصم الآذان ويشجي القلوب .

وقوله : ـ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم ـ هذا من أحسن الكلام وأوجزه وأفخمه معنى شبه دعوة والمسلمين بالسور والسياج المحيط بهم ، المانع من دخول عدوهم عليهم فتلك الدعوة التي هي دعوة الإسلام وهم داخلوها لما كانت سوراً وسياجاً عليهم أخبر أن من لزم جماعة المسلمين أحاطت به تلك الدعوة التي هي دعوة الإسلام

---

(1) سورة يوسف : ٢٤

(2) سورة الحجر : ٤٢

كما أحاطت بهم فالدعوة تجمع شمل الأمة وتلم شعثها وتحيط بها فمن دخل في جماعتها أحاطت وشملته .

ثم قال رحمه الله في الأوجه التي فُضل فيها العلم :

ــ الوجه السابع والمائة ــ : قال سهل بن عبدالله التستري : من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء وهذا لأن العلماء خلفاء الرسل في أممهم ووارثوهم في علمهم فمجالسهم مجالس خلافة النبوة .

ــ الوجه الثامن والمائة ــ : أن كثيراً من الأئمة صرّحوا بأن أفضل الأعمال بعد الفرائض طلب العلم فقال الشافعي : ليس شيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم وهذا الذي ذكر أصحابه عنه أنه مذهبه وكذلك قال سفيان الثوري ، وحكاه الحنفية عن أبي حنفية ، وأما الإمام أحمد فحكى عنه ثلاث روايات إحداهن أنه العلم فإن قيل له أي شيء أحب إليك أجلسُ بالليل أنسخ أو أصلى تطوعاً قال نسخُك تعلم به أمور دينك فهو أحب إليّ .

إلى أن قال رحمه الله : وأما مالك فقال ابن القاسم سمعت مالكاً يقول : إن أقواماً ابتغوا العبادة وأضاعوا العلم فخرجوا على أمة محمد ﷺ بأسيافهم ولو اتبعوا العلم لحجزهم عن ذلك .

قول العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله :

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في ــ جامعه ــ عندما شرح حديث تميم الداري رضي الله عنه ــ الدين النصيحة ــ الذي رواه مسلم وغيره ونصه :

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : الدين النصيحة ثلاثاً ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله وكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم [١] . وأما النصيحة لأئمة المسلمين فحُبُ صلاحهم ورشدهم وعدلهم وحُب اجتماع الأمة عليهم وكراهة افتراق الأمة عليهم ، ولتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل والبغض لمن رأى الخروج عليهم وحُب إعزازهم في طاعة الله عز وجل .

إلى أن قال : معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وتذكيرهم به تنبيه في رفق ولطف ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك .

قلت : لقد حذر السلف من مغبة الخروج على الولاة وإن جاروا أو ظلموا ما أقاموا فينا الصلاة ويُبتدون بالنصيحة ، وما ينتظر هذا الذي خرج على السلاطين وسل سيفه وزعزع الأمن إلا أن ينام تحت أزيز الرصاص وطارق مجهول نسأل الله الأمن والأمان .

قول أبي بكر الآجري رحمه الله :

قال أبو بكر الآجري رحمه الله في ـ الشريعة ـ :

فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام عدلاً كان أو جائراً ، فخرج وجمع جماعة وسل سيفه واستحل قتال المسلمين ، فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن ولا بطول قيامه في الصلاة ، ولا بدوام صيامه وبحسن ألفاظه في العلم إذا كان مذهبه مذهب الخوارج ، ثم ساق الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في التحذير من الخوارج .

إلى أن قال رحمه الله : وقد ذكرت من التحذير عن مذهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله عز وجل الكريم عن مذهب الخوارج ولم ير رأيهم وصبر على جور الأئمة ، وحيف الأمراء ولم يخرج عليهم بسيفه ، وسأل الله العظيم كشف الظلم عنه وعن جميع المسلمين ودعا للولاة بالصلاح ، وحج معهم وجاهد كل عدو للمسلمين ، وصلى خلفهم

---

[١] أخرجه مسلم ح / ٥٥ / ١ / ٧٤

الجمعة والعيدين ، وأن أمروه بطاعتهم فأمكنته طاعتهم أطاعهم ، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم ، وإن أمروه بمعصية لم يطعهم وإذا دارت بينهم الفتن لزم بيته وكف لسانه ويده ولم يهو ما هم فيه ولم يُعن على فتنة ، فمن كان هذه أوصافه كان على الطريق المستقيم إن شاء الله تعالى .

وقال الشوكاني رحمه الله في ــــ السيل الجرار ــــ :

ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يُناصحه ولا يُظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد بل كما ورد في الحديث أنه يأخذ بيده يخلو به ويبذل له النصيحة ، ولا يُذل سلطان الله ، وقد قدمنا في أول كتاب السير أنه لا يجوز الخروج على الأئمة وإن بلغوا في الظلم أي مبلغ ما أقاموا الصلاة ولا يظهر منهم الكفر البواح ، والأحاديث الواردة في هذا المعنى متواترة ولكن على المأموم أن يطيع الإمام في طاعة الله ويعصيه في معصية الله فإن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وأخيراً قال بعض الحكماء :

إمام عادل خير من مطر وابل ، وسلطان غشوم خير من فتنة تدون .

وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى :

قد يدفع الله بالسلطان معضلة   عن ديننا رحمةً منه ورضوانا

لولا الأئمة لم تأمن لنا سبـــل   وكان أضعفنا نهباً لأقوانـــا](١)

وأئمة الدعوة يرون التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، يقول الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب عندما سئل عن جواز التحاكم لغير كتاب الله فأجاب :

---

(١) المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم ـ الشيخ ابن باز ـ الطبعة الأولـــى ـ ١٤١٤هـ ـ دار المنار للنشر والتوزيع

] أنه لا يجوز ذلك ، ومن اعتقد حله فقد كفر ، وهو من أعظم المنكرات ، ويجب على كل مسلم الإنكار ، على من فعل ذلك ، ولا يستريب في هذا من له أدنى علم [[1] .

---

(1) الدرر السنية ، ج ١٠ ، ص ٢٥٢

الفصل الثالث

طرق المبتدعة في التلبيس وإثارة الفتن

وفي هذا الفصل ثمانية مباحث هي :

- المبحث الأول : الألفاظ المجملة
- المبحث الثاني : الزخرفة اللفظية الكلامية
- المبحث الثالث : حمل نصوص الكتاب والسنة على المصطلحات الحادثة
- المبحث الرابع : تضخيم شبهاتهم بالأوهام المكذوبة
- المبحث الخامس : ضعف أهل البدع في الرد وضعف حججهم
- المبحث السادس : كيد أهل البدع لأهل السنة والوقيعة بينهم
- المبحث السابع : عدم فهم كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسول الله ﷺ
- المبحث الثامن : أهل البدع لا يناظرون الراسخون في العلم

المبحث الأول : الألفاظ المجملة :

اتبع المبتدعة أسلوب الألفاظ المجملة لأنه يخدم أهدافهم المشبوهة ، ومن خلاله ينفذون لقلوب قليلي العلم ومن في قلوبهم مرض ، وهدفهم الصد عن الحق ، وهم لا يصادمون النصوص مباشرة ، بل يثيرون الشبهات ، ويلجأون للألفاظ التي تحتمل أكثر من معنى ، وقد رد ابن تيمية رحمه الله على حججهم بخصوص نفي النظير والمثل والكفء والسمي بقوله :

[هذه المقدمة ـ يقصد المقدمة التي أوردها الرازي في هذا الموضوع ـ في نفسها حق ، إذا فسرت بما يوافق الكتاب والسنّة والعقل الصريح ، فإن هذا الرجل ربما يقول الحق ولكن تكون الحجج التي يقيمها عليه ضعيفة ، وكثيراً ما يقول ما ليس بحق وكثيراً ما يتناقض][1] .

يقول ابن القيم أيضاً في رده عليهم :

[ومن ذلك لفظ العدل ، جعلته القدرية اسماً لإنكار قدرة الرب على أفعال عباده ، وخلقه لها ، ومشيئته ، فجعلوا إخراجها عن قدرته ومشيئته وخلقه هو العدل ، وجعل سلفهم إخراجها عن تقدم علمه ، وكتابته من العدل وسموا أنفسهم بالعدلية ، وعمدوا إلى إثبات عموم قدرته على كل شيء من الأعيان والأفعال وخلقه لكل شيء ، وشمول مشيئته له ، فسموه حيزاً ، ثم نفوا هذا المعنى الصحيح ، وعبروا عنه بهذا الاسم المنكر ، وأثبتوا ذلك المعنى الباطل ، وعبروا عنه بالاسم المعروف ، ثم سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، وسموا من أثبت صفات الرب ، وأثبت قدره وقضاءه أهل التشبيه والجبر . وكذلك فعل الرافضة سواء سموا موالاة الصحابة نصباً ، ومعاداتهم موالاة أهل

---

[1] بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية بتصحيح وتكميل وتعليق محمد بن عبدالرحمن بن قاسم ج ١ ص ٣٧٩

بيت رسول الله ﷺ ، وكذلك المرجئة سموا من قال في الإيمان بقول الصحابة والتابعين واستثنى فيه فقال : أنا مؤمن إن شاء الله ، شكاكاً .

وقال أيضاً : وإذا قالوا لمن أثبت الصفات : إنه مشبه ، صوروا في الذهن قوماً يقولون إن الله مثلهم ، وله وجه كوجههم ، وسمع كأسماعهم وبصر كأبصارهم ، ويدان كأيديهم ، ونزول كنزولهم ، واستواء كأستوائهم ، وفرح كفرحهم . وإذ قالوا : حشوية ، صوروا في ذهن السامع قوماً قد حشوا في الدين ما ليس منه ، وأدخلوه فيه ، وهو حشو لا أصل له .

ومن تلبيسات أهل الأهواء : استعمال ألفاظ المجملة والمحتملة وعدم مصادمة النصوص مباشرة إنما الاحتيال وإثارة الإشكالات . يقول شيخ الإسلام : ومما ينبغي أن يعلم أن المبطل إذا أراد أن ينفي ما أثبته القرآن أو يثبت ما نفاه ، لم يصادم لفظ القرآن إلاّ إذا أفرط في الجهل ، ومثل من ينكر من الجهمية إطلاق القول بأن الله تعالى كلّم موسى تكليماً ، أو أن الرحمن على العرش استوى ونحو ذلك]‏[1] .

وبين جمع غفير من علماء وأئمة الدعوة اعتماد أهل الأهواء على الألفاظ المجملة ، وقد أثار ذلك الشيخ الجليل عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في رسالته إلى عبد العزيز الخطيب حيث قال : [وقد بلغنا عنكم نحو هذا ، وخضتم في مسائل من هذا الباب كالكلام في الموالاة ، والمعاداة ، والمصالحة ، والمكاتبات ، وبذل الأموال ، والهدايا ، ونحو ذلك من مقالة أهل الشرك والضلالات ، والحكم بغير ما أنزل الله عند البوادي ، ونحوهم من الجفاة ، لا يتكلم فيها إلا العلماء من ذوي الألباب ، ومن رزق الفهم عن الله ، وأوتي الحكمة ، وفصل الخطاب .

---

[1] دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ـ ناصر العقل ـ الطبعة الأولى ـ ص٤٦٠ .

والكلام في هذا : يتوقف على معرفة ما قدمناه ، ومعرفة أصول عامة ، كلية لا يجوز الكلام في هذا الباب ، وفي غيره ، لمن جهلها ، وأعرض عنها ، وعن تفاصيلها ، فإن الإجمال ، والإطلاق ، وعدم العلم ، بمعرفة مواقع الخطاب ، وتفاصيله يجعل من اللبس والخطأ ، وعدم الفقه عن الله ما يفسد الأديان ، ويشتت الأذهان ، ويحول بينها وبين فهم السنّة والقرآن ، وقال : ابن القيم ، في كافيته رحمة الله تعالى :

فعليك بالتفصيل والتبيين فالـ إطلاق والإجمال دون بيان

قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الـ أذهان والآراء في كل زمان][1]

وحذر أئمة الدعوة من خطر أهل الأهواء الذين يتلاعبون بالألفاظ ويعتمدون على الإجمال ليوهموا الناس بصحة ما يقولون وقد حذر منهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن في رسالة له وجهها إلى الإمام المكرم فيصل بن تركي :

[تعلم أن نصيحتي لك نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم لأن بصلاحك يقوم الدين ويصلح أكثر الناس وفي الحديث الدين النصيحة قالها ثلاثاً ، قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم [2] وقد جعل الله لأهل الإيمان نوراً يمشون به في الناس ، وهذه البلوى التي ابتلى الله بها أهل نجد ، من فتنة خالد ، والعسكر ، وقبله إبراهيم باشا ، ميز الله بها أهل نجد ، طيبهم ، وخبيثهم ، وتفاوتت مراتبهم في الشر والزيغ والفساد ، وكثرت السفاهة والقسوة ، ولا تخفى حالهم إلا على من لا بصيرة له كما قال تعالى :﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾[3] .

---

(1) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ج ١ ص ٤٦٨

(2) أخرجه مسلم ح / ٥٥ / ١ / ٧٤

(3) سورة آل عمران : ١٧٩

وقال تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1] .

إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾[2] .

وهذا أمر مشاهد لمن جعل الله في قلبه نوراً . وقد وسم الله المنافقين بأقوالهم وأعمالهم وجعل الله أهل الإيمان شهداء على الناس وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ ﴾[3] . فيجب على من ولاه الله أمر الدين والدنيا أن لا يتهم من أقامهم الله شهداء على الناس وهو يعلم منهم محبة الإسلام ومحبة أهله وبغض الباطل وأهله فكيف لا تقبل شهادة من أقامهم الرب شهداء في أرضه على أعمال خلقه ؟ وقد قال في المؤمنين والمهاجرين ﴿ أَوْلِيَآءُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾[4] وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[5] .

ومن الفساد الكبير على ما ذكر العلماء ضعف الإيمان وقوة الباطل وقد حذر الله نبيه ﷺ من طاعة الكافرين والمنافقين فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[6] عليماً بما يصلح عباده حكيماً في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .

---

[1] سورة العنكبوت : ٢ ـ ٣

[2] سورة العنكبوت : ١١

[3] سورة التوبة : ١٠٥

[4] سورة المائدة ٥١

[5] سورة الأنفال : ٧٣

[6] سورة الأحزاب : ١

ولما كان التحذير من أولئك من أهم مقامات الدين قال الله لنبيه : ﴿ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾[1] وقـال : ﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾[2] .

وقـال : ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴾[3] وفـي الأثـر : تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالبعد عنهم واطلبوا رضاء الله بسخطهم وقال تعالى : ﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴾[4] ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾[5].

فالمساواة بين أهل الأهواء والزيغ و المعاصي ، وجعلهم في رتبة أهل الأيمان أو فوقهم ، خلاف ما أحبه الله وأمر به عباده ، وهو في نفسه فساد ، وذلك سبب سخط الله ، وحلول عذابه ، فعليك بمن إذا قربتهم قربك الله وأحبك ، وإذا نصرتهم نصرك الله وأيدك ، واحذر أهل الباطل الذين إذا قربتهم أبعدك الله وأوجب لك سخطه ، قال تعالى : ﴿ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾[6] .

---

(1) سورة المائدة ٤٩
(2) سورة الكهف : ٢٨
(3) سورة طه : ١٦
(4) سورة القلم : ٣٥ ـ ٣٦
(5) سورة الجاثية : ٢١
(6) سورة الأحزاب : ١٧

وقد رأينا عجباً أن من التفت إلى أحد دون الله خذله الله به وسلطه عليه ، قال العلماء رحمهم الله : قضى الله قضاء لا يرد ولا يدفع ، أن من أحب شيئاً دون الله عذب به ، ومن خاف شيئاً دون الله سلط عليه . وأنت تجد وترى كثيراً من الناس قدمهم ولاة الأمر في شيء من أمورهم ، فتعززوا على الناس ، وتجاسروا على الأهواء ، ومخالفة الشرع ، في أقوالهم وأعمالهم ، فخافهم أهل الدين ـ فمنهم ـ من ذل لهم واعتذر بعدم القدرة ـ ومنهم ـ من استصلح دنياه خوفاً من كيدهم ، وأنت تجد هؤلاء إذا ظهرت حالهم كابروا العقول بزخرف من القول والكذب ، واستعانوا على إفكهم بأمثالهم محافظة على العلو والفساد ، فلو وفق الإمام بالاهتمام بالدين ، واختار من كل جنس اتقاهم وأحبهم وأقربهم إلى الخير لقام بهم الدين والعدل . فإذا أشكل عليه كلام الناس رجع إلى قوله ﷺ : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك [١] فإذا ارتاب من رجل هل كان يحب ما يحبه الله نظر في أولئك القوم وسأل أهل الدين ، من تعلمونه أمثل القبيلة أو الجماعة في الدين وأولاهم بولاية الدين والدنيا ، فإذا أرشدوه إلى ما كان يصلح لذلك قدمه فيهم ، ويتعين عليه أن يسأل عنهم من لا تخفى عنه أحوالهم من أهل المحلة وغيرها ، فلو حصل ذلك لثبت الدين وبثباته يثبت الملك ، وباستعمال أهل النفاق والخيانة والظلم يزول الملك ويضعف الدين ، ويسود القبيلة شرارها ويصير على ولاة الأمر كفل من فعل ذلك . فالسعيد من وعظ بغيره وبما جرى له وعليه . وأهل الدين هم أوتاد البلاد ورواسيها فإذا قلعت وكسرت مادت وتقلبت كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله ، ولكن رواسيها وأوتادها هم ، فأنت إذا فعلت ما قلت لك ، قام بك الدين والعدل ، وصارت حسنة في هذا

---

[١] أخرجه بن خزيمه في صحيحه : ح/٢٣٤٨ ، ٥٩/٤ ، والترمذي : ح/٢٥١٨ ، ٦٦٨/٤ وقال حسن صحيح .

الزمان ، ونلت أجر من أقام السنّة كما في الحديث : من سن في الإسلام سنّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء [1] .

فإن انعكس الأمر كما هو الواقع كانت سنّة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء .

ومن المعلوم أن النفس تميل إلى الراحة وطلب رضى الخلق . وفي النظر فيما يرضي الله مخالفة للخلق أو بغضهم ولكن طريق الجنة حزن بربوة ، واقرأ قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] وقوله : ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾[3] وقوله : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[4] وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾[5] .

فإذا عرفت أن العبد لا يأتيه ما يكره إلا من شرور نفسه وسيئات أعماله وأن نواصي الخلق في قبضة الرب تبارك وتعالى وأن قلوبهم بين إصبعين من أصابعه أفادك القيام بدينه وأخذت في أسباب ذلك والحب فيه والبغض فيه والتقريب له والإبعاد لأجله ، وجعلت أفعالك تطابق أمره الشرعي والديني وتتحرى مرضاته في كل قول وفعل وتقديم أو تأخير أو غير ذلك ، فلو صلح تدبير الأمام فيما ولاه الله من الحاضرة ، أصلح الله البوادي

---

(1) أخرجه مسلم : ح/١٠١٧ /٢/٧٠٤ ـ ٧٠٥ .
(2) سورة آل عمران : ١٧٥
(3) سورة البقرة : ٤١
(4) سورة هود : ١٢٣
(5) سورة سبأ : ٤٦

وغيرهم ، فإن الأعمال حجة لك أو عليك ، وأنت سالم والسلام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم][1] .



[1] مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، النشرة الثالثة ج ١ ، ص ٣٢١

المبحث الثاني : الزخرفة اللفظية الكلامية :

ومن الطرق التي اتبعها أهل الأهواء لنشر أباطيلهم الزخرفة اللفظية الكلامية وقد تأثروا بالفلسفة والتي تعتمد على الزخرفة اللفظية الكلامية دون الاهتمام كثيراً بالمعنى ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام جيد في ذلك حيث قال :

[ودخل بعض أهل الكلام والجدل من المنتسبين إلى الإسلام من المعتزلة ونحوهم إلى بعض مقالة الصابئة والمشركين متابعة للجعد والجهم ، وكان مبدأ ذلك أن الصابئة في الخلق على قولين : منهم من يقول إن السماوات مخلوقة بعد أن لم تكن كما أخبرت بذلك الرسل وكتب الله ـ تعالى ـ ، ومنهم من ابتدع فقال : بل هي قديمة أزلية لم تزل موجودة بوجود الأول واجب الوجود بنفسه ، ومنهم من قد ينكر الصانع بالكلية . ولهم مقالات كثيرة الاضطراب في الخلق والبعث والمبدأ والمعاد ، لأنهم لم يكونوا معتصمين بحبل الله فيجمعهم ، والظنون لا تجمع الناس في مثل هذه الأمور التي تعجز الآراء عن إدراك حقائقها إلاّ بوحي من الله تعالى][1] .

اعتماد متأخري المعتزلة وأهل الكلام على الفلسفة :

[الفلسفة مصدر أساس عند المعتزلة ، كما يقول الشهرستاني بعد ذكره أن من أصول واصل بن عطاء القول بنفي الصفات ـ وكانت هذه المقالة في بدئها غير نضيجة ، وكان واصل بن عطاء فيها على قول ظاهر ـ قال : وإنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة .

وبلغ الاعتماد على الفلاسفة عند أهل الكلام إلى أن نقلوا عنهم واستمدوا منهم مقولاتهم في الله ـ تعالى ـ وصفاته وأفعاله ، قال شيخ الإسلام : فنقل أرباب المقالات الناقلون لاختلاف الفلاسفة في الباري ما هو ؟

---

[1] الفتاوى ١٢/٢٧

قالوا : قال سقراط وأفلاطون وأرسطو : إن الباري لا يعبر عنه إلا بِهُوَ فقط ، وهو الهوية المحضة غير المتكثرة ، وهي الحكمة المحضة والحق المحض ، وليست لله صورة مثل الصورة التي تكثرت في العنصر ، وهو الأيس[1] الذي لا يحيط به الذهن ولا العقل ، ولا يجوز عليه التغير ولا الصفة ولا العدد ولا الإفاضة ولا الوقت ولا المكان ولا الحدود ، ولا يدرك بالحواس ولا بالعقول من جهة غاية الكُنه ، لكن بأنه واحد أزلي ليس باثنين ، لأنا إن أوقعنا عليه العدد لزمته التثنية ، وإن أوقعنا عليه الإضافة لزمه الحدود وجعلناه متناهياً إلى غيره إلخ ، هذيانهم وخوضهم وتخرّصاتهم . وهكذا نرى هذه المقولات الفلسفية المبنية على التوهمات والظنون هي ما يقوله المعتزلة وأهل الكلام بعدهم من متكلمة الأشاعرة والماتريدية ومن سلك سبيلهم في نفيهم الصورة ، والحدود والمكان ونحو ذلك من الأمور المبتدعة ونفي الصفات من قبل المعتزلة ، ونفي الأسماء والصفات من قبل الجهمية ، والتعبير عنه بـ هو كما يفعل غلاة الصوفية .

وقال أبو الحسن الأشعري في المقالات ، وهو الخبير بأهل الكلام ومصادرهم ومقالاتهم : الحمد لله الذي بصرنا خطأ المخطئين ، وعَمى العَمِينَ ، وحيرة المتحيرين ، الذين نَفَوْا صفات ربّ العالمين ، وقالوا : إن الله ـ جل ثناؤه ـ وتقدّست أسماؤه لا صفات له ، وإنه لا عِلم له ، ولا قدرة له ، ولا حياة له ، ولا سمع له ، ولا بصر له ، ولا عزّله ، ولا جلال له ، ولا عظمة له ، ولا كبرياء له ، وكذلك قالوا في سائر صفات الله عز وجل التي يُوصف بها لنفسه ، وهذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً لم يزل ، ليس بعالم ولا قدير ولا حيَ ولا سميع ولا بصير ولا قديم ، وعبروا عنه بأن قالوا نقول : عينٌ لم يزل ، ولم يزيدوا على ذلك ، غير أن هؤلاء الذين

---

[1] الأيس : أي الوجود .

وصفنا قولهم من المعتزلة في الصفات لم يستطيعوا أن يُظهروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تُظهره من ذلك ، ولأفصحوا به ، غير أن خوف السيف يمنعهم من إظهار ذلك .

ذلكم كما فعل ـ الرازي ـ في استدلاله بأقوال الفلاسفة في تقرير الإلهيات : من أراد أن يشرع في المعارف الإلهية فليستحدث لنفسه فطرة أخرى ـ قال الرازي : وهذا كلام موافق للوحي والنبوة ـ وقد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية][1] .

وأهل الأهواء يقلبون الحقائق ، ويسمون الأشياء والألقاب في غير موضعها اللغوي أو الشرعي ويتلاعبون بالألفاظ ، وهذه سمة من سماتهم التي ينفذون من خلالها للقلوب المريضة بالشك واتباع المتشابه .

إن الزخرفة في الألفاظ لتلبيس الحق بالباطل ، وسيلة من وسائل تلبيس أهل الأهواء على العامة وسلب عقولهم ، لأنهم أهل خصومات ومراء وجدال في ذات الله وأسمائه وصفاته وفي مسائل العقيدة ، وقد بين الله تعالى عن هذا الصنف في هذه الأمة والأمم الأخرى ، أنواعاً من خصوماتهم وجدالهم ومنها :

[١ ـ القول على الله بلا علم ، قال تعالى : ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[2] .

٢ ـ قولهم على الله غير الحق ، قال تعالى : ﴿ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾[3] وقال : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾[4].

٣ ـ الجدل فيما ليس لهم به علم ، قال تعالى : ﴿ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ ﴾[5].

---

[1] دراسة في الأهواء والفرق والبدع ، المرجع السابق ص ٣٠٤ .
[2] سورة الأعراف : ٣٣
[3] سورة الأعراف : ١٦٩
[4] سورة النساء : ١٧١
[5] سورة آل عمران : ٦٦

٤ ـ الجدل في الحق بعد ظهوره ، قال تعالى : ﴿ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾ [١].

٥ ـ الجدل بالباطل ، قال تعالى : ﴿ وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ [٢] .

٦ ـ الجدل في آيات الله ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ﴾ [٣] .

٧ ـ التفرق والاختلاف ، قال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [٤] .

ومعلوم أن الذين تفرقوا من بعد ما جاءهم البينات هم أهل الأهواء والخصومات ، وهم الذين تسود وجوههم يوم القيامة .

قال محمد بن الحنفية : لا تفنى الدنيا حتى تكون خصومات الناس في ربهم ، وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر الشك ، أو قال : يكثر التحول .

ولتعلقهم بالخصومات والجدال ابتلوا باتباع شرار المسائل والأغلوطات ، وما لا يعقل أصلاً ، لأن الخصومة واللجاجة تلجئهم إلى ـ المحاورات ـ والتعمق ، وقد

---

[١] سورة الأنفال : ٦

[٢] سورة غافر : ٥

[٣] سورة غافر : ٣٥

[٤] سورة آل عمران : ١٠٣ ـ ١٠٦

نهى السلف عن هذا المسلك ، عن الحسن قال : شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يعمون بها عباد الله .

والخصومة واللجاج والجدل من صفات أهل الباطل ، فقد وصف الله تعالى المشركين بأنهم قوم ـ خصمون ـ أي أهل خصومة بالباطل فقال تعالى : ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[1].

والبلوى بالجدل علامة الخذلان من الله عز وجل ، وعلامة الضلال واتباع الهوى .

كما قال النبي ﷺ : ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل [2] ، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾][3] .

وقد عانا أئمة الدعوة من الزخرفة اللفظية ، ففي رد الشيخ / عبد الله بن عبدالرحمن البابطين في كتابه القيم ـ تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن سليمان ابن جرجيس ـ ، بيّن بعض الزخرفة في القول وقلب المعاني من أهل الأهواء ، ومن ذلك اعتراض إبن جرجيس الملقب بالبغدادي ، على اعتراض الشيخ البابطين على قول ناظم البردة : فإن من جودك الدنيا وضرتها ـ ويقصد بذلك رسول الله ﷺ ، قال إبن جرجيس موجهاً كلامه للشيخ أبابطين :

[ومن قال لك أن الدنيا والآخرة لغير الله ، أفلا يجوز أن الله يعطي الدنيا لأحد وهو يجود بها ، أو منها ، أو ليس كل الوجود لله وقد ملكه لعباده ، ما هذا الاعتراض

---

(١) سورة الزخرف : ٥٧ ـ ٥٨ .

(٢) أخرجه الترمذي : ح/٣٢٥٣ ، ٣٧٨/٥ وقال حديث حسن صحيح ، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي : ح/٣٦٧٥ ، ٤٨٦/٢

(٣) دراسة في الأهواء والفرق والبدع ، ص ٤٥٠ ـ ٤٥٢

الفاسد ؟ قال إبن جرجيس وقد رد أن الدنيا والآخرة خلقتا لأجله ـ يقصد رسول الله ﷺ ـ وورد في البخاري أنه أكرم من الريح المرسلة ، ما يضره لو كرم بما لربه ؟ وهو حبيبه الأعظم ـ انتهى قول إبن جرجيس ، وقد رد عليه الشيخ أبابطين بقوله ـ : هل يشك أحد في جوده ﷺ فهو أجود الناس ، وأجود من الريح المرسلة ، صلوات الله وسلامه عليه ، والمعترض حرّف قول الصحابي ابن عباس رضي الله عنه فرسول الله ﷺ ، حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة ، فحرفه المعترض وقال أنه أكرم من الريح المرسلة ، وقول ابن جرجيس أفلا يجوز أن الله يعطي الدنيا لأحد وهو يجود بها أو فيها ؟ يعني أنه يجوز أن الله يعطي الدنيا لأحد وهو يجود بها أو منها ، يعني أنه يجوز ، أن الله يعطي الدنيا كلها لإنسان ، وذلك الإنسان يعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، وهذا لا يليق به سبحانه ، أن يجعل رزق العباد عند غيره بحيث يصير ذلك لغير الله هو مقصودهم الذي يرغبون إليه ويسألونه حوائجهم](١).

وبين الدكتور ناصر العقل في كتابه القيم دراسات في الأهواء والفرق والبدع موقف السلف منهم تحت عنوان ـ من منهج أهل الأهواء وسماتهم التلبيس ـ منهج وسمة :

[أي لبس الحق بالباطل ، واستخدام الأساليب والمصطلحات والألفاظ الموهمة للحق لإيهام الناس وخداعهم ، وللترويج لمقولاتهم وعقائدهم .

ومن ذلك تسميتهم أنفسهم بأسماء أهل الحق ، كأهل التوحيد ، والعدل ، والمؤمنين ، وأهل الحق ، وأهل السنة وأولياء الله ، ونحو ذلك .

---

(١) كتاب تأسيس التقديس للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن ابابطين مطبعة دار إحياء الكتب العربية – مصر سنة ١٣٤٤هـ ص ٥ .

وقد ذم الله تعالى هذه الخصلة في بني إسرائيل ونهى عنها ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] .

فمن تلبيسات أهل الأهواء :

١ ـ دعواهم أنهم أهل الحق والتوحيد والعدل والاستقامة والسنة :

ما من صاحب هوى وبدعة إلاّ ويدعي أنه على الحق ، ولذلك نجد غالب أهل الافتراق يسمون أنفسهم بأسماء وصفات وألقاب توهم أنهم على الحق ، وأنهم الناجون ، فالخوارج يسمون أنفسهم أهل الحق ، والمؤمنين وأهل الإسلام ، وأهل الدعوة ، والمعتزلة يسمون أنفسهم : أهل العدل ، وأهل التوحيد ، والصوفية يسمون أنفسهم : الأولياء والمتكلمون يسمون أنفسهم : أهل الاستقامة والسنة والنظر . وهكذا سائر الفرق ، مع أنهم كلهم ليسوا كذلك ، إنما أهل هذه الصفات هم الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بذلك ، والذين على ما كان عليه هوﷺ وأصحابه ، وهم أهل السنة والجماعة .

٢ ـ من التلبيس جعلهم السنة بدعة والبدعة سنة :

فهم يزعمون أن أصولهم ومقولاتهم هي السنة ، ويجعلون السنة هي البدعة ، فيصفون ما عليه الصحابة والأئمة ـ حتى أئمتهم في المذاهب كأبي حنفية ومالك والشافعي وأحمد ـ يجعلون أقوالهم في العقيدة هي البدعة . والسنة ما أحدثوه من الكلام والمقولات والأمثلة لذلك كثيرة .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : إن الإمام أحمد في أمره باتّباع السنة ، ومعرفته بها ، ولزومه لها ، ونهيه عن البدع ، وذمه لها ولأهلها ، وعقوبته لأهلها بالحال التي

[1] سورة البقرة : ٤٢

لا تخفى ـ ثم إن كثيراً ممّا نصّ هو على أنه من البدع التي يذم أهلها ، صار بعض أتباعه يعتقد أن ذلك من السنة ، وأن الذي يُذم من خالف ذلك ، مثل كلامه في مسألة القرآن في مواضع : منها تبديعه لمن قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق ، وتجهيمه لمن قال : مخلوق . ثم إن من أصحابه من جعل ما بدّعه الإمام أحمد هو السنة ، فتراهم يحكمون على ما هو من صفات العبد ـ كألفاظهم وأصواتهم وغير ذلك ـ بأنه غير مخلوق ، بل يقولون هو قديم . ثم أنهم يبدِّعون من لا يقول بذلك ، ويحكمون في هؤلاء بما قاله أحمد في المبتدعة ، وهو فيهم .

وكذلك ما أثبته أحمد من الصفات التي جاءت بها الآثار واتفق عليها السلف كالصفات الفعلية من الاستواء والنزول والمجيء والتكلم إذا شاء وغير ذلك ، فينكرون ذلك بزعم أن الحوادث لا تحل ، ويجعلون ذلك بدعة ، ويحكمون على أصحابه بما حكم به أحمد في أهل البدع ، وهم من أهل البدعة الذين ذمهم أحمد ، لا أولئك ، ونظائر هذا كثيرة . قلت : سواء كان هذا الانحراف صائراً عن التباس على بعض قائليه ، أو ابتداع ، فإنه في سبيل الأهواء وتلبيساتهم ، أما فاعله وقائله فأمره إلى الله ، إذ قد يكون من المنتسبين للسنّة لكنه أخطأ فصار أمره ملبساً على غيره ، والله أعلم .

٣ ـ من تلبيسهم إلحاق البدع المحدثة بالعمل المشروع :

ومن تلبيسات أهل الأهواء إلحاقهم بعض بدعهم بأمور مشروعة ، إما عن هوى أو عن جهل .

يقول الشاطبي : وأما غير العالم وهو الواضع لها ـ يعني البدع ـ ، فإنه لا يمكن أن يعتقدها بدعة ، بل هي عنده مما يلحق بالمشروعات ، كقول من جعل يوم الاثنين يصام ، لأنه يوم مولد النبي ﷺ ، وجعل الثاني عشر من ربيع الأول ملحقاً بأيام

الأعياد ، أنه ـ عليه السلام ـ ولد فيه ، وكمن عَدّ السماع والغناء مما يتقرب به إلى الله بناءً على أنه يجلب الأحوال السنية ، أو رغب في الدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلوات دائماً بناءً على ما جاء في ذلك حالة الوحدة ، أو زاد في الشريعة أحاديث مكذوبة لينصر في زعمه سنّة محمد ﷺ .

فلما قيل له : إنك تكذب عليه ، وقد قال ﷺ : من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار [١] . قال : لم أكذب عليه وإنما كذبت له ، أو نقص منها تأويلاً عليها لقوله تعالى في ذم الكفار : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾[٢] فأسقط اعتبار الأحاديث المنقولة بالآحاد لذلك ولما أشبهه ، لأن خبر الواحد ظني ، فهذه كلها من قبيل التأويل .

وأما المقلد فكذلك أيضاً لأنه يقول : فلان المقتدى به يعمل بهذا العمل ويفتي به كاتخاذ الغناء جزءاً من أجزاء طريقة التصوف بناءً منهم على أن شيوخ التصوف قد سمعوه وتواجدوا عليه ، ومنه من مات بسببه ، وكتمزيق الثياب عند التواجد بالرقص وسواه ، لأنهم قد فعلوه ، وأكثر ما يقع مثل هذا في هؤلاء المنتمين إلى التصوف .

وربما احتجوا على بدعتهم بالجنيد والبسطامي والشبلي وغيرهم فيما صح عندهم أو لم يصح ، ويتركون أن يحتجوا بسنّة الله ورسوله ﷺ وهي التي لا شائبة فيها ، إذا نقلها العدول وفسرها أهلها المكبون على فهمها وتعلمها . ولكنهم مع ذلك لا يقرون بالخلاف للسنّة بحتاً ، بل يدخلون تحت أذيال التأويل ، إذ لا يرضى منتمٍ إلى الإسلام بإبداء صفحة الخلاف للسنّة أصلاً .

---

(١) أخرجه البخاري ح / ١٢٢٩ / ١ / ٤٣٤ ، وأخرجه مسلم ح/ ٣ / ١ / ١٠

(٢) سورة النجم : ٢٨

٤ ـ ومن تلبيسهم قلب الحقائق والتلاعب بالألفاظ :

من تلبيس أهل الأهواء على الناس : قلبهم للحقائق ، وتسميتهم للأشياء والألقاب في غير موضعها اللغوي أو الشرعي ، والتلاعب بالألفاظ ، واستعمال المصطلحات والألفاظ المجملة والمحتملة في غير معناها الأصلي ، وإغفال المعنى الشرعي المفهوم عند السلف أو نفيه تلبيساً وإيهاماً أنه معنى فاسد .

يقول ابن القيم : ومن ذلك لفظ العدل ، جعلته القدرية اسماً لإنكار الرب على أفعال عباده ، وخلقه لها ، ومشيئته ، فجعلوا إخراجها عن قدرته ومشيئته وخلقه هو العدل ، وجعل سلفهم إخراجها عن تقدم علمه وكتابته من العدل ، وسموا أنفسهم بالعدلية .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : وإذا كانت ألفاظ النصوص لها حرمة ، لا يمكن المظهر للإسلام أن يعارضها ، فهم يعبرون عن المعاني التي تنافيها بعبارات أخرى ابتدعوها ويكون فيها اشتباه وإجمال ... ثم ذكر كلام الإمام أحمد في أهل الأهواء وجاء فيه : يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم .

٥ ـ ومن التلبيس زعمهم أن بعض السلف على مذاهبهم :

لما عد البغدادي متكلمة أهل السنة ـ كما سماهم ـ ذكر منهم :

من الصحابة علي بن أبي طالب ، ومن التابعين عمر بن عبد العزيز ، ثم جعفر الصادق ، ثم ذكر أبا حنيفة والشافعي ، وابن سريج ثم أبا الحسن الأشعري .

ومن المفارقات العجيبة أن هؤلاء الذين عدهم البغدادي من متكلمة السنة كما سماهم كانوا أشد السلف على أهل الكلام والأهواء ـ عدا الأشعري ـ وقد كان الأشعري حرباً على المعتزلة ، لكنه خالط مذهبه شيء من الكلام .

فقد كانوا ممن تصدى بقوة وحزم لأسلاف المتكلمين الخوارج والشيعة والقدرية ورؤوس المتكلمين أمثال : غيلان ، والجعد ، والجهم ، وعمرو بن عبيد ، وواصل ، والمريسي . وهؤلاء هم أسلاف المتكلمين الذين تصدى لهم السلف ومنهم الذين ذكرهم هنا ، أما أن يكون هؤلاء الأئمة الذين ذكرهم هم متكلمة أهل السنة فهذه مغالطة .

ثم متى كان لأهل السنة متكلمة ؟ قد يكون قصده أنهم جادلوا أهل الأهواء والكلام . لكن لا نوافقه على هذا التلبيس ، وإن عبارة متكلمة أهل السنة لا تصح بل هي متناقضة ، كما لو قيل : رافضة أهل السنة أو جهمية أهل السنة ، أو خوارجهم ، أو فلاسفتهم ، أيصح ذلك ؟ بالطبع لا .

فهما نقيضان ، فإذا قيل أهل السنة فارقتهم الأسماء الأخرى المفترقة . وهذا التلبيس ليس من عمل البغدادي فحسب ـ وهو من خيارهم ـ بل سائر أهل الأهواء كذلك ، فالجهمية والمعتزلة تنسب مذاهبها لبعض الصحابة والتابعين ، وكذلك الرافضة ، والصوفية .

وهكذا كل يدعي وصلها بليلى ، لكن أصحاب الشأن أهل السنة بريئون من ذلك كله ، ومن كان منهم لا يتسمى بغير الإسلام والسنة .

٦ ـ وتسميتهم مذهب السلف في إثبات الصفات ـ تشبيهاً ـ ، وأنواع أخرى من الأوصاف والألقاب الشائنة تلبيساً وتمويهاً :

يقول شيخ الإسلام : وهؤلاء نفاة الأسماء من هؤلاء الغالية من الجهمية الباطنية والفلاسفة ، وإنما استطالوا على المعتزلة بنفي الصفات وأخذوا لفظ ـ التشبيه ـ بالاشتراك والإجمال ، كما أن المعتزلة فعلت كذلك بأهل السنة والجماعة مثبتة

الصفات ، فلما جعلوا إثبات الصفات من التشبيه الباطل ، ألزمهم أولئك بطرد قولهم ، فألزموهم نفي الأسماء الحسنى .

ومن تلبيسات أهل الأهواء عموماً :

تسميتهم السلف : حشوية ، ومشبهة ، ومجسمة ، ورعاع ، وأوباش ، ونابتة ، ووصف أئمة السلف ـ بالسذاجة ـ و ـ الغفلة ـ .

وإطلاقهم على التدين ـ ثقالة ـ ، وترك الفلسفة والكلام ـ حجر وجهل ـ وتسميتهم الأمر والنهي ـ فتنة وشراً ـ .

وتسميتهم إثبات صفات الله ـ تجسيماً وتشبيهاً ـ .

وقالوا في اليد والوجه والعين لله تعالى ـ جوارح وأدوات ـ لينكروها أو يؤولوها .

وسموا الاستواء ـ حركة وتحيزاً ـ لينكروه أو يؤولوه .

وسموا العلو والفوقية ـ جهة ومكاناً ـ لينكروه أو يؤولوه .

وسموا النزول والمجيء ـ حركة وانتقالاً ـ لينكروه أو يؤولوه .

وتسمية أفعال الله وحكمته ومشيئته ـ أعراضاً وحوادث ـ لينكروها أو يؤولوها .

ومن تلبيساتهم : الانتماء إلى أئمة أجلاء والزعم بأنهم على مذهبهم لترويج مقالاتهم كانتساب الرافضة لآل البيت ، وانتساب أهل الكلام لعلي والحسن البصري ، وانتساب الصوفية لأهل الصفة ، وهذا من التلبيس .

ومن تزيين مقالاتهم وعبارتهم بالألفاظ والمحسنات والأغراب لجذب النفوس واستهواء العقول إليهم .

ومن التلبيس ما فعلته كل فرقة :

فالخوارج يسمون أنفسهم ـ المؤمنين ـ وبلدهم ـ دار الإسلام ـ و ـ الهجرة ـ ويسمون المخالفين ـ كفاراً ـ ودارهم ـ دار حرب ـ .

والرافضة تسمى أهل السنة ـ الجمهور ـ ويسمون أنفسهم ـ المؤمنين ـ و ـ أولياء الله ـ ناهيك عن تفسيراتهم لألفاظ كلام الله تعالى مما هو أشد لبساً وتضليلاً ، مثل قولهم في : ـ مرج البحرين ـ علي وفاطمة .

يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ـ الحسن والحسين ـ .

الجبت والطاغوت ـ أبو بكر وعمر ـ .

والشجرة الملعونة في القرآن ـ بنو أمية ـ .

والبقرة ـ عائشة ـ .

والقدرية والمعتزلة تسمي إنكار القدر ـ عدلاً ـ .

وتسمي الصفات ـ توحيداً ـ وإثباتها تشبيهاً .

والخروج على الأئمة ـ أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ـ .

والجهمية يسمون التعطيل ـ توحيداً ـ ، والإثبات ـ تجسيماً ـ .

وأهل الكلام يسمون الفلسفة والعقليات والأوهام ـ توحيداً ـ .

وتأويل الصفات ـ تنزيهاً ـ ، وإثباتها ـ حشواً ـ و ـ تجسيماً ـ ، وقد ذكرنا كثيراً من تلبيسات أهل الكلام قبل قليل .

والصوفية تسمي الحلول ، والاتحاد والشركيات ـ حقيقة ـ و ـ توحيداً ـ .

وتسمي أهل البدع ـ أولياء ـ و ـ أهل الله ـ .

والفلاسفة والباطنية تسمي إلحادها وضلالها ـ حكمة ـ و ـ معرفة ـ .

والوحي والشرائع ـ ظواهر ـ و ـ تخيلات ـ و ـ جهالات ـ .

وزعمت الباطنية أن ـ آيات الله ـ أئمتهم .

والحلال ـ ما يجب إظهاره ـ ، والحرام ـ ما يجب ستره ـ .

والصلاة ـ صلاة الداعي ـ .

والزكاة ـ إيصال الحكمة ـ .

والصوم ـ ستر عقائدهم ـ .

والحج ـ زيارة شيوخهم ـ .

ومما يجب التنبه له هنا أن تلبيسات أهل الكلام تأتي في معارضة القرآن والسنة وطريقة السلف ، فإن سائر أصول المتكلمين لا يدل عليها القرآن ، بل هو على نقيضها لكنهم يلبسون على الناس بألفاظ مشتبهات .

قولهم بأن الله تعالى : ليس على العرش ، وليس في العلو ولا فوق ، ولا داخل العالم ولا خارجه ، ولا يشار إليه ، ولا يقرب منه شيء ، ولا هو يقرب من شيء ، ولا ينزل ولا يجيء ، ولا يحتجب ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا ينزل منه شيء ... الخ ، يصادم ما جاء به القرآن وجاءت به السنة من أن الله تعالى على عرشه فوق عباده ، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[1] قريب منهم ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾[2]، يجيء ـ وجاء ربك ـ ، وينزل للحديث ـ ينزل ربنا تبارك وتعالى .. إليه يصعد الكلم الطيب ـ ، ونحو ذلك ، لكن أهل الكلام يردون ذلك ويصرفونه باعتراضات وتوهمات يزعمونها عقلية فيزعمون أن ذلك انتقال وحركة ، وأنه يعني حلول الحوادث بالله تعالى على نحو ما هو معروف في المخلوقات مع أن الاستواء والعلو والفوقية لله تعالى ثابتة بنص القرآن وصحيح السنة لكنهم سموا صفات الله وأفعاله بغير اسمها الشرعي ليكون ذلك ذريعة لتأويلها ونفيها .

وقال ابن القيم : وأما لبس الحق بالباطل : فأنتم تسمون ما أثبته الله لنفسه من الصفات والكلام والعلو والاستواء ـ تركيباً وتجسيماً وتشبيهاً ـ .

---

[1] سورة طه : ٥

[2] سورة البقرة : ١٨٦

وتسمون عرشه ـ حيزاً ـ واستواءه عليه ـ تحيزاً ـ .

وتسمون صفاته ـ أعراضاً ـ ، وتنزهونه عنها ، وأفعاله ـ حوادث ـ وتنفونها عنه ، وحكمته ـ أعراضاً ـ وتبطلونها ، ووجهه الكريم ويديه ـ جوارح ـ وتنكرونها .

ويسمون نفيهم وتعطيلهم ـ تنزيهاً ـ وتقديساً وتوحيداً ـ ، فيلتبس الحق بالباطل على من لم يعرف مرادهم من هذا التنزيه والتوحيد والتقديس ولا من ذلك التجسيم والتشبيه والتمثيل .

واعلم يا أخي المسلم ـ حماني الله وإياك ـ أن أسلم طريقة في أسماء الله وصفاته ، طريقة القرآن والسنة ، وهي ما عليه السلف الصالح : إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال كما يليق بجلال الله تعالى وعظيم سلطانه . وأن كل ما زاد عن ألفاظ الشرع فهو قول على الله بغير علم ، ورجم بالغيب ، ينافي التسليم لله تعالى ، فاستمسك بالقرآن والسنة ونهج سلف الأمة وحسبك ، وإياك أن تستهويك الأهواء ، ويستهويك الشيطان فيضلك عن سبيل الله ، أو يلبِّس عليك دينك واحفظ الله يحفظك][١] .

---

(١) دراسات في الأهواء والفرق والبدع المرجع السابق ص ٤٥٧ .

المبحث الثالث : حمل نصوص الكتاب والسنة على المصطلحات الحادثة :

ومن طرق المبتدعة في التلبيس وإثارة الفتن حمل نصوص الكتاب والسنة على المصطلحات الحادثة فقد سمو دعاء النبي ﷺ لكشف الضر وتسهيل جلب الرزق نداء .

وقد ذكر ذلك الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البابطين في كتابه تأسيس التقديس في رده على ابن جرجيس ، حيث قال :

[ويزعم أن دعاء الأموات والغائبين والذبح والنذر لغير الله ليس بشرك ويقول أن الطلب من الأموات والغائبين لا يسمى دعاء بل نداء][١] .

وقد سمو الكلام بالفقه الأكبر تلبيساً على الناس وقالوا بأن الجدل هو الجدال المقصود في الآية الكريمة ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[٢] مستندهم في ذلك أتباع الأهواء والظنون ومن أبرز سمات أهل الأهواء :

[أتباع الهوى وأتباع الظن ، لذلك سموا ـ أهل الأهواء ـ وأتباع الهوى والظن قاسم مشترك بين جميع أهل الضلال والباطل ، من المشركين والكفار وأهل الافتراق والمبتدعة وأهل المعاصي والفجور .

قال الله تعالى في حق المشركين : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾[٣] وكذلك الحال في سائر أهل البدع والافتراق لأنهم اتصفوا ببعض خصال الكفار .

---

[١] كتاب تأسيس التقديس ، المرجع السابق ، ص ٢

[٢] سورة النحل : ١٢٥

[٣] سورة النجم : ٢٣

وقال تعالى في حق المكذبين للرسل من بني إسرائيل ونحوهم : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾[2].

وبين سبحانه أن أتباع الهوى سبب للضلال عن سبيل الله مطلقاً ، فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[4] ، ونهى الله عز وجل رسوله والمؤمنين عن اتباع أهل الأهواء فقال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾[6] .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[7] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[8] .

---

(1) سورة البقرة ٨٧
(2) سورة المائدة ٧٠
(3) سورة القصص : ٥٠
(4) سورة ص : ٢٦
(5) سورة الكهف : ٢٨
(6) سورة طه : ١٦
(7) سورة الجاثية : ١٨
(8) سورة البقرة :١٢٠

وجعل الله تعالى السلامة من الهوى سبباً لدخول الجنة فقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[1] .

ويبين سبحانه أن أهل الأهواء والضلال إنما يتبعون الظن فقال : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾[2] ، وقال سبحانه : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[3] .

قال شيخ الإسلام : وصاحب الهوى يعميه ويصمه الهوى ، فلا يستحضر مراد لله ورسوله ﷺ في ذلك ولا يطلبه ولا يرضى لرضا الله ورسوله ﷺ ولا يغضب لغضب الله ورسوله ﷺ ، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه ، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه ، ويكون مع ذلك معه شبهة دين : أن الذي يرضى له ويغضب له أنه السنة وهو الحق وهو الدين ، فإذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الإسلام ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، بل قصد الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء ليعظم هو ويثنى عليه ، أو فعل ذلك شجاعة وطبعاً ، أو لغرض من الدنيا لم يكن لله ولم يكن مجاهداً في سبيل الله ، فكيف إذا كان الذي يدّعي الحق والسنة هو كنظيره معه حق وباطل وسنة وبدعة ومع خصمه حق وباطل وسنة وبدعة ، وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم شيعاً وكفّر بعضهم بعضاً وفسّق بعضهم بعضاً .

والفارق بين صاحب السنة وصاحب الهوى ، أن صاحب الهوى يتعصب لهواه ويماري فيه ويخاصم ، والسّني لا يتعصب للأهواء ، سئل أبو بكر بن عياش ، قال له رجل : يا أبا بكر : من السّني ؟ قال : الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها .

---

[1] سورة النازعات : ٤٠ ـ ٤١
[2] سورة يونس : ٣٦
[3] سورة الأنعام : ١٦

فأهل الأهواء يتبعون أهواءهم ويتعصبون لها ، وأهل السنة لا يتعصبون للأهواء ، كما أن أهل الأهواء يجمعون بين الهوى واتباع الظن ، وهما متلازمان غالباً .

قال ابن القيم في الرد على أهل الكلام وأهل الأهواء : إن الكلام في الدين نوعان : أمر وخبر ، فما عارض الأمر ، كان من باب الهوى الذي يأمر به الشيطان والنفس ، وما عارض الخبر ، كان من باب الظن والخرص الذي هو أكذب الحديث ، وهؤلاء لا تجدهم إلا وقد جمعوا بين الأمرين ، فهم في الإدارات تابعون لأهوائهم ، وفي الاعتقادات تابعون لظنونهم ، قال تعالى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[١] .

وقال : إن من تأمل أقوال هؤلاء المعارضين للوحي بعقولهم وآرائهم ، وجدها قد جمعت أمرين ، كل منهما يدل على بطلانها : أحدهما : اختلافها في نفسها ، واضطرابها ، وتهافتها ، وهذا يدل على أنها ليست من عند الله ، كما قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[٢].

فيكفيك من فساد القول اختلافه واضطرابه وتناقضه .

الثاني : أن مصدرها الخرص والظن والتخمين ، وليست صادرة عن وحي علمت عصمته ، ولا عن فطرة وعقل اشترك العقلاء فيما أثبته ونفاه .

وهاتان الخصلتان : اتباع الهوى واتباع الظن ، من خصال أهل الأهواء وسماتهم في كل زمان . وهما مبدأ الانحراف والضلال والابتداع ومنتهاه . ولا يسلم منهما إلاّ من سلّم لوحي الله تعالى واتّبع ما جاء به الرسول ﷺ وسلك سبيل السنة والجماعة : اعتقادا

---

(١) سورة النجم : ٢٣

(٢) سورة النساء : ٨٢

وقولاً وعملاً . وكل من أخلَّ بشيء من ذلك فهو متبع للظن والهوى بقدر إخلاله ، فمن مقل أو مكثر أو مدبر بالكلية. نسأل الله السلامة من الهوى والظن الباطل][1] .

[1] دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، المرجع السابق ص ٤٥٣ ـ ٤٥٦ .

المبحث الرابع : تضخيم شبهاتهم بالأوهام المكذوبة :

ومن طرق المبتدعة في التلبيس وإثارة الفتن ، تضخيمهم شبهاتهم ، بالأوهام المكذوبة :

[فمثلاً يسمون مذهب السلف في إثبات الصفات تشبيها ، وأنواع أخرى من الأوصاف ، والألقاب الشائنة تلبيساً وتمويها ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : هؤلاء نفاة الأسماء من هؤلاء الغالية من الجهمية الباطنية والفلاسفة ، وإنما استطالوا على المعتزلة بنفي الصفات ، وأخذوا لفظ ــ التشبيه ــ بالاشتراك والإجمال ، كما أن المعتزلة فعلت كذلك بأهل السنة والجماعة مثبتة الصفات ، فلما جعلوا إثبات الصفات من التشبيه الباطل ، ألزمهم أولئك بطرد قولهم ، فألزموهم نفي الأسماء الحسنى][١] .

ولقد لخص الشيخ ناصر العقل في كتابه القيم ــ دراسات في الأهواء والفرق والبدع ــ بعض شبهاتهم وأوهامهم المكذوبة وأرجع ذلك إلى أن عندهم خللاً وإخلالاً في منهج التلقي والاستدلال ومن ذلك :

[١) رد النصوص التي تخالف أصولهم ـ منهج وسمة ـ :

من المناهج العامة والسمات المشتركة لعامة أهل الأهواء أنهم يردون نصوص الوحي من القرآن والسنة إذا خالفت أهواءهم ، أو عارضت أصولهم الفاسدة ، وقواعدهم الباطلة .

وفي ذلك يقول الشاطبي : ومنها ضد هذا ، وهو ردهم للأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم ، ويدعون أنها مخالفة للمعقول ، غير جارية على مقتضى الدليل ، فيجب ردها : كالمنكرين لعذاب القبر ، والصراط والميزان ، ورؤية الله ــ عز وجل ــ في الآخرة ، وكذلك حديث الذباب وقتله ، وأن في أحد جناحيه

---

[١] دراسات في الأهواء والفرق والبدع ـ المرجع السابق ـ ص ٤٦٣

داء وفي الآخر دواء ، وأنه يقدم الذي فيه الداء . وحديث الذي أخذ أخاه بطنه فأمره النبي ﷺ بسقيه العسل ، وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول ، ربما قدحوا في الرواة من الصحابة والتابعين ـ رضي الله تعالى عنهم ـ وحاشاهم ـ وفي من اتفق الأئمة من المحدثين على عدالتهم وإمامتهم .

وتبعاً لذلك يردون أقوال الصحابة وآثار السلف ، وفقههم للنصوص ، مع أن الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام ، أعلم من أهل الأهواء ـ بالضرورة ـ بمراد الله وأفقه لدين الله ، ومنهجهم في الدين أعلم وأسلم وأحكم . لكن أهل الأهواء لا يفقهون .

يقول الشاطبي عن أهل البدع : وربما ردوا فتاويهم ـ يعني الصحابة والتابعين ـ وقبحوها في أسماع العامة ، لينفروا الأمة عن اتباع السنة وأهلها كما روي عن أبي بكر ابن محمد أنه قال : قال عمرو بن عبيد : لا يعفى عن اللص دون السلطان ، قال : فحدثته بحديث صفوان بن أمية عن النبي ﷺ حيث قال : فهلا قبل أن تأتيني به [١] ، قال : أتحلف بالله أن النبي ﷺ قاله ؟ قلت : أتحلف أنت بالله أن النبي ﷺ لم يقله ؟ فحدثت به ابن عوف قال : فلما عظمت الحلقة قالوا : يا أبا بكر حدث . وقد جعلوا القول بإثبات الصراط والميزان والحوض قولاً بما لا يعقل ، وقد سئل بعضهم : هل يكفر من قال برؤية الباري في الآخرة ؟ فقال : لا يكفر ، لأنه قال ما لا يعقل ، ومن قال بما لا يعقل فليس بكافر . وذهبت طائفة إلى نفي أخبار الآحاد جملة والاقتصار على ما استحسنته عقولهم في فهم القرآن ، حتى أباحوا الخمر بقوله : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ﴾ [٢] الآية ، ففي هؤلاء وأمثالهم قال رسول الله ﷺ : لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته

---

[١] أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ح/١٥٣٣٩ ، ٤٠١/٣ ، والنسائي: ح/٤٨٨٤ ، ٧٠/٨

[٢] سورة المائدة : ٩٣

يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول : لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه [١] ، وهذا وعيد شديد تضمنه النهي لاحق بمن أرتكب رد السنة .

وقال : أن عامة المبتدعة قائلة بالتحسين والتقبيح ، فهو عمدتهم الأولى ، وقاعدتهم التي يبنون عليها الشرع ، فهو المقدم في نحلهم بحيث لا يتهمون العقل ، وقد يتهمون الأدلة إذا لم توافقهم في الظاهر ، حتى يردوا كثيراً من الأدلة الشرعية ، وقد علمت ـ أيها الناظر ـ أنه ليس كل ما يقضي به العقل يكون حقاً . لذلك تراهم يرتضون اليوم مذهباً ويرجعون عنه غداً ، ثم يصيرون بعد غد إلى رأي ثالث .

وقال : ومنه دعاوي أهل البدع على الأحاديث الصحيحة مناقضتها للقرآن ، أو مناقضة بعضها بعضاً ، وفساد معانيها أو مخالفتها للعقول ـ كما حكموا بذلك في قوله ﷺ للمتحاكمين إليه : والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله : مائة الشاة والخادم ردٌ عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، وعلى المرأة هذه الرجم واغدُ يا أُنيس على امرأة هذا فإن اعترفت ارجمها ، فغدا عليها فاعترفت ، فرجمها [٢] ـ قالوا : هذا مخالف لكتاب الله ، لأنه قضى بالرجم والتغريب ، وليس للرجم ولا التغريب في كتاب الله ذكر ، فإن كان الحديث باطلاً فهو ما أردنا ، وإن كان حقاً فقد ناقض كتاب الله بزيادة الرجم والتغريب. - وعلى قولهم فصفة الصلاة وعددها ليس في كتاب الله ، بل وردت في السنة ، أفيكون ذلك مناقضة لكتاب الله ـ .

---

[١] أخرجه ابن حبان في صحيحه : ح/١٢ ، ١٨٨/١ ، والحاكم : خ/٣٦٨ ، ١٩٠/١

[٢] أخرجه البخاري : حديث رقم ٦٤٤٠ ، جزء ٦ ، ص ٢٥٠٢

وقال شيخ الإسلام في أهل الأهواء : يردون الأحاديث التي تعارض مقولاتهم – وإن كانت صحيحة – كما فعل الجبائي في رد حديث احتجاج آدم وموسى .

قلت : هذا مجرد مثال لا يخص شخصاً أو أشخاصاً منهم ، بل نجد أن رد الأحاديث من أصول أهل الأهواء ومناهجهم وسماتهم الثابتة ، كما فعلت القدرية في رد أحاديث القدر كحديث الصادق المصدوق .

وكما فعلت الجهمية والمعتزلة في رد أحاديث الرؤية والشفاعة ، وأحاديث الصفات .

وكما فعلت الخوارج في رد أحاديث الوعد والشفاعة .

وكما فعلت الرافضة في رد سائر السنة التي رواها الصحابة .

وكما فعلت الصوفية والمقابرية في رد الأحاديث التي تنهي عن الابتداع .

ومن ذلك استدلالهم بالضعيف والموضوع وما لا أصل له ، وترك الدليل الأقوى والأصح .

قال شيخ الإسلام : ومن ذلك أن أحدهم يحتج بكل ما يجده من الأدلة السمعية ، وإن كان ضعيف المتن والدلالة ، ويدع ما هو أقوى وأبين من الأدلة العقلية ، إما لعدم علمه بها ، وإما لنفوره عنها ، وإما لغير ذلك ، وفي مقابلة هؤلاء من المنتسبين إلى الإثبات ، بل إلى السنة والجماعة أيضاً ، من لا يعتمد في صفات الله على أخبار الله ورسوله ، بل قد عدل عن هذه الطريق وعزل الله ورسوله عن هذه الولاية ، فلا يعتمد في هذا الباب إلاّ على ما ظنه من المعقولات ، ثم هؤلاء مضطربون في معقولاتهم أكثر من اضطراب أولئك في المنقولات ، تجد هؤلاء يقولون : إنا نعلم بالضرورة أمراً ، والآخرون يقولون : نعلم بالنظر أو بالضرورة ما يناقضه ، وهؤلاء يقولون : العقل الصريح لا يدل إلا على ما قلناه ، والآخرون يناقضونهم في ذلك .

وقال : وأهل الكلام الذين ذمَّهم السلف لا يخلو كلام أحد منهم عن مخالفة السنة ، ورد لبعض ما أخبر به الرسول ، كالجهمية والمشبهة ، والخوارج والروافض ، والقدرية ، المرجئة .

لذلك كان السلف يتهمون كل من تردد في قبول الأحاديث أو ردّ شيئاً منها ، قال البربهاري : وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها ، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ فاتهمه على الإسلام فإنه رجل رديء المذهب والقول .

٢) دعوى بعضهم أن النصوص لا تفي بالدين وتفصيلات العقائد ـ منهج ـ :

وهم في هذا صنفان : صنف يقول به صراحة . وصنف يُعَدُّ ذلك من لوازم مذهبه ، قال شيخ الإسلام في قول بعض أهل الكلام وغيرهم بأن النصوص لا تفي بالشريعة كلها ، أو قولهم بأن النصوص لا تفي بعشر معشار الشريعة : ـ هذا القول قاله طائفة من أهل الكلام والرأي كأبي المعالي وغيره ، وهو خطأ ، بل الصواب الذي عليه جمهور أئمة المسلمين أن النصوص وافية بجمهور أحكام أفعال العباد ، ومنهم من يقول : إنها وافية بجميع ذلك ، وإنما أنكر ذلك من أنكره لأنه لم يفهم معاني النصوص العامة التي هي أقوال الله ورسوله وشمولها لأحكام أفعال العباد ، وذلك أن الله بعث محمداً ﷺ بجوامع الكلم ، فيتكلم بالكلمة الجامعة العامة التي هي قضية كلية وقاعدة عامة تتناول أعياناً لا تحصى ، فبهذا الوجه تكون النصوص محيطة بأحكام أفعال العباد ـ.

وقال الشاطبي : وثبت أن النبي ﷺ لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا ، وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة ، فإن كان كذلك ، فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله : إن الشريعة لم تتم ، وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها ، لأنه لو كان معتقداً لكمالها وتمامها من كل وجه لم

يبتدع ولا استدرك عليها ، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم . قال ابن الماجشون : سمعت مالكاً يقول : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، لأن الله يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[1] فما لم يكن يومئذٍ ديناً ، فلا يكون اليوم ديناً .

٣) ومن ذلك رد الوحي بقواعد محدثة وأوهام ـ منهج ـ :

أهل الأهواء لا يتورعون عن رد الوحي المنزل من الله تعالى بقواعدهم الفاسدة المحدثة ، وفي هذا مشاقة لله وللرسول ﷺ .

يقول الشاطبي : والثالث : أن المبتدع معاند للشرع ومشاق له ، لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقاً خاصة على وجوه خاصة ، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد ، وأخبر أن الخير فيها ، وأن الشر في تعديها ، إلى غير ذلك ، لأن الله يعلم ونحن لا نعلم ، وأنه إنما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين ، فالمبتدع راد لهذا كله ، فإنه يزعم أن ثم طرقاً أُخر .

وقال ابن القيم : وجاء أفضل متأخريهم فنصب على حصون الوحي أربعة مجانيق :

الأول : أنها أدلة لفظية لا تفيد اليقين .

الثاني : أنها مجازات واستعارات لا حقيقة لها .

الثالث : أن العقل عارضها فيجب تقديمه عليها .

الرابع : أنها أخبار آحاد ، وهذه المسائل علمية فلا يجوز أن يحتج بالأخبار .

وقال ابن القيم أيضاً : إن هؤلاء المعارضين للوحي بعقولهم ارتكبوا أربع عظائم :

إحداها : ردهم نصوص الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ .

الثانية : إساءة الظن ـ به ـ ، وجعله منافياً للعقل ، مناقضاً له .

---

[1] سورة المائدة : ٣

الثالثة : جنايتهم على العقل بردهم ما يوافق النصوص من المعقول ، فإن موافقة العقل للنصوص التي زعموا أن العقل يردها أظهر للعقل في معارضته لها .

الرابعة : تكفيرهم أو تبديعهم وتضليلهم لمن خالفهم في أصولهم التي اخترعوها ، وأقوالهم التي ابتدعوها ، مع أنها مخالفة للعقل والنقل ، فصوبوا رأي من تمسك بالقول المخالف للعقل والنقل ، وخطّؤوا من تمسك بما يوافقها ، وراج ذلك على من لم يجعل الله له نوراً ، ولم يشرق على قلبه نور النبوة .

أنهم جعلوا ظنونهم وأوهامهم ـ يقينيات ـ ، وجعلوا ـ كلام الله ورسوله ـ ظنيات ، وهذا غرور وتخليط ، فكان أسلافهم الفلاسفة القدامى خيراً منهم حين قرروا أن العلم الإلهي لا سبيل إلى اليقين فيه ، إنما الغاية من الكلام فيه الأخذ بالأولى والأخلق ، كما ذكر ذلك الرازي في المطالب العالية ، لكنه يخالف ذلك في مسلكه الكلامي أحياناً ، ويضطرب في غالب الأحيان .

٤) **فساد تصورهم عن النبوة ومن ثم الوحي وكلام الله ـ منهج وسمة ـ :**

من أسباب تمادي أهل الأهواء في ضلالاتهم ، أنهم يضعون القاعدة الفاسدة ويبنون عليها أحكاماً فاسدة كذلك ، ثم يجرهم ذلك إلى قواعد جديدة باطلة ، وهكذا تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ، ومن ذلك تصورهم الفاسد عن حقيقة النبوة .

قال ابن القيم : وكذلك الطريق التي سلكوها في إثبات النبوة ، لم يثبتوا بها نبوة في الحقيقة ، فإنهم بنوها على مجرد خرق العادة ، وهو مشترك بين النبي وغيره ، وحاروا في الفرق ، فلم يأتوا فيه بما يثلج له الصدر ، ولا يحصل به برد اليقين ، مع أن النبوة التي أثبتوها لا ترجع إلى وصف وجودي ، بل هي تعلق الخطاب الأزلي بالنبي ، والتعلق عندهم أمر عدمي ، فعادت النبوة عندهم إلى أمر عدمي ، وقد

صرحوا بأنها لا ترجع إلى صفة ثبوتية قائمة بالنبي ، وأيضاً فحقيقة النبوة والرسالة إنباء الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ ، وأمره بتبليغ كلامه إلى عباده ، وعندهم أن الله لا يتكلم ، ولا يقوم به كلام .

٥) **زعمهم الاكتفاء بالقرآن ـ منهج وسمة ـ :**

هذه السمة وإن لم تكن مطردة عند أكثر أهل الأهواء ، إلا أنهم يلجؤون إليها عندما تتصادم أصولهم الفاسدة مع الأحاديث الصحيحة .

يقول البربهاري : إذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده ، ويريد القرآن فلا تشك أنه رجل قد احتوى على الزندقة ، فقم من عنده ودعه .

فهم يزعمون أنهم يكتفون بالقرآن ، وهذا حجة عليهم ، فإن القرآن أوجب طاعة الرسول ﷺ واتباعه ، وسؤال أهل الذكر ، واتباع سبيل المؤمنين ، وقد حذر النبي ﷺ من هؤلاء الذين يزعمون الاكتفاء بالقرآن .

٦) **الطعن في خبر الآحاد ـ منهج ـ :**

كان الصحابة والتابعون وسائر السلف في القرون الثلاثة وما بعدها ، يأخذون بكل ما صح عن رسول الله ﷺ دون تفريق بين الأحاد وغيره ، ودون تفريق بين العمل والاعتقاد ، ولم يخالف في ذلك إلاّ طوائف من الجهمية والمعتزلة والخوارج ومن سلك سبيلهم ، ثم تجرأ أهل الكلام المتأخرون على ذلك ، ومن أشهر من طعن في خبر الآحاد الرازي ، وهو منهج أهل الكلام من الأشاعرة ومن سلك سبيلهم ، يقول الرازي : إن أخبار الآحاد مظنونة فلم يجز التمسك بها في معرفة الله تعالى وصفاته.

ثم قال : إن أجل طبقات الرواة قدراً وأعلاهم منصباً الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، ثم إنا نعلم أن روايتهم لا تفيد القطع واليقين ، وذكر أن سبب ذلك طعن بعضهم ببعض ، وكلامه يشبه كلام الرافضة هنا حيث سرد أموراً زعم أنها مطاعن في

الصحابة ، وأن بعضهم يطعن في بعض ، ثم هو يلمز السلف رواة الحديث ، بأنهم راجت عليهم ـ لسلامة قلوبهم ـ الأحاديث المنكرة ، حيث يقول : وأن جماعة من الملاحدة وضعوا أخباراً منكرة واحتالوا في ترويجها على المحدِّثين ، والمحدثون لسلامة قلوبهم ما عرفوها ، بل قبلوها .

قلت : حسبنا الله ونعم الوكيل . فإذا كانت هذه حال رواة الأحاديث العدول الثقاة عن الرازي وأمثاله فما بقي للأمة من دينها ؟ وكذلك البغدادي وهو من رؤوس أهل الكلام ـ الأشاعرة ـ ، يقول : وأما أخبار الآحاد فمتى صح إسنادها وكانت متونها غير مستحيلة في العقل كانت موجبة للعمل بها دون العلم ، قلت : والحمد لله أنه ليس في أخبار الآحاد الثابتة ما يحيله العقل ، اللهم إلا العقول الفاسدة ، ولا اعتبار لها ، فتأمل حفظك الله .

وهذا الذي يزعمونه خلاف منهج السلف كما أسلفت ، فإن التفريق بين خبر الآحاد وغيره حادث قالت به الجهمية والمعتزلة أولاً ، ثم ورثه عنهم أهل الكلام .

قال ابن عبد البر : وكلهم يعني أهل الفقه والأثر يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات ، ويعادي ويوالي عليها ، ويجعلها شرعاً وديناً في معتقده ، وعلى ذلك جماعة أهل السنة .

فالزم ذلك ، وفقني الله وإياك .

وقال شيخ الإسلام : بإزاء هؤلاء المكذبين بجنس الحديث ومن يقول على أخبار الصحيحين وغيرهما : هذه أخبار آحاد لا تفيد العلم ، وأبلغ من هؤلاء من يقول : دلالة القرآن لفظية سمعية والدلالة السمعية اللفظية لا تفيد اليقين ، ويجعلون العمدة على ما يدعونه من العقليات ، وهي باطلة فاسدة ، منها ما يعلم بطلانه وكذبه . وهؤلاء أيضاً قد يكفرون من خالف ذلك ، كما فعل أولئك ، وكلا الطريقين باطل ولو

لم يكفر مخالفه ، فإذا كفر مخالفه صار من أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالهم فيها ، كما فعلت الخوارج وغيرهم .

وقال شيخ الإسلام أيضاً : ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له أو عملاً به أنه يوجب العلم ، هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، إلاّ فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك ، ولكن كثيراً من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء ، وأهل الحديث والسلف على ذلك ، وهو قول أكثر الأشعرية كأبي إسحاق وابن فورك ، وأما ابن الباقلاني فهو الذي أنكر ذلك ، وتبعه مثل أبي المعالي وأبي حامد وابن عقيل وابن الجوزي وابن الخطيب والآمدي ، ونحو هؤلاء ، والأول هو الذي ذكره الشيخ أبوحامد وأبوالطيب وأبوإسحاق وأمثاله من أئمة الشافعية ، وهو الذي ذكره القاضي عبدالوهاب وأمثاله من المالكية ، وهو الذي ذكر أبو يعلى وأبوالخطاب وأبو الحسن بن الزاغوني وأمثالهم من الحنبلية ، وهو الذي ذكره شمس الدين السرخسي ، وأمثاله من الحنفية ، وإذا كان الإجماع على تصديق الخبر موجباً للقطع به ، فالاعتبار في ذلك بإجماع أهل العلم بالحديث ، كما أن الاعتبار في الإجماع على الأحكام بإجماع أهل العلم بالأمر والنهي والإباحة .

٧) أهل الأهواء يدّعون أنّ نصوص الصفات ونحوها من المتشابه ـ منهج ـ :

أهل الأهواء حين حادوا عن سبيل الحق وهو الإقرار بصفات الله تعالى كما جاءت أولوها واشتبهت عليهم نصوصها المحكمة ، وقد خبرنا الله عنهم محذراً ، قال

تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ ﴾[1] .

يقول ابن رشد الحفيد في ذلك : وهؤلاء أهل الجدل والكلام ، وأشد ما عرض على الشريعة من هذا الصنف أنهم تأولوا كثيراً مما ظنوه ليس على ظاهره ، وقالوا : إن هذا التأويل هو المقصود به ، وإنما أتى الله به في صورة المتشابه ابتلاء لعباده واختباراً لهم ، ونعوذ بالله من هذا الظن بالله ، بل نقول : إن كتاب الله العزيز إنما جاء معجزاً من جهة الوضوح والبيان ، فإذا ما أبعد من مقصد الشرع من قال فيما ليس بمتشابه : إنه متشابه ثم إنه أول ذلك المتشابه بزعمه ، وقال لجميع الناس : إن فرضكم هو اعتقاد هذا التأويل مثل ما قالوه في آيات الاستواء على العرش وغير ذلك مما قالوا : إن ظاهره متشابه .

٨) دعواهم أن الأدلة الشرعية ظنية وأن معقولاتهم وأوهامهم قطعية - منهج - :

ومن مناهج أهل الأهواء الفاسدة التي طعنوا فيها بدلالة النصوص الشرعية زعمهم أن الأدلة الشرعية ظنية ، مع العلم أن زعمهم هذا يستهدف العقيدة ونصوصها ، وهذه الدعوى تهز الاعتقاد واليقين ، فلهذا اهتزت عقائدهم ووقعوا في الحيرة والاضطراب ، كما فعل الرازي في أساس التقديس ، حيث زعم أن الدلائل اللفظية – يعني النصوص الشرعية – لا تكون قطعية .

يقول الشاطبي : وربما احتج طائفة من نابتة المبتدعة على رد الأحاديث بأنها إنما تفيد الظن ، وقد ذُمّ الظن في القرآن كقوله تعالى : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[2] ، وقال : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾[3]

---

(١) سورة آل عمران : ٧

(٢) سورة النجم : ٢٣

(٣) سورة النجم : ٢٨

وما جاء في معناه . حتى أحلوا أشياء مما حرمها الله تعالى على لسان نبيه ﷺ ، وليس تحريمها في الكتاب ، والظن المراد في الآية وفي الحديث أيضاً غير ما زعموا ، وقد وجدنا له محال ثلاثة : ـ أحدها ـ : الظن في أصول الدين فإنه لا يغني عند العلماء لاحتماله النقيض عند الظان ، بخلاف الظن في الفروع فإنه معمول به عند أهل الشريعة للدليل الدال على إعماله ، فكان الظن مذموماً إلا ما تعلق منه بالفروع . وهذا صحيح ذكره العلماء في الموضع .

٩) استعمال الأقيسة العقلية في صفات الله وسائر أصول العقيدة ـ منهج ـ :

من المعلوم أن المذهب الحق أن العقيدة غيبية توقيفية لا مجال للعقول فيها إلاّ بالتسليم للنصوص الثابتة ، لأن العقول والأفكار لا تحيط بالغيب ، وأن القاعدة الشرعية أن الله له المثل الأعلى من كل شيء فلا يقاس بغيره ولا يقاس به غيره . إلا أن أهل الأهواء قاسوا الله تعالى بخلقه في نفس الوقت الذي زعموا فيه الهروب من الإثبات خوفاً من التشبيه ، فقد قالوا في الصفات بمقاييس عقلية ، ومن ذلك : مقولتهم : ـ أن الجسم لا يخلو من الأعراض التي هي الصفات ، وأن ما لا يخلو عن الصفات فهو محدث ، لأن الصفات التي هي الأعراض لا تكون إلا محدثة ، ولأجلها التزم جهم التعطيل وفناء الجنة والنار ـ ثم التزم المعتزلة نفي الصفات ، ثم التزم الكلابية والأشاعرة الماتوردية نفي أفعال الله الاختيارية ، وتأويل الصفات .

ـ والتزم أبو الهذيل انقطاع حركات أهل الجنة ـ .

وهكذا ، كما التزم أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم لأجلها نفي الصفات أو بعضها ، التزموا كذلك القول بخلق القرآن ، وأن الله لا يُرى في الآخرة ، وإنكار العلو على العرش .

ومن ذلك قولهم : ـ إن اليد والعين والوجه جوارح وأعضاء ـ والله منزه من الأعضاء والجوارح ، وعليه فليس لله يد ولا عين ولا وجه . فردوا ما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ بالأقيسة العقلية .

ولذلك قال شيخ الإسلام : التمسك بالأقيسة مع الإعراض عن النصوص والآثار طريق أهل البدع .

والمتأمل لحال أهل الكلام يجد أنهم ما نفوا صفات الله تعالى إلاّ حينما قاسوها على صفات الخلق وأفعالهم ، ولم يعتقدوا أنه الله تعالى ـ ليس كمثله شيء ـ .

١٠) اعتمادهم على التأويل والتعطيل في صفات الله تعالى وسائر العقيدة ـ منهج ـ :

فالتأويل من أخطر مناهج أهل الأهواء ، فهو وسيلتهم لرد دلالة النصوص وتعطيل معانيها ، دون تعرض لإنكارها وردها بالكلية ، ومن ذلك :

تحريف التأويل وتحريف التنزيل ، قال تعالى : ﴿ يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾[١] وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[٢].

ومبتدأ التأويل عند أهل الكلام كان في مسائل قليلة ـ كالكلام ـ وبحذر شديد ، ثم تجارت بهم الأهواء حتى فتحوا باب التأويل الفاسد .

---

(١) سورة آل عمران : ٧٨

(٢) سورة آل عمران : ٧

ولما فتحوا باب التأويل لم يقف متأخروهم عند حد ، فأولوا جميع الصفات الخبرية ، حتى قال الكوثري : ــ وإذا صح التأويل لبرهان في شيء صح في بقية الأشياء ، حتى لا فرق بين برهان وبرهان ولا لفظ ولفظ ــ ، وهذا ما كان يحذر منه السلف في تعليلهم كراهة التأويل كما ذكر شيخ الإسلام وغيره فقد كان السلف يقولون لمبتدعة التأويل من أهل الكلام الأوائل : إذا فتحتم باب التأويل في بعض الصفات والسمعيات ، فمن يأمن أن يتذرع غيركم بذلك إلى التعطيل وتغيير جميع العقائد والشرائع . وقد حصل فعلاً أن عطلت الجهمية والفلاسفة والباطنية ، قال الدارمي : ــ وبلغنا أن بعض أصحاب المريسي قال له : كيف تصنع بهذه الأسانيد الجياد التي يحتجُون بها علينا في رد مذاهبنا مما لا يمكن التكذيب بها مثل : سفيان عن منصور عن الزهري ، والزهري عن سالم ، وأيوب وابن عون ، عن ابن سيرين ، وعمرو بن دينار عن جابر ، عن النبي ﷺ وما أشبهها ؟

قال : فقال المريسي : لا تردوه تفتضحوا ، ولكن غالطوهم بالتأويل فتكونوا قد رددتموها بلطف إذ لم يكن ردها بعنف ، كما فعل هذا المعارض سواء ... ــ .

قلت : ولما فعل ذلك بشرٌ المريسي حيث ألف كتباً في تأويل كثير من نصوص الصفات وأفعال الرب سبحانه وتعالى ، تابعه آخرون ممن ينتسبون للسنّة كابن الثلجي ، ثم استمد ابن فورك من ابن الثلجي .

وتأثر بعض أوائل الأشاعرة كالبيهقي ، والباقلاني ، والخطابي ، ثم صار التأويل منهجاً للأشاعرة ، ومنذ عهد الجويني ــ أبو المعالي ــ ثم الغزالي والرازي والآمدي والإيجي صار التأويل على مصاريعها في الصفات وغيرها ، فصار كل صاحب هوى أو شبهة أو نزعة عقلانية ، يعارض ويرد ما يرده من شرع الله ونصوص الوحي بالتأويل . فحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال ابن القيم : وحقيقة الأمر أن كل طائفة تتأول ما يخالف نحلتها ومذهبها ، فالعيار على ما يتأول وما لا يتأول هو المذهب الذي ذهبت إليه والقواعد التي أصلتها ، فما وافقها أقروه ولم يتأولوه ، وما خالفها فإن أمكنهم دفعه وإلا تأولوه ، لهذا لما أصلت الرافضة عداوة الصحابة ، ردوا كل ما جاء في فضائلهم والثناء عليهم أو تأولوه .

ولما أصلت الجهمية أن الله لا يتكلم ولا يكلّم أحداً ، ولا يرى بالأبصار ، ولا هو فوق عرشه مبائن لخلقه ، ولا له صفة تقوم به ، أوّلوا كل ما خالف ما أصلوه .

ولما أصلت القدرية أن الله ــ سبحانه ــ لم يخلق أفعال عباده ولم يقدرها عليهم ، أولوا كل ما خالف أصولهم ، ــ ولما أصلت المعتزلة القول بنفوذ الوعيد ، وأن من دخل النار لم يخرج منها أبداً ، أولوا كل ما خالف أصولهم ــ .

ولما أصلت المرجئة أن الإيمان هو المعرفة ، وأنها لا تزيد ولا تنقص ، أولوا ما خالف أصولهم .

ولما أصلت الكلابية أن الله سبحانه لا يقوم به ما يتعلق بقدرته ومشيئته ، وسموا ذلك حلول الحوادث ، أولوا كل ما خالف هذا الأصل .

وقال ابن رشد : وبالجملة فأكثر التأويلات التي زعم القائلون بها أنها المقصود من الشرع إذا تؤولت وجدت ليس يقوم عليها برهان ، ولا تفعل فعل الظاهر في قبول الجمهور لها وعملهم بها ، فإن المقصود الأول بالعلم في حق الجمهور ما هو العمل ، فما كان أنفع في العمل فهو أجدر ، وأما المقصود بالعلم في حق العلماء فهو الأمران جميعاً ، أعني العلم والعمل .

ومثال من أول شيئاً من الشرع وزعم أن ما أوله هو الذي قصده الشرع وصرح بذلك التأويل للجمهور ، مثال من أتى إلى دواء قد ركبه طبيب ماهر ، ليحفظ صحة جميع

الناس أو الأكثر ، فجاء رجل فلم يلائمه ذلك الدواء المركب الأعظم لرداءة مزاج كان به ليس يعرض إلاّ للأقل من الناس ، فزعم أن بعض الأدوية التي صرح باسمه الطبيب الأول في ذلك الدواء العام المنفعة المركب لم يرد به ذلك الدواء التي جرت العادة في اللسان أن يدل بذلك الاسم عليه .

وقال : وأنت إذا تأملت ما عرض في هذه الشريعة في هذا الوقت من الفساد العارض فيها من قبل التأويل تبينت أن هذا المثال صحيح ، وأول من غير هذا الدواء الأعظم هم الخوارج ، ثم المعتزلة بعدهم ثم الأشعرية ، ثم الصوفية ، ثم جاء أبو حامد فطم الوادي على القرى . وهكذا مر التأويل الباطل بمراحل على النحو التالي :

المراحل التي سلكها أهل الأهواء في رد النصوص :

هذا وقد كان منهج أهل الأهواء والكلام في رد النصوص على مراحل :

المرحلة الأولى : رد بعض السنة وتكذيبها والطعن في الرواة ـ بما فيهم الصحابة ـ وهذا منهج الجهمية والمعتزلة الأوائل ، كعمرو ابن عبيد ، وثمامة بن أشرس ، والنظام والجاحظ . ثم عملت به الرافضة تجاه سائر الصحابة والسلف . وكذلك بعض الخوارج .

المرحلة الثانية : التأويل ، وذلك حينما وجدوا قوة تصدي السلف وتشنيع العامة وتهديد الولاة ، حيث عرضوهم على السيف ، فلجأوا إلى تأويل نصوص الصفات كما فعل بشر المريسي ، ثم تأثر بمنهجه بعض المنتسبين للحديث كابن الثلجي ـ محمد بن شجاع الحنفي ـ وقد ألف كتاباً في تأويل أحاديث الصفات على نحو ما فعل بشر

المريسي ، وكطعنه في حماد بن سلمة لموقفه من أبي حنيفة ، ثم صار التأويل منهجاً يعتمد عليه أهل الكلام وتقوم عليه عقائدهم في الصفات وبعض السمعيات .

فقد أخذ ابن فورك منهج التأويل ـ فيما يوافق أصول الكلابية ثم الأشاعرة ـ عن ابن الثلجي والمريسي ، وتأثرت به الطبقة الوسطى من أوائل الأشاعرة كالخطابي والبيهقي .

المرحلة الثالثة : مرحلة الجمع بين الرد لـ ـ خبر الآحاد ـ والتأويل عند متأخري الأشاعرة ، كالجويني والغزالي والرازي والإيجي .

المرحلة الرابعة : الجمع بين الرد والتأويل والطعن في الرواة الأئمة العدول ليبقى منهج أهل الكلام سالماً ولو على حساب السنة ، كما فعل الكوثري ومدرسته . وهو أشبه بمنهج المريسي .

المرحلة الخامسة : مرحلة الرد والإعراض الكامل والرفض المعلن لمناهج السلف ، وهي مذهب أخلاف المتكلمين من العصرانيين الذين يزعمون الحاجة إلى وضع مناهج جديدة لتلقي الدين ، وتقريره وتجديده.

١١) الاعتماد على الكذب والوضع وما لا أصل له في الدين ـ منهج وسمة ـ :

من أبرز سمات أهل الأهواء ومناهجهم في التلقي والاستدلال اعتمادهم على الكذب والوضع ، وقلة التعويل على الإسناد ، ولذلك يكثر استدلالهم بالموضوعات والمكذوبات والآثار الضعيفة ، وما لا أصل له : وهم في الوقت نفسه يردون ما يخالف أهواءهم من النصوص الصحيحة يقول شيخ الإسلام : وهذا في البدع الكبار مثل الرافضة والجهمية فإن الذي وضع الرفض كان زنديقاً ابتدأ تعمد الكذب الصريح الذي يعلم أنه كذب ، كالذين ذكرهم الله من اليهود الذين يفترون على الله

الكذب وهم يعلمون ، ثم جاء من بعدهم من ظن صدق ما افتراه أولئك ، وهم في شك منه كما قال تعالى : ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾[١] .

وكذلك الجهمية ليس معهم على نفي الصفات وعلو الله على العرش ونحو ذلك نص أصلاً ولا آية ولا حديث ولا أثر عن الصحابة ، بل الذي ابتدأ ذلك لم يكن قصده اتباع الأنبياء ، بل وضع ذلك كما وضعت عبادة الأوثان وغير ذلك من أديان الكفار ، مع علمهم بأن ذلك مخالف للرسل كما ذكر عن مبدلة اليهود ، ثم فشا فيمن لم يعرفوا أصل ذلك .

١٢) التمسك بظواهر من النصوص دون مراعاة قواعد الاستدلال ـ منهج ـ :

من منهج أهل الأهواء التعلق بظواهر النصوص حينما توافق أهواءهم ، دون ردها إلى النصوص الأخرى ، ودون مراعاة لقواعد الاستدلال عند أهل العلم ، كاستدلال الخوارج بقوله تعالى : ـ إن الحكم إلا لله ـ على تكفير من حكم الرجال .

وكاستدلال الجهمية بقوله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[٢] على نفي الرؤية .

يقول شيخ الإسلام عن أهل البدع والأهواء : فكانوا متمسكين بظاهر من القول لا بظاهر القول ، وعمدتهم عدم العلم بالنصوص التي فيها علم بما قيد، وإلاّ فكل ما بينه القرآن وأظهره فهو حق ، بخلاف ما يظهر للإنسان لمعنى آخر غير نفس القرآن ، يسمى ظاهر القرآن كاستدلالات أهل البدع من المرجئة الجهمية والخوارج والشيعة .

---

(١) سورة الشورى : ١٤

(٢) سورة الأنعام : ١٠٣

١٣) قولهم بالمجاز في العقائد ـ منهج ـ :

القول بالمجاز حادث بعد القرون الثلاثة ، وأئمة السلف المعتبرون كرهوه في العقائد ، أنها غيبيه توقيفية ، ولما يؤدي إليه القول بالمجاز في العقائد من هدم نصوص الشرع وتحريف كلام الله ، والقول على الله بغير علم ، وهذا ما يذهب إليه ابن عبد البر وأنه ــ أولى بالصواب ــ ، ويقول : وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق لأنه يقص الحق ، وهو قول الحق تبارك وتعالى علواً كبيراً .

قال شيخ الإسلام : ومن ظن أن العرب قسمت هذا التقسيم ــ يعني الحقيقة والمجاز ــ أو أن هذا أخذ عنها ، وكما يوجد كلام طائفة من المصنفين في أصول الفقه ، فغلطه أظهر ، وقد وجد في كلام طائفة كأبي الحسين البصري والقاضي أبي الطيب والقاضي أبي يعلى وغيرهم .

وقال : فمن الناس من قال : إن كل اسم تسمى به المخلوق لا يسمى به الخالق إلا مجازاً ، حتى لفظ الشيء وهو قول جهم ومن وافقه من الباطنية ، وهؤلاء لا يسمونه موجوداً ، ولا شيئاً ، ولا غير ذلك من الأسماء ، ومن عكس وقال : بل كل ما يسمى به الرب فهو حقيقة ، ومجاز في غيره ، وهو قول أبي عباس الناشي من المعتزلة . والجمهور قالوا : إنه حقيقة فيهما ، لكن أكثرهم قالوا : إنه متواطئ التواطؤ العام ، أو مشككاً إن جعل المشكك نوعاً آخر ، وهو غير التواطىء الخاص الذي تتماثل معانيه في موارد ألفاظه وإنما جعله مشتركاً شرذمة من المتأخرين لا يعرف هذا القول عن طائفة كبيرة ولا نظار مشهورين .

١٤) تعظيمهم طريق الفلاسفة والعقلانيين في تقرير الدين ـ منهج وسمة ـ :

أهـل الكـلام تقـوم أصـولهم ومنـاهجهم فـي التـلقي والاسـتدلال وتقريـر عقـائدهم عـلى مناهج الفلاسفة وقواعدهم .

قـال شيخ الإسـلام : لأن مـثل هـذا الآمـدي وأمـثاله الذيـن عظمـوا طـريقهم ـ يعـني الفلاسـفة ـ، وصـدروا كتـبهم التـي صنفوها فـي أصـول ديـن الإسـلام بـزعمهم بمـا هـو أصـل هـؤلاء الجهـال مـن أن كمـال النفـس الإنسـانية بحصـول مـا لهـا مـن الكمـالات وهـي الإحـاطة بالمعقـولات والعلـم بالمجهـولات ، وسـلكوا طـريقهم ووقعـوا فـي الجهـل والحيـرة والشـك بمـا لا تحصـل النجـاة إلا بـه ، ولا تنـال السـعادة إلا بمعرفتـه ، فضلاً عن نيل الكمال الذي هو فوق ذلك .

ومـن تعظيمهم للفلاسفة ومنهجهم وطريقتهم استمدوا منهم عقائدهم ومصطلحاتهم ، فأصول المتكلمين تقوم عـلى الخـوض فـي مصطلحات فلسفية مـا أنـزل اللـه بهـا مـن سلطان ، ـ كالجسم ـ و ـ العرض ـ و ـ الجوهر ـ و ـ المتحيز ـ و ـ المركب ـ والاستدلال بمعانيهـا عـلى حـدوث العـلم ، والكلام بها في صفات الله نفياً أو إثباتاً .

وهـذا لا يعـرف عـن سـلف الأمـة وأئمـتها ، بـل المحفوظ عنهم المتواتر إنكار ذلك وذم أهله .

١٥) زعمهم أن قواعدهم هي المحكم وألفاظ الشرع هي المتشابه ـ منهج ـ :

لمـا وضـع أهـل الكـلام لأنفسهم أصولاً عقلانية وفلسفية ابتدعوها ، تعارضت مع بعض النصـوص ، فـلم يهتـدوا إلى اتهـام عقولهـم القاصـرة ، بـل اتهمـوا نصـوص الشـرع ، فـزعموا أن قواعدهـم الفاسـدة هـي المحكمـة ، واتهمـوا النصـوص بأنهـا متشـابهة ، وقـالوا : عنـد التعـارض : نـرد المتشـابه ، وهـو كـلام اللـه ورسـوله ـ بـزعمهم ـ إلى المحكم ، وهو كلامهم .

قال ابن القيم : إن هؤلاء المعارضين للوحي بالعقل ، بنو أمرهم على أصل فاسد ، وهو أنهم جعلوا أقوالهم التي ابتدعوها ، وجعلوها أصول دينهم، ومعتقدهم في رب العالمين هي المحكمة، وجعلوا قول الله ورسوله ﷺ هو المتشابه الذي لا يستفاد منه علم ولا يقين ، فجعلوا المتشابه من كلامهم هو المحكم ، والمحكم من كلام الله ورسوله ﷺ هو المتشابه ، ثم ردوا تشابه الوحي إلى محكم كلامهم وقواعدهم ، وهذا كما جعلوا ما أحدثوه من الأصول التي نفوا بها صفات الرب جل جلاله ، ونعوت كماله ، ونفوا بها كلامه ، وتكليمه ، وعلوه على عرشه ، ورؤيته في الدار الآخرة ، محكماً ، وجعلوا النصوص الدالة على خلاف تلك القواعد والأصول متشابهة يقضي بتلك القواعد عليها وترد النصوص إليها ، فتارة يحرفون النصوص عن مواضعها... .

١٦) اعتمادهم في تقرير العقيدة على أصولهم الفاسدة ، وقد يذكرون الدليل الشرعي للاعتضاد ـ منهج وسمة ـ :

من مناهج أهل الأهواء وسماتهم العامة ، أنهم يعتمدون على أصولهم الفاسدة في تقرير الدين أولاً ، ثم يلتمسون من الأدلة الشرعية ما يوافق هواهم على غير نهج سليم .

قال شيخ الإسلام مبيناً الفرق بين منهج أهل السنة ومنهج أهل الأهواء : والألفاظ نوعان ، نوع يوجد في كلام الله ورسوله ﷺ ، ونوع لا يوجد في كلام الله ورسوله ﷺ ، فيعرف معنى الأول ويجعل ذلك المعنى هو الأصل ، ويعرف ما يعنيه الناس بالثاني ويرد إلى الأول ، هذا طريق أهل الهدى والسنة ، وطريق أهل الضلال والبدع بالعكس ، يجعلون الألفاظ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل ، ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعاً لها ، فيردونها بالتأويل والتحريف إلى معانيهم ،

ويقولون نحن نفسر القرآن بالعقل واللغة ، يعنون أنهم يعتقدون معنى بلغتهم ورأيهم ، ثم يتأولون القرآن عليه بما يمكنهم من التأويلات والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه .

وقال : وأهل البدع سلكوا طريقاً آخر ابتدعوها اعتمدوا عليها ، ولا يذكرون الحديث ، بل ولا القرآن في أصولهم إلاّ للاعتضاد لا للاعتماد .

وقال : والمقصود هنا أن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان ، فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق شيعاً ، صار عمدتهم في الباطن ليس على القرآن والإيمان ، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم ، عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والإيمان بالرسول وغير ذلك ، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن و الحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما ، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى ، إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك ، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن ، ليس مقصودة أن يفهم مراد الرسول ، بل أن يدفع منازعه عن الاحتجاج بها .

وقال : وأهل البدع والضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً هم كما قال مجاهد : أهل البدع والشبهات يتمسكون بما هو بدعة في الشرع ومشتبه في العقل ، كما قال فيهم الإمام أحمد : هم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب ، يحتجون بالمتشابه من الكلام ، ويضلون الناس بما يشبهون عليهم . والمتفرقة من أهل الضلال تجعل لها ديناً وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم ، ثم يعرضون ذلك على القرآن والحديث ، فإن وافقه احتجوا به اعتضاداً لا اعتماداً ، وإن خالفه فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله ، وهذا فعل أئمتهم ، وتارة يعرضون عنه ويقولون: نفوض معناه إلى الله ، وهذا فعل عامتهم

وعمدة الطائفتين في الباطن وغير ما جاء به الرسول ﷺ ، يجعلون أقوالهم البدعية محكمة يجب اتباعها واعتقاد موجبها ، والمخالف إما كافر وإما جاهل لا يعرف هذا الباب وليس له علم بالمعقول ولا بالأصول ، ويجعلون كلام الله ورسوله الذي يخالفها من المتشابه الذي لا يعرف معناه إلا الله ، أو لا يعرف معناه إلاّ الراسخون في العلم ، والراسخون عندهم من كان موافقاً لهم على ذلك القول .

١٧) دعواهم أن الرسول ﷺ عدل عن بيان الحق للناس ليجتهدوا في التأويل ـ منهج ـ:

من الشبهات التي روجها كثير من أهل الكلام ــ تبعاً للفلاسفة ــ زعمهم أن الرسول ﷺ تعمد ترك بيان التفصيلات في العقائد ، ليجتهد الناس في ذلك. وبعضهم يعد ذلك من لوازم قوله وإن لم يصرح به ، وبذلك أبطلوا دلالة الوحي ، ثم تخبطوا في البحث عن الحق ولم يصلوا إليه ، بل تفرقت بهم السبل في محارات المسائل ، ومعضلات الأقوال .

يقول شيخ الإسلام : وتارة يقولون إنما عدل الرسول ﷺ عن بيان الحق ليجتهدوا في معرفة الحق من غير تعريفه ، ويجتهدوا في تأويل ألفاظه فتعظم أجورهم على ذلك ، وهو اجتهادهم في عقلياتهم وتأويلاتهم ، ولا يقولون إنه قصد به إفهام العامة الباطل كما يقول أولئك المتفلسفة ، وهذا قول أكثر المتكلمين النفاة من الجهمية المعتزلة ومن سلك مسلكهم ، حتى ابن عقيل وأمثاله وأبوحامد وابن رشد الحفيد وأمثالهم يوجد في كلامهم المعنى الأول ، وأبوحامد إنما ذم التأويل في آخر عمره وصنف ـ إلجام العوام عن علم الكلام ـ محافظة على هذا الأصل ، لأنه رأى مصلحة الجمهور لا تقوم إلاّ بإبقاء الظواهر على ما هي عليه ، وإن كان هو يرى ما ذكره في كتبه ـ المضنون بها ـ أن النفي هو الإثبات في نفس الأمر .

وقال : لكن يوجد في أهل الحديث مطلقاً من الحنبلية وغيرهم من الغلط في الإثبات مما يوجد في أهل الكلام ، ويوجد في أهل الكلام من الغلط في النفي أكثر مما يوجد في أهل الحديث ، لأن الحديث إنما جاء في إثبات الصفات ليس فيه شيء من النفي الذي انفرد به أهل الكلام والكلام ، مأخوذ من الجهمية والمعتزلة مبني على النفي المناقض لصرائح القرآن والحديث ، بل والعقل الصريح من أهل الكلام وزادوا في الإثبات كالهشامية والكرامية وغيرهم ، لكن النفي في جنس الكلام المبتدع الذي ذم السلف أكثر .

ويتبع ذلك :

١٨) دعواهم أن الرسول ﷺ لم يتكلم بالحقيقة في صفات الله ـ منهج ـ :

ومن لوازم قول أهل الكلام الذين عطلوا وأولوا الصفات ، اتهام الرسول ﷺ بأنه لم يتكلم بالحقيقة في صفات الله تعالى حين لم يوافق قولهم :

قال شيخ الإسلام : وكثير من أهل الكلام الجهمية يوافق أولئك ، على أنه ما كان يمكنه أن يبوح بالحق في باب التوحيد فخاطب الجمهور بما تخيل لهم ، كما يقولون إنه لو قال : إن ربكم ليس بداخل العالم ولا بخارجه ولا يشار إليه ، لا هو فوق العالم ولا كذا ولا كذا لنفرت قلوبهم عنه ، وقالوا هذا لا يعرف ، قالوا : فخاطبهم بالتجسيم حتى يثبت لهم رباً يعبدون ، وإن كان يعرف أن التجسيم باطل ، وهذا يقوله طوائف من أعيان الفقهاء المتأخرين المشهورين الذين ظنوا أن مذهب النفاة هو الصحيح ، واحتاجوا أن يعتذروا عما جاء به الرسول ﷺ من الإثبات كما يوجد في كلام غير واحد .

١٩) وضع الدليل في غير ما يدل عليه ـ منهج ـ :

قال ابن عمر رضي الله عنه في الخوارج : انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين [١] . وهذا منهج كثير من أهل الأهواء والبدع .

٢٠) كراهيتهم لنصوص الصفات والتوحيد وطعنهم في رواتها من الأئمة ـــ سمة ـــ :

لمّا خالف أهل الكلام السلف في الصفات ، وسلكوا مسلك التأويل والتعطيل ، تعارضت شبهاتهم مع دلالة النصوص المثبتة للصفات ، صاروا ينفرون منها ، وتطاولوا على رواتها من الصحابة ومن بعدهم ، زعماً منهم أنهم رووا ما لا يوافق المعقول .

يقول ابن القيم : ولهذا تجد كثيراً لا يحب تبليغ النصوص النبوية أو إظهارها وإشاعتها ، وقد يشترطون في أماكن يقفونها أن لا يقرأ فيها أحاديث الصفات ، وكان بعض متأخريهم وهو أفضلهم عندهم كلفٌ بإعدام كتب السنة المصنفة في الصفات وكتمانها وإخفائها ، وبلغني عن كثير منهم أنه كان يهم بالقيام والانصراف عند ختم صحيح البخاري وما فيه من التوحيد ، والرد على الجهمية ، وسُمِعَ منه الطعن في محمد بن إسماعيل ، وما ذنب البخاري ، وقد بلغ ما قاله رسول الله ﷺ ، وقال آخر من هؤلاء : ـ لقد شان البخاري صحيحه بهذا الذي أتى به في آخره ـ . ومعلوم أن هذه مضادة صريحة لما يحبه الله ورسوله من التبليغ عنه ، حيث يقول : ـ ليبلغ الشاهد الغائب ـ .

قلت : وهذا ما سلكه بعض المتعصبة المتكلمين المتأخرين كالكوثري .

---

[١] أخرجه البخاري تعليقاً في باب فتح الخوارج ، ٢٥٣٩/٦

٢١) تسميتهم أصولهم الباطلة أصول الدين والتوحيد ـ منهج ـ :

من أصولهم الباطلة تسميتهم مقولاتهم وتعطيلاتهم وتأويلاتهم : أصول الدين والتوحيد . مع أن أصول الدين حقاً ما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ أما أصول أهل الكلام فما هي إلاّ تخرصات وأوهام وخيالات ليست من الدين في شيء ، لأن ما يقصدونه هم فيه مختلفون مضطربون متناقضون حائرون ، فكيف يكون كلامهم وعقلياتهم أصول الدين ؟! إنما أصول الدين والتوحيد ما عليه سلف الأمة الأئمة المهتدون وهو ما ثبت في الكتاب والسنة ، فلو تأملت كتب أهل الكلام مثل كتاب : أصول الدين للبغدادي ، والأربعين في أصول الدين للغزالي ، والغنية في أصول الدين للمتولي الشافعي ، والتوحيد للماتريدي ، والتمهيد للباقلاني ، والإرشاد للجويني ، وغاية المرام للآبدي ، والأربعين للرازي ونحوها ، لوجدتها مليئة بالكلاميات والفلسفيات والتخرصات ، والتأويلات المخالفة لما جاء في الكتاب و السنة وما عليه السلف .

٢٢) ومن أصولهم في الاستدلال قياس الغائب على الشاهد ـ منهج ـ:

من مناهج المتكلمين قياس الغائب على الشاهد تبعاً للفلاسفة وهو ما سمي بالقياس التمثيلي ـ أو الشمولي عند بعضهم ـ .

وهذا منهج منحرف ومعارض لمنهج أهل السنة تماماً ، بل معارض لنهج القرآن والسنة خاصة حين استعملوه في الإلهيات والسمعيات ، فالصفات وأفعال الله تعالى لا يقاس في حقها الغائب على الشاهد ، لأن الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[١] ولأن الله تعالى له في ذاته وصفاته وأفعاله الكمال المطلق الذي لا تحيط به العقول والأوهام ، وكذلك السمعيات الأخرى فهي غيب وما يعلم الغيب إلا الله سبحانه ،

---

[١] سورة الشورى : ١١

وأي كلام فيها أكثر مما ورد في النص إنما هو رجم بالغيب ، فإن من أسباب تعطيلهم وتأويلهم للصفات ــ قياس الغائب على الشاهد ــ وهذا هو التمثيل والتشبيه الذي نفاه الله تعالى عن نفسه .

وسائر أصولهم التي خالفوا السلف في الصفات والسمعيات تقوم على هذه القاعدة والقياس الفاسد .

وسائر مصنفاتهم وكلامهم الذي ملأ الآفاق وصم الآذان وحشا الدفاتر والأوراق إنما يستند على هذه القاعدة .

٢٣) عدم عنايتهم بالرواية والأسانيد ـ منهج وسمة ـ :

أهل الأهواء والافتراق تقوم أصولهم على الأهواء والوضع ، لذلك ليس لهم كبير عناية بالأسانيد وعدالة الرجال ، وإن وجد شيء من الاهتمام بالأسانيد كما تفعل بعض فرق الرافضة فعلى موازينها المبنية على أهوائها وأصولها الفاسدة ، فالصحابة عندهم مرتدون غير عدول ، فضلاً عن بقية السلف ، لذلك نجد أن الضعفاء مثل جابر الجعفي والمتروكين والوضاع وبعض الزنادقة عند أهل الحديث هم الثقات العدول عند الرافضة ، ومع ذلك فعنايتهم بالأسانيد في تلقي الدين والاستدلال قليلة جداً ، فأغلب أدلتهم ورواياتهم بلا أسانيد ، فهم يعتقدون عصمة أئمتهم ويكذبون عليهم ويروون عنهم بلا أسانيد .

وذكر أهل العلم أن أهل الأهواء يكرهون الحديث والإسناد وأهله ، فقد أخرج ابن الجوزي عن أبي نصر بن سلام البخاري الفقيه قال : ــ ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناد ــ . لذلك يبغضون أهل الحديث ، فقد ذكر الذهبي في التذكرة عن أحمد بن سنان قال : ــ ليس في الدنيا

مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث ـ ، قلت : ولذا كان من سمات أهل الأهواء لمز السلف وسبهم والنيل منهم .

٢٤) جهلهم باللغة أو تجاهلها وعدم اعتبارها ـ منهج وسمة ـ :

من مناهج أهل الأهواء في الاستدلال عدم اعتبار اللغة ومعانيها ، إما جهلاً بعد شيوع العجمة وإهمال علم النحو ، ونجد هذا جلياً في كثير ممن ناظرهم السلف من المعتزلة والجهمية فضلاً عن الرافضة والباطنية . وإما لعدم اعتبارها قصداً .

فالقرآن والسنة بلسان عربي مبين ، وفهم العرب الصحابة الذي تنزل القرآن في عهدهم هو الحجة ، لكن أهل الأهواء يعدلون عن هذا الأصل ، إلا إذا كان الدليل لهم يلبسون به على الناس ، أما إذا كانت اللغة على غير هواهم تركوا الاحتجاج بها والاستدلال ، بل يصادمون دلالات اللغة وتفسيرات أهلها .] [١]

---

[١] دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، ص ٤٠١ ـ ٤٣٢ .

المبحث الخامس : ضعف أهل البدع في الرد وضعف حججهم :

إن المتتبع لأهل الأهواء والبدع وضعف ردودهم وضعف حججهم والتناقض والاضطراب والتلون والحيرة يجد أن من سماتهم .

] التناقض والاضطراب والحيرة والشك والتلوّن ، والتلون هو سرعة التقلب من رأي إلى رأي ، ومن موقف إلى موقف ، فلا يكاد يستقر صاحبه على أمر . ومن التلون الظهور لكل حالة بما يوافقها ولو بغير حق ، ولكل قوم بما يوافقهم ، فهو نوع من النفاق . وهذا الاضطراب سمة عامة في أغلب أهل الأهواء أفراداً وفرقاً ، فالفرقة الواحدة لا تستقر على رأي أوعقيدة أو موقف وإن جمعتها أحياناً بعض الأصول العامة . فالخوارج ـ مثلاً ـ يكاد يكون لكل واحد منهم اعتقاد يخصه ، ويجمعهم التكفير بالذنوب ، ثم إنهم لم يكن لهم اعتقاد في سائر الأصول يجمعهم : فالأوائل منهم كانوا على مذهب الإثبات وخوضهم قليل ، في مسائل الصفات ونحوها ، والمتأخرون كالإباضية صاروا إلى التعطيل والتأويل ، ومذهب الجهمية والمعتزلة في أكثر الأصول ، كالصفات والقرآن ، والرؤية ، والشفاعة ، والسمعيات ، وقد انقسموا إلى فرق . وكذلك الجهمية والمعتزلة نجدهم فرقاً مفترقة لا يجتمعون على قول ، وإن تشابهت أصولهم العامة ، كالتعطيل والتأويل والقدر والعدل والخروج ، لكنهم في مفردات المسائل لا يجتمعون ، بل لا يكاد يتفق منهم اثنان إلا نادراً . ناهيك بالرافضة ، فقد كانوا أول أمرهم شيعة ، ثم رافضة ، ولم يجتمعوا على إمام ولا أصل ، وكان أوائلهم كالخوارج ليس لهم كثير كلام في العقائد ، ثم تحولوا إلى مجسمة ثم إلى معطلة ــ جهمية ومعتزلة ــ ، ولا تزال مذاهبهم أخلاطاً من هذه الفرق وغيرها ، إلا أنهم يتميزون بالتقية ــ النفاق ــ ، واختلطت أصولهم بالمجوسية الفارسية والباطنية وتفرقوا إلى فرق شتى .

والصوفية كانت أول أمرها مجرد نزعات في الزهد والتنسك والتعبد علي شيء من الجهل وقلة العلم ، ثم تحولت إلى طرق ومدارس شتى بين مقابرية وباطنية وحلولية واتحاديه وغيرها ، ولا تجمعهم عقيدة ولا ينظمهم أصل ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، وهكذا سائر الفرق المفترقة .

أما رؤوس أهل الأهواء فهم اشد تناقضاً واضطراباً ، فالواحد منهم تجده يوماً على أصل ومقولة ، ثم ما يلبث أن يتراجع أو ينقض قوله وهو يشعر أو لا يشعر وقد يكفّر بقوله ثم يقول به ، وذلك حين أعرضوا عما جاء في الوحي ، وعوّلوا على رأيهم في الدين ، وجادلوا وتماروا في الدين .

ومن أكثر الفرق تقلباً أهل الكلام ، خذ مثلاً :

أبوالحسن الأشعري ــ وأحسبه أفضل أهل الكلام ــ كان معتزلياً ثم كلابياً، وأخيراً يستقر على مذهب السلف ، لكن بلوثات كلامية بقيت آثارها في مذهبه وصارت ذريعة لأتباعه من أهل الكلام ، فبدؤوها شبراً حتى صارت أميالاً .

ناهيك عن أمثال الآمدي والجويني والغزالي والرازي قبل رجوعهم عن علم الكلام ، وتوبتهم منه ، فلكل واحد منهم من التناقض والاضطراب الشيء الكثير ، فالآمدي انتهى به الأمر إلى الاعتراف بالحيرة ، والرازي والجويني انتهى بهما المطاف إلى التسليم بمذهب السلف في الجملة وظنوا أنه تفويض ، والغزالي تقلب بين الفلسفة ثم الكلام ، ثم التصوف ثم التسليم بمذهب السلف إجمالاً .

فإذا كان الأمر كذلك في مثل هؤلاء من أهل الكلام ، وهم من هم في فضلهم وعلمهم ، فكيف بمن هم دونهم من أهل الأهواء والافتراق ؟! .

وأحسن وصف قرأته وأجمعه لأهل الأهواء والافتراق وفساد أصولهم قول الإمام أحمد فيهم : هم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب ،

يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويلبسون على جهال الناس بما يتكلمون به من المتشابه][1] .

ولقد بين الشيخ ناصر العقل تناقضات أهل الأهواء واضطرابهم وتلونهم في جملة أمور منها :

١) **التناقض والاضطراب في الاستدلال** :

من أصولهم إثبات بعض الأدلة السمعية ، والإقرار بها ابتداء ، ثم إثبات ما يوجب إبطالها في نهاية الأمر ، وهذا تناقض .

وهذا ناتج عن الخلل في الأصول والمناهج ابتداء ، فهم وإن سلموا بدلالة النصوص فإنما يستدلون بما يصلح لهم . ثم جهلهم وقلة إحاطتهم بالنصوص وقلة بضاعتهم في الحديث ، أو إسقاطهم لأكثره كأحاديث الآحاد يوقعهم في هذا . حتى سموا أحاديث الصفات ـ حشواً ـ والسلف وأهل الحديث : ـ الحشوية ـ.

والأخطر من ذلك أنهم يوردون النص ودلالته ، ثم يلقون عليه الشك والإشكال عمداً فيقعون في إنكار دلالة النص في النهاية أو تفويضها كما يفعل أهل الكلام .

٢) **تناقض أهل الأهواء والافتراق في الأصول** :

من خصائص مذهب أهل السنة والجماعة أن قولهم في كل مسائل الاعتقاد وأصول الدين قول واحد وهو بنصه ومعناه ما تقرر في الكتاب والسنة وإجماع السلف ، فلا يختلف أهل السنة في شيء من ذلك من أول جيل ـ عصر الصحابة ـ إلى يومنا هذا ، وهذا بحمد الله مما تكفل الله به من حفظ الدين ، فهو الصراط المستقيم ، والعروة الوثقى ، وسبيل المؤمنين ، لا تعدد فيه ولا اختلاف ، لأنه مؤسس على اليقين وعلى الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

---

[1] دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، ص ٤٦٨ . ٤٧٠ .

أما أهل الأهواء فلا يتفقون في الأصل الواحد على قول واحد ، فكيف بسائر الأصول ، وهذا وحده دليل كاف لبطلان ما هم عليه لمن وهبه الله البصيرة ، وسأعقد موازنة موجزة لبيان هذه الحقيقة بالمثال ، أعني أن قول أهل السنة في أصول الدين قول واحد ، وأن أقوال أهل الأهواء كثيرة ومتناقضة ومتعارضة ، وإليك الأمثلة :

المعتقد	قول أهل السنة (قول واحد)	أقوال أهل الأهواء (كثيرة ومتضاربة)
أسماء الله تعالى	يثبتونها كما جاءت من غير تمثيل .	التعطيل / التأويل / التجهيل / التخييل / هي هو / هي غيره / لا معاني لها ، مجاز ، لها ظاهر وباطن / الخ ...
صفات الله تعالى	يثبتونها كما جاءت من غير تمثيل .	التعطيل / التجهيل / التمثيل / التأويل / التفويض / هي هو / هي غيره / أعراض / أحوال / غير أعراض / ليست أحوالاً / لا معاني لها / مجاز / غير حقيقية / بعضها يثبت وبعضها لا يثبت / الخ ..
كلام الله	الله تعالى موصوف بالكلام ، كما وصف نفسه ، متى شاء وكيف شاء ، وقد تكلم سبحانه على ما يليق بجلاله .	ما يخلقه على السنة المخلوقات / معاني نفسية / فيض / إلهام/ وجدان / عبارة / قديم / محدث/ لا يوصف .

المعتقد	قول أهل السنة (قول واحد)	أقوال أهل الأهواء (كثيرة ومتضاربة)
القرآن	كلام الله منزل غير مخلوق .	مخلوق / كلام نفسي / معاني قائمة بالنفس / ما يحدثه في خلقه/ يخلقه على لسان الملك أو الرسول / فيض / إلهام / وجدان في النفس النبي / إشراق الروح/ لا مخلوق ولا غير مخلوق أزلي / محدث / ليس بمحدث .. الخ
الرؤية	يرى المؤمنون ربهم في الجنة على ما يليق بجلال الله بأبصارهم .	نفي الرؤية / تأويلها بالقلبية / يرى إلى غير جهة / الرؤية عبارة عن يقين القلب / رؤية آياته / رؤية النعيم / والجزاء ، يُرى بحاسة سادسة .
عصاة المسلمين (أهل الكبائر)	مسلمون مؤمنون بإيمانهم ، فساق بمعاصيهم وفي الآخرة أمرهم إلى الله ، إن شاء غفر لهم ، أو عذبهم وتشملهم شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر .	كفار / حلال الدم إذا أصرو / وفي الآخرة خالدون في النار / مؤمنون كإيمان جبريل / في المنزلة بين المنزلتين / لا مؤمنون ولا كفار / منافقون / لا شفاعة مطلقاً / باب الشفاعة مفتوح بلا شرط / لا أحد يشفع / الكل يشفع بلا قيد .
الإيمان	قول وعمل ، يزيد وينقص .	التصديق / التصديق والقول / القول فقط ، المعرفة ، معرفة الإمام أوالولي ، يزيد ولا ينقص / لا يزيد ولا ينقص ، تصديق بلا عمل .

٣) من مظاهر التناقض عندهم : الوقوع في نقيض القصد :

ما من صاحب بدعة إلا ويقع في عكس ما نزع إليه في بدعته ، أو في ما فرّ منه . فالخوارج غلت في الأحكام والأسماء ، حيث كفرت بالمعصية ، فوقعت في ما هو أعظم من المعاصي ، وهو رد السنة وتكفير الصحابة ، وسائر المؤمنين سواهم ، واستحلال الدماء .

والرافضة غلت في آل البيت ، فكفرت الصحابة وزعمت ردتهم وعادت المسلمين ، ووقعت في إنكار مصادر الدين ، وتقديس الرجال بل غلت الرافضة في شخص فكفرت أمة . والجهمية أنكرت الصفات تنزيهاً ، فشبهت الله بالمعدوم ، وردت النصوص الشرعية الصريحة . والقدرية أنكرت العلم السابق ، فوصفوا الله بالجهل ، وجعلت الإنسان خالقاً مع الله ... وهكذا .

٤) الخلط بين السنن والمحدثات والبدع :

أهل الأهواء والافتراق حيث انحرفت أصولهم في التلقي والاستدلال ، صاروا يخلطون بين السنن والبدع تلفيقاً وجهلاً فلا يميزون بين سنّة وبدعة .

قال شيخ الإسلام بعد ذكر أهل الكلام والرأي وأهل التصوف : وصار لهؤلاء من التعبد المحدث طريق يتدينون به ، مع تمسكهم بغالب الدين ، ولهؤلاء من التعبد المحدث طريق يتمسكون به ، مع تمسكهم بغالب التعبد المشروع ، وصار لهؤلاء حال من السماع والصوت حتى إن أحدهم يموت أو يغشى عليه .

ولهؤلاء حال في الكلام والحروف حتى خرجوا به إلى تكفير أوقعهم في تحير . وهؤلاء أصل أمرهم الكلام ، وهؤلاء أصل أمرهم الإرادة ، وهؤلاء يقصدون بالكلام التوحيد ، ويسمون نفوسهم الموحدين . وهؤلاء يقصدون بالإرادة التوحيد ،

ويسمون نفوسهم أهل التوحيد والتجريد . ولهذا نجد كتب الكلام عن التصوف خرجت من البصرة.

٥) الجمع بين المتناقضات في الاعتقادات :

قال شيخ الإسلام : بل تجد أحدهم يجمع بين النقيضين أو بين رفع النقيضين ، والنقيضان اللذان هما الإثبات والنفي لا يجتمعان ولا يرتفعان ، بل هذا يفيد صاحبه الشك والوقف ، فيتردد بين الاعتقادين المتناقضين الإثبات والنفي ، كما يتردد بين الإرادتين المتناقضتين .

وهذا هو حال حذّاق هؤلاء ، كأبي المعالي وأبي حامد ، والشهرستاني والرازي ، والآمدي ، وأما ابن سينا وأمثاله فأعظم تناقضاً واضطراباً والمعتزلة بين هؤلاء وهؤلاء في التناقض والاضطراب .

وسبب ذلك جعل ما ليس بمعقول معقولاً لاشتباه الأمر ودقة المسائل ، وإلا فالمعقولات الصريحة لا تتناقض ، والمنقولات الصحيحة عن المعصوم لا تتناقض .

وقد اعتبرت هذا في عامة ما خاض الناس فيه من هذه الأمور ، دقيقها وجليلها فوجدت الأمر كذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وقد يشكل الشيء ويشتبه أمره في الابتداء ، فإذا حصل الاستعانة بالله واستهداؤه ودعاؤه والافتقار إليه ، أو سلوك الطريق الذي أمر بسلوكها هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

٦) ليس عند أهل الأهواء قطعيات ولا يقين في حقيقة الأمر :

نظراً لأن مبنى أصول أهل الأهواء على الظنون والأهواء والأوهام والشكوك والاعتراضات ، فقد خلت قلوبهم من اليقين وليس عندهم قطعيات باقية ، إذ قد

يدعون أن شيئاً ما قطعي ، ثم هم يعدلون عنه أو ينقضونه ، أو يوردون عليه الإشكالات أو لا يجتمعون عليه ، وينقض بعضهم قول بعض .

قال شيخ الإسلام : وكذلك كون العلم ضرورياً ونظرياً ، والاعتقاد قطعياً وظنياً أمور نسبية ، فقد يكون الشيء قطعياً عند شخص في حال ، وهو عند آخر وفي حال أخرى مجهول ، فضلاً عن أن يكون مظنوناً ، وقد يكون الشيء ضرورياً لشخص في حال ، ونظرياً لشخص في حال أخرى .

وأما ما أخبر به الرسول ﷺ فإنه حق في نفسه لا يختلف باختلاف عقائد الناس وأحوالهم ، فهو الحق الذي لا يقبل النقيض ، ولهذا كل ما عارضه فهو باطل مطلقاً ، ومن هنا يتبين لك أن الذين بنوا أمرهم على مقدمات إما ضرورية أو نظرية أو قطعية أو ظنية بنوها على أمور تقبل التغيير والاستحالة ، فإن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ، وأما ما جاء به الرسول ﷺ فهو حق لا يقبل النقيض بحال ، فهو ﷺ يخبر بالحق كما قال أهل الجنة لما دخلوها : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾[1] .

لذلك ليس عند أهل الأهواء صبر ولا يقين في عقائدهم ومواقفهم بخلاف أئمة السلف ، فهم أهل الصبر واليقين ، لذلك كانوا أئمة يهدون بأمر الله .

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[2] .

فهم يتميزون بالصبر على دين الله والثبات عليه ، ثم اليقين فيه ، فلا تردد ولا اضطراب ، ولا شك ولا تهور كما عند المتكلمين .

---

[1] سورة الأعراف : ٤٣

[2] سورة السجدة : ٢٤

٧) مقدماتهم التي يعولون عليها يختلفون فيها ويناقضونها :

قال ابن الوزير ـ محمد بن المرتضى اليماني ت ٨٤٠هـ ـ : بيان أن خوض جميع المتكلمين في عقائدهم الخلافية بين الفرق الإسلامية يتوقف دائماً ـ أو غالباً ـ على الخوض في مقدمات لتلك العقائد ، وجميع تلك المقدمات مختلف فيها أشد الاختلاف بين أذكياء العالم وفحول علم المعقولات من علماء الإسلام ، دع عنك غيرهم ـ ثم ضرب أمثلة لذلك ـ.

فإن من أبرز خصائص أهل الأهواء ـ عموماً ـ والمتكلمين ـ خصوصاً ـ تعارض أدلتهم وتناقضها أو نقض بعضهم لأصول الفريق الآخر في الفرقة الواحدة ـ كالأشاعرة ـ فالمتأخرون منهم يناقضون ما عليه الأوائل .

فالمعتزلة تنقض أصول الجهمية ، والأشاعرة تنقض أصول المعتزلة والفلاسفة تنقض أصول الأشاعرة ، ويتجلى هذا التناقض في مسائل ، منها :

مسألة الرؤية ، وكلام الله تعالى والقرآن ، والصفات ، والقدر والإيمان ، وأنها أمثال تُضرب لتقريبها للحس والخيال .

قال ابن القيم في أصناف أهل الأهواء : الصنف الأول : أصحاب التأويل : وهم أشد الأصناف اضطراباً ، إذ لم يثبت لهم قدم في الفرق بين ما يتأول وما لا يتأول ، ولا ضابط مطرد منعكس تجب مراعاته وتمنع مخالفته بخلاف سائر الفرق ، فإنهم جروا على ضابط واحد وإن كان فيهم من هو أشد خطأ من أصحاب التأويل كما سنذكره ، ولهذا وقعوا في :

٨) التنقل وعدم الاستقرار على رأي :

فأهل الأهواء متقلبون ، لا يستقر أحدهم على مذهب أو رأي ، وسبب ذلك كثرة الجدال والمراء والخصومات . وترك الاعتماد على مصادر اليقين : الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة . قال عمر بن عبدالعزيز : ـ من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل ـ .

كما أوقعهم ذلك في :

٩) الحيرة والشك والاضطراب في تقرير مقالاتهم الفاسدة :

قال شيخ الإسلام في وصف حالهم : وأما الرابع فهو منتهى قول أئمة الجهمية ، وهو الحيرة والشك لتكافؤ الأدلة عند بعضهم ، أو لعدم الدليل المرشد عند بعضهم ، وهذا عند أصحاب الوحدة هو أعلى العلم بالله تعالى ، والكلام في هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع . والمقصود هنا التنبيه على مجامع الأقوال ومنشأ الضلال ، وحيث أخذوا اللفظ ـ التشبيه ـ بمعنى مشترك مجمل ، فأرادوا نفيه بكل معنى من المعاني . ومن المعلوم أنه ما من موجودين إلا وبينهما قدر يتفقان فيه ، وإن كان المعنى الكلي المشترك وجوده في الأذهان لا في الأعيان ، فلا بد أن يكون بين أفراد الاسم العام الكلي نوع من المشابهة باعتبار اتفاقهما في ذلك المعنى العام ، وهذا موضع غلط فيه كثير من الناس في أحكام الأمور الكلية التي تشتبه فيها أعيانها . ومن أعظم ما وقع فيه أهل الأهواء :

١٠) الاضطراب والتناقض في موقفهم من السلف :

من مظاهر التلون أن كثيراً من أهل البدع والأهواء قد تراه يثني على السلف ويمدح طريقتهم ، وقد يقررها ويدعي اعتقادها أو شيء منها ، ثم ما يلبث أن ينعطف عليهم

وينقلب بالإعراض عن منهجهم أو سبهم أو لمزهم ، أو تقرير ما يخالف عقيدتهم ومنهجهم ، وقد يشعر بذلك أو لا يشعر أو يكون ممن التبس عليه الحق بالباطل .

أمثلة لذلك : كبار الأشاعرة كالرازي ، والجويني ، والغزالي ، والبغدادي ، والشهرستاني وأكثر متأخريهم فإنه يثنون على السلف فيما يوافقونهم فيه ، وفي مسائل الخلاف كالصفات ينقلبون عليهم ، ويسمونهم بالتشبيه والحشو والغفلة ونحو ذلك .

ومثلهم كبار الصوفية المتأخرين ـ أما الأوائل فأكثر موافقة للسلف في العقيدة ـ وسائر أهل الأهواء ، فتجد أحدهم يثني على السلف في مقام ، وقد يكون ذلك من باب ترويج بضاعته أو دفع التهمة عن نفسه ، وقد يكون ذلك عن صدق وحسن نية أحياناً ، ثم ما يلبث أن ينعطف على السلف بالسب واللمز والتهكم وإطلاق الألفاظ الشنيعة عليهم عندما يخالفهم ، ويكثر هذا في تقرير مسائل الصفات .

١١) اضطرابهم وإفلاسهم واعترافهم بذلك في نهاية الأمر :

الأمر العجيب أن غالب كبار المتكلمين ينتهي بهم المطاف إلى الاعتراف بالإفلاس والاضطراب والتسليم لمذهب السلف ، ومع ذلك يبقى مقلدوهم على ضلالهم .

قال شيخ الإسلام : وقد بلغني بإسناد متصل عن بعض رؤوسهم وهو الخونجي صاحب ـ كشف الأسرار ـ ـ وهو عند كثير منهم غاية في هذا الفن ـ أنه قال عند الموت : أموت وما علمت شيئاً إلاّ أن الممكن يفتقر إلى الواجب ، ثم قال : الافتقار وصف عدمي أموت وما علمت شيئاً ، وذكر الثقة عن هذا الآمدي أنه قال : أمعنت النظر في الكلام وما استفدت منه شيئاً إلا ما عليه العوام ، أو كلاماً هذا معناه ، وذلك أن هذا الآمدي لم يقرر في كتبه لا التوحيد ولا حدوث العالم ولا إثبات واجب الوجود ، بل ذكر في التوحيد طرقاً زيفها ، وذكر طريقة زعم أنه ابتكرها وهي أضعف من غيرها ، وكان ابن عربي صاحب ـ الفصوص ـ و ـ الفتوحات ـ وغيرهما يعظم طريقته

ويقول : إن الطريقة التي ابتكرها في التوحيد طريقة عظيمة أو ما هو نحو هذا ، حتى أمضى الأمر بعض أعيان القضاة الذين نظروا في كلامه إلى أن قال : التوحيد لا يقوم عليه دليل عقلي وإنما يعلم بالسمع ، فقام عليه أهل بلده وسعوا في عقوبته وجرت له قصة . وكذلك الأصبهاني اجتمع بالشيخ إبراهيم الجعبري يوماً فقال له : بت البارحة أفكر إلى الصباح في دليل على التوحيد سالم عن المعارض فما وجدته . وكذلك حدثني من قرأ على ابن واصل الحموي أنه قال : أبيت بالليل واستلقي على ظهري ، وأضع المحفة على وجهي وأبيت أقابل أدلة هؤلاء بأدلة هؤلاء ، وبالعكس ، وأصبح وما ترجح عندي شيء .

قلت : أما قصة رجوع أبي المعالي الجويني ، وابن الخطيب الرازي ، والحجة الغزالي ـ وهم أكابر المتكلمين ـ عن الكلام والتسليم بمذهب السلف والتحذير من الكلام فهي مشهورة ، ويظهر ـ والله أعلم ـ أن هؤلاء وأمثالهم أصحاب نية صادقة ، فوفقوا للتوبة . لكن ما عذر الذين سلكوا طريقهم ، وقد رجعوا عنها وحذروا منها ؟ اللهم إنا نسألك الثبات على الحق .

١٢) الانحراف عند أهل الأهواء أنواع شتى ـ لكل منهم وجهة ـ :

قال شيخ الإسلام : إذا تبين ذلك فغالب الفقهاء إنما يتكلمون به في الطاعات الشرعية مع العقلية ، وغالب الصوفية إنما يتبعون الطاعات الملّية مع العقلية ، وغالب المتفلسفة يقفون على الطاعات العقلية ، ولهذا أكثر المتفقهة من ينحرف عن طاعات القلب وعباداته : من الإخلاص لله ، والتوكل عليه والمحبة له ، والخشية له ونحو ذلك ، وكثير في المتفقهة والمتصوفة ينحرف عن الطاعات الشرعية ، فلا يبالون إذا حصل لهم توحيد القلب وتألُّهه أن يكون ما أوجبه الله من الصلوات ، وشرعه من أنواع القراءة والذكر والدعوات أن يتناولوا ما حرم الله من المطاعم ، وأن يتعبدوا بالعبادات البدعية

والرهبانية ونحوها ، ويعتاضوا بسماع المكاء والتصدية عن سماع القرآن ، وأن يقفوا مع الحقيقة القدرية معرضين عن الأمر والنهي .

وقال : ومما يعتبر به أن النسّاك وأهل العبادة والإرادة توسعوا في السمع والبصر ، وتوسع العلماء وأهل الكلام والنظر في الكلام والنظر بالقلب حتى صار لهؤلاء الكلام المحدث ، ولهؤلاء السماع المحدث : هؤلاء في الحروف ، وهؤلاء في الصوت ، وتجد أهل السماع كثيري الإنكار على أهل الكلام ، كما صنّف الشيخ أبو عبدالرحمن السلمي مصنّفاً في ذم الكلام وأهله وهما من أئمة أهل السماع ، ونجد أن أهل العلم والكلام مبالغين في ذم أهل السماع ، كما نجده في كلام أبي بكر بن فورك ، وكلام المتكلمين في ذم السماع وأهله والصوفية ما لا يُحصى كثرة .

وذلك أن هؤلاء فيهم انحراف يشبه انحراف اليهود أهل العلم والكلام وهؤلاء فيهم انحراف يشبه انحراف النصارى أهل العبادة والإرادة .

١٣) كل منهم يقول عن الآخر إنه ليس على شيء :

وفي قوله هذا شبه بأهل الكتاب وقد أخبر النبي ﷺ بوقوع طوائف من هذه الأمة فيما وقع فيه أهل الكتاب . فقد قالت كل فرقة في الأخرى كما قالت اليهود : ﴿ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾[١] .

قال شيخ الإسلام واختلاف أهل البدع هو من هذا النمط فالخارجي يقول : ليس الشيعي على شيء ، والشيعي يقول : ليس الخارجي علي شيء ، والقدري النافي يقول : ليس المثبت على شيء ، والقدري الجبري المثبت يقول : ليس النافي على شيء ، والوعيدية تقول : ليست المرجئة على شيء ، والمرجئة تقول : ليست الوعيدية

(١) سورة البقرة : ١١٣

على شيء ، بل ويوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب الأصولية والفروعية المنتسبين إلى السنة .

فالكلابي يقول : ليس الكرامي على شيء ، والكرامي يقول : ليس الكلابي على شيء والأشعري يقول : ليس السالمي على شيء ، والسالمي يقول : ليس الأشعري على شيء ، ويصنف السالمي كأبي على الأهوازي كتاباً في مثالب الأشعري ، ويصنف الأشعري كابن عساكر كتاباً يناقض ذلك من كل وجه ، وذكر فيه مثال السالمية .

وقال إبراهيم النخعي في قوله عز وجل ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾[١] قال : هم أصحاب الأهواء .

---

[١] سورة المائدة : ٦٤

المبحث السادس : كيد أهل البدع لأهل السنة والوقيعة بينهم :

كاد أهل الأهواء والبدع لأهل السنة وأوقعوا بهم منذ عهد صاحب السنة وخير البرية ، محمد بن عبدالله ﷺ ، ولعلّي أوجز بعض الأمثلة لأهم مكائد أهل الأهواء والبدع فيما يلي :

أولاً : من كيد أهل الأهواء والبدع في عهد النبي ﷺ :

١) موقف المنافقين من النبي ﷺ في غزوة أحد عندما حانت المواجهة مع المشركين انسحبوا وهم يمثلون ثلث الجيش وهدفهم الإيقاع برسول الله ﷺ وصحبه .

٢) كذلك موقف المنافقين عندما بنوا مسجد الضرار وهدفهم هدمه على النبي ﷺ وصحبه للتخلص من دعوته وقد بين الله سبحانه وتعالى كيدهم وذكرهم في القرآن الكريم ونهاه عن الصلاة في هذا المسجد .

٣) كذلك موقف ذي الخويصرة عندما دخل على النبي ﷺ وهو يوزع غنائم غزوة حنين بعد نصر الله له وقال يا محمد أعدل !! فقال له النبي ﷺ ويحك من يعدل ؟ إذا لم يعدل رسول الله ؟ ثم أعطاه من الغنائم وعندما تولى أشار له النبي ﷺ وقال : سوف يخرج من ضئضتي هذا ، رجال ، تحقرون صلاتكم عند صلاتهم ، وصيامكم عند صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه ، إذا لقيتموهم فقاتلوهم وقتلوهم شر قتلة ، فإنهم كلاب النار [(١)] أو كما قال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

---

(١) أخرجه البخاري : ح/١٣٢١/٣/٣٤١٤ ، ومسلم ح/٧٤٤/٢/١٠٦٤

ثانياً : من كيد أهل الأهواء والبدع مع صحابة رسول الله ﷺ والإيقاع بهم :

١) الفتنة التي وقعت في زمن الخليفة عثمان بن عفان ـ ذي النورين ـ رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ومن بايع عنه النبي ﷺ في بيعة الرضوان ، ومن جهز جيش العسرة ، ومن قال عنه الصادق المصدوق ﷺ لا يضر عثمان ما فعل بعد اليوم ، ومع كل هذا كاد أهل الأهواء بهذا الصحابي الجليل الراشد ، فخرجوا عليه بدعوى الإصلاح وقتلوه وهو صائم بدعوى الإصلاح والنصرة للدين ، وقد ترتب على هذا الكيد ، أن فتح باب الفتنة ، ووقع الخلاف بين صحابة رسول الله ، فكانت معركة الجمل ، ثم معركة صفين .

٢) مقتل الخليفة الراشد والإمام المهدى ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأحد المبشرين بالجنة وزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ووالد الحسن والحسين أوقع به الخارجي عبدالرحمن بن ملجم ـ ألجمه الله بلجام من نار ـ .

ثالثاً : والتاريخ بيّنَ ما فعله أهل الأهواء بأهل العلم :

١) فهذا إمام السنة أحمد بن حنبل يحرضون عليه المأمون فيأمر بضربه وبسجنه حتى مات متأثراً بتعذيبه .

٢) وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يسجن وهو العالم الجليل .

ولا شك أن أهل الأهواء والبدع كانوا سبباً رئيساً في الفتن التي مر بها المسلمون في كل العصور حتى يومنا الحاضر ، وتختلف أساليب إيقاعهم بأهل السنة والجماعة من ذلك إطلاق الإشاعات ووصفهم بأوصاف تنفر منهم العامة ، ويوغرون قلوب الحكام عليهم ويحرضون عليهم العامة ، ويصدون عن دعوتهم ، ولعل ما تتعرض له المملكة العربية السعودية منذ نشأتها وحتى يومنا هذا من كيد ، وهجوم ، وافتراءات

من أصحاب الأهواء والبدع لشاهد على أمر هذه الفئة ، التي أضرت بالإسلام والمسلمين من عهد سيد المرسلين ﷺ وحتى يومنا الحاضر .

[قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وإذا ذكروا أهل السنة لمزوهم بالحشوية ، أو المقلدة ، أو أهل الحديث أو الحنابلة ، أو العامة ، وهذه عادة أبي المعالي ، حيث يعبر عن أصحابه بأهل الحق][١].

[ومن تلبيسات أهل الأهواء عموماً : تسميتهم السلف : حشوية ، ومشبهة ، ومجسمة ، ورعاع ، وأوباش ، ونابتة ، ووصف أئمة السلف بالسذاجة والغفلة][٢] .

وقد أورد الشيخ ناصر العقل في كتابه دراسات في الأهواء والفرق والبدع مدى بغضهم للمسلمين الذين لا يوافقون أهواءهم وسبهم للسلف ولمزهم لهم بقوله :

[لعل قائلاً يقول : كيف يقال إن أهل الأهواء في قلوبهم غل على المسلمين وهم يدْعون الإسلام ، ويَدْعُون إلى الإسلام ونصرته والإشفاق على المسلمين . فيقال : نعم ، مع دعواهم هذه فهم يحصرون الحق والولاء في جماعتهم ويرون غيرهم من المسلمين ضالاً هالكاً ، فالخوارج يكفرون غيرهم وسَبوُا أئمة الهدى وقدحوا في عدالتهم .. وهكذا .

وقد ذكر الشاطبي أنموذجاً لأهل الأهواء يتمثل في عمرو بن عبيد ، رأس المعتزلة.

قال الشاطبي : ــ وقال عمر بن النضر ــ سُئل عمرو بن عبيد يوماً عن شيء ــ وأنا عنده ــ فأجاب فيه ، فقلت له : ليس هكذا يقول أصحابنا ، قال : ومن أصحابك لا أباً لك ؟ قلت أيوب ، يونس ، ابن عون ، التيمي ، قال : أولئك أنجاس أرجاس ، أموات غير أحياء .

---

[١] دراسات في الأهواء والفرق والبدع المرجع السابق ص ٤٤٧ .

[٢] المرجع نفسه ص ٤٦٣

وقال ابن علية : حدثني اليسع ، قال : تكلم واصل يعني ابن عطاء ـ يوماً ـ قال : فقال عمرو بن عبيد : ألا تسمعون ؟ ما كلام الحسن وابن سيرين عندما تسمعون إلا خرقة حيضة ملقاة ، وكان واصل بن عطاء أول من تكلم في الاعتزال فدخل معه في ذلك عمرو بن عبيد فأُعجب به ، فزوجه أخته . وقال لها : زوجتك برجل ما يصلح إلا أن يكون خليفة . ثم تجاوزا الحد حتى ردوا القرآن بالتلويح والتصريح لرأيهم السوء . فحكى عمرو بن علي أنه سمع ممن يثق به أنه قال : كنت عند عمرو بن عبيد ـ وهو جالس على دكان عثمان الطويل ـ فأتاه رجل فقال : يا أبا عثمان ! ما سمعت من الحسن يقول في قول الله عز وجل : ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾(١) ، قال : تريد أخبرك برأي حسن . قال : لا أريد إلا ما سمعت من الحسن . قال : سمعت الحسن يقول : كتب الله على قوم القتل فلا يموتون إلا قتلاً ، وكتب على قوم الهدم فلا يموتون إلا هدماً ، وكتب على قوم الغرق فلا يموتون إلا غرقاً ، وكتب على قوم الحريق فلا يموتون إلا حرقاً . فقال له عثمان الطويل : يا أبا عثمان ليس هذا قولنا . قال عمرو : قد قلت أريد أن أخبرك برأي الحسن ، فأنا أكذب على الحسن . وعن الأثرم ، عن أحمد بن حنبل قال : حدثنا معاذ قال : كنت عند عمرو بن عبيد ، فجاءه عثمان بن فلان . فقال : يا أبا عثمان ! سمعت ـ والله ـ بالكفر قال : ما هو : لا تعجل بالكفر . قال هاشم والأوقص زعم أن : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (٣) لم يكن هذا في أم الكتاب ، والله تعالى يقول : ﴿وَالْكِتَابِ

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٤

(٢) سورة المسد : ١

(٣) سورة المدثر : ١١

ﭐلۡمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [١] فما الكفر إلا هذا ، فسكت ساعة ثم تكلم ، فقال : والله لو كان الأمر كما تقول ما كان على أبي لهب من لوم ، ولا كان على الوليد من لوم . قال عثمان ـ في مجلسه ـ هذا والله الدين ـ قال معاذ ـ ثم قال في آخره : فذكرته لوكيع ، فقال : يستتاب قائلها ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه .

فائدة هامة :

لقد صرف الله تعالى الشتم المباشر عن أهل السنة كما صرف الله تعالى الذم المباشر عن رسول الله ﷺ حين كانت قريش تعيره وتسب مذمماً ، وليس هذا اسم النبي ﷺ ، إنما اسمه محمداً . قال النبي ﷺ : يسبون مذمماً وأنا محمد [٢] ، كذلك الأمر في سب السلف ، لا نجد من أهل الأهواء من سب أهل السنة والحديث مباشرة ، بل ينصرف الذم للمجسمة والحشوية والناصبة .

وحقيقة الأمر أن السلف ليسوا مجسمة ولا حشوية ولا ناصبة ، فصرف الله عنهم السب .

وبالمقابل نجد أن الله تعالى سلّط السنة عباده الصالحين على الفرق بأسمائها ، الجهمية ، والرافضة ، والمعتزلة ، والخوارج ففضحوهم ، فاعتبروا يا أولي الأبصار][٣] .

أما موقف أهل الأهواء والبدع من السلف الصالح فأكثر من أن تحصى ، وقد أورد الشيخ ناصر العقل جملة من ذلك بقوله :

---

(١) سورة الزخرف : ٢ - ٣

(٢) أخرجه البخاري ح / ٣٣٤٠ / ٣ / ١٢٩٩

(٣) دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، المرجع السابق ، ص ٤٨٤ ـ ٤٨٦

[١) الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ :

أول من تجرأ بالطعن في أصحاب رسول الله ﷺ السبئية الأولى ـ الخوارج والشيعة ـ ، ثم صار هذا ديناً للرافضة ، والخوارج ، وسمة لأكثر أهل الأهواء كالجهمية والمعتزلة .

أما الرافضة فتطعن في سائر الصحابة وتسبهم وتشتمهم ولا تستثني إلا عدداً لا يتجاوز السبعة ! كذبت عليهم وزعمت أنهم يوالون آل البيت على منهجها الغالي .

وليعلم أن أهل السنة كلهم يوالون آل البيت الولاء الشرعي .

والخوارج والجهمية والمعتزلة تطعن في عدد من الصحابة وأصناف منهم كأهل صفين والجمل ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وابن عمر لروايته بعض أحاديث القدر والصفات .

فهم لا يعنون بسبهم أئمة السلف الذين عاصروهم فقط ، بل تطاولوا على أفضل الأئمة أصحاب رسول الله .

قال سفيان بن عيينة : من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى.

وقال عمرو بن عبيد في الصحابي الجليل رضي الله عنه عبدالله بن عمر : وكان ابن عمر حشوياً .

٢) بغضهم للحديث والإسناد وأهله :

عن أحمد بن سنان ، قال : ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث ، وإذا ابتدع الرجل بدعة نزعت حلاوة الحديث من قلبه .

وقال أبو نصر بن سلام البخاري الفقيه : ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناده .

٣) **كذبهم وتقولهم على الأئمة العلماء :**

قال شيخ الإسلام في وصف أهل الأهواء : ثم هؤلاء يحكون إجماعات يجعلونها من أصول علمهم ، ولا يمكنهم نقلها عن واحد من أئمة الإسلام وإنما ذلك بحسب ما يقوم في أنفسهم من الظن ، فيحكون ذلك عن الأئمة ، كأبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد في المحافل .

فإذا قيل لأحدهم في الخلوة : أنت حكيت أن هذا قول هؤلاء الأئمة ، فمن نقل ذلك عنهم ؟ قال : هذا رأي العقلاء . والأئمة ، لاعتقادهم أن العقل دل على ذلك .

ـ وقال : ولكن أهل البدع كلامهم الكذب : إما عمداً وإما بطريق الابتداع ـ .

وقال : ولا يحسب اللبيب أن في العقل أو في السمع ما يخالف ذلك ، بل من تبحر في المعقولات ووقف على أسرارها ، علم قطعاً أن ليس في العقل الصريح ، الذي لا يكذب قط ما يخالف مذهب السلف وأهل الحديث ، بل يخالف ما قد يتوهمه المنازعون لهم بظلمة قلوبهم وأهواء نفوسهم ، أو ما قد يفترونه عليهم لعدم التقوى ، وقلة الإيمان . ولو فرض ـ على سبيل التقدير ـ أن العقل الصريح الذي لا يكذب يناقض بعض الأخبار ، نلزم أحد الأمرين : إما تكذيب الناقل ، أو تأويل المنقول ، لكن ـ ولله الحمد ـ هذا لم يقع ، ولا ينبغي أن يقع ، فإن حفظ الله لما أنزله في الكتاب والحكمة يأبى ذلك . نعم ! يوجد مثل هذا في أحاديث وضعتها الزنادقة ليشينوا بها أهل الحديث ، كحديث ـ عرق الخيل ـ و ـ الجمل الأورق ـ وغير ذلك مما يعلم العلماء بالحديث أنه كذب .

وقال ولكن الذين في قلوبهم زيغ من أهل الأهواء ، لا يفهمون من كلام الله وكلام رسوله وكلام السابقين الأولين ، التابعين لهم بإحسان في ـ باب صفات الله ـ إلا المعاني التي تليق بالخلق ، لا بالخالق ، ثم يريدون تحريف الكلم عن مواضعه في

كلام الله وكلام رسوله ، وإذا وجدوا ذلك فيها ، وإن وجدوه في كلام التابعين للسلف افتروا الكذب عليهم ، ونقلوا عنهم بحسب الفهم الباطل الذي فهموه ، أو زادوا عليهم في الألفاظ ، وغيروها قدراً ووصفاً كما نسمع من ألسنتهم أو نرى من كتبهم .

وقال في كذب الرافضة : ونحن نعلم من أحوال أئمتنا أنه قد أضيف إلى جعفر الصادق ـ وليس هو بنبي من الأنبياء ـ من جنس هذه الأمور ما يعلم كل عالم بحال جعفر ـ رضي الله عنه ـ أن ذلك كذب عليه ، فإن الكذب عليه من أعظم الكذب ، حتى نسب إليه أحكام ـ الحركات السفلية ـ كاختلاج الأعضاء وحوادث الجو من الرعد ، والبرق ، والهالة ، وقوس الله ، الذي يقال له : ـ قوس قزح ـ وأمثال ذلك ، والعلماء يعلمون أنه بريء من ذلك كله .

وكذلك نسب إليه ـ الجدول ـ الذي بني عليه الضلال طائفة من الرافضة ، وهو كذلك مفتعل عليه ، افتعله عليه عبدالله بن معاوية أحد المشهورين بالكذب ، مع رياسته ، وعظمته عند اتباعه .

وكذلك أضيف إليه كتاب ـ الجفر ، والبطاقة ، والهفت ـ . وكل ذلك كذب عليه باتفاق أهل العلم به ، حتى أضيف إليه ـ رسائل إخوان الصفا ـ ، وهذا في غاية الجهل ، فإن هذه الرسائل إنما وضعت بعد موته بأكثر من مائتي سنة ، فإنه توفي سنة ثمان وأربعين ومائة ، وهذه الرسائل وضعت في دولة بني بويه ، في أثناء المائة الرابعة ، في أوائل دولة بني عبيد ، الذين بنوا القاهرة ، وضعها جماعة ، وزعموا أنهم جمعوا بها بين الشريعة والفلسفة ، فضلوا وأضلوا .

٤) لمز السلف أهل الحديث والسنة ، وتعييرهم وسبهم وبغضهم أو بغض بعضهم :

من منهج أهل الأهواء لمز السلف أهل السنة والجماعة ، أو بعضهم وتعييرهم بالألقاب المشينة ، وإظهار ما يدل على بغضهم لهم ، ومجانبتهم لهم ولسبيلهم سبيل المؤمنين ، فكل طائفة من أهل البدع تلقب أهل السنة بباطل .

فالرافضة تسمي أهل السنة النواصب ، والجمهور ، لأنهم لا يغلون في آل البيت ، ولأنهم أكثرية .

والقدرية تسميهم مجبرة ، لأنهم يقولون بعموم علم الله ـ تعالى ـ وقدره ومشيئته .

والمرجئة تسميهم شكاكاً ، ومخالفة ونقصانية ، لأنهم يستثنون في الإيمان ويقولون بزيادته ونقصانه .

والجهمية تسميهم مشبهة ، لأنه يثبتون الأسماء والصفات كما وردت . والمعتزلة وأهل الكلام يسمونهم حشوية ، ونوابت وغثاء وغثراً وزوامل أسفار ، لأنهم أهل حديث وآثار .

بينما أهل السنة لا يلحقهم إلا اسم واحد هو : السنة والجماعة ، ويستحيل أن تجتمع فيهم هذه الصفات والأسماء ، فتأمل عافاك الله .

روى الإمام الصابوني بسنده في عقيدة السلف أصحاب الحديث ، عن أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي ، يقول : علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر ، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية ، يريدون بذلك إبطال الأثر ، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة ، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة ، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة .

وقد روى اللالكائي نحو ذلك ، قال : قال أبو محمد ، وسمعت أبي يقول :

وعلامة أهل البدع : الوقيعة في أهل الأثر .

وعلامة الزنادقة : تسميتهم أهل السنة ـ حشوية ـ ، يريدون إبطال الأثر .

وعلامة الجهمية : تسميتهم أهل السنة ـ مشبهة ـ .

وعلامة القدرية : تسميتهم أهل الأثر ـ مجبرة ـ .

وعلامة المرجئة : تسميتهم أهل السنة ـ مخالفة ونقصانية ـ .

وعلامة الرافضة : تسميتهم أهل السنة ـ ناصبة ـ .

ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء .

وقال شيخ الإسلام : وهذا نظير ما تحكي الرافضة عن أهل السنة من أهل الحديث والفقه والعبادة والمعرفة ، أنهم ناصبة ، وتحكي القدرية عنهم أنهم مجبرة ، وتحكي الجهمية عنهم أنهم مشبهة ، وتحكي من خالف الحديث ونابذ أهله عنهم : أنهم نابتة ، وحشوية ، وغثاء وغثر... إلى غير ذلك من الأسماء المكذوبة ، ومن تأمل كتب المتكلمين الذين يخالفون هذا القول وجدهم لا يبحثون في الغالب أو في الجميع إلا مع هذا القول الذي ما علمنا لقائله وجوداً .

يقول البربهاري : وإذا سمعت الرجل يقول : فلان ناصبي ، فاعلم أنه رافضي ، وإذا سمعت الرجل يقول : فلان مشبه أو فلان يتكلم بالتشبيه ، فاعلم أنه جهمي ، وإذا سمعت الرجل يقول : تكلم بالتوحيد واشرح لي التوحيد ، فاعلم أنه خارجي معتزلي ، أو يقول فلان مجبر أو يتكلم بالإجبار ، أو تكلم بالعدل فاعلم أنه قدري ، لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل البدع .

كلمة ـ الحشوية ـ أول من أطلقها ـ عمرو بن عبيد ـ رأس المعتزلة :

أول من عُرف أنه تكلم بهذه العبارة عمرو بن عبيد ، حين ذُكر له عن ابن عمر رضي الله عنه ما يخالف مقولته ، فقال : ـ كان ابن عمر حشوياً ـ نسبة إلى حشو الناس ، وهم العامة والجمهور .

وأخرج الذهبي في سير أعلام النبلاء ـ لما استأذن ابن أبي داود على الجاحظ ـ قال : من أنت ؟ قال : رجل من أصحاب الحديث ، فقال : أو ما علمت أني لا أقول بالحشوية .

والجاحظ متكلم معتزلي ، يرى أن أهل الحديث والأثر ـ حشوية ـ .

فائدة :

أهل الكلام أحق بوصف الحشوية ، لأن من منهجهم المراء والجدل والخصومات ، وإكثارهم من الكلام وحشو العبارات ، لذا فهم أحق باسم الحشوية ، فإن سائر كلامهم حشو لا فائدة فيه ، وكذلك مصنفاتهم ومناظراتهم يحشونها بالكلام الفارغ والظنون والأوهام . أما الأحاديث والآثار ، فهي والله الزبدة والثمرة ، والخلاصة اللب ، لكنهم قوم يعدلون عن الحق . فالسمة العامة لأهل الأهواء كراهية أهل الحديث .

قال الذهبي في ترجمة أحمد بن سنان : قال جعفر : سمعت أبي أحمد بن سنان يقول : ليس في الدنيا مبتدع إلا ويبغض أصحاب الحديث ، إذا ابتدع الرجل بدعة نزع حلاوة الحديث من قلبه . قال الأوزاعي : ما ابتدع رجل إلا غل صدره على المسلمين . وقال : كنا نتحدث أنه ما ابتدع أحد بدعة إلا سلب ورعه .

وقال الشاطبي بعد ذكر الخوارج ، مبيناً أن الابتداع يوجب الافتراق والعداوة عند المبتدعة : ثم يليهم كل من ابتدع بدعة ، فإن من شأنهم أن يثبطوا الناس عن اتباع الشريعة ويذمونهم ، ويزعمون أنهم الأرجاس الأنجاس المكبين على الدنيا ، ويضعون عليهم شواهد الآيات في ذم الدنيا وذم المكبين عليها . كما يروى عن عمرو بن عبيد أنه قال : لو شهد عندي علي وعثمان وطلحة والزبير على شراك نعل ما أجزت شهادتهم .. هكذا ! .. نعوذ بالله من الخذلان .

وعن معاذ بن معاذ قال : قلت لعمرو بن عبيد : كيف حدث الحسن عن عثمان أنه ورث امرأة عبدالرحمن بعد انقضاء عدتها ؟ فقال : إن فعل عثمان لم يكن سنة .

وقيل له : كيف حدث الحسن عن سمرة في السكتتين ؟ فقال : ما تصنع بسمرة ! قبح الله سمرة . بل قبح الله عمرو بن عبيد .

وسُئل يوماً عن شيء ، فأجاب فيه . قال الراوي : قلت ليس هكذا يقول أصحابنا . قال : ومن أصحابك لا أباً لك ؟ قلت أيوب ، ويونس ، وابن عون ، والتيمي . قال : أولئك أنجاس أرجاس ، أموات غير أحياء .

فكذا أهل الضلال يسبون السلف الصالح لعل بضاعتهم تنفق : ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾[١]. وأصل هذا الفساد من قبل الخوارج ، فهم أول من لعن السلف الصالح ، وكفّر الصحابة – رضي الله عن الصحابة – .

وقال الشاطبي أيضاً ، مبيناً أن من علامات أهل الأهواء ذم من مدحهم الله ، ومدح من ذمهم الله : وأصل هذه العلامة في الاعتبار تكفير الخوارج – لعنهم الله – الصحابة الكرام – رضي الله عنهم – ، فإنهم ذموا من مدحه الله ورسوله ، ومن اتفق السلف الصالح على مدحهم والثناء عليهم ، ومدحوا من اتفق السلف الصالح على ذمه ، كعبدالرحمن بن ملجم قاتل علي – رضي الله عنه – وصوبوا قتله إياه ، وقالوا : إن في شأنه نزل قوله تعالى : ﴿ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾[٢] ، وأما التي قبلها وهي قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[٣] ،

---

(١) سورة التوبة : ٣٢

(٢) سورة البقرة : ٢٠٧

(٣) سورة البقرة : ٢٠٤

فإنها نزلت في شأن علي رضي الله عنه وكذبوا ـ قاتلهم الله ـ وقال عمران بن حطان في مدحه لابن ملجم :

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً

إني لأذكره يوماً فأحسبه أو فى البرية عند الله ميزاناً

وكذب ـ لعنه الله ـ فإذا رأيت من يجري على هذا الطريق ، فهو من الفرق المخالفة ، وبالله التوفيق . وروي عن إسماعيل بن علية ، قال : حدثني اليسع ، قال : تكلم واصل بن عطاء يوماً ـ يعني المعتزلي ـ فقال عمرو بن عبيد : ألا تسمعون ؟ ما كلام الحسن وابن سيرين ـ عندما تسمعون ـ إلا خرقة حيض ملقاة .

روي أن زعيماً من زعماء أهل البدعة كان يرى تفضيل الكلام على الفقه، فكان يقول : إن علم الشافعي وأبي حنيفة ، جملته لا يخرج من سراويل امرأة. هذا كلام هؤلاء الزائفين ، قاتلهم الله . قلت : وهذه السمة لا تزال في بعض أهل الأهواء ، وبعض المثقفين والمتعالمين حيث يعيرون المشايخ وطلاب العلم بفقه الحيض والنفاس ، وما علموا أن ذلك من دين الله .

وروى الصابوني بسنده عن الحاكم قال : سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول : سمعت ـ أبا إسماعيل ـ محمد بن إسماعيل الترمذي يقول : كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند إمام الدين أبي عبدالله أحمد بن حنبل ، فقال له أحمد بن الحسن : يا أبا عبدالله ! ذكروا لابن قتيلة بمكة أصحاب الحديث ، فقال : أصحاب الحديث قوم سوء . فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه وهو يقول زنديق زنديق زنديق حتى دخل البيت .

وقال الصابوني أيضاً : وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة ، وأظهر آياتهم وعلاماتهم : شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ ، واحتقارهم لهم ، واستخفافهم

بهم ، وتسميتهم إياهم حشوية ، وجهلة وظاهرية ، ومشبهة ، اعتقاداً منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها بمعزل عن العلم ، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ، ووساوس صدورهم المظلمة ، وهواجس قلوبهم الخالية من الخير ، وكلماتهم وحججهم العاطلة ، بل شبههم الداحضة الباطلة . ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[1] ، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾[2].

وروى مسلم في صحيحه عن حماد بن زيد قال : كان رجل قد لزم أيوب ، وسمع منه ففقده أيوب ، فقالوا : يا أبابكر إنه لقد لزم عمرو ببن عبيد. قال حماد : فبينما أنا يوماً مع أيوب ، وقد بكرنا إلى السوق ، فاستقبله الرجل ، قال حماد : سماه يعني عمراً ، قال : نعم يا أبا بكر إنه يجيئنا بأشياء غرائب ، قال : يقول له أيوب : إنما نفرّ أو نَفْرَق من تلك الغرائب[3] .

وحدثني حجاج بن الشاعر ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا ابن زيد – يعني حماداً – قال : قيل لأيوب : إن عمرو بن عبيد روى عن الحسن ، قال : لا يجلد السكران من النبيذ ، فقال : كذب ، أنا سمعت الحسن يقول : يجلد السكران من النبيذ .

وحدثني حجاج ، حدثنا سليمان بن حرب قال : سمعت سلام بن أبي مطيع يقول : بلّغ أيوب أنّي آتي عمراً ، فأقبل عليَ يوماً ، فقال : أرأيت رجلاً لا تأمنه على دينه كيف تأمنه على الحديث . وحدثني سلمة بن شبيب ، حدثنا الحمدي ، حدثنا سفيان

---

[1] سورة محمد : ٢٣

[2] سورة الحج : ١٨

[3] أخرجه مسلم في مقدمته : ٢٣/١ .

قال : سمعت أبا موسى يقول : حدثنا عمرو بن عبيد قبل أن يحدث ، أي قبل أن يبتدع .

وروى مسلم ــ أيضاً ــ عن يونس بن عبيد قال : كان عمرو بن عبيد يكذب في الحديث . وروى مسلم أيضاً ، عن معاذ بن معاذ ، يقول : قلت لعوف بن أبي جميلة : إن عمرو ابن عبيد حدثنا عن الحسن ، أن رسول الله ﷺ قال : من حمل علينا السلاح فليس منا ، قال : كذب والله عمرو ، لكنه أراد أن يحوزها إلى قوله الخبيث .

فائدة : كما أن حب أهل السنة من علامة الاستقامة ، فكذلك بغضهم من علامة أهل الأهواء والبدع .

أخرج اللالكائي عن أحمد بن عبدالله بن يونس يقول : امتحن أهل الموصل بمعافى بن عمران ، فإن أحبوه فهم أهل السنة ، وإن أبغضوه فهم أهل بدعة ، كما يمتحن أهل الكوفة ــ بيحيى ــ . وعن قتيبة يقول : إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث ، مثل : يحيى بن سعيد ، وعبدالرحمن بن مهدي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ــ وذكر قوماً آخرين ــ ، فإنه على السنة ، ومن خالف هؤلاء فاعلم أنه مبتدع .

٥) ومن منهجهم وسماتهم تضليل أئمة الإسلام :

من سمات كثير من أهل الأهواء وأصولهم الباطلة : تضليل أهل السنة وتكفيرهم .

قال الذهبي : قال ابن أبي داود للمعتصم ، في الإمام أحمد حين المناظرة على القرآن : يا أمير المؤمنين هو والله ضال مضل مبتدع .

وقال ابن أبي داؤد للمعتصم حينما قال : لقد ارتكبت إثماً في أمر هذا الرجل ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه والله كافر مشرك ، قد أشرك من غير وجه . يعني أحمد بن حنبل ، الذي أجمعت الأمة بكل طوائفها على إمامته .

٦) **ومن ذلك : تسميتهم أهل السنة حنابلة** :

لما امتحن المأمون الناس ليقولوا بخلق القرآن صمد اثنان : أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح ، فالثاني لقي ربه ، والأول أشهر السنة رغم ضربه وسجنه ، فكان أن نصر الله السنة بهذا الموقف . والإمام أحمد إمام السنة في سائر أمور الدين ، وكان موقفه سبباً في نصر أهل السنة وإعلائهم وتمسكهم ، الخاصة منهم والعامة ، وتعلق قلوب الناس بالإمام أحمد وبالسنة التي هي شعاره ، ومن هنا تميز أهل الأهواء بخلاف ذلك ، فصاروا يلمزون أهل السنة ويصفونهم بالحنابلة . وهو مدح يشبه الذم ، بل تزكية على لسان خصم ، أراد به الذم فانقلبت ـ بحمد الله ـ إلى المدح ، فإن الانتساب لإمام السنة اعتزاز بالسنة وأهلها .

٧) **جهلهم بمذهب السلف أو تجاهلهم له** :

من ذلك أن الغزالي حصر الحق بأربع فرق بحيث لا يخرج منها :

المتكلمون ، والباطنية ، والفلاسفة ، والصوفية .

قلت : سبحان الله ، هل ذهب الغزالي عن ذكر مذهب السلف ، أو لا يعرفه ، أو هو يضللهم فلا يدخلهم أصلاً في أهل الحق ؟ لست أدري ـ فالله المستعان ـ ، وفي آخر كلامه انتهى إلى القول بأن طريق الصوفية هو طريق الحق . إذن فقد أخرج أهل السنة من أهل الحق ؟! .

وكذلك البغدادي خلط مذهب السلف بأهل الرأي ، قال : فأما الفرقة الثالث والسبعون ـ الناجية ـ فهي أهل السنة والجماعة من فريقي الرأي والحديث ، دون من يشتري

لهو الحديث . ولما ذكر جمهور أهل السنة عدهم ـ أصحاب مالك ، الشافعي ، وأبي حنيفة والأوزاعي ، والثوري ، وأهل الظاهر ـ ، ولم يذكر الإمام أحمد وهو يمثل مذهب السلف كمن ذكرهم ، بل هو أولى من بعضهم ، إلا إن كان يراه من أهل الظاهر ؟

والشهرستاني ذكر أهل السنة ضمن فرقة المشبهة ، وخلط بينهم وغلط في تقرير مذهب السلف . فتأمل ـ حفظك الله ـ .][1] .

ولقد عانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله من الكيد لها وإثارة الشبهات والافتراءات حولها وهي سنة ماضية ويصعب على أي باحث أطلع على بحث الدكتور عبدالرحمن عميرة المقدم في أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن لا يأخذ هذا الموضوع لأنه أجاد في إيضاح ما عانته دعوة الشيخ من الخصوم وقد جاء في هذا البحث الآتي :

[قل أن نجد عالماً ممن سبق الشيخ محمد بن عبدالوهاب أو ممن لحقوا به كانت له مقالة في أصول الدين ، اتفق الناس على رأي واحد فيه . بل قل أن نجد عالماً كان ذا مكانة في عصره تقاربت آراء الناس في عمله وفضله وعقيدته .

وكثيرا ما نجد القائلين في هؤلاء الأعلام على طرفي نقيض : فبينما يعد بعضهم العالم من أولياء الله المقربين . يصفه آخرون بأنه من أعداء الله المبعدين عن رحمته .

ولا شك أن الخلاف بين الفرق في الرأي ، وبين الطوائف في السياسة ، وبين أصحاب المذاهب الفقهية في الفروع ، كان له آثار بعيدة المدى في الحكم على الموافق والمخالف ، إلا من عصم الله من الشرود مع الهوى ، والخضوع للعصبية المقيتة .

---

(1) دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، ٤٨٦ ـ ٤٩٩

ومن هنا وجدنا الأحكام على علمائنا مختلفة أشد الاختلاف : بل متباينة أشد التباين ، ومؤسفة أشد الأسف .

فأبن جرير الطبري مثلاً : يقال فيه : من أراد أن يسمع القرآن كما أنزل فليسمع هذا الكتاب – يعني كتابه في التفسير – .

ويقال : كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحد عرفه لجمعه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة .. ولكن بعض الطوائف في بغداد لما حضروا مجلسه ، وسمعوا منه بعض ما حدث به وثبوا ورموه بمحابرهم وكانت ألوفا ، فقام ودخل داره ، فرموا دارة بالحجارة ، حتى صار على بابه كالتل العظيم . ويقال إنه دفن بليل خوفاً من العامة ، لأنه كان يتهم بالتشيع .

وأبو بكر الباقلاني صاحب كتاب – إعجاز القرآن – في رأى ابن خلكان – أوحد زمانه ، وانتهت إليه الرياسه في مذهبه ، فكان موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب – .

وفيه يقول الخطيب البغدادي : كان الباقلاني ثقة ، وأما الكلام فكان أعرف الناس به وأحسنهم خاطراً ، وأجودهم لساناً ، وأصحهم عبارة .

ويقول ابن تيمية في حقه : هو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري ، ليس فيهم مثله . لا قبله ولا بعده .

ويصفه أبو حاتم الطبري فيقول : إن ما كان يضمره من الورع والديانة والزهد والصيانة أضعاف ما كان يظهره . ولكن هذا الإمام الزاهد الورع عند ابن حزم الظاهري مظلم الجهالة من أهل الضلالة ، كافر ، أصلع الكفر ، مشرك يقدح في النبوات ، ملحد خبيث ملعون فاسق ، أحمق ، يكيد للإسلام ويستخف به . وكل ذنبه عند ابن حزم أنه قال في داود الظاهري : أنه خالف الإجماع في قوله بأبطال القياس .

والباقلاني : عند أبي حيان التوحيدي : على مذهب الخرمية ، وطرائق الملحدة . وعند أبي حامد الإسفراييني : مبتدع يدعو الناس إلى الضلالة .

وابن تيمية عند جماعة المسلمين شيخ الإسلام وإمام المسلمين في عصره ، قامع الكفر والردة وهازم التتار والصليبية وكاشف فضائح الباطنية وكل المذاهب الهدامة ، والمدافع عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ . وعند النبهاني واتباعه : مجسم ، شق العصا ، وشوش عقائد المسلمين بسبب ما اختاره من عدم جواز دعاء غير الله والالتجاء إلى ما سواه ، وأن الله لم يبارك في كتبه فلم ينتفع بها أحد من المسلمين ، وأن العلماء اتفقوا على حبسه الحبس الطويل .

وهكذا قال أيضاً ابن حجر في الجوهر المنتظم وفي فتاواه ، وقال السبكى في بعض كتبه .

والفخر الرازي يقول عنه موفق الدين ، أبوالعباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي ، الخزرجي المشهور بابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء بأخبار الأطباء :

أفضل المتأخرين ، وسيد الحكماء المحدثين قد شاعت سيادته ، وانتشرت في الآفاق مصنفاته وتلامذته . كان الناس يقصدونه من البلاد ، ويهاجرون من كل ناحية على اختلاف مطالبهم في العلوم وتفننهم فيما يشتغلون به ، فكان كل منهم يجد عنده النهاية القصوى فيما يرومه منه ، قوى النظر في صناعة الطب ، وله شعر بالفارسي والعربي .

وابن خلكان من المعجبين بالرازي ، ومن قوله فيه :

فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات ، وعلوم الأوائل ، وتصانيفه مفيدة في فنون عديدة ، منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة .

foot Note

والإمام الذهبي يقول عنه في ميزان الاعتدال : له تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة . نسأل الله أن يثبت الإيمان في قلوبنا .

والإمام الذهبي محق فيما ذهب إليه : لأن الإمام أحمد بن حنبل أنكر على المحاسبي أنه يورد شبه المبتدعة . فقال له الحارثي المحاسبي : الرد على المبتدعة فرض . فقال أحمد : نعم ولكنك حكيت شبهتهم أولاً ثم أجبت عنها ، فلم يؤمن أن يطالع الشبهة من تعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب ، أو ينظر إلى الجواب ، ولا يفهم حقيقته .

فابن حنبل ينكر على المحاسبي مجرد حكايته للشبهة ، فما بالنا بمن يقررها ويبالغ في تقريرها][١].

وبعد هذه المقدمة شرع الدكتور عبدالرحمن عميرة في بيان شبهاتهم حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقوله :

[لاغرو أن جرت على الإمام محمد بن عبدالوهاب هذه السنة التي عرفها الناس منذ نشأ الجدل والمناظرة والاختلاف في المذاهب والعقائد .

وإذا كان ذلك كذلك فإنه يطيب لنا أن نقدم بين يدي القارئ مجموعة الشبهات والادعاءات التي أثارها الأعداء والحاقدون على دعوة الشيخ ، لنبين ما في هذه الشبهات من تهافت وانحراف عن الطريق السليم الذي سلكه هؤلاء الأدعياء .

١) شبهة ادعاء النبوة :

يقول الزهاوي العراقي : وكان محمد هذا بادئ بدأته كما ذكره بعض المؤلفين ، مولعاً بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا ، كمسيلمة الكذاب ، وسجاح ، والأسود العنسي وطليحة الأسدي وأضرابهم ، فكان يضمر في نفسه دعوة النبوة إلا أنه لم

---

(١) بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ج ٢ ، ص ٥١ ـ ٥٤ .

يتمكن من إظهارها . ويردد غير الزهاوي قولته بقوله : لقد كان الرجل في الحقيقة يريد أن يدعي النبوة إلا أنه تستر .

ويأخذ الشيخ ـ أحمد زيني دحلان ـ هذا الاتهام نفسه ويضعه في كتاب له بقوله : والظاهر من حال محمد بن عبدالوهاب أنه يدعي النبوة إلا أنه ما قدر على إظهار التصريح بذلك .

ويقول علوى بن أحمد الحداد في كتابه ـ مصباح الأنام وجلاء الظلام ـ من ذلك أنه يدعى باطناً أنه أتى بدين جديد كما يظهر من قرائن أحواله وأقواله ولذلك لم يقبل من دين نبينا محمد ﷺ إلا القرآن ، فإنه قبله ظاهراً فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره ، فينكشفوا عنه بدليل أنه هو واتباعه إنما يؤولون بحسب ما يوافق هواهم لا بحسب ما فسره النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير : فإنه لا يقول بذلك كما أنه لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي ﷺ .. الخ .

والمتفحص لهذه الادعاءات والمفتريات يرى اتفاقها جميعاً ، على أن ادعاء النبوة عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب كان إضماراً في داخله ، ولم يصرح به لأحد مطلقاً .

هذا هو المفهوم من كلامهم . ولا يمكن أن يفهم غير ذلك .

ونقول : إذا كان ذلك كذلك وأن الشيخ أضمر النبوة في نفسه ، ولم يتمكن ـ كما يقول الأدعياء ـ من إظهارها . فمن أطلعهم على هذا الشيء المضمر؟ هل أوحى الله إليهم بما في سرائر العباد .. ؟ فإن قالوا نعم ، فهم الأدعياء حقاً . وتكون قولتهم هذه امتداداً لما قاله مسيلمة وسجاع وكل المردة أتباع الشياطين . وإذا لم تكن هذه ، أتراهم اطلعوا على الغيب وقرأوا ما في اللوح المحفوظ كما كان يدعي بعضهم ، فإن كان هذا هو حالهم . خرجوا عن ملة الإسلام وألحقوا بإخوانهم في

الجاهلية من الكهان وأدعياء البهتان لأن الغيب لا يعلمه إلا الله . قال تعالى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[1] . فلم يبق إلا الاحتمال الثالث . وهو أن هؤلاء الأدعياء من أصحاب الهوى والغرض ، ومن أتباع الضلال والمنكر ، يعشقون الظلام الذي يستر سوآتهم ـ ظلام الكفر والفسوق والعصيان ـ ، وينفرون من النور ـ نور الإيمان والإحسان ـ الذي يكشف مباذلهم ، ويظهر إسفافهم وصدق ربي في قوله : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2] .

والقارئ لرسائل الشيخ ومصنفاته وما عرف واشتهر من أمر دعوته يعلم أنه كان على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله ، وتعرف جلاله ، والإلزام بكل ما جاء به الرسول ﷺ .

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالته إلى السويدي ، عالم من أهل العراق وكان قد أرسل له كتاباً وسأله عما يقول الناس فيه :

أخبرك أني ـ ولله الحمد ـ متبع ولست بمبتدع عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة ، والذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة واتباعهم إلى يوم القيامة ولكن بينت للناس إخلاص الدين لله ، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم ، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود ، وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشاركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة .

وإذا كان ذلك كذلك فلماذا هذه الادعاءات .. ؟

---

(١) سورة الجن : ٢٦

(٢) سورة الصف : ٨

ونقول : إنه الحسد : نعم الحسد الذي يملأ قلوب هؤلاء الأدعياء ، فهو كامن في نفوسهم ومستقر بين أفئدتهم ، وإذا تمكن من إنسان أعماه ، وأصم أذنيه عن سماع الحق . وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا داء الحسد .. ؟ وهو أيضاً الداء الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى عليه السلام ، ومنع أباجهل من الاستجابة لدعاء الإسلام .

وملأ قلب عبدالله بن أبي سلول بالغيظ والحقد على محمد ﷺ وأتباعه ، ولقد كشف القرآن الكريم نفاقه ومن كان معه بقوله : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[١] .

وكأن التاريخ يعيد نفسه ، فلقد كشف الله أعداء الدعوة ورد كيدهم في نحورهم .

٢) **شبهة إدعاء الاجتهاد المطلق** :

يتضح من استقراء الحوادث في عصر الشيخ أن أحداً لم يستمع للأدعياء عندما قالوا : إن محمد بن عبدالوهاب يدعى النبوة أو جاء بدين جديد فانصرفوا عن ذلك وقالوا : بأن محمد بن عبدالوهاب يدعى الاجتهاد المطلق . ويقول النبهاني في رسالته التي سماها ــ السهام الصائبة ــ لأصحاب الدعاوى الكاذبة : إن دعوى الاجتهاد في هذا الزمان ــ منهم ومن غيرهم مهما كان عالماً ــ هي دعوى كاذبة لا يلتفت إليها ولا يعول عليها وقال : قد ذكرت في كتابي ــ حجة الله على العالمين ــ الرد على من يدعي الاجتهاد في هذا الزمان . ونقول : اختلف الأصوليون : هل يجوز خلو الزمان من مجتهد أم لا .. ؟ فمنهم من قال : يجوز بل يقع .. ومنهم من قال :

---

(١) سورة المنافقون : ١

لا يجوز استدلالا بقول الرسول ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله [١] .

يقول ابن القيم رحمه الله : إن المقلدين حكموا على الله قدراً وشرعاً بالحكم الباطل جهاراً ، المخالف لما أخبر به رسول الله ﷺ ، فأخلوا الأرض من القائمين لله بحججه .

وقالوا : لم يبق في الأرض عالم منذ الأعصار المتقدمة ، وعند هؤلاء أن الأرض لم يبق فيها من يتكلم بالعلم ، ولم يحل لأحد بعد أن ينظر في كتاب الله ، ولا سنة رسوله ﷺ لأخذ الأحكام منها ، ولا يقضي ولا يفتي بما فيها ، حتى يعرضه على قول مقلده ، ومتبوعه ، فإن وافقه حكم به وأفتى به وإلا رده ولم يقبله .

ويقال لهم : هب أنكم لم تصلوا إلى هذا العنقود فلم تنكرون على من وصل إليه مذاق حلاوته .. ؟ وكيف تحجرتم الواسع من فضل الله الذي ليس على قياس عقول العالمين ولا اقتراحاتهم .. ؟ وهم وإن كانوا في عصركم ونشأوا معكم وبينكم وبينهم نسب قريب فالله يمن على من يشاء من عباده ، وقد أنكر الله سبحانه على من رد النبوة : بأن الله صرفها عن عظماء القرى وعن رؤسائها وأعطاها لمن ليس كذلك بقوله : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [٢] .

وقد قال النبي ﷺ : مثل أمتي كالمطر ، لا يدرى أوله خير أم آخره [٣] .

---

[١] أخرجه مسلم ح / ١٩٢٠ / ٣ / ١٥٢٣

[٢] سورة الزخرف : ٣٢

[٣] أخرجه الطبراني في الأوسط : ٣٦٦٠ ، ٧٨/٤ قال في مجمع الزوائد فيه موسى بن عبيده الربزي وهو ضعيف .

وقد أخبر سبحانه أنه ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1] .

وقال : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2] .

ثم أخبر أن ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[3] .

وإذا كان ذلك كذلك فهل ادعى الشيخ محمد بن عبدالوهاب الاجتهاد المطلق كما يقول هؤلاء الأدعياء ؟

يقول أبو المعالي محمود شكري الألوسي :

إن نسبة دعوى الاجتهاد إلى الوهابية ـ وهم على زعمه من كان موافقاً للشيخ محمد ابن عبدالوهاب في الاعتقاد ـ افتراء وكذب وبهتان عليهم . فإن أهل نجد كلهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ مقلدون له في فروع الأحكام ، وموافقون له في أصول الدين وعقائده . ويقول الإمام محمد بن عبدالوهاب : ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد منا يدعيها ، إلا أننا في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه ، وقال به أحد الأئمة أخذنا به ، وتركنا المذهب ، كإرث الجد والأخوة فإنا نقدم الجد بالإرث وإن خالفه مذهب الحنابلة . أعتقد أن قول الإمام قد قطع الطريق أمام كل مكابر بالباطل لهوى في نفسه أو مرض في قلبه . وإذا كان اختلاق الدعاوى الكاذبة لا يجدي هؤلاء الأدعياء فتيلاً . فلماذا تقولون لقد قالوا : بأنه يدعى النبوة وعرف القاصي والداني في كل مصر أنها دعوى باطلة ولدت ميتة ، ولم تجد آذاناً

---

[1] سورة الجمعة : ٢

[2] سورة الجمعة : ٣

[3] سورة الجمعة : ٤

صاغية تستمع إليها أو تصدق بها . وقالوا : بأن هذه الجماعة وصاحبها يدعون الاجتهاد المطلق ، فرد الله كيدهم في نحورهم ، ولم يكن نصيب هذه الدعوى من الحياة والانتشار بأكثر من نصيب الأولى التي قبرت في مهدها .

فماذا يفعل الأدعياء : إنه لا زال في جعبتهم الكثير وقائدهم إبليس يزور لهم القول ويحسن لهم الإفك .. ويدفعهم دفعاً إلى سوق الضلال . فماذا تراهم قائلون .. ؟ لقد قالوا إنهم من الخوارج .

٣) شبهة ادعاء أنهم من الخوارج :

يقول الزهاوي : قد أخبر النبي ﷺ عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة فكانت من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، لأن فيها أخباراً بالغيب . فمنها قوله عليه الصلاة السلام : ـ الفتنة من هنا وأشار إلى المشرق ـ . وقوله ﷺ : يخرج أناس من قبل المشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه [١] يعني موضع الوتر ـ سيماهم التحليق ـ وفي رواية زيادة على ذلك . هم شر الخليقة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء . وقوله عليه السلام : اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا ، قالوا يا رسول الله وفي نجدنا .. ؟ قال : هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان [٢] .

وقوله ﷺ ـ سيماهم التحليق ـ تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبدالوهاب فيما ابتدعه . ويقول ابن دحلان في كتابه ـ الفتنة الوهابية ـ :

---

[١] أخرجه البخاري ح / ٧١٢٣ / ٦ / ٢٧٤٨

[٢] أخرجه البخاري ح / ٩٩٠ / ١ / ٣٥١

وكثير من أحاديث النبي ﷺ فيها التصريح بهذه الفتنة . كقوله ﷺ : يخرج أناس من قبل المشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية سيماهم التحليق [١] .

وهذا الحديث جاء بروايات كثيرة بعضها في صحيح البخاري ، وبعضها في غيره ولا حاجة لنا إلى الإطالة بنقل الروايات . ففي قوله سيماهم التحليق تصريح بهذه الطائفة ، لأنهم كانوا يأمرون كل من اتبعهم أن يحلق رأسه ، ولم يكن هذا الوصف لأحد من طوائف الخوارج والمبتدعة الذين كانوا قبل زمن هؤلاء . وكان السيد عبدالرحمن الأهدل مفتي زبيد يقول : لا حاجة إلى التأليف في الرد على الوهابية : بل يكفي في الرد عليهم قوله ﷺ ـ سيماهم التحليق ـ فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم ، واتفق مرة أن امرأة أقامت الحجة على ابن عبدالوهاب لما أكرهوها على اتباعهم ففعلت ، ـ عندها ـ أمرها أن تحلق رأسها . فقالت له : حيث أنك تأمر المرأة بحلق رأسها ينبغي لك أن تأمر الرجل بحلق لحيته لأن شعر رأس المرأة زينتها وشعر لحية الرجل زينته . فلم يجد لها جواباً .

ونقول : أن الأدعياء كادت جعبتهم تفرغ من الافتراءات والأكاذيب الباطلة ، وإلا لما أقدموا على هذه الأكذوبة الباردة التي لا تستحق ثمن المداد الذي سطرت به .

وهي إن دلت على شيء ، فإنما تدل على أن شياطينهم أخذوا في التخلي عنهم ، فلفهم ظلام شامل طمس على قلوبهم ، وأعمى أبصارهم وتركهم في داجية لا بصيص فيها من نور . ونحب أن نوضح أن ما ورد من الأحاديث عن النبي ﷺ في ذكر

---

[١] أخرجه البخاري ح / ٧١٢٣ / ٦ / ٢٧٤٨

الخوارج وكونهم من نجد ومن المشرق ، كله حق وصدق لا مراء في ذلك ولا ينكروه إلا خارج عن رحاب الإسلام .

وهناك اتفاق يكاد يكون شاملاً بين كثير من العلماء العاملين أن المراد بنجد هو العراق كما قاله الحافظ في الفتح .

وفي الحديث إشارة إلى شدة كفر المجوس ، لأن مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب كانت من جهة الشرق بالنسبة إلى المدينة ، ولقد كانوا في غاية القوة والتكبر حتى مزق ملكهم كتاب النبي ﷺ . ولقد استمرت الفتن من قبل المشرق فترة طويلة من تاريخ المسلمين . ولقد قال الرسول عليه السلام : هل ترون ما أرى .. ؟ قالوا : لا قال : فإني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر الواقع [١] .

وإنما اختصت المدينة بذلك ، لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها . ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك . فالقتال بالجمل وصفين كان بسبب قتل عثمان . والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين . وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه ، ثم إن قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم . وأول ما نشأ ذلك من العراق ، وهي من جهة المشرق . وقال الخطابي : نجد من جهة المشرق ، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها . وأصل النجد : ما أرتفع من الأرض ، وهو خلاف الغور ، فإنه ما انخفض منها ، وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة . وقال الحافظ ـ أيضاً ـ في الفتح في آخر كتاب التوحيد تحت قوله ﷺ : يخرج ناس من قبل المشرق .

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه : ح/٦٦٥١ / ٦/٢٥٨٩

تقدم في كتاب الفتن : أنهم الخوارج وبيان مبدأ أمرهم وما ورد فيهم ، وكان ابتداء خروجهم في العراق ، وهي من جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة المشرفة .

وأخرج البخاري عن بشر بن عمرو قال : قلت لسهل بن حنيف هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئاً ...؟ قال : سمعته يقول ـ وأهوى بيده قبل العراق ـ يخرج منه قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية .

فتبين أن المراد بنجد العراق . وأما قول الأهدل : يكفي في التصنيف والرد على النجدي الحديث الصحيح في البخاري قرن العلامتين سيماهم التخليق وأنهم من المشرق ... الخفنقول : إن التحليق من علامات الخوارج . وكانت هذه صفة الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه من العراق ونواحيه .

يقول صاحب كتاب ـ الأسنة الحداد ـ : وأما أهل اليمامة فليس التحليق واقعاً على جميعهم : بل الغالب عليهم تسريح شعورهم كما كان ذلك واقعاً من الصحابة رضوان الله عليهم في المدينة المنورة وغيرها ، منهم من يحلق ومنهم من يسرح شعره .

قال ابن عبدالبر : قد أجمع العلماء في جميع الأمصار على إباحة الحلق فلم تجتمع فيهم الخصلتان المذكورتان فتبين جهل الأهدل . أما عن قصة المرأة التي طلب منها أن تقص شعرها فهي قصة موضوعة ليس لها من الصدق أدنى نصيب ، وقائع الأحداث تنفي ذلك نفياً تاماً ، لأنه من غير المعقول أن يصدر مثل هذا الهراء عن الشيخ الإمام ، وصدق ربي في قوله :﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[١] .

إن المرأة الوحيدة التي تذكرها الأحداث في حياة الإمام هي تلك المرأة التي جاءت من أهل العيينة وأقرت على نفسها بالزنا ، وتكرر ذلك منها أربعاً فأعرض الشيخ عنها ثم

---

[١] سورة الكهف : ٥

أقرت وعادت إلى الإقرار مراراً . فسأل الإمام عن عقلها فأخبر بتمامه وصحته ، فأمهلها أياماً رجاء أن ترجع عن الإقرار إلى الإنكار فلم تزل مستمرة على إقرارها بذلك ، فأقرت أربع مرات في أيام متواليات فأمر الشيخ ـ رحمه الله ـ الوالي برجمها لأنها محصنة بأن تشد عليها ثيابها ، وترجم بالحجارة على الوجه المشروع ، فخرج الوالي عثمان بن معمر وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت ، وكان أول من رجمها عثمان نفسه ، فلما ماتت أمر الشيخ أن يغسلوها وأن تكفن ويصلى عليها .

وإذا كان ذلك كذلك فلماذا يتقول الأدعياء الزور والبهتان .. ؟ أيريدون طمس الحقائق وإطفاء نور الشمس .. ؟ وهل ذلك في مقدورهم إن أرادوه .. ؟ أم يريدون إبطال الحق والقضاء على الدعوة .. ؟

معاذ الله أن يتم ذلك استنادا إلى وعد الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بقوله : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[1]. وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴾[2] .

إن محاولة الأعداء تأويل النصوص وتفسير أحاديث الرسول ﷺ بالهوى والغرض هو فسوق عن الإسلام يردى صاحبه إلى النار .

وادعاء مشايخ السوء أن أحاديث الخوارج التي أدلى بها رسول الله ﷺ تنطبق على جماعة الإمام محمد بن عبدالوهاب ، هو نوع من التضليل الرخيص . وأفانين من الإفك الكبير وجهل مركب بأحاديث الرسول ﷺ وبحقائق التاريخ .

---

[1] سورة الحج : ٤٠

[2] سورة الأنبياء : ١٠٥

٤) شبهة اتهام الشيخ أنه يكفر الناس :

ومن الاتهامات التي يتهم بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب واتباعه أنهم يكفرون جميع أهل القبلة ، ويستبيحون قتل المسلمين ، وقد ردد هذا الاتهام في أوقات مختلفة .

قال ابن عابدين الشامي في حاشيته ـ رد المختار ـ.

كما وقع في زماننا في أتباع عبدالوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين ، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة ، لكنهم اعتقدوا أنهم المسلمين وأن من خالف اعتقادهم مشركون استباحوا قتل أهل السنة وقتل علمائهم .. الخ .

ويقول ابن دحلان : وسعى بالتكفير للأمة خاصها وعامها وقاتلها على ذلك جملة إلا من وافقه على قوله . ويقول : وكانت شوكتهم وقوتهم في بلادهم أولاً ثم كثر شرهم وتزايد ضررهم واتسع ملكهم وقتلوا من الخلائق ما لا يحصون واستباحوا أموالهم وسبوا نسائهم . ويقول محمد بن علي الشوكاني : ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلاً تحت دولة صاحب نجد وممتثلاً لأوامره خارج عن الإسلام . وتبلغ عنهم أشياء الله أعلم بصحتها .

إن هذا الإدعاء لا يقل تهافتاً وبعداً عن الحق ممن سبقه من الادعاءات الكثيرة الباطلة ... فهل يتصور أن محمد بن عبدالوهاب صاحب كتاب التوحيد يكفر من يؤمن بتوحيد الألوهية والربوبية ... ؟ ويكفر من يخلص العبادة لله ... ؟ .

محال أن يكون ذلك كذلك ، وهو نفسه يعلن ذلك وينفي هذه التهمة الباطلة التي يروجها عنه الأعداء بغية تنفير الناس عنه . حتى تبقى لهم مكانتهم وقوتهم باعتبارهم سدنة للقبور . وحجاب الأقطاب الذين يتصرفون في الكون من دون الله ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

يقول الشيخ : وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم على قبة عبدالقادر والصنم على قبر أحمد البدوي وأمثالهم لأجل جهلهم وعدم من ينبههم ، فكيف نكفر من لم يشرك بالله أو لم يهاجر إلينا ولم يكفر .. ؟ . سبحانك هذا بهتان عظيم .. .

إن الشيخ كان يكفر من أهل اليمامة هؤلاء الذين كانوا يعتقدون في النخلة القائمة عندهم أن لها قدرة عجيبة من قصدها من العرائس تزوجت لعامها . ويكفر هؤلاء الذين كانوا يعتقدون في الغار القائم في الدرعية ، ويحجون إليه للتبرك كما يحج المسلمون للكعبة المكرمة . ويكفر من أهل مصر هؤلاء الذين كانوا يعتقدون في شجرة الحنفي ، ونعل الكلشني ، وبوابة المتولي . ويكفر كل من أعتقد في شجر أو حجر ، توجه إليه بنوع من أنواع العبادة . وأمثال هؤلاء الذين كفرهم الشيخ كفرهم القرآن وأحاديث الرسول ﷺ ونقول : من ينكر أن هؤلاء بالتجائهم لغير الله تعالى خرجوا عن الإسلام ، وانسلخوا من الدين باتباعهم الجبت والطاغوت وسؤالهما النفع والضر .. ؟

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب : وهي كلمة التوحيد ، وحق الله على العبيد ، فمن أشرك مخلوقاً فيها من ملك مقرب ، أو نبي مرسل أو ولي أو صحابي ، وغيره أو صاحب قبر أو جني أو غيره ، أو استغاث به فيما لا يطلب إلا من الله ، أو نذر له ، أو ذبح له ، أو توكل عليه ، أو رجاه ، أو دعاه دعاء استغاثة أو استعانة ، أو جعله واسطة بينه وبين الله لقضاء حاجته ، أو لجلب نفع أو كشف ضر ، فقد كفر عباد

الأصنام القائلين : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[١] ، القائلين : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾[٢].

كما ذكر الله عنهم في كتابه وهم مخلدون في النار وأن صلوا وصاموا وعملوا بطاعة الله الليل والنهار كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٣] .

٥) شبهة كراهة الصلاة على النبي ﷺ :

إن الحاقدين الضالين عن طريق الحق ، يعلمون مدى حب الأمة الإسلامية لرسولها ﷺ فأرادوا بتلك الفرية الجديدة أن يوغروا قلوب المسلمين ، وأن ينفروا الأتباع من السير في دعوة التوحيد ، فاختلقوا هذا الضلال المبين الذي لا يقدم عليه إلا من كان أسود القلب ضال البصيرة . يبغى محاربة الله ورسوله والصد عن دينه .

يقول صاحب كتاب ــ مصباح الأنام وجلاء الظلام ــ المدعو علوى الحداد : من ذلك ــ يعني محمد بن عبدالوهاب ــ أنه كان ينتقص النبي ﷺ كثيراً بعبارات مختلفة منها قوله : ــ أنه طارش ــ بمعنى أن غاية أمره أنه كالطارش الذي يرسل إلى أناس في أمر فيبلغهم إياه ثم ينصرف . ومنها قوله : إني نظرت في قصة الحديبية فوجدت فيها كذا وكذا كذبة إلى غير ذلك مما يشبه هذا على أن أتباعه يفعلون ذلك أيضاً ويعلم بذلك ويظهر عليه الرضا به ، وكان بعضهم يقول :

عصاي خير من محمد لأنها ينتفع بها بقتل الحية ونحوها ، ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلاً . قاتلهم الله أنى يؤفكون . ويتابع هذا الداعي كلامه بقول : وبهذا يكفر

---

(١) سورة الزمر : ٣

(٢) سورة يونس : ١٨

(٣) سورة البينة : ٦

عند المذاهب الأربعة .ويقول ابن دحلان في كتابه فتنة الوهابية : وكانوا يقصد أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ يمنعون من الصلاة عليه ﷺ على المنابر بعد الآذان حتى أن رجلاً صالحاً كان أعمى وكان مؤذناً وصلى على النبي ﷺ بعد الآذان بعد أن كان المنع ، فأتوا به إلى ابن عبدالوهاب فأمر به أن يقتل فقتل .

ونقول إن مما تتأسى به النفس ويتصبر به القلب أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب له أسوة وقدوة بكل من سبقه من الدعاة إلى الله ـ فلا بد أن يصيبه ما أصابهم ـ ونحن نعلم ما حدث للإمام مالك من أذى ومن تعذيب . وما تحمله الإمام أبو حنيفة من جلد وسجن وتغريب . وكيف صب العذاب صبا على أحمد بن حنبل وقضى في السجن بضع سنين ووقفت الدولة له بالمرصاد ، فوقف لها وما خضع أو تهاون . ومن قبل هؤلاء سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وكثير غيرهم تقولوا عليهم الأقاويل وافتروا عليهم بالزور والبهتان حتى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يسلموا من التقول عليهم : فيوسف عليه السلام ، يتهم بأبشع التهم ويلقى به في السجن . وعيسى عليه السلام قالوا عليه وعلى أمه الإفك والبهتان . وموسى عليه السلام اتهموه بالسحر والشعوذه ، وسليمان عليه السلام قالوا عنه : أنه غرر بقائد جيشه ليظفر بزوجته . وداود ولوط وبقية الأنبياء والمرسلين . حتى محمد ﷺ كان لديهم الصادق الأمين الوفي قبل بعثته .. حتى إذا جاءهم بالحق وصدح به .

قالوا : بأنه ساحر يفرق بين المرء وزوجه وبين المرء وأخيه . وقالوا : بأنه مجنون .

حتى الله سبحانه وتعالى : قالوا : بأنه اثنان مرة وثلاثة أخرى ، واتهموه بالصاحبة والولد وغير ذلك من الضلال والبهتان . حتى كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

الرجل الذي جاء يدعو المسلمين بالعودة إلى القرآن الذي جاء به محمد ﷺ تقولوا عليه : بأنه يكره الصلاة على الرسول الكريم . إنه الإفك بعينه والإدعاء الذي لا يقف على قدمين . الرجل الذي يلتزم بكل جزئية من جزئيات القرآن الكريم وبكل حرف وبكل كلمة يقولون عليه : يكره الصلاة على النبي .. ! أنسى هؤلاء أن الصلاة على الرسول ﷺ هي أمر من الله تعالى لنا قبل أن تكون من الرسول .. ! إن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1] ولا يستطيع مسلم أن ينكر ما جاء به القرآن أو وردت به السنة .

وأين تذهب صلاة البشر وتسليمهم بعد صلاة العلى وتسليمه ، وصلاة الملائكة في الملأ الأعلى وتسليمهم .

إنما يشاء الله تشريف المؤمنين بأن يقرن صلاتهم إلى صلاته وتسليمهم إلى تسليمه ، أما الذي كرهه الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونهى عنه ، فهو الجهر بالصلاة على النبي ﷺ بعد الآذان ، وعلى المنابر يوم الجمعة ، فهو بدعة محدثة .

فقد ذكر السيوطي في كتاب : الرسائل إلى معرفة الأوائل :

إن أول ما أحدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها بعد الستمائة في زمن الناصر ابن قلاوون . فهذه بدعة محدثة ، وإزالة المنكر والبدعة وتغييرها واجب بدلائل الأحاديث الصحيحة فإن ذلك لم يكن على عهد الصحابة رضوان الله عليهم ولا التابعين ، وقد قال ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد[2] . وفي لفظ ، من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد . يقول الشيخ عبدالله بن الشيخ

[1] سورة الأحزاب : ٥٦

[2] أخرجه البخاري ح / ٢٥٥٠ / ٢ / ٩٥٩ ، ومسلم ح / ١٧١٨ / ٣ / ١٣٤٣

محمد بن عبدالوهاب في الرد على ذلك : جوابنا في كل مسألة من ذلك . ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[١]. فمن روى عنا شيئاً من ذلك أو نسبه إلينا فقد كذب علينا وافترى ، ومن شاهد حالنا وحضر مجالسنا وتحقق مما عندنا ، علم قطعياً أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين وإخوان الشياطين ، تنفيراً للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص عليه بأن الله لا يغفره ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

ثم يقول :

والذي نعتقده أن رتبة نبينا محمد ﷺ أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق وإنه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء للنصوص عليها في التنزيل إذ هو أفضل منهم بلا ريب ، وأنه يسمع سلام المسلم عليه وتسن زيارته . إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه ، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس ، ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه الصلاة والسلام الواردة عنه ، فقد فاز بسعادة الدارين ، وكفى همه وغمه كما جاء في الحديث عنه .

ماذا يقول الأدعياء في هذه النصوص الجلية التي لا تحتاج إلى بيان ..؟ إن الشيخ يطالب المسلمين أن يدخروا نفيس أوقاتهم في الصلاة على الرسول ﷺ ، ويعتبر أن ذلك العمل من خير ما يقدمه المسلم في حياته ، وإذا ما داوم عليه فاز بحسن العمل في الدنيا ، وبثواب كبير في الآخرة ، وهي الجنان التي أعدت للمتقين .

ويقرر الشيخ أن الصلاة على الرسول ﷺ تفرج كربه وتزيل همه وتبعد غمه . وكيف لا يكون كذلك والله سبحانه وتعالى يبادل عبده الصلاة على رسوله الواحدة بعشر .

---

[١] سورة النور : ١٦

كما جاء في حديث الرسول ﷺ الذي رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً [١] .

هذا أولاً وأما قولهم : بأنه قال : وجدت في صلح الحديبية كذا كذبة .. فهذا قول مفترى لا يقوله مسلم فضلاً عن داعية عرف ربه فآمن به وصدق بكل ما جاء به رسوله وأخذ يدعو الناس على بصيرة وأصبح منهجه ومسلكه في حياته قول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾[٢].

إن صلح الحديبية إحدى العلامات المشرقة في تاريخ المسلمين وبرهان صادق لنبوة الرسول محمد ﷺ ، صلح باركه الله تعالى من فوق عرشه وكانت يده فوق أيدي هؤلاء المؤمنين الذين استجابوا لأمر الله تعالى وأمر رسوله . وكانت فتحاً للمسلمين . دخل الناس بعده في دين الله أفواجا . قال تعالى مصوراً حال المؤمنين من حول رسوله في تلك البيعة : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[٣].

آية للمؤمنين : يرون فيها عواقب تدبير الله لهم وجزاء طاعتهم لرسول الله واستسلامهم . مما ثبت أنها شيء عظيم وخير جزيل والقى السكينة في قلوبهم والاطمئنان والرضى في نفوسهم .

---

[١] أخرجه مسلم ح / ٤٠٨ / ١ / ٣٠٦

[٢] سورة الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣

[٣] سورة الفتح : ١٨ - ٢٠

٦) شبهة إنكار شفاعة الرسول ﷺ :

هل أنكر الشيخ شفاعة الرسول ﷺ .. ؟ وهل تحدث بذلك إلى أحد من اتباعه .. ؟

وإذا كان الجواب بالنفي ، وأن الشيخ ــ رحمه الله ــ لم ينكر شفاعة الرسول ﷺ ولا أقر أحداً من اتباعه على إنكارها .

وهذا هو الحق الذي سطره الشيخ في رسائله وكتبه التي لا زالت بين أيدينا صحفاً ناصعة البياض ، سليمة المعنى ، قوية الإيمان .

وإذا كان ذلك كذلك فما أهداف الأدعياء من وراء ذلك .. ؟ وما هي المآرب التي يجنونها من وراء صد الناس عن الدعوة ، وصرفهم عن حقيقة التوحيد .. ؟

ونقول : إنها نفس المآرب التي كان يريدها أبو جهل وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، وبقية أتباع الشيطان . لقد كان هؤلاء يعرفون أن ما جاء به محمد هو الحق والصدق ، ولكنهم كانوا ينكرونه بألسنتهم وإن آمنوا أنه الحق بقلوبهم . يقول الله تعالى مواسياً لنبيه ﷺ : ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[٢]. وهذا ما حدث من أعداء الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، لقد أقروا أمامه بأن ما يقوله هو الحق والصدق . حتى إذا انفضوا من عنده أنكروا ذلك أمام الناس .

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب لسليمان بن سحيم : إني أرسلت لك رسالة الشيخ تقي الدين ، الذي يذكر فيها : أن من دعا نبياً أو صحابياً أو ولياً مثل أن يقول : يا سيدي فلان انصرني وأغثني ، إنه كافر بالإجماع فلما أتتك استحسنتها وشهدت أنها حق . وأنت تشهد به الآن ، فما الواجب لهذه العداوة ،

---

(١) سورة الأنعام : ٣٣

(٢) سورة النمل : ١٤

ثانياً : أنه إذا أتاك أحد من أهل المعرفة أقررت أن هذا دين الله وأنه الحق وقلته على رؤوس الأشهاد ، وإذا خلوت مع شياطينك وقصاصيك فلك كلام آخر .

ثالثاً : أن عبدالرحمن الشنيفي ومن معه ، لما أتوك وذاكروك أقررت بحضرة شياطينك أن هذا هو الحق ، وشهدت أن الطواغيت كفار وتبرأت من طالب الحمضي ، وعبدالكريم ، وموسى بن نوح ، فأي شيء بان لك بعد هذا أن هذا باطل وأن الذي تبرأت منه وعاديتهم أنهم على حق .. ؟

ونقول أن الذي بان لنا هو الحقد الذي يملأ قلوب الأدعياء والحسد الذي يسيطر على كل جارحة من جوارحهم . والخوف على ضياع المكاسب والمغانم التي يأخذونها من البسطاء والعوام باعتبارهم سدنة القبور ووكلاء الأولياء الأموات في الدنيا .

ونختم هذه الشبهة بما يقوله الشيخ عبدالله عن الشفاعة : ونثبت الشفاعة لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة حسب ما ورد وكذا نثبتها لسائر الأنبياء والملائكة والموحدين والأطفال . حسب ما ورد أيضاً ، ولا نسألها إلا من الله تعالى المالك لها ، والآذن فيها لمن يشاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد ، بأن يقول أحدنا متضرعاً إلى الله شفع نبينا محمداً ﷺ فينا يوم القيامة .

٧) **شبهة تسميتهم بالوهابية :**

متى أطلقت هذه التسمية على جماعة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ..؟

أأطلقت عليهم في حياة الشيخ .. ؟ أم أنها لم تعرف إلا بعد وفاته .. ؟ وهل أطلق هذه التسمية أنصار الشيخ أم أعداؤه ... ؟

إن وقائع التاريخ تضطرب في ذلك أشد الاضطراب وتتباين كل التباين ..

ونقول : إذا كان الأنصار هم الذين نادوا بتلك التسمية . فلماذا لم تنسب إلى صاحبها فيقال : المحمدون . نسبة إلى الشيخ محمد الذي دعا إليها وقام بكل أعبائها .

إن أحد أنصار الدعوة والمتحمسين لها . وهو الشيخ ملا عمران بن رضوان يرد على الخصوم بقوله :

إن كان تابع أحمد متوهبا فأنا المقر بأنني وهابي

أنفي الشريك عن الإله فليس لي رب سوى المتفرد الوهاب

وأيضاً فإن المؤرخ المصري عبدالرحمن الجبرتي ـ وهو ممن كانوا يتحمسون لهذه الدعوة حتى أن محمد علي حاكم مصر والذي حارب هو وأبناؤه الدعوة قتل ابن الجبرتي انتقاماً من أبيه لتعاطفه مع هؤلاء الجماعة ـ ، نراه يقول في حوادث ١٢١٧هـ :

حضرت مكاتبات من الديار الحجازية يخبرون فيها عن الوهابيين أنهم حضروا إلى جهة الطائف فخرج إليهم شريف مكة الشريف غالب .. فحاربهم فهزموه فرجع إلى الطائف ، وأحرق داره التي بها وخرج هارباً إلى مكة فحضر الوهابيون .

ولكن كل هذا لا يبرر أن أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هم الذين أطلقوا هذه التسمية .

والحقيقة التي لا ينكرها إلا مكابر أن الأعداء هم الذين أطلقوا اسم الوهابية على جماعة الشيخ ، جماعة التوحيد ، حتى يصوروها بأنها مذهب جديد عن الإسلام ومبادئه .

قال زويمر : ـ المبشر المسيحي ـ متخبطاً في أفكاره وآرائه التي تكشف جهله وتدل على أن بضاعته في العلم والمعرفة قليلة .

الإمام ابن القيم سنة ٧٥١هـ تشبه أفكاره وآراؤه آراء الوهابيين ، فهو وهابي ولكن يسمي نفسه حنبلياً . ونسى هذا الجاهل أن اصطلاح ـ الوهابية ـ ما عرف إلا بعد ابن القيم بأربعة قرون أو أكثر .

وكذلك المستشرق ـ برك هارت ـ ألف مذكرة في أخبار الوهابيين ، وقد نشرت هذه المذكرة فيما بعد باسم ـ مذكرات في البدو والوهابيين ـ .

ونحب أن نقول : إن مجرد ذكر التسمية لا حرج فيه ، ولكن الحرج كل الحرج أن هذه التسمية قد أشيعت وكأنها مذهب خارج عن الإسلام . وما دامت كذلك ، فهي دعوى خارجة يجب أن تحارب بكل سلاح . تحارب ممن يدينون بدينها ، وتحارب من غير هؤلاء من أتباع الديانات الأخرى .

إذن فلن تحارب الدعوة في شخص صاحبها فقط ، ولن يحارب أتباعها والملتزمون بتعاليمها فحسب . ولكن أيضاً تحارب كل الدعوات في العالم الإسلامي ، الدعوات التي تعمل على إيقاظ المسلمين وردهم إلى دينهم .

تحارب هذه الدعوات حتى لا يظهر ـ محمد ـ جديد في تلك البقعة ، محمد جديد يجمع التشتيت ويوحد المتفرق ، ويُعلي كلمة التوحيد في أركان الأرض الأربعة كما حدث سابقاً في عهد المسلمين الأول .

فالحركة السنوسية في المغرب . رأى فيها الاستعمار الصليبي خطراً على مصالحه فأطلق عليها بأنها امتداد للدعوة الوهابية .

وحركة التجديد في الهند ألحقت بالحركة الوهابية إلحاقاً تاماً ، ولا شك أن المأخذ الأصلي الكتاب والسنة واحد ، ولكن توجد فروق واضحة في أساليب الدعوات وطرقها مع توافقها في الأصول .

ونقول : هل هذه كل المفتريات والشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ .. ؟

الحقيقة أنها شيء لا يحصى ولا يعد .. إلا إذا تصورنا أن للكذب نهاية ، وللضلال حدود يمكن أن يقف عندها .] [1]

ويذكر الدكتور عبدالرحمن عماره بأنه يقال أن أول من بدأ نسبة الأكاذيب والافتراءات لإمام الدعوة في حياته هو سليمان محمد بن سحيم . ويستشهد على قوله برسالة كتبها سليمان بن محمد بن سحيم ، مطوع أهل الرياض ، وأرسلها إلى أهل البصرة والأحساء يشنع فيها على الشيخ ويفترى عليه أشياء لم تحدث ، يقول سليمان بن محمد بن سحيم في رسالته :

[من الفقير إلى الله تعالى سليمان بن محمد بن سحيم إلى من يصل إليه من علماء المسلمين وخدام شريعة سيد ولد آدم من الأولين والآخرين ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. أما بعد : فالذي يحيط به علمكم أنه قد خرج في قطرنا رجل مبتدع جاهل ، مضل ، ضال ، من بضاعة العلم والتقوى عاطل ، جرت منه أمور فظيعة ، وأحوال شنيعة منها : شيء شاع وذاع ، وملأ الأسماع ، وشيء لم يتعد أماكننا بعد ، فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين ، وورثة سيد المرسلين ، ليصيدوا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور لصغار بغاث الطيور ، ويردوا بدعه وضلالاته وجهله وهفواته .

والقصد من ذلك : القيام لله ورسوله ، ونصرة الدين ، جعلنا الله وإياكم من الذين يتعاونون على البر و التقوى .

فمن بدعه وضلالته أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة : زيد بن الخطاب وأصحابه ، وهدم قبورهم وبعثرها لأجل أنهم في حجارة

---

[1] بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ج ٢ ، ص ٥٤ - ٧٨ .

ولا يقدرون أن يحفروا لهم ، فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع ، والدافن لهم خالد ، وأصحاب رسول الله ﷺ .

وعمد أيضاً إلى مسجد في ذلك وهدمه ، وليس داع شرعي في ذلك إلا اتباع الهوى ، ومنها : أنه أحرق ــ دلائل الخيرات ــ لأجل قول صاحبها : سيدنا ومولانا ، وحرق أيضاً ــ روض الرياحين ــ وقال : هذا روض الشياطين . ومنها : أنه صح عنه أنه يقول : لو أقدر على حجرة الرسول هدمتها ، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه ، وجعلت بدله ميزاب خشب . أما سمع قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[1] . ومنها : أنه ثبت أنه يقول : الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء وتصديق ذلك أنه بعث إلي كتاباً يقول فيه : أقروا أنكم قبلي جهال ضلال .

ومن أعظمها : أن من لم يوافقه في كل ما قال ويشهد أن ذلك حق يقطع بكفره ومن وافقه وصدقه في كل ما قال ، قال : أنت موحد ، ولو كان فاسقاً محضاً ، أو مكاساً ، وبهذا ظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله .

ومنها : أنه بعث إلى بلداننا كتاباً مع بعض دعاته بخط يده ، وحلف فيه بالله : أن علمه هذا لم يعرفه مشايخه الذين ينتسب إلى أخذ العلم منهم في زعمه ، وإلا فليس له مشايخ ، ولا عرفه أبوه ولا أهل ــ العارض ــ .

فيا عجباً إذا لم يتعلم من المشايخ ولا عرفه أبوه ، ولا أهل قطره ، فمن أين علمه .. ؟ وعن من أخذه .. ؟ هل أوحي إليه .. ؟أو رآه مناماً .. ؟ أو أعلمه به الشيطان .. ؟ وحلفه هذا أشرف عليه جميع أهل العارض . ومنها : أنه يقطع بتكفير ابن

---

[1] سورة الحج : ٣٢

الفارض وابن عربي . ومنها : أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول ، لأجل أنهم يأخذون النذور ، ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر .

ومنها : أنه ثبت عنه لما قيل له : اختلاف الأئمة رحمة ، قال اختلافهم نقمة .

ومنها : أنه يقطع بفساد الوقف ، ويكذب المروى عن رسول الله ﷺ وأصحابه أنهم وقفوا .

ومنها : إبطال الحج . ومنها : أنه ترك تمجيد السلطان في الخطابة ، وقال : السلطان فاسق لا يجوز تمجيده ، ومنها أنه : قال : الصلاة على رسول الله ﷺ يوم الجمعة وليلتها هي بدعة وضلالة تهوى بصاحبها إلى النار .

ومنها أنه يقول : الذي يأخذ القضاة قديماً وحديثاً إذا قضوا بالحق بين خصمين ، ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة ــ إن ذلك رشوة ــ هذا القول بخلاف النصوص عن جميع الأمة : أن الرشوة ما أخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل ، وأن للقاضي أن يقول للخصمين : لا أقضي بينكما إلا بجعل ، ومنها : أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمى عليها ويجعلها لله تعالى . ويدخل مع ذلك دفن شر الجن ، ويقول : ذلك كفر ، واللحم حرام ، فالذي ذكره العلماء بذلك أنه منهي عنه فقط وذكره في حاشية المنتهى] [1] .

وقد رد الشيخ محمد بن عبدالوهاب على ما جاء في رسالة ابن سحيم من مفتريات برسالة جاء فيها :

---

(1) بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ج٢ ، ٧٩ ـ ٨١ .

[من محمد بن عبدالوهاب إلى عبدالله بن سحيم ، وبعد : الفينا مكتوبك وما ذكرت فيه من ذكرك ما بلغك . ولا يخفاك أن المسائل التي ذكرت أنها بلغتك في كتاب من العارض جملتها أربع وعشرون مسألة بعضها حق وبعضها بهتان وكذب .

وقبل الكلام فيها . لا بد من تقديم أصل ، وذلك أن أهل العلم إذا اختلفوا والجهال إذا تنازعوا ، ومثلي ومثلك إذا اختلفنا في مسألة ، هل الواجب اتباع أمر الله ورسوله ، وأهل العلم أو الواجب اتباع عادة الزمان التي أدركنا الناس عليها ، ولو خالفت ما ذكره العلماء في جميع كتبهم ..

وإنما ذكرت هذا ــ ولو كان واضحاً ـ لأن بعض المسائل التي ذكرت أنا قلتها لكن هي موافقة لما ذكره العلماء في كتبهم : الحنابلة وغيرهم .

ولكن هي مخالفة لعادة الناس التي نشأوا عليها ، فأنكرها علي من أنكرها لأجل مخالفة العادة ، وإلا فقد رأوا تلك في كتبهم عياناً ، وأقروا بها وشهدوا أن كلامي هو الحق ، لكن أصابهم ما أصاب الذين قال الله فيهم . ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[1].

وهذا هو ما نحن فيه بعينه ، فإن الذي راسلكم هو عدو الله ابن سحيم ، وقد بينت ذلك له فأقر به ، وعندنا كتب يده في رسائل متعددة : أن هذا هو الحق ، وأقام على ذلك سنين ، لكن أنكر آخر الأمر لأسباب أعظمها البغي : ﴿ أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾[2] .

وذلك أن العامة قالوا له ولأمثاله : إذا كان هذا هو الحق ، فلأي شيء لم تنهونا عن عبادة ــ شمسان ــ وأمثاله فتعذروا : أنكم سألتمونا .. ؟

---

[1] سورة البقرة : ٨٩
[2] سورة البقرة : ٩٠

قالوا : وأن لم نسألكم ، كيف نشرك بالله عندكم ولا تنصحونا .. ؟ وظنوا أن يأتيهم في هذا غضاضة وأن فيه شرفاً لغيره .

وأيضاً : لما أنكرنا عليهم أكل السحت والرشا إلى غير ذلك من الأمور فقام يدخل عندكم وعند غيركم بالبهتان . والله ناصر دينه ولو كره المشركون .

وأنت لا تستهون مخالفة العادة على العلماء ، فضلاً عن العوام ، وأنا أضرب لك مثلاً بمسألة واحدة ، وهي مسألة الاستجمار ثلاثا فصاعداً من غير عظم ولا روث وهو كاف مع وجود الماء عند الأئمة الأربعة وغيرهم ، وهو إجماع الأمة ، لا خلاف في ذلك ومع هذا ــ لو يفعله أحد ــ لصار هذا عند الناس أمراً عظيماً ، ولنهوا عن الصلاة خلفه وبدعوه مع إقرارهم بذلك ولكن لأجل العادة .

إذا تبين هذا فالمسائل التي شنع بها ، منها ما هو من البهتان الظاهر وهي قوله : إني مبطل كتب المذاهب ، وقوله : إني أقول : إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء .

وقوله : إني أدعي الاجتهاد . وقوله : إني خارج عن التقليد . وقوله : إني أقول : إن اختلاف العلماء نقمة . وقوله : إني أكفر من توسل بالصالحين . وقوله : إني أكفر البوصيري لقوله : يا أكرم الخلق . وقوله : إني أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب . وقوله : إني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ . وقوله : إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم ، وإني أكفر من يحلف بغير الله . فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أقول : ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

[1] سورة النور : ١٦

ولكن قبله من بهت النبي محمداً ﷺ أنه يسب عيسى ابن مريم ويسب الصالحين .

﴿ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ ﴾[١]. وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾[٢].

وأما المسائل الأخر وهي :

أني أقول : لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى ـ لا إله إلا الله ـ . ومنها : أني اعرف من يأتيني بمعناها . ومنها : أني أقول : الإله هو الذي فيه السر . ومنها : تكفير الناذر إذا أراد به التقرب لغير الله وأخذ النذر كذلك . ومنها : أن الذبح للجن كفر والذبيحة حرام ولو سمى الله عليها إذا ذبحها للجن .

فهذه خمس مسائل كلها حق وأنا قائلها . ونبدأ بالكلام عليها لأنها أم المسائل . وقبل ذلك أذكر معنى ـ لا إله إلا الله ـ فنقول : التوحيد نوعان .

توحيد الربوبية :

وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم ، وهذا حق لا بد منه ، لكن لا يدخل الرجل في الإسلام ، لأن أكثر الناس مقرون به . قال تعالى : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[٣] وأن الذي يدخل الرجل في الإسلام هو توحيد الألوهية : وهو أن لا يعبد إلا الله ، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ، وذلك أن النبي ﷺ بعث وأهل الجاهلية يعبدون أشياء مع الله : فمنهم من يدعو الأصنام ، ومنهم من يدعو عيسى ، ومنهم من يدعو الملائكة ، فنهاهم عن هذا وأخبرهم أن الله أرسله ليوحد ولا يدعى أحد من دونه ،

---

(١) سورة البقرة : ١١٨

(٢) سورة الأنبياء : ١٠١

(٣) سورة يونس : ٣١

لا الملائكة ، ولا الأنبياء فمن تبعه ووحد الله فهو الذي شهد أن لا إله ألا الله ، ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة واستنصرهم والتجأ إليهم فهو الذي جحد لا إله إلا الله مع إقراره أنه لا يخلق ولا يرزق إلا الله ، وهذه جملة لها بسط طويل ، لكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء .

ولما جرى في هذه الأمة ما أخبر به نبيها ﷺ حيث قال : لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه [١] .

وكان من قبلهم كما ذكر الله عنهم : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[٢]. فصار ناس من الضالين يدعون اناساً من الصالحين في الشدة والرخاء مثل : عبدالقادر الجيلاني ، وأحمد البدوي ، وعدى بن مسافر وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح ، فأنكر عليهم أهل العلم غاية الإنكار وزجروهم عن ذلك ، وحذروهم غاية التحذير والإنذار من جميع المذاهب الأربعة في سائر الأقطار والأمصار ، فلم يحصل منهم انزجار ، بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار ، وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم من ذلك . وبين أهل العلم أن أمثال هذا هو الشرك الأكبر ، وأنت ذكرت في كتابك تقول : يا أخي ما لنا والله دليل إلا من كلام أهل العلم . وأنا أقول : كلام أهل العلم رضى وأنا أنقله لك ، وأنبهك عليه ، فتفكر فيه وقم لله ساعة ناظراً ومناظراً مع نفسك ومع غيرك ، فإن عرفت أن الصواب معي وأن دين الإسلام اليوم من أغرب الأشياء ، أعني دين الإسلام الصرف الذي لا يمزج بالشرك والبدع .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده : ح/١٧١٧٥ ، ١٢٥/٤ ، قال في مجمع الزوائد أخرجه أحمد والطبراني ورجاله مختلف فيهم .

(٢) سورة التوبة : ٣١

ثم يقول : قال الشيخ تقي الدين ، وقد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر ومن أهل العبادة ، حتى قلبوا حقيقته ، فطائفة ظنت أن التوحيد هو نفي الصفات ، وطائفة ظنوا انه الإقرار بتوحيد الربوبية . ومنهم من أطال في تقرير هذا الموضع ، وظن أنه بذلك قرر الوحدانية ، وأن الألوهية هي القدرة على الاختراع ونحو ذلك ولم يعلم أن مشركي العرب كانوا مقرين بهذا التوحيد . قال تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1]. وهذا حق ، لكن لا يخلص به عن الإشراك بالله الذي لا يغفره الله ، بل لا بد أن يخلص الدين لله فلا يعبد إلا الله ، فيكون دينه لله ، والإله هو المألوه الذي تألهه القلوب وأطال رحمه الله الكلام .

وقال ـ أيضاً ـ في الرسالة ـ السنية ـ التي أرسلها إلى طائفة من أهل العبادة ينتسبون إلى بعض الصالحين ، ويغلون فيه ، فذكر حديث الخوارج ثم قال : فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ممن ينتسب إلى الإسلام ممن مرق منه مع عبادته العظيمة ، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام قد يمرق من الدين وذلك بأمور منها : الغلو الذي ذمه الله تعالى مثل : الغلو في عدى بن مسافر أو غيره : بل الغلو في علي بن أبي طالب ، بل الغلو في المسيح ونحوه ، فكل من غلا في نبي أو صحابي أو رجل صالح ، وجعل فيه نوعاً من الألوهية مثل أن يقول : يا سيدي فلان أغثني أو أنا في حسبك ، ونحو هذا فهذا كافر يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد ولا يدعى معه إله آخر ، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى ، مثل : الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصورة على صورهم ، لم يكونوا يعتقدون أنها تنزل المطر أو تنبت النبات ، وإنما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ

---

(1) سورة المؤمنون : ٨٤

شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[١]. فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة . وقال أيضاً في أثناء الباب : ومن اعتقد أن لأحد طريقاً إلى الله غير متابعة محمد ﷺ أو لا يجب عليه اتباعه ، أو أن لغيره خروجاً عن اتباعه أو قال : أنا محتاج إليه في علم الظاهر دون علم الباطن ، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة ، أو قال : إن من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ـ كفر في هذا كله ـ.

وقال أيضاً ـ في الباب : ومن سب الصحابة ، اقترن بسببه دعوى أن علياً إله أو نبي أو أن جبريل غلط ـ فلا شك في كفر من توقف في تكفيره ، فتأمل هذا إذا كان كلامه هذا في علي . فكيف بمن ادعى أن ابن عربي أو عبدالقادر إله .. ؟

وتأمل كلام الشيخ في معنى الإله الذي تألهه القلوب ، وأعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي ﷺ بأنهم يدعون الأولياء والصالحين في الرخاء والشدة ، ويطلبون منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات ـ والكفار زمن النبي ـ مع كونهم يدعون الملائكة والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب بهم : وإلا فهم مقرون بأن الأمر لله ، فهم لا يدعونهم إلا في الرخاء ، فإذا جائتهم الشدة أخلصوا لله . ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾[٢] .

وقال أيضاً في ـ الإقناع ـ ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله ، وهو : عقد ورقي وكلام يتكلم به أو يكتبه ، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله ، ومنه ما يقتل ومنه ما يمرض ، ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنع وطأها ، ومنه ما يبغض أحدهما للآخر ، ويحبب بين أثنين ويكفر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته .

---

[١] سورة يونس : ١٨

[٢] سورة الإسراء : ٦٧

وأما الحنفية فقال الشيخ قاسم في شرح درر البحار : النذر الذي يقع من أكثر العوام وهو أن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلاً : يا سيدي فلان إن رددت غائبي ، أو عوفي مريضي ، أو قضيت حاجتي ، فلك كذا وكذا ، باطل إجماعاً لوجوه منها :

إن النذر للمخلوق لا يجوز . ومنها ظن أن الميت يتصرف في الأمر واعتقاد هذا كفر . إلى أن قال : إذا عرف هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها ، وينقل إلى ضرائح الأولياء ، فحرام بإجماع المسلمين ، وقد ابتلي الناس بهذه لا سيما في مولد أحمد البدوي .

فتأمل قول صاحب النهر مع أنه بمصر ومقر العلماء ، كيف شاع بين أهل مصر ما لا قدرة للعلماء على دفعه فتأمل قوله ـ من أكثر العوام ـ أتظن أن الزمان صلح بعده .. ؟

وأما المالكية ، فقال الطرطوشي في كتاب ـ الحوادث والبدع ـ روى البخاري عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون حولها ، وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ـ ذات أنواط ـ فمررنا سدرة فقلنا يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ـ ذات أناط ـ فقال : الله أكبر هذا لتركبن سنن من كان قبلكم (١).

فانظر رحمكم الله أينما وجدتم سدرة يقصدها الناس ، وينوطون بها الخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها . وقال ﷺ بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ . ومعنى هذا أن الله لما جاء بالإسلام فكان الرجل ... إذا أسلم في قبيلته غريباً مستخفياً بإسلامه ، قد جفاه العشيرة فهو بينهم ذليل خائف ، ثم يعود غريباً لكثرة الأهواء المضلة والمذاهب المختلفة حتى يبقى أهل الحق غرباء في الناس لقلتهم وخوفهم على أنفسهم .

---

(١) أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح : ح/٢١٨٠ /٤/٤٧٥ ، وابن حبان : ح/٦٧٠٢/١٥/٩٤ ، والإمام أحمد في مسنده : ح/٢١٩٤٧ ، ٥/٢١٨ .

وروى البخاري عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : والله ما أعرف فيهم من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعاً . وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره . انتهى كلام الطرطوشي .

فيتأمل اللبيب هذه الأحاديث ، وفي أي زمان قيلت ، وفي أي مكان ، وهل أنكرها أحد من أهل العلم ، والفوائد فيها كثيرة ، ولكن مرادي منها ما وقع من الصحابة ، وقول الصادق الصدوق ، إنه مثل كلام الذين اختارهم الله على العالمين لنبيهم : اجعل لنا إله : يا عجبا إذا جرى هذا من أولئك السادة كيف ينكر علينا أن رجلاً من المتأخرين غلط في قوله : يا أكرم الخلق كيف تعجبون من كلامي فيه ، وتظنونه خيراً وأعلم منهم .

ولكن هذه الأمور لا علم لكم بها وتظنون أن من وصف شركاً أو كفراً أنه الكفر الأكبر المخرج عن الملة ، ولكن أين كلامك هذا من كتابك الذي أرسلت إلي قبل أن يغريك الله بصاحب الشام وتذكر وتشهد أن هذا هو الحق وتعتذر أنك لا تقدر على الإنكار ..؟

ومرادي أن أبين لك كلام الطرطوشي ، وما وقع في زمانه من الشرك بالشجر ، مع كونه في زمن القاضي أبي يعلي ، أتظن الزمان صلح بعده .. ؟ وأما كلام الشافعية فقال الإمام محدث الشام أبوشامة في كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث ، وقد وقع من جماعة من النابذين لشريعة الإسلام ، المنتمين إلى الفكر الذي حقيقته الافتقار من الإيمان ومن اعتقادهم في مشايخ لهم ضالين مضلين فهم داخلون تحت قوله ؟ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله .

وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها ومن هذا القسم ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشياطين للعامة تخليق الحيطان والعمد ، وإسراج مواضع في كل بلد يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح فيفعلون ذلك ويظنون أنهم يتقربون إلى الله ، ثم يجاوزون ذلك إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في

قلوبهم ويرجون الشفاعة لمرضاهم ، وقضاء حوائجهم بالنذر لهم ، وهي بين عيون وشجر ، وحائط وحجر ، وفي دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحمى ، والشجرة الملعونة خارج باب النصر سهل الله قطعها فما أشبهها بذات أنواط ، ثم ذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال :

أسأل الله الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه ، ولا يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه .

فتأمل ذكره في هذا النوع أنه نبذ لشريعة الإسلام ، وأنه خروج عن الإيمان ثم ذكر أنه عم الابتلاء به في الشام .

فأنت قل لصاحبكم هؤلاء العلماء من الأئمة الأربعة ذكروا أن الشرك عم الابتلاء به وغيره ، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض ، وذكروا أن الدين عاد غريباً فهو بين اثنتين : إما أن يقول : كل هؤلاء العلماء جاهلون ضالون مضللون خارجون .

وإما أن يدعى أن زمانه وزمان مشايخه صلح بعد ذلك .. ؟

إذا تقرر هذا فخمس المسائل التي قدمت جوابها في كلام العلماء ، وأضيف إليها مسالة سادسة ، وهي أفتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم وسميتهم طواغيت ، وذلك أنهم يدعون الناس إلى عبادتهم من دون الله عبادة أعظم من عبادة اللات والعزى يعبدونها في الرخاء ، ويخلصون لله في الشدة ، وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم إياه في شدائد البر والبحر . فإن كان الله أوقع في قلبك معرفة الحق والانقياد له والكفر بالطاغوت والتبري ممن خالف هذه الأصول ولو كان أباك أو أخاك ، فاكتب لي وبشرني ، لأن هذا ليس مثل الخطأ في الفروع ، بل ليس الجهل بهذا ـ فضلاً عن إنكاره ـ مثل : الزنا والسرقة ، بل والله ثم والله ثم والله أن الأمر أعظم .. وإن وقع في قلبك إشكال فاضرع إلى مقلب القلوب أن يهديك لدينه ودين نبيه .

وأما بقية المسائل : فالجواب عنها ممكن إذا خلصنا من شهادة أن لا إله إلا الله ، وبيننا وبينكم فيها كلام أهل العلم . ولكن العجب من قولك : أنا هادم قبور الصحابة وعبارة ـ الإقناع ـ في الجنائز : يجب هدم القباب التي على القبور لأنها أسست على معصية الرسول ، والنبي ﷺ صح عنه أنه بعث علياً لهدم القبور .

ولاشك أن أهل الأهواء والبدع قصدوا من إسقاط قيمة ومكانة الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام الاستحواذ على عقول وقلوب العامة ليخلوا لهم الجو فيبيضوا ويصفروا قاتلهم الله أنى يؤفكون][(١)].

---

(١) بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ج٢ ، ص ٨١ ـ ٩٢ .

المبحث السابع : عدم فهم كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسول الله ﷺ :

ولا شك أنهم من هنا أتوا ومن هذا الطريق ظلوا وأظلوا كثيراً ، لأنهم أعملوا العقل في النص ، وأوّلوا ما يتعارض مع ما توصلت إليه عقولهم ، أو لأنهم أهل عجمة فلم يفهموا دلالات آيات القرآن الكريم ومعاني السنة النبوية المطهرة .

[وإنما أشكل الأمر ، وخفيت المعاني ، والتبست الأحكام على خلوف من العجم ، والمولدين ، الذين لا دراية لهم بهذا الشأن ، ولا ممارسة لهم بمعاني السنة و القرآن . ولهذا قال الحسن رضي الله عنه ، من العجمة أتوا ، وقال عمر بن العلاء ، لعمر بن عبيد ، لما ناظره في مسألة : خلود أهل الكبائر في النار ، واحتج ابن عبيد : أن هذا وعد الله لا يخلف وعده ، يشير إلى ما في القرآن من الوعيد على بعض الكبائر والذنوب ، بالنار ، والخلود ، فقال له ابن العلا : من العجمة أتيت ، هذا وعيد لا وعد ، وأنشد قول الشاعر :

وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعد

وقال بعض الأئمة فيما نقل البخاري ، أو غيره : إن من سعادة الأعجمي ، والعربي إذا أسلما ، أن يوفقا لصاحب سنة ، وإن من شقاوتهما : أن يمتحنا وييسرا لصاحب هوى ، وبدعة .

ونضرب لك مثلاً وهو أن رجلين تنازعا في آيات من كتاب الله ، أحدهما خارجي ، والأخر مرجيء قال الخارجي : إن قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [1] دليل على حبوط أعمال العصاة ، والفجار وبطلانها ، إذ لا قائل : إنهم من عباد الله المتقين ، قال المرجيء : هي في الشرك ، فكل من اتقى الشرك يقبل منه عمله ، لقوله

---

[1] سورة المائدة : ٢٧

تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [١] قال الخارجي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [٢] يرد ما ذهبت إليه ، قال المرجىء ، المعصية هنا : الشرك بالله ، واتخاذ الأنداد معه ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [٣] ، قال الخارجي قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾ [٤] دليل : على أن الفاسق من أهل النار الخالدين فيها ، قال له المرجىء ، قوله تعالى في آخر الآية : ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [٥].

دليل : على أن المراد من كَذَّبَ الله ورسوله ، والفاسق من أهل القبلة ، مؤمن كامل الإيمان . ومن وقف : على هذه المناظرة ، من جهال الطلبة والأعاجم ، ظن أنها الغاية المقصودة ، وعض عليها بالنواجذ ، مع أن كلا القولين لا يرتضى ، ولا يحكم بإصابته أهل العلم والهدى ، وما عند السلف والراسخين في العلم خلاف هذا كله ، لأن الرجوع إلى السنة ، المبينة للناس ما نزل إليهم واجب وأما أهل البدع ، والأهواء فيستغنون عنها بآرائهم وأهوائهم ، وأذواقهم .

وقد بلغني : أنكم تأولتم ، قوله تعالى في سورة محمد : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ﴾ [٦] على بعض ما يجري من

---

(١) سورة الأنعام : ١٦٠
(٢) سورة الجن : ٢٣
(٣) سورة النساء : ٤٨
(٤) سورة السجدة : ١٨
(٥) سورة السجدة : ٢٠
(٦) سورة محمد : ٢٦

أمراء الوقت ، من مكاتبة ، أو مصالحة ، أو هدنة ، لبعض رؤساء الضالين ، والملوك المشركين ، ولم تنظروا لأول الآية ، وهي قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ﴾ [(١)] ولم يفقهوا المراد من هذه الآية الكريمة ، وفي قصة صلح الحديبية ، وما طلبه المشركون ، واشترطوه ، وأجابهم إليه رسول الله ﷺ ما يكفي في رد مفهومكم ودحض أباطيلكم] [(٢)] .

وأهل الأهواء ، والبدع عرفوا باتباع الهوى والظن والاعراض عن القرآن والسنة .

[ومن أسباب ظهور الفرق والبدع اتباع هوى النفس ، والإصرار عليه ، واتباع الظن . قال شيخ الإسلام فيما أوجب أنواع الفساد بين الأمة : الثالث ، اتباع الظن وما تهوى الأنفس ، حتى يصير كثير منهم مديناً باتباع الأهواء في هذه الأمور المشروعة ، وحتى يصير في كثير من المتفقهة والمتعبدة من الأهواء من جنس ما في أهل الأهواء الخارجين عن السنة والجماعة : كالخوارج والروافض والمعتزلة ، ونحوهم . وقد قال تعالى في كتابه : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [(٣)] وقال في كتابه : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [(٤)].

وقال الشاطبي : فكذلك صاحب الهوى إذا دخل قلبه وأُشرب حبه ، لا تعمل فيه الموعظة ولا يقبل البرهان ، ولا يكترث بمن خالفه . واعتبر ذلك بالمتقدمين من أهل الأهواء كمعبد الجهني وعمرو بن عبيد وسواهما ، فإنهم كانوا حيث لُقوا مطرودين من

---

(١) سورة محمد : ٢٥

(٢) الدرر السنية ، ج ١ ، ص ٤٧٤ .

(٣) سورة ص : ٢٦

(٤) سورة المائدة : ٧٧

كل جهة ، محجوبين عن كل لسان ، مبعدين عند كل مسلم ، ثم مع ذلك لم يزدادوا إلا تمادياً على ضلالهم ، ومداومة على ما هم عليه : ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [(١)] . وحاصل ما عولوا عليه تحكيم العقول المجردة ، فأشركوها مع الشرع في التحسين والتقبيح ، ثم قصروا أفعال الله على ما ظهر لهم ، ووجهوا عليها أحكام العقل فقالوا : يجب على الله كذا ولا يجوز أن يفعل كذا ، فجعلوه محكوماً عليه كسائر المكلفين . ومنهم من لم يبلغ هذا المقدار ، بل استحسن شيئاً يفعله واستقبح آخر وألحقها بالمشروعات ، ولكن الجميع بقوا على تحكيم العقول ، ولو وقفوا هنالك لكانت الداهية على عظمها أيسر ، ولكنهم تجاوزوا هذه الحدود كلها إلى أن نصبوا المحاربة لله ورسول ﷺ ، باعتراضهم على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وادعائهم عليها من التناقض والاختلاف ومنافاة العقول وفساد النظم ما هم له أهل .

والمتأمل لحال أهل الأهواء والافتراق والبدع يجد أن من أعظم أسباب إصرارهم على بدعهم : الهوى وما تميل إليه نفوسهم ، هذا من جانب . ومن جانب آخر نجد أن منهجهم يقوم على اتباع الظن ، لأن اليقين في أمور الغيب والعقيدة ومصالح العباد في ما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ ، وما عارض الوحي فهو محض ظنون وأوهام ووساوس . وإن كان الشيطان قد يزين لأهل الضلال أهواءهم وظنونهم حتى تبدو لهم وكأنها يقينيات . لكن هذا توهُم لا يصمد أمام حقائق الوحي وبراهينه لمن وفقه الله وهداه .

---

(١) سورة المائدة : ٤١

لذا يجب على المسلم دائماً أن يسأل الله الثبات والتوفيق والهداية ومن الدعاء المأثور ـ يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك ـ][1] .

ومن سمات أهل البدع والأهواء الذي جعلهم لا يفهمون ما ورد في القرآن والسنة جهلهم بما ورد فيها وظلمهم وإعراضهم عن دين الله ومنهج السلف الصالح ، وقد بين ذلك الشيخ ناصر العقل بقوله :

[الجهل والظلم من أعظم أسباب الضلال ، لأنهما يحولان بين صاحبهما وبين الحق .

قال شيخ الإسلام : أحدها : جهل كثير من الناس ـ أو أكثرهم ـ بالأمر المشروع المسنون الذي يحبه الله ورسوله ، والذي سنه رسول الله ﷺ لأمته ، والذي أمرهم باتباعه .

الثاني : ظلم كثير من الأمة ـ أو أكثرهم ـ بعضهم لبعض ، وبغيهم عليهم تارة : بنهيهم عما لم ينه الله عنه ، وبغضهم على من لم يبغضهم الله عليه ، وتارةً : ترك ما أوجب من حقوقهم وصلتهم ، لعدم موافقتهم له على الوجه الذي يؤثر عنه ، حتى يقدمون في الموالاة والمحبة وإعطاء الأموال والولايات من يكون مؤخراً عند الله ورسوله ، ويتركون من يكون مقدماً عند الله ورسوله لذلك .

ويقول الشاطبي : وذلك أن الإحداث في الشريعة ـ إنما ـ يقع إما من جهة الجهل ، وإما من جهة تحسين الظن بالعقل ، وإما من جهة اتباع الهوى في طلب الحق ، وهذا الحصر ، بحسب الاستقراء من الكتاب والسنة ، وقد مر في ذلك ما يؤخذ منه شواهد المسألة ، إلا أن الجهات الثلاث قد تنفرد وقد تجتمع ، فإذا اجتمعت فتارة تجتمع منها اثنتان ، وتارةً تجتمع الثلاث ، فأما جهة الجهل فتارةً تتعلق بالأدوات التي بها تفهم

---

[1] دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، المرجع السابق ، ص ٣٦١ ـ ٣٦٢

المقاصد ، وتارةً تتعلق بالمقاصد ، وأما جهة تحسين الظن فتارةً يشرك في التشريع مع الشرع ، وتارة يقدم عليه ، وهذا النوعان يرجعان إلى نوع واحد ، وأما جهة اتباع الهوى فمن شأنه أن يغلب الفهم حتى يغلب صاحبه الأدلة ، أو يستند إلى غير دليل ، وهذان النوعان يرجعان إلى نوع واحد ، فالجميع أربعة أنواع ، وهي الجهل بأدوات الفهم ، و الجهل بالمقاصد ، وتحسين الظن بالعقل ، واتباع الهوى]‏[١] .

هذا ومن أخطر أنواع الجهل والإعراض والظلم التي سببت ظهور الأهواء في الأمة وقد بينها الشيخ ناصر العقل بقوله :

١) **الجهل بمذهب السلف** :

قال ابن القيم في أهل الكلام الذين فضلوا طريقة الخلف على طريقة السلف : فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم ، وبين الجهل والضلالة بتصويب طريقة الخلف . وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص ، فلما اعتقدوا التعطيل وانتفاء الصفات في نفس الأمر ، ورأوا أنه لا بد للنصوص من معنى ، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ ، وتفويض المعنى ، وهذا الذي هو طريقة السلف عندهم ، وبين صرف اللفظ عن حقيقته وما وضع له إلى ما لم يوضع له ، ولا دل عليه بأنواع من الإعجازات والتكلفات التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان والهدى ، وصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل والجهل بالسمع - فلا سمع ولا عقل - ، فإن النفي والتعطيل ، إنما اعتمدوا فيه على شبهات فاسدة ظنوها معقولات صحيحة ، فحرفوا بها النصوص السمعية عن مواضعها ، فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكاذبتين كانت النتيجة استجهال السابقين الذين هم أعلم الأمة بالله وصفاته ، واعتقاد أنهم كانوا أميين بمنزلة الصالحين البله الذين لم يتبحروا

---

[١] المرجع السابق ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي ، وأن الخلف هم الفضلاء العلماء الذين حازوا قصب السبق واستولوا على الغاية وظفروا من الغنيمة بما فات السابقين والأولين .

وقال شيخ الإسلام : وقد رأيت من أتباع الأئمة أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد وغيرهم من يقول أقوالهم ، ويكفر من خالفها ، وتكون الأقوال المخالفة هي أقوال أئمتهم بعينها ، كما أنهم كثيراً ما ينكرون أقوالاً ويكفرون من يقولها ، وتكون منصوصة عن النبي ﷺ لكثرة ما وقع من الاشتباه والاضطراب في هذا الباب ، ولأن شبهة الجهمية النفاة أثرت في قلوب كثير من الناس ، حتى صار الحق الذي جاء به الرسول ﷺ - وهو المطابق للعقول - لا يخطر ببالهم ولا يتصورونه .

وقال : وأما القول المأثور عن السلف والأئمة الذي يجمع الصحيح من كل قول فلا يعرفونه ولا يعرفون قائله ، فالشهرستاني صنف ـ الملل والنحل ـ وذكر فيها من مقالات الأمم ما شاء الله ، والقول المعروف عن السلف والأئمة لم يعرفه ولم يذكره ، والقاضي أبوبكر ، وأبوالمعالي ، والقاضي أبويعلى ، وابن الزاغوني ، وأبوالحسين البصري ، ومحمد بن الهيثم .. ونحو هؤلاء من أعيان الفضلاء المصنفين ، تجد أحدهم يذكر في مسألة القرآن أو نحوها عدة أقوال للأمة ، ويختار واحداً منها ، والقول الثابت عن السلف والأئمة ، كالإمام أحمد ونحوه من الأئمة لا يذكره الواحد منهم . فإذا كان هؤلاء العلماء الأجلاء قد يجهل الواحد منهم بعض دقائق المسائل عن أهل السنة ، فكيف بمن يترك مذاهب السلف عمداً ، فأنى يهتدي للحق .

٢) **الجهل بالوحي وبالعقل السليم :**

من أسباب ضلال أهل الأهواء جهلهم بالمنقول - الوحي - وكثير من المعقول - العقل السليم ـ ، لذلك زعموا التعارض بين الوحي والعقل . قال ابن القيم : إن هذه

المعارضة بين الوحي والعقل نتيجة جهلين عظيمين ، جهل بالوحي وجهل بالعقل .

أما الجهل بالوحي فإن المعارض لم يفهم مضمونه وما دل عليه ، بل فهم منه خلاف الحق الذي دل عليه وأريد به ، ثم عارض ما دل عليه بالرأي والمعقول ، ونحن ننزل معه درجة ونبين أن المعقول الذي ذكر لا يصلح لمعارضة المعنى الباطل الذي فهمه من الوحي ، فضلاً عن المعنى الصحيح الذي دل عليه الوحي ، فإنه يستحيل أن يعارض معارضة صحيحة البتة ، بل هو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال والله ـ تعالى ـ هو الحق ، وكلامه حق ، ورسوله حق ، ودينه حق ، ووحيه حق ، وما خالف ذلك فهو الباطل المحض الذي لا يقوم على صحته دليل ، بل الأدلة الصحيحة التي تنتهي مقدماتها إلى الضروريات تدل على بطلانه .

وأما الجهل بالعقل ، فإنه لا يتصور أن يعارض العقل الصحيح للوحي أبداً ، ولكن الجاهل يظن أن تلك الشبهة عقلية وهي جهلية خيالية من جنس شبه السوفسطائية .

٣) ضعف العلم وقلة الفقه في الدين :

ومن أسباب انتشار الأهواء أو اعتناق كثير من الناس لها ضعف العلم الشرعي ، وقلة الفقه في الدين .

قال الشاطبي : أنه قد تقدم أن البدع لا تقع من راسخ في العلم ، وإنما تقع ممن لم يبلغ أهل الشريعة المتصرفين في أدلتها ، والشهادة بأن فلاناً راسخ في العلم وفلاناً غير راسخ ، في غاية الصعوبة ، فإن كل من خالف وانحاز إلى فرقة يزعم أنه الراسخ ، وغير قاصر النظر ، فإن فرض ذلك على ذلك المطلب علامة وقع النزاع إما في العلامة ، وإما في مناطها .

ومثال ذلك : أن علامة الخروج من الجماعة والفرقة المنبه عليها بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ [(١)] الفرقة بشهادة الجميع ـ حقيقية ـ وإضافية ، فكل طائفة تزعم أنها هي الجماعة ومن سواها مفارقة للجماعة .

٤) الجهل بدلالات النصوص وأسباب النزول ونحو ذلك :

ومن الجهل : الجهل بدلالات النصوص ، ووجوه الاستدلال ، ومنهج الاستدلال ، والجهل بأسباب النزول ونحوه .

يقول الشاطبي : فخرج أبوعبيد في فضائل القرآن ، وسعيد بن منصور في تفسيره عن إبراهيم التيمي قال : خلا عمر ـ رضي الله عنه ـ ذات يوم ، فجعل يحدث نفسه : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد ؟ فأرسل إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة ـ زاد سعيد وكتابها واحد ـ ؟ قال : فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين : إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه ، وعلمنا فيما أنزل ، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيما أنزل ، فيكون لكل قوم فيه رأي ، فإذا كان كذلك اختلفوا ، وقال ـ سعيد ـ : فيكون لكل قوم فيه رأي ، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا ، فإذا اختلفوا اقتتلوا . ـ قال ـ : فزجره عمر وانتهره عليّ فانصرف ابن عباس ، ونظر عمر فيما قال فعرفه ، فأرسل إليه وقال : أعد عليْ ما قلته ، فأعاد عليه ، فعرف عمر قوله وأعجبه ، ثم يقول : ومما يوضح ذلك ما خرجه ابن وهب عن بكير أنه سأل نافعاً : كيف رأي ابن عمر في الحرورية : قال : يراهم شرار خلق الله ، إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار جعلوها على المؤمنين . فسر سعيد بن جبير من ذلك ، فقال : مما يتبع الحرورية من المتشابهة

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٥

قول الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [(١)] ويقرنون معها : ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [(٢)]، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا : قد كفر ، ومن كفر عدل بربه ـ ومن عدل بربه ـ فقد أشرك ، فهذه الأمة مشركون ، فيخرجون فيقتلون ما رأيت لأنهم يتأولون هذه الآية . فهذا معنى الرأي الذي نبه عليه ابن عباس ، وهو الناشيء عن الجهل بالمعنى الذي نزل فيه القرآن .

وقال نافع : إن ابن عمر كان إذا سئل عن الحرورية قال : يكفرون المسلمين ، ويستحلون دماءهم ، وينكحون النساء في عدتهن ، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل ولها زوج . فلا أعلم أحداً أحق بالقتال منهم .

٥) **الجهل بمقاصد الشريعة** :

والجهل بمقاصد الشريعة ، من سمات أهل الأهواء ، ومن أعظم أسباب وقوعهم في الآراء الفاسدة والأحكام الشاذة ، والمواقف المخالفة للسنة .

قال الشاطبي : هذه الأسباب الثلاثة راجعة في التحصيل إلى وجه واحد: وهو الجهل بمقاصد الشريعة ، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت ، أو الأخذ فيها بالنظر الأول ، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم . ألا نرى أن الخوارج كيف خرجوا عن الدين كما يخرج السهم من الصيد المرمي ؟ لأن رسول الله ﷺ وصفهم بأنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يعني ـ والله أعلم ـ أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم ، لأن الفهم راجع إلى القلب ، فإذا لم يصل إلى القلب لم يحصل فيه فهم على حال ، وإنما يقف عند محل الأصوات والحروف فقط ، وهو الذي يشترك فيه من يفهم

---

(١) سورة المائدة : ٤٤

(٢) سورة الأنعام : ١

ومن لا يفهم ، وما تقدم أيضاً من قوله عليه الصلاة والسلام : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً [١] إلى آخره .

٦) كثرة القراء الجهلة :

وهذه السمة بدأت مبكرة في تاريخ ظهور الأهواء ، فلو تأملنا نشأة الفرق الأولى - الخوارج والشيعة - وجدنا أن طائفة كبيرة منهم كانوا من قراء الكوفة بعد أن رحل منهم عبدالله بن مسعود إلى المدينة ، وأقل منهم قراء البصرة وغيرها .

ويلاحظ أن القراء الذين لم يتفقهوا في الدين ولم يطلبوا العلم على أهله أسرع انجذاباً إلى التشدد في الدين . فصارت منهم الخوارج وصارت منهم الشيعة فتأمل ! . وقراء البصرة : لم يسارعوا في الفتنة كمسارعة قراء الكوفة ، لماذا ؟ لأن فيهم وقت الفتنة أمثال الصحابيين : أبي موسى وأبي برزة الأسلمي ، كانا ينهيان عن ذلك ، وهناك أسباب أخرى ، الله أعلم بها .

ومن أصناف القراء الجهلة في زماننا كثير من المثقفين ، وصغار طلاب العلم الذين يقل فقههم في الدين ، حيث يوجد بينهم التعالم والغرور ، ويظنون أنهم من أهل الاجتهاد ، ويتصدرون الناس ويحجبونهم عن العلماء ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، وهم من جهلة القراء ويخشى على الأمة من فتنتهم .

٧) تهافت الرعاع والهمج والدهماء على الأهواء :

كذلك نجد أن من أسباب انتشار الأهواء ورواجها تهافت الجهلة إليها من العامة وأشباههم ، فأهل الأهواء إنما يكثر سوادهم السفلة والهمج والرعاع من الناس من الجهلة والدهماء .

---

[١] أخرجه البخاري : ح/ ١٠٠ / ١/٥٠ ، وأخرجه مسلم : ح/٢٦٧٣ / ٢٠٥٨/٣

قال البربهاري : وأعلم أنه لم تجيء زندقة قط إلا من الهمج والرعاع وأتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، فمن كان هكذا فلا دين له ، والزنادقة ورؤوس الفرق وأهل الابتداع لو لم يجدوا من ينخدع بهم ، أو يستهوونه ، أو يلبسون عليه ، ما كان لأهوائهم هذا الذيوع والانتشار ، لكنه الجهل المورد للمهالك ، نسأل الله السلامة .

٨) **ومن الجهل اعتقاد صحة قضية فاسدة ثم ترتيب اللوازم الباطلة عليها :**

ومن نماذج الجهل ، أن يعتقد الجاهل صحة قضية فاسدة لجهله ، ولا يرجع إلى أهل العلم لظنه أنه عالم أو مجتهد ، فيرتب على قناعته واعتقاده الفاسد لوازم فاسدة ، وهكذا تتجارى بهم الأهواء وتتتابع حتى تحجبهم عن الحق والهدى .

قال شيخ الإسلام : والإنسان قد يعتقد صحة قضية من القضايا وهي فاسدة ، فيحتاج أن يعتقد لوازمها ، فتكثر اعتقاداته الفاسدة . ومن هذا الباب دخلت القرامطة الباطنية والمتفلسفة ونحوهم على طوائف المسلمين ، فإن هؤلاء قالوا للمعتزلة : ألستم قد وافقتمونا على نفي الصفات حذراً من التشبيه والتجسيم ؟ فقالوا : نعم . فقالوا : هو حي عليم قدير ، كان في هذا تشبيه له بغيره ممن هو حي عليم قدير.

وكان في هذا من التجسيم كما في إثبات الحياة والعلم والقدرة له ، لأنه لا يعرف مسمى بهذه الأسماء إلا جسم ، كما لا يعرف موصوف بهذه الصفات إلا جسم . فأخذوا ينفون أسماء الله الحسنى ويقولون : ليس بموجود ولا حي ولا عليم ولا قدير .

هؤلاء القوم من أسباب ظهور كلامهم وضلال كثير من الناس به أنهم يحتجون على طوائف أهل القبلة بما يشاركونهم فيه من المقدمات الضعيفة المبتدعة ، فلا يزالون يلزمون صاحب ذلك القول بلوازم قوله ، حتى يخرجوه من الإسلام كما تخرج الشعرة

من العجين ، فإن الحسنة تدعو إلى الحسنة ، والسيئة تدعو إلى السيئة كما قال ﷺ في الحديث : عليكم بالصدق [١] .. الحديث .

٩) ومنه ظن أهل الأهواء أنهم على هدى فيتمادون في الضلالة :

ومن أسباب تمادي أهل الأهواء في هواهم وبدعهم أن الشيطان يزين لهم أعمالهم فيظنون أنهم على هدى ، فيتمادون في الضلالة كما قال تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴾[٢] ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[٣]

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٤] .

وقال الشاطبي : فصاحب البدعة لما غلب عليه الهوى مع الجهل بطريقة السنّة ، توهم أن ما ظهر له بعقله هو الطريق القويم دون غيره ، فمضى عليه ، فعاد بسببه عن الطريق المستقيم ، فهو ضال من حيث ظن أنه راكب للجادة ، كالمار بالليل على الجادة ، وليس له دليل يهديه ، يوشك أن يضل عنها فيقع في متاهة ، وإن كان بزعمه يتحرى قصدها ، فالمبتدع من هذه الأمة إنما ضل في أدلتها حيث أخذها مأخذ الهوى والشهوة لا مأخذ الانقياد تحت أحكام الله . وهذا هو الفرق بين المبتدع وغيره ، لأن المبتدع جعل الهوى أول مطالبه ، وأخذ الأدلة بالتبع .

---

[١] أخرجه مسلم : ح/٢٦٠٧ / ٤/٢٠١٣
[٢] سورة محمد : ١٤
[٣] سورة فاطر : ٨
[٤] سورة يونس : ١٢

١٠) ومنه الإعراض عن السنن والحسنات :

ومن أسباب الأهواء الإعراض عن السنن ، ومن مظاهر هذا : ترك الفضائل والحسنات والقعود عن فعل الخيرات ، وترك ما أمر الله به ، والأعراض عما شرعه الله ورضيه لشبهات عارضة ، أو فهم خاطئ ، أو تقصير في اتباع الرسول ﷺ وأئمة الهدى .

وهكذا إذا تأملت أهل الضلال والخطأ من هذه الأمة تجد الأصل ترك الحسنات لا فعل السيئات ، وأنهم فيما يثبتونه أصل أمرهم صحيح ، وإنما أتوا من جهة ما نفوه ، والإثبات فعل حسنة ، والنفي ترك سيئة ، فعلم أن ترك الحسنات أضر من فعل السيئات وهو أصله.

مثال ذلك : أن الوعيدية من الخوارج وغيرهم فيما يعظمونه من أمر المعاصي والنهي عنها واتباع القرآن وتعظيمه أحسنوا ، لكن إنما أتوا من جهة عدم اتباعهم للسنة وإيمانهم بما دلت عليه من الرحمة للمؤمن وإن كان ذا كبيرة ، وكذلك المرجئة فيما أثبتوه من إيمان أهل الذنوب والرحمة لهم أحسنوا ، لكن إنما أصل إساءتهم من جهة ما نفوه من دخول الأعمال في الإيمان وعقوبات أهل الكبائر ، فالأولون بالغوا في النهي عن المنكر وفي الأمر بكثير من المعروف ، وكذلك القدرية هم في تعظيم المعاصي وذم فاعلها وتنزيه الله ـ تعالى ـ عن الظلم وفعل القبيح محسنون ، وإنما أساؤوا في نفيهم مشيئة الله الشاملة وقدرته الكاملة ، وعلمه القديم أيضاً . وكذلك الجهمية ، فإن ضلالهم إنما هو التعطيل وجحد ما جاءت به الرسل عن الله ـ عز وجل ـ من أسمائه وصفاته .

١١) ومن الإعراض والجهل : **عدم التصديق بالحق** :

ومن أسباب الضلالة الناتجة عن الإعراض والجهل : عدم التصديق بالحق ، وينتج عن ذلك عدم الإذعان لما جاء عن الله ـ تعالى ـ وعن رسوله .

قال شيخ الإسلام : إن ضلال بني آدم وخطأهم في أصول دينهم وفروعه إذا تأملته تجد أكثره من عدم التصديق بالحق ، لا من التصديق بالباطل ، فما من مسألة تنازع الناس فيها في الغالب إلا وتجد ما أثبته الفريقان صحيحاً ، وإنما تجد الضلالة وقعت من جهة النفي والتكذيب ، مثال ذلك إن الكفار لم يضلوا من جهة ما أثبتوه من وجود الحق ، وإنما أتوا من جهة ما نفوه من كتابه وسنة رسوله وغير ذلك ..

فالتكذيب بالحق ورده من أعظم أسباب الغواية في بني آدم عموماً ، وفي فرق هذه الأمة كذلك ، ما من فرقة إلا ونجدها كذَّبت بشيء مما جاء عن الله ـ تعالى ـ ورسوله ، حتى الفرق التي غلت في الدين وتشددت قد تكذب بالنصوص الواردة في التيسير والعدل والرحمة والوعد الذي يعارض أصولها ، وإن لم ترد لفظة ردت معناه ودلالته والعمل به ، وذلكم نوع من الإعراض والتكذيب .

١٢) **ومن الجهل التعالم** :

والتعالم هو إدعاء الجاهل أنه عالم ، وغروره بما لديه مما يظنه صار به عالماً . حيث يظن ذلك الجاهل أنه عالم ، وليس كذلك ، فيضل ويتبع الهوى ويضل غيره .

قال الشاطبي : إن كل راسخ لا يبتدع أبداً ، وإنما يقع الابتداع ، فيمن لم يتمكن من العلم الذي ابتدع فيه ، حسبما دل عليه الحديث ، ويأتي تقريره بحول الله فإنما يؤتى الناس من قبل جهالهم الذين يحسبون أنهم علماء ، وإذا كان كذلك ، فاجتهاد من اجتهد منهي عنه إذ لم يستكمل شروط الاجتهاد ، فهو على أصل العمومية ، ولما كان العامي حراماً عليه النظر في الأدلة والاستنباط ، كان المخضرم الذي بقي عليه كثير من الجهالات مثله في تحريم الاستنباط والنظر المعمول به ، فإذا أقدم على محرم عليه كان آثماً بإطلاق .

١٣) ومن الجهل والظلم قلة إنصاف المتنازعين بعضهم لبعض :

ومن أسباب الأهواء والافتراق ترك الإنصاف بين المتنازعين ، وإدعاء كل طائفة أن الحق معها وحدها من دون الآخرين .

لذلك أن كل واحدة من الطائفتين المختلفتين لا تنصف الأخرى ، ولا تعترف بما معها من الحق ، وهذا إنما دافعه الجهل أو الهوى أو هما .

ومتى تخلى أحد المتنازعين ، أو كلهم عن إنصاف خصمه ، وقع في الهوى والتعصب بالباطل ، فيؤدي ذلك إلى الافتراق ، وهذه الخصلة ـ قلة الإنصاف بين المتنازعين ـ كثيرة جداً في مسائل الخلاف قديماً وحديثاً .

١٤) ومن الجهل والإعراض : ضعف الإيمان والتقوى :

وضعف الإيمان ضرب من الجهل يؤدي إلى الإعراض عن دين الله ـ تعالى ـ ثم إلى التنازع والأهواء والافتراق ، ومن ضعف إيمانه وقلت تقواه لله لم يوفق للسنة ، قال تعالى :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ [١] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٢] .

وعن ابن وهب قال : سمعت مالكاً يقول : قال رجل : لقد دخلت في هذه الأديان كلها فلم أر شيئاً مستقيماً ، فقال رجل من أهل المدينة من المتكلمين : فأنا أخبركم لم ذلك ؟ لأنك لا تتقي الله ، فلو كنت تتقي الله جعل الله لك من أمرك مخرجاً .

١٥) ومنه أن ترك الأمر والنهي أو الإخلال بهما يؤديان للظلم والجهل والافتراق :

ومن أسباب الافتراق والأهواء كذلك ترك الأمر بما أمر الله به ، وترك النهي عما نهى الله عنه ، أو التقصير في ذلك فيضعف الدين في قلوب الناس ، فيتركون الشرع

---

(١) سورة يونس : ٩

(٢) سورة النحل : ١٠٤

ويعرضون عنه ، ولا يجدون من يعظهم ويردهم للحق ويبين لهم ، ويرتكبون المنهيات والبدع ، ولا يجدون من ينكر عليهم ويردعهم ، فيتمادون في ذلك حتى تستحكم فيهم الأهواء .

قال شيخ الإسلام : وإذا كان الكفر والفسوق سبب الشر والعدوان ، فقد يذنب الرجل أو الطائفه ويسكت آخرون عن الأمر والنهي ، فيكون ذلك من ذنوبهم ، وينكر عليهم آخرون إنكاراً منهياً عنه ، فيكون ذلك من ذنوبهم ، فيحصل التفرق والاختلاف والشر ، وهذا من أعظم الفتن والشرور قديماً وحديثاً ، إذ الإنسان ظلوم جهول ، والظلم والجهل أنواع ، فيكون ظلم الأول وجهله من نوع ، وظلم كل من الثاني والثالث وجهلهما من آخر وآخر ، ومن تدبر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك ، ورأى أن ما وقع بين أمراء الأمة وعلمائها ومن دخل في ذلك ، ومن ملوكها ومشايخها ومن تبعهم من العامة من الفتن : هذا أصلها ، يدخل في ذلك أسباب الضلال والغي التي هي الأهواء الدينية والشهوانية ، وهي البدع في الدين والفجور في الدنيا ، وذلك أن أسباب الضلال والغي : البدع في الدين والفجور في الدنيا وهي مشتركة .

فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومداهنة أهل البدع والمنكرات من أعظم أسباب انتشار الأهواء والبدع والظلم البغي ، وكل ذلك يؤدي إلى التنازع والافتراق .

١٦) ومنه التفريط والإفراط ـ الزيادة في الدين أو النقص منه ـ :

فالتفريط هو التساهل في الدين ، والإفراط هو التشدد في الدين ، وكلاهما منهي عنه شرعاً وموقع في الأهواء ، والبدع ، فالتساهل إعراض والتشدد ابتداع .

قال شيخ الإسلام : وإنما جماع الشر تفريط في حق أو تعدٍ إلى باطل، وهو تقصير في السنّة أو دخول في البدعة ، كترك بعض المأمور وفعل بعض المحظور ، أو تكذيب بحق وتصديق بباطل .

ولهذا عامة ما يؤتى الناس من هذين الوجهين : فالمنتسبون إلى أهل الحديث والسنة والجماعة يحصل من بعضهم ، كما ذكرت ، تفريط في معرفة النصوص أو فهم معناها أو القيام بما تستحقه من الجهة ودفع معارض فهذا عجز وتفريط في الحق ، وقد يحصل منهم دخول في باطل : إما في بدعة ابتدعها أهل البدع وافقوهم عليها واحتاجوا إلى إثبات لوازمها ، وإما في بدعة ابتدعوها هم لظنهم أنها من تمام السنة كما أصاب الناس في مسألة كلام الله وغير ذلك من صفاته .

وقال ابن الوزير : فإن قيل : من أين جاء الاختلاف الشديد ؟ فاعلم أن منشأ معظم البدع يرجع إلى أمرين واضح بطلانهما ـ وذكر أنهما ـ الزيادة في الدين بإثبات ما لم يذكره الله ـ تعالى ـ ورسوله ـ عليه السلام ـ من مهمات الدين ـ . ـ والنفي منه بنفي بعض ما ذكره الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ من ذلك بالتأويل والباطل .

ولهذين الأمرين الباطلين أصلان : عقلي وسمعي . أما العقلي : أنه عرض للمبتدعة بسبب الخوض فيما لا تدركه العقول مما أعرض عنه السلف نحو ما عرض للبراهمة الذين حكموا برد النبوات ، من إيجاب أمور سكت عنها الشارع ونهى عن بعضها ، واستقباح أمور استحسنها الشارع ـ لكنهم خالفوا البراهمة بأن صدقوا الشرع بالجملة ـ وصدقوا هذه القوادح في تفاصيل الشرع وراموا الجمع بينهما ، فوقعوا لذلك في أشياء وهمية .. ولزمهم ما التزموا من أن رسل الله ـ عليه السلام ـ قصروا في البيان عمداً امتحاناً للمكلفين ، وتعريضاً للعلماء الراسخين في تأويل كلام رب العالمين .

ويدخل في الإفراط والتفريط والمبالغة في الأفراح والأتراح :

ومن أبرز أسباب شيوع البدع إحداث العوائد والمبتدعات في المناسبات ، كالأفراح أو الأحزان ، فمثلاً :

بالأول : تكون المزامير واللهو والغناء والطرب والتصفيق ، ومنها ظهرت بدع الصوفية وبعض عوائد العامة والدهماء .

والثاني : النياحة والمآتم والبكاء والصراخ والعويل ونحو ذلك ، ومنها ظهرت بدع الرافضة وبعض عوائد العامة .

ومن الأمرين كذلك ابتدعت الرافضة والصوفية المقابرية أكثر بدعها . فهي حيناً تتعبد بالموالد احتفالاً وطرباً كمولد النبي ﷺ وسائر الموالد الأخرى أياً كانت .

وحيناً آخر تتعبد بالمآتم حزناً وفرقاً وجزعاً كمأتم الحسين . وبين الحالين أضاعوا التوحيد والسنة . وكل ذلك مما نهى عنه الإسلام أشد النهي ، فقد ذكر النبي ﷺ أن النياحة من خصال الجاهلية وتوعد النائحة بالوعيد الشديد ، فقال : أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونها ... [١] وذكر منها ـ والنياحة ـ ، ثم ذكر الوعيد ، وكذلك الموالد تدخل في باب الأعياد ، وقد نهى النبي ﷺ عن غير عيدي الفطر والأضحى .

١٧) ومنه الحسد وكتمان العلم وعدم قبوله :

من أكبر مظاهر الجهل وأسباب الهوة عند أهل الأهواء أمور ، منها :

أ) الحسد لمن هداهم الله بعلم نافع أو عمل صالح ، وهذا من أخلاق اليهود :

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾[٢] وهو البخل بالعلم والبخل بالمال .

---

[١] أخرجه مسلم : ح/٩٣٤ /٢/٦٤٤

[٢] سورة النساء : ٣٧

ب) كتمان ما أنزل الله من الكتاب والعلم ، إما بخلاً أو اعتياضاً بالدنيا ، أو خوف إقامة الحجة عليهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[1].

ج) عدم قبول الحق الذي لا تقول به طائفتهم : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

وذلك كان منشؤه من الجهل والهوى والإعراض عن الحق .

١٨) **ومنه الغفلة عن ذكر الله – تعالى – وشكره وعبادته** :

من أسباب الأهواء الغفلة عن ذكر الله تعالى وهي نوع من الإعراض :

قال شيخ الإسلام : فالغفلة والشهوة أصل الشر ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[3] والهوى وحده لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل وإلا فصاحب الهوى إذا علم قطعاً أن ذلك يضره ضرراً راجحاً انصرفت نفسه عنه بالطبع ، فإن الله تعالى جعل في النفس حباً لما ينفعها وبغضاً لما يضرها ، فلا تفعل ما تجزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً ، بل متى فعلته كان لضعف العقل[4].

١٩) **ومنه ذهاب العلماء العالمين بالسنة العاملين بها** :

إن من أعظم أسباب الضلال اتخاذ الرؤساء الجهال والصدور عن قولهم في الدين ، كما قال النبي ﷺ : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض

---

(١) سورة البقرة : ١٥٩

(٢) سورة البقرة : ٩١

(٣) سورة الكهف : ٢٨

(٤) الفتاوى ١٤/ ٢٨٩

العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم ، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا [١] .

ومما يؤدي إلى الجهل والتعالم : اتخاذ الرؤساء الجهال ، والأحداث والرجوع إليهم في أمور الدين ، ومسائل العلم ، ويتضح ذلك في :

أ) كثرة القراء والمثقفين ، لكن على غير أصول وبغير مناهج العلماء بعيداً عن هديهم وسمتهم ، ومن غير فقه في الدين .

ب) طلب العلم والتحصيل للدنيا ، أو لمجرد العلم والثقافة ، فلا يكون الفقه في الدين هو القصد ، أو يكون هو المقصد الآخر .

وقد توقع الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ هذه الأمور بفراسته وبما تلقى من النبي ﷺ ، فكان مما تلقى من هذه النبوة قوله: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو الصغير ويهرم فيها الكبير ، إذا ترك منها شيء قيل : تركت السنة ! . قيل : متى ذلك يا أبا عبدالرحمن ؟ قال : ذلك إذا ذهب علماؤكم ، وكثرت جهالكم وكثرت قراؤكم ، وقلت فقهاؤكم ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة ، وتفقه لغير الدين .

وروى ابن وضاح بسنده عن مسروق ، قال : قال عبدالله ـ يعني ابن مسعود : ليس عام إلا والذي بعده شر منه . لا أقول عام أمطر من عام ، ولا عام أخصب من عام ، ولا أمير خير من أمير ، لكن ذهاب علمائكم وخياركم ، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم .

---

[١] أخرجه البخاري : ح/ ١٠٠ / ١/٥٠ ، وأخرجه مسلم : ح/٢٦٧٣ / ٣/٢٠٥٨

٢٠) ومنه الإعراض عن فهم كتاب الله كما فهمه الصحابة والتابعون وأئمة الهدى :

فالإعراض عن فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كما فهمها السلف مشاقة للرسول ﷺ ، واتباع لغير سبيل المؤمنين ، وهو في طريق الهلكة والوعيد كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[١].

وأصل وقوع أهل الضلال في مثل هذا التحريف ، الإعراض عن فهم كتاب الله تعالى كما فهمه الصحابة والتابعون ، ومعارضة ما دل عليه بما يناقضه ، وهذا هو من أعظم المحادة لله ولرسوله ولكن على وجه النفاق والخداع ، فالإعراض عن آثار السلف ، وتفسيرهم للنصوص الشرعية وتقريراتهم للدين ، اتباع لغير سبيل المؤمنين ، وإعراض عن الهدى ، واتباع للأهواء ، ومقارفة للحق وأهله ، وهو سمة عامة لسائر أهل الافتراق والبدع والأهواء .

٢١) ومن الجهل والإعراض الابتداع والتعلق بالمحدثات :

والابتداع والتعلق بالمحدثات مما تميل إليه نفوس كثير من البشر ، فإذا صاحب ذلك الجهل بالشرع وضعف الإنكار للمحدثات في الأمة تنامت البدع والمحدثات وتدرجت . وتأصلت في النفوس حتى تنكر السنن ويبدع أهلها ، وينقلب الحق باطلاً والباطل حقاً ، وقد وصل الابتداع ببعض الفرق إلى الشركيات والبدع المغلظة ، لأن أهل الابتداع لم يكتفوا في ابتداعهم بالمحدثات الخفيفة ، بل تدرجوا منها إلى ما هو أشد ، ولبس عليهم الشيطان ، وتجارت بهم الأهواء إلى البدع الشركية ، ووضعوا لأنفسهم أصولاً لم ترد بالشرع .

---

(١) سورة النساء : ١١٥

قال البربهاري : وأعلم أن الناس لو وقفوا عند محدثات الأمور ، ولم يجاوزوها بشيء ، ولم يولدوا كلاماً مما لم يجيء فيه أثر عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه لم تكن بدعة .

٢٢) **ومن مظاهر الجهل التناجي في الدين** :

والتناجي في الدين من سمات أهل الأهواء ، ومن أسباب شيوع أهوائهم ، فإن الأسرار بها يمنع ظهور إنكارها من قبل أهل العلم والحسبة ، فلذلك حذر السلف من التناجي في الدين .

عن الأوزاعي ، قال : قال عمر بن عبدالعزيز : إذا رأيت قوماً يتناجون بأمر دون عامتهم فهم على تأسيس الضلالة وكل عمل في الدين يُسرُّ به أصحابه من دون بقية المؤمنين ، وبمعزل عن أهل العلم والفقه في الدين ، فإنه ينتهي بأصحابه إلى الأهواء من حيث لا يشعرون ، والتاريخ شاهد بذلك ، فإن البدع إنما ابتدأت همساً وأحياناً بقصد الغيرة على الدين ، والنصح للإسلام ، ثم يؤول إلى العزلة عن الجماعة وتنافر القلوب ، وغرس الغل على المخالفين .. وهكذا يحدث الافتراق . كما يحصل في عصرنا هذا لدى بعض المنتسبين إلى الحركات الإسلامية المعاصرة هداهم الله وبصرنا وإياهم بالحق][١] .

---

(١) دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، المرجع السابق ص ٣٣٧ ـ ٣٥٦

المبحث الثامن : أهل البدع لا يناظرون الراسخين في العلم :

لقد عرف أهل البدع ، بتجنبهم مجالس أهل العلم ، وبعدهم عن العلماء ، بل التنقص من قدرهم ، ونشر الأكاذيب حولهم ، أغواهم الشيطان فضلوا وأضلوا وتجد أهل البدع والأهواء عندما يصادفون العالم ، يصيخون إليه ، ويظهرون موافقتهم له ، وعندما يعودون إلى شياطينهم ينكصون على أعقابهم ، قاتلهم الله أنا يؤفكون ، وقد عانت الأمة من كيدهم ومكرهم ، وفيما يلي بعض الأمثلة التي تبين عدم مناظرة أهل البدع للراسخين في العلم وإن ناظروهم ووافقوهم فتقية ثم يرجعون لباطلهم ويختلقون القول غير المحمود والكذب لتزيين باطلهم في أذهان العامة .

ذكر الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين ما نصه :

[أنه قد قدم علينا .. رجل اسمه داود بن سليمان البغدادي ، ومعه شيء من كتب المذهب وجلس عندنا مرة ، وطلب مني إجازة في الفتيا في المذهب ، وكتبت له ، وبعد ذلك بنحو أربع سنين ، قدم حاجا ، وذكر لي أن معه ورقة فيها عبارات من كلام الشيخ تقي الدين ، يشبه بها على الناس ، يضع كلام الشيخ ، على غير موضعه ، فأحضرته وباحثته ، فإذا حقيقة أمر دعواه ، استحالة وقوع الشرك في الأمة المحمدية ، ويزعم أن دعاء الأموات والغائبين ، والذبح ، والنذر ، لغير الله ، ليس بشرك ، ويقول أن الطلب من الأموات ، والغائبين لا يسمى دعاء ، بل نداء ، ويقول : الشرك هو السجود لغير الله فقط ، وسألته عن معنى لا إله إلا الله ؟ وما معنى الإله ؟ ، فارتبك وتحير ، فقلت : أخبرني عن حقيقة الشرك الذي حرمه الله وأخبر أنه لا يغفره ، فقال : هو السجود لغير الله ، فقلت نهى الله عن السجود لغير الله ، لكن ما دليلك على أنه شرك ، فلم يكن

عنده جواب ، فلما أوردت بعض الأدلة على بطلان دعواه ، ودحض حجته ، أظهر الموافقة قصداً لقطع الكلام ، لا للموافقة باطناً فيما أظن](١) .

وقد كان ظن الشيخ في محله حيث شن حملة تشويه وتشكيك في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عند عودته لبلاده ، فتصدى له بعض أئمة الدعوة وبينوا ضلاله وردوا دعاواه الباطلة ، ولقد جاء ما يوضح عدم مواجهة أهل البدع والأهواء الراسخين في العلم ما ورد في رسائل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن إلى عبد العزيز الخطيب والتي بين فيها شبة الخطيب وأشار لقصة الرجلين المارقين القادمين من الإحساء واللذين أظهرا تأييد دعوة الشيخ ثم عندما عادا بدأ ينشران الأكاذيب حولها وهذه الرسالة كانت مميزة في طرحها وبيان الحق ورد تهم المبطلين ، وسبق إيرادها في المبحث الأول صفحة ٢١٤ .

ولأن أهل البدع لا يناظرون الراسخون في العلم تجدهم يستخدمون رسائل مشبوهة غير معلومة المصدر يوزعونها على العامة وقد جاء ذكر لهذا الأسلوب من أساليب أهل الأهواء في رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن وهي الرسالة الخامسة في مجموع الرسائل والمسائل النجدية يوضح فيها بأنه ألقى إليه رسالة من الإحساء ومشتملة على الكذب والبهتان والإثم والعدوان .. وهذه الرسالة قد صدرها صاحبها بشبهة تنبىء عن شك من صدرته منه وارتيابه في هذا الدين ، والشبهة هي بذاتها وحروفها وكلماتها هي التي أوردها أهل نجد على الشيخ محمد بن عبدالوهاب لما دعاهم إلى أن يعبدوا الله وحده لا شريك له ويتركوا عبادة من دون الله (٢) .

---

(١) كتاب تأسيس التقديس المرجع السابق ص ٢ .
(٢) أنظر الرسائل والمسائل النجدية – ج ٣ – ص ٥٣

كذلك ورد في الرسالة الرابعة والسبعين الجزء الثالث ص ٣٦٧ عدم مجابهة أهل البدع لأهل العلم وإنما يرسلون رسائل فيها شبهات وقد تصدى لها أئمة الدعوة بالرد وبيان الشبهة وإيضاح حقيقة الدعوة وأنها دعوة سلفية نقية نفع الله بها الإسلام والمسلمين .

الفصل الرابع

منهج أئمة الدعوة العقدي في الرد على أهل البدع

وفي هذا الفصل تمهيد وخمسة مباحث هي :

- المبحث الأول : الاعتماد على الكتاب والسنة
- المبحث الثاني : الاعتماد على أقوال الصحابة والتابعين
- المبحث الثالث : الأخذ بالرأي الممدوح شرعاً
- المبحث الرابع : اللغة وكلام العرب
- المبحث الخامس : مصادر أئمة الدعوة في الرسائل والمسائل

تمهيد :

بين الدكتور صالح بن عبدالله العبود في مقدمة كتابه عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب منهج إمام هذه الدعوة ، ولا شك أن جميع الأئمة الذين جاءوا من بعده سلكوا منهجه ، قال فيها :

[ومنهج الشيخ في الاستدلال على التوحيد وتفسيره بالبراهين القاطعة التي أحتج بها على خلقه واستدل بها رسل الله ومن تبعهم على التوحيد .

فيستدل الشيخ بربوبية الله العامة لجميع العالمين ، وبآثار صفات الله في مخلوقاته ، وبصفة الإله واختصاص الله بها ، فلا إله غيره ، وبسائر صفات الكمال لله تعالى ، التي انفرد بها ، والدالة على وحدانيته .

ويستدل بنبوة محمد ﷺ ، وبعثته لبيان التوحيد ، وبيانه البيان البليغ وتمام رسالته ، ونصرته ، وظهور دينه .

ويستدل بالوحي المنزل على رسول الله ﷺ ، المعجز منه، وهو القرآن ، والصحيح من السنة ، قولاً وفعلا وتقريراً .

ويستدل بمخلوقات الله تعالى وعبوديتها له طوعاً وكرهاً .

وفي ذلك يسلك الشيخ طريقة القرآن في البرهنة على التوحيد التي هي عقلية وشرعية : عقلية حيث أن العقل يشهد بصحتها ، وشرعية حيث أن الشرع جاء بها .

وما ترك الشيخ فيما علمت مسلكاً من مسالك الاستدلال إلا وقد سلكه ، فالشيخ أحياناً يذكر الوحدانية ، ثم يذكر دليلها ، وأحياناً يذكر الدليل ، ثم يذكر الوحدانية عقب ذكر الدليل وأحياناً لا يذكر الوحدانية ولا دليلها ، ولكن يذكر فقر المخلوقات وحاجتها وعدمها ، وما إلى ذلك من صفاتها التي تشهد بعبوديتها ، وعدم استحقاقها لشيء من العبادة ، وأحياناً يذكر غنى الله سبحانه ، وقدرته ، وحكمته وعلمه ، وسائر صفات الكمال

التي انفرد بها ، وكلها تشهد باستحقاقه لكل العبادة بجميع أنواعها ، واختصاصه سبحانه بهذا الحق .

وكل هذه المسالك يأخذها الشيخ من القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، والشواهد التاريخية ، وكلام العلماء وإجماع أهل العلم .

ومما يسترعي الانتباه أن الشيخ في احتجاجه واستدلاله يسلك الطريقة المثلى في ذلك ، فيستدل بالمعلوم إلى المجهول ، وبالمسلم به على المنازع فيه ، وبما أقر به الخصم على ما جحده ، وبالمجمع عليه على المختلف فيه ، فننظر إليه في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[1].

يقول الشيخ : فيها بيان أن عندهم من العلم ما تقوم به الحجة ، وأن المجمع عليه يدل على المختلف فيه ، ومجادلة المبطل بالحق الذي يسلمه ، وأنه تسليم لا يجحدونه ، بل يقرون به للخصم ، والتعجب من الإنكار مع هذا الإقرار ، والالتزام الذي لا محيد عنه ، وأن هذا كاشف لشبهتهم][2] .

ويستمر الشيخ صالح العبود في إيضاح منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الاستدلال بقوله :

[أما ما يسمى قضية إثبات وجود الله تعالى ، فإن الشيخ لم يشغل نفسه بذلك كما فعل من يتكلم في التوحيد من أهل الكلام وغيرهم ، لأن وجود الله ثابت مشهود

---

(١) سورة الزمر : ٣٨

(٢) عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية - الدكتور/ صالح العبود ، ج ١ ، ص٢٩٦ - ٢٩٧

لا شك فيه ولا ريب ، والخلق مفطورن على الإقرار بذلك ، بل يقرون بتوحيد الله في الربوبية ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [٣] .

قال الشيخ : ليس المراد معرفة الإله الإجمالية ، يعني : معرفة الإنسان أن له خالقاً ، فإنها ضرورية فطرية ، بل المراد معرفة الإله ، هل هذا الوصف مختص بالله ، لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، أم جعل لغيره قسطاً منه ؟

فأما المسلمون أتباع الانبياء ، فإجماعهم على أنه مختص ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [٤] .

والكافرون يزعمون أنه هو الإله الأكبر ، ولكن معه آلة أخرى تشفع عنده ، والمتكلمون ممن يدعي الإسلام أضلهم الله عن معرفة معني الإله ، ثم ذكر الشيخ أنهم يفسرون الإله بأنه القادر ، وأن الألوهية هي القدرة . [٥]

---

[١] سورة لقمان : ٢٥

[٢] سورة الروم : ٣٠

[٣] سورة الأعراف : ١٧٢ ـ ١٧٣

[٤] سورة الأنبياء : ٢٥

[٥] الدرر السنية ، ج١ ، ص٧٠

وعلى كل ، فالشيخ يعد الإقرار بقدرة الله وبربوبيته أمراً فطرياً ضرورياً بدهياً ، وهو الدليل القاطع ، كما قال الله تعالى : ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1] .

فهو الذي يستدل به على اختصاص الله تعالى بصفة الإله ، فكيف يحتاج إلى دليل وهو الدليل ؟! لا شك أن الدليل لا يحتاج إلى دليل .

ولئن كانت ربوبية الله الظاهرة المشهودة بالمحسوس والمنظور والفطرة تحتاج إلى دليل ، فإنه لا يصح ثبوت شيء على الإطلاق ، كما قيل :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل][2] .

ثم أوضح الشيخ صالح العبود القواعد الأربع التي يتميز بهن المسلم من المشرك والتي بينها الشيخ محمد بن عبدالوهاب في أحدى رسائله بقوله :

[الحمد الله الذي يستدل على وجوب وجوده ببدائع ماله من الأفعال ، المنزه في ذاته وصفاته عن النظائر والأمثال ، أنشأ الموجودات ، فلا يعزب عن علمه مثقال . فالشيخ ينبه على دلائل وحدانية الله بالألوهية من صفاته وأفعاله وربوبيته المشهودة ، لأن الشيخ لا يقصد مجرد إثبات وجوده وروبييته ، بمعنى أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمور إلا الله ، بل مقصوده كما ذكرنا الاستدلال بربوبيته على وحدانيته في الألوهية ، بدليل أن هذه الرسالة تشتمل على قواعد أربع يتميز بهن المسلم من المشرك ، وخلاصتهن :

١) بيان أن الله أبدع خلقنا .

٢) لنعبده .

---

[1] سورة النحل : ١٧

[2] عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ، صالح العبود ، ج١ ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠

٣) أن الشرك يفسد العبادة .

٤) أن العبادة على السنة .

إذا تقرر هذا ، فمن العبث الاشتغال بإثبات الثابت ، وتحصيل الحاصل ، ومن الخطأ أن نتفقد هذا العبث في منهج الشيخ ، الجاد في دعوته وعقيدته ، أو إذا لم نجده ، نحاول لي بعض الجوانب الأخرى ، لتكون مقصود الشيخ بهذا الذي افتقدناه][١] .

وقد بين الشيخ صالح العبود بأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب يذكر توحيد الربوبية ليستدل به على توحيد الألوهية بقوله :

[إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يجيئوا أقوامهم ليثبتوا ثابتاً ويعلموا معلوماً ، ولم يأمروا أهل ملتهم أن يقولوا : الله موجود ، ولا موجود إلا الله . فهذا يفضي إلى وحدة الوجود الباطلة ، وصفة الوجود ليست أخص وصفه كما هي ربوبيته للعالمين ، فكونه رب العالمين هو من أخص وصفه سبحانه ، لذا ، فإن الرسل أمروا قومهم بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، وبينوا لهم أن هذا القول بصدق هو المطلوب ، وساتدلوا بربوبية الله للعالمين التي هي معلومة من أخص وصفه سبحانه لديهم ، واحتجوا على قومهم بذلك ، كما قال الله تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٢] فكانت حجتهم عليهم لله بالغه ، فالصلاة والسلام عليهم ، ولا سبيل لأهل السنة والجماعة ـ والشيخ منهم ـ أن يعدلوا عن منهاجهم .

ولذا، فالشيخ يذكر توحيد الربوبية ليستدل به ـ لأنه معلوم ـ على توحيد الله بالألوهية ، وكم كرر في هذا الأمر وقرر.

---

[١] عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ د . صالح العبود ، ج١ ، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١

[٢] سورة إبراهيم : ١٠

وأما ما ينقل عن الملاحدة والشيوعيين ، من أنهم لا يقرون بالربوبية ، بل ينكرون وجود الله ، فإن هذا الصنف من المخلوقات لا تنفع معهم أدلة ، ولا تنجح فيهم حجة ، ولا يصح ويثبت في أذهانهم أي علم ، فمن العبث الاشتغال بأفكارهم والرد عليها ، لأنهم مردوا على الجحود والكفر ، فطبع الله على قلوبهم ، وازدادوا كفراً بعد كفر ، وظلمة فوق ظلمة ، وفساداً فوق فساد ، فالمنهج تجاههم هو : الإعراض عنهم ، والإقبال على تقرير التوحيد على منهاج الرسل وكما قرروه ، والمضي في هذا السبيل بكل قوة ، ومن غير التفات إلى المعاندين المكابرين . ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَاۚ ﴾ [1] .

وتقرير توحيد الله تعالى وإثباته على منهاج الرسل يفيد إثبات وجود الله مع مزيد التأييد والقوة والوفاء بالمقصود ، ولا أنفع علاجاً ودواء لداء انحراف الفطرة وفسادها من تقرير التوحيد كما قرره الرسول ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان ، فقد تعاملوا مع خلق الله بما أمر الله ، وأرضوا الله فيمن أسخطه فيهم وفي غيرهم ، فأقاموا حدود الله ، وطبقوا شريعته على جميع الأحوال ، فكانوا هم الغالبون بإذن الله][2].

ومنهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التعامل مع من يرد النصوص أو يتأولها بقصد ردها ، الأعراض عنه إذا لم توجد قدرة لمنعه أوضح ذلك الشيخ صالح العبود :

[ويقول الشيخ : إن التأويل الفاسد في رد النصوص ليس عذراً لصاحبه ، كما أنه سبحانه لم يعذر إبليس في شبهته التي أبداها ، كما يعذر من خالف النصوص متأولاً مخطئاً ، بل كان ذلك التأويل زيادة في كفره ، ومثل هذا التأويل ليس على أهل الحق أن يناظروا صاحبه ، ويبينوا له الحق ، كما يفعلون مع المخطىء المتأول ، بل يبادر إلى عقوبته بالعقوبة التي يستحقها بقدر ذنبه ، وإلا ، أعرض عنه إن لم يقدر عليه ، كما كان

---

(1) سورة الأنعام : ٢٥

(2) المرجع السابق ، ص ٣٠١ - ٣٠٣

السلف الصالح يفعلون هذا وهذا ، فإنه سبحانه لما أبدى له إبليس شبهته ، فعل به ما فعل ، ولما عتب على الملائكة في قيلهم ، أبدى لهم شيئاً من حكمته ، وتابوا .

وقد وقعت هذه الثلاث لرسول الله ﷺ في غزوته التي فتح الله له فيها مكة ، فإنه لما أعطى المؤلفة قلوبهم ، ووجدت عليه الانصار ، عاتبهم، واعتذروا ، وقبل عذرهم ، وبين لهم شيئاً من الحكمة ، ولما قال له ذلك الرجل العابد : اعدل ! قال له كلاماً غليظاً ، واستأذن بعض الصحابة في قتله ، ولم ينكر عليه ، لكن ترك قتله لعذر ذكره لما فعل خالد بن الوليد ببني جذيمة ما فعل ، رد عليهم ما أخذ منهم ووراهم ، ولا نعلم أنه عاتب خالد أو ولا منعه ذلك من تأميره على الناس لأن الشبهة إذا كانت واضحة البطلان ، لا عذر لصحابها ، فأن الخوض معه في إبطالها ، تضييع للزمان ، وإتعاب للحيوان ، مع أن ذلك لا يردعه عن بدعته ، وكان السلف لا يخوضون مع أهل الباطل في رد باطلهم كما عليه المتأخرون ، بل يعاقبونهم إن قدروا ، وإلا ، أعرضوا عنهم ، وقال أحمد لمن أراد أن يرد على أحدهم : اتق الله ، ولا تنصب نفسك لهذا ، فإن جاءك مسترشداً ، فأرشده](١).

وقد أورد الشيخ صالح العبود بعض الأدلة التي استدل بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومنها :

[إن في قول الله تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ج٢ ، فضل القرآن والتفسير ، ص ٨٣ ـ ٨٤ دار القاسم بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .

بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[١] .

إن في هذا الكلام غاية إنصاف الخصم ، وإن الذي لا ينقاد له ، ليس داؤه جهالة بل مشاقة ، وإنك إذا أنصفته وأصر ، فهو سبب لانتقام الله منه .

ويستنبط الشيخ من قصة آدم وإبليس أنه لا ينبغي للمؤمن أن يغتر بالفجرة ، بل يكون على حذر منهم ، ولو قالوا ما قالوا ، خصوصاً أولياء الشيطان ، الذين تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته ، فإن اللعين حلف ـ بقوله الذي حكاه عنه الله تعالى : ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾[٢] .

ومنها أن زخرفة القول قد تخرج الباطل في صورة الحق ، كما في الحديث : إن من البيان لسحراً [٣] ، فإن اللعين زخرف قوله بأنواع ، منها تسمية الشجرة شجرة الخلد ، ومنها تأكيد قوله :﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ، وغير ذلك مما ذكر في القصة ، فينبغي للمؤمن أن يكون من زخرف القول على حذر، ولا يقنع بظاهره ، حتى يعجم كالعود][٤].

وبين الشيخ صالح العبود بأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب اتبع منهج كبار الأئمة في بيان التوحيد بقوله :

[وكما قدمنا أن منهج الشيخ هو منهج السلف الصالح ، فإنه في إعراضه عن مبحث الوجود والاستدلال عليه ، لأنه أمر مسلم به ، ولأنه هو الدليل على توحيد العبادة

---

[١] سورة البقرة : ١٣٦ ـ ١٣٧

[٢] سورة الأعراف : ٢١

[٣] أخرجه البخاري : ح/٥٤٣٤ / ٥ / ٢١٧٦

[٤] عقيدة الشيخ محمد عبدالوهاب ـ د . صالح العبود ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥

المطلوب ، والذي من أجله فقط أرسلت الرسل ، فقد اتبع منهج كبار الأئمة في بيان التوحيد ، وإقامة الأدلة عليه ، مثل الإمام أبي حنيفة وغيره من أئمة المذاهب الأربعة الكبار .

قال ملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة : وقد أعرض الإمام عن بحث الوجود ، اكتفاء بما هو ظاهر في مقام الشهود ، ففي التنزيل : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١) ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾(٢) فوجود الحق ثابت في فطرة الخلق ، كما يشير إليه قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾(٣) ويومىء إليه حديث : كل مولود يولد على الفطرة(٤) .

وإنما جاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لبيان التوحيد ، وتبيان التفريد ، ولذا ، أطبقت كلمتهم وأجمعت حجتهم على كلمة : لا إله إلا الله ، ولم يؤمروا بأن يأمروا أهل ملتهم بأن يقولوا : الله موجود ، بل قصدوا إظهار أن غيره ليس بمعبود ، رداً لما توهموا وتخيلوا ، حيث قالوا : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾(٥) ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾(٦) .

---

(١) سورة إبراهيم : ١٠
(٢) سورة لقمان : ٢٥
(٣) سورة الروم : ٣٠
(٤) أخرجه البخاري : ح/١٣١٩ / ١ /٤٦٥
(٥) سورة يونس : ١٨
(٦) سورة الزمر : ٣

على أن التوحيد يفيد الوجود مع مزيد التأييد، ثم العقائد يجب أن تؤخذ من الشرع الذي هو الأصل . وقال ملا علي القاري : حكي عن أبي حنيفة رحمه الله أن قوماً من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية ، فقال لهم : أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسالة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلىء من الطعام والمتاع وغيره بنفسها ، وتعود بنفسها ، فتترسى بنفسها ، وتتفرغ بنفسها ، وترجع كل ذلك من غير أن يديرها أحد ؟ فقالوا : هذا محال لا يمكن أبداً . فقال لهم : إذا كان هذا محالاً في سفينة ، فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله ؟ ! ولقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

فوا عجباً كيف يعصي الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكـــــه ... وتسكينة أبداً شاهـــد

وفي كل شيء له آيـــــة ... تدل على أنه واحـــد

وأما من بلي بشيء من وسوسة التسلسل في الفاعلين ، فإن الشيخ يرشد إلى ما أرشد إليه رسول الله ﷺ ، حيث أرشد من بلي بشيء من وسوسة التسلسل في الفاعلين إذا قيل له : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ أن يستعيذ بالله ، وينتهي ، ويقرأ :﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [١] وكذلك قال ابن عباس لأبي زميل وقد سأله : ما شيء أجده في صدري ؟ قال : ما هو ؟ قال : قلت : والله لا أتكلم به . فقال : أشيء من شك ؟ قلت : بلى . قال : ما نجا من ذلك أحد ، فإذا وجدت في نفسك شيئاً ، فقل : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٢] فأرشدهم بالآية إلى بطلان التسلسل ببديهة العقل ، وأن سلسلة

---

[١] سورة الحديد : ٣

[٢] سورة الحديد : ٣

المخلوقات في ابتدائيها تنتهي إلى أول ليس قبله شيء ، كما تنتهي في آخرها إلىآخر ليس بعده شيء ، كما أن ظهوره هو العلو الذي ليس فوقه شيء ، وبدنوه هو أنه ليس دونه واسطه ، فليس دونه شيء سبحانه ، ولو كان قبله شيء يكون مؤثراً فيه ، لكان هو الرب الخلاق ، فلا بد أن ينتهي الأمر إلى خالق غني عن غيره وكل شيء فقير إليه ، قائم بنفسه وكل شيء قائم به ، موجود بذاته ، قديم لا أول له ، وكل ما سواه فوجوده به بعد عدمه ، باق بذاته وبقاء كل شيء به . ثم يرشد الشيخ إلى أن ما يقع في القلب من خواطر الشيطان لا يضر ، بل هو صريح الإيمان إذا كان مع الكراهة ، أخذاً من قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾ [(١)] .

فسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، هو الاول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، هو خالق كل شيء ، وما سواه مخلوق .

والشيخ حين يجعل أصله في علم التوحيد هو التمسك بالكتاب والسنة ، ومجانبة الهوى والبدعة ، ولزوم طريق أهل السنة والجماعة الذي كان عليه الصحابة والتابعون ومضى عليه السلف الصالحون ، يكون متبعاً للعلماء السابقين غير مبتدع][(٢)].

---

(١) سورة يوسف : ١١٠

(٢) عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ، المرجع السابق ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٩

المبحث الاول : الإعتماد على الكتاب والسنة :

لقد أعتمد أئمة الدعوة في نشر دعوة الإسلام على كتاب الله وسنه رسوله ﷺ ، ولا يخالفون ما جاء فيهما ، بل يقولون كما قال أسلافهم ، إذا عارض ما يقولون نص من كتاب الله أو سنه رسوله فيضرب بقولهم عرض الحائط ، وكل يؤخذ من كلامه ويرد إلا رسول الأمة ﷺ .

ولأجل ذلك نرى أن إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عندما بلغته رسالة سليمان بن سحيم ومفترياته رد عليها معتمداً في رده على كتاب الله يقول الشيخ رحمه الله :

[ثم لا يخفى عليكم : أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم ، قد وصلت إليكم ، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم ، والله يعلم أن الرجل افترى عليّ أموراً لم أقلها ، ولم يأت أكثرها على بالي .

فمنها ، قوله إني مبطل كتب المذاهب الأربعة ، وإني أقول : إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء ، وإني أدّعيْ الاجتهاد ، وإني خارج عن التقليد ، وإني أقول : إن اختلاف العلماء نقمة ، وإني أكفّر من توسل بالصالحين ، وإني أكفر البوصيري ، لقوله : يا أكرم الخلق ، وإني أقول : لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها ، وجعلت لها ميزاباً من خشب ، وإني أحرم زيارة قبر النبي ﷺ وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما ، وإني أكفر من حلف بغير الله ، وإني أكفر ابن الفارض ، وابن عربي ، وإني أحرق دلائل الخيرات ، وروض الرياحين ، وأسميه روض الشياطين .

جوابي عن هذ المسائل ، أن أقول : سبحانك هذا بهتان عظيم ، وقبله من بهت محمداً ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم ، ويسب الصالحين ، فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب ، وقول الزرو ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١] بهتوه ﷺ بأنه يقول : إن الملائكة ، وعيسى ، وعزيزاً في النار ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[٢].

وأما المسائل الأُخر ، وهي : أني أقول لا يتم إسلام الأنسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله ، وأني أعّرف من يأتيني بمعناها ، وأني أُكفر الناذر إذا أراد بنذره التقرب لغير الله ، وأخذ النذر لأجل ذلك ، وأن الذبح لغير الله كفر ، والذبيحة حرام ، فهذه المسائل حق ، وأنا القائل بها ، ولي عليها دلائل من كلام الله وكلام رسوله ، ومن أقوال العلماء المتبعين ، كالأئمة الأربعة ، وإذا سهل الله تعالى : بسطت الجواب عليها في رسالة مستقلة ، إن شاء الله تعالى .

ثم اعلموا وتدبروا قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴾[٣]][٤] .

وفي رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لعبدالله بن محمد بن عبد اللطيف ما يوضح اعتماد الشيخ في ردوده على كتاب الله و سنة رسوله ﷺ حيث يقول :

[بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الوهاب ، إلى عبدالله بن محمد بن عبداللطيف ، حفظه الله تعالى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : فقد وصل

---

[١] سورة النحل : ١٠٥

[٢] سورة الأنبياء : ١٠١

[٣] سورة الحجرات : ٦

[٤] الدرر السنية ، ج ١ ، ص ٣٣ ـ ٣٥ .

إلينا من ناحيتكم مكاتيب ، فيها إنكار وتغليظ عليّ ، ولما قيل : إنك كنت معهم ، وقع في الخاطر بعض الشيء ، لأن الله سبحانه نشر لك من الذكر الجميل ، وأنزل في قلوب عباده لك من المحبة ما لم يؤته كثيراً من الناس ، لما يذكر عنك من مخالفة من قبلك من حكام السوء .

وأيضاً : لما أعلم منك من محبة الله ورسوله ، وحسن الفهم ، واتباع الحق ، ولو خالفك فيه كبار أئمتكم ، لأني اجتمعت بك من نحو عشرين ، وتذاكرت أنا وإياك في شيء من التفسير والحديث ، وأخرجت لي كراريس من البخاري ، كتبتها ، ونقلت على هوامشها من الشروح ، وقلت في مسألة الإيمان التي ذكرها البخاري في أول الصحيح : هذا هو الحق الذي أدين الله به ، فأعجبني هذا الكلام ، لأنه خلاف مذهب أئمتكم المتكلمين .

وذكرتني أيضاً في بعض المسائل ، فكنت أحكي لمن يتعلم مني ما من الله به عليك ، من حسن الفهم ومحبة الله والدار الأخرة ، فلأجل هذا لم أظن فيك المسارعة في هذا الأمر ، لأن الذين قاموا فيه مخطئون على كل تقدير ، لأن الحق : إن كان مع خصمهم فواضح ، وإن كان معهم : فينبغي للداعي إلى الله ، أن يدعو بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقد أمر الله رسوليه ، موسى وهارون : أن يقولا لفرعون قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى .

وينبغي للقاضي ــ أعزه الله بطاعته ــ لما ابتلاه الله بهذا المنصب : أن يتأدب بالأداب التي ذكرها الله في كتابه الذي أنزل ، ليبين للناس ما ختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يوقنون ، فمن ذلك : لا يستخفنه الذين لا يوقنون ، ويتثبت عند سعايات الفساق والمنافقين ، ولا يعجل ، وقد وصف الله المنافقين في كتابه بأوصافهم ، وذكر شعب النفاق لتجتنب ، ويجتنب أهلها أيضاً ، فوصفهم بالفصاحة ، والبيان ، وحسن اللسان ،

بـل وحسـن الصـورة فـي قولـه :﴿ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾[١] ، ووصفهم بالمكر والكذب والاستهزاء بالمؤمنين في أول البقرة ، ووصفهم بكلام ذي الوجهين ، ووصفهم بالدخول في المخاصمات بين الناس بما لا يحب الله ورسله في قوله : ﴿ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾[٢] ووصفهم باستحقار المؤمنين والرضا بأفعالهم ، ووصفهم بغير هذا في البقرة ، وبراءة وسورة الأنفال ، وغير ذلك ، نصيحة لعباده لتيجنبوا الأوصاف ومن تلبس بها .

ونهى الله نبيه عن طاعتهم في غير موضع ، فكيف يجوز من مثلك أن يقبل من مثل هؤلاء ؟ وأعظم من ذلك : أن تعتقد أنهم من أهل العلم ، وتزورهم في بيوتهم ، وتعظمهم ، وأنا لا أقول هذا في واحد بعينه ، ولكن نصيحة ، وتعريف بما في كتاب الله من سياسة الدين والدنيا ، لأن أكثر الناس قد نبذه وراء ظهره .

وأما : ما ذكر لكم عني ، فإني لم آته بجهالة ، بل أقول ــ ولله الحمد والمنة وبه القوة ــ إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ، ولست ــ ولله الحمد ــ أدعو إلى مذهب صوفي ، أو فقيه ، أو متكلم ، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم ، مثل ابن القيم ، والذهبي ، وابن كثير ، أو غيرهم ، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له ، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم ، وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني ، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه : إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين ، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي ، حشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق .

---

[١] سورة المنافقون : ٤

[٢] سورة المائدة : ٤١

وصفة الأمر : غيرخاف عليكم ما درج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، والتابعون وأتباعهم ، والأئمة ، كالشافعي ، وأحمد وأمثالهما ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم ، وكذلك ما درج عليه من سبقت له من الله الحسنى من أتباعهم .

وغير خاف عليكم : ما أحدث الناس في دينهم من الحوادث ، وما خالفوا فيه طريق سلفهم ، ووجدت المتأخرين أكثرهم قد غير وبدل ، ـ رغم أن ـ سادتهم وأئمتهم ، وأعلمهم وأعبدهم ، وأزهدهم، مثل : ابن القيم ، والحافظ الذهبي ، والحافظ العماد ابن كثير ، والحافظ ابن رجب ، قد اشتد نكيرهم على أهل عصرهم ، الذي هم خير من ابن حجر ، وصاحب الاقناع ، بالإجماع ، فإذا استدل عليهم أهل زمانهم بكثرتهم ، والآطباق على طريقتهم ، قالوا : هذا من أكبر الأدلة على أنه باطل ، لأن رسول الله ﷺ قد أخبر : أن أمته تسلك مسالك اليهود والنصارى ، حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه [١] .

وقد ذكر الله في كتابه : أنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وأنهم كتبوا الكتاب بأيديهم ، وقالوا : هذا من عند الله وأنهم تركوا كتاب الله والعمل به ، وأقبلوا على ما أحدثه أسلافهم من الكتب ، وأخبر أنه وصاهم بالاجتماع ، وأنهم لم يختلفوا لخفاء الدين ، بل اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ، ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [٢] والزبر : الكتب .

---

(١) أخرجه البخاري : ح/٦٨٨٩ / ٦/٢٦٦٩

(٢) سورة المؤمنون : ٥٣

فإذا فهم المؤمن ، قول الصادق المصدوق : لتتبعن سنن من كان قبلكم [١] وجعله قبلة قلبه ، تبين له أن هذه الآيات وأشباهها ، ليست على ما ظن الجاهلون : أنها كانت في قوم كانوا فبانوا ، بل يفهم ما ورد عن عمر رضى الله عنه أنه قال في هذه الآيات : مضى القوم وما يعنى به غيركم .

وقد فرض الله على عباده في كل صلاة : أن يسألوه الهداية إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، الذين هم غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ، فمن عرف دين الإسلام ، وما وقع الناس فيه من التغيير له ، عرف مقدار هذا الدعاء ، وحكمة الله فيه .

والحاصل : أن صورة المسألة ، هل الوجب على كل مسلم أن يطلب علم ما أنزل الله على رسوله ، ولا يعذر أحد في تركه البتة ؟ أم يجب عليه أن يتبع التحفة [٢] مثلاً ؟ فأعلم أن المتأخرين وسادتهم منهم ، كابن القيم : قد أنكروا هذا غاية الإنكار ، وأنه تغيير لدين الله ، واستدلوا على ذلك بما يطول وصفه ، من كتاب الله الواضح ، ومن كلام رسول الله ﷺ البين ، لمن نور الله قلبه ، والذين يجيزون ذلك ، أو يوجبونه ، يدلون بشبه واهية ، لكن أكبر شبههم على الاطلاق : إنا لسنا من أهل ذلك ولا نقدر عليه ، ولا يقدر عليه إلا المجتهد ، وإنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون .

ولأهل العلم في إبطال هذه الشبهة ما يحتمل مجلداً ، ومن أوضحه قول الله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[٣] وقد فسرها رسول الله ﷺ في حديث عدي بهذا الذي أنتم عليه اليوم ، في الأصول ، والفروع ، لا أعلمهم يزويدون عليكم مثقال حبة خردل ، بل يبين مصداق قوله : حذو القذة بالقذة

---

[١] أخرجه البخاري : ح/٦٨٨٩ / ٢٦٦٩/٦

[٢] التحفة : يعني التحفة لأبن حجر الهيتمي المكي الشافعي

[٣] سورة التوبة : ٣١

الخ [١] ، وكذلك فسرها المفسرون ، لا أعلم بينهم اختلافاً ، ومن أحسنه : ما قاله أبو العالية ، أما إنهم لم يعبدوهم ، ولو أمروهم بذلك ما أطاعوهم ، ولكنهم وجدوا كتاب الله ، فقالوا : لا نسبق علمائنا بشيء ، ما أمرونا به ائتمرنا ، وما نهونا عنه انتهينا .

وهذه رسالة : لا تحتمل إقامة الدليل ، ولا جواباً عما يدلى به المخالف ، لكن أعرض عليه من نفسي الإنصاف والانقياد للحق ، فإن أردتم الرد عليّ بعلم وعدل ، فعندكم كتاب أعلام الموقعين ، لابن القيم عند ابن فيروز في مشرفة[٢] ، فقد بسط الكلام فيه على هذا الأصل بسطاً كثيراً ، وسرد من شبه أئمتكم ما لا تعرفون أنتم ولا آباؤكم ، وأجاب عنها ، واستدل لها بالدلايل الواضحة القاطعة ، منها : أمر الله ورسوله عن أمركم هذا بعينه ، وأن رسول الله ﷺ واصحابه وصفوه من قبل أن يقع ، وحذروا الناس منه ، وأخبروا أنه لا يسير على الدين إلا الواحد بعد الواحد ، وأن الإسلام يصير غريباً كما بدأ .

وقد علمتم : أن رسول الله ﷺ لما سأله عمرو بن عبسه في أول الإسلام : من معك على هذا ؟ قال : حر وعبد [٣] يعني أبا بكر ، وبلالاً، فإذا كان الإسلام يعود كما بدأ ، فما أجهل من استدل بكثرة الناس ، وأطباقهم ، وأشباه هذه الشبهة ، التي هي عظيمة عند أهلها ، حقيرة عند الله ، وعند أولي العلم من خلقه ، كما قال تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[٤] فلا أعلم لكم حجة تحتجون بها ، إلا وقد ذكر الله في

---

[١] أخرجه البخاري : ح/٦٨٨٩ / ٦/٢٦٦٩

[٢] اسم مكان

[٣] أخرجه مسلم : ح/٨٣٢ / ٥٦٩/١

[٤] سورة المؤمنون : ٨١

كتابه : أن الكفار استدلوا بها على تكذيب الرسل ، مثل أطباق الناس ، وطاعة الكبراء ، وغير ذلك .

فمن من الله عليه بمعرفة دين الإسلام ، الذي دعا إليه رسول الله ﷺ عرف قدر هذه الآيات ، والحجج ، وحاجة الناس إليها ، فان زعمتم : أن ذكر هؤلاء الأئمة لهذا لمن كان من أهله ، فقد صرحوا بوجوبه على الأسود والأحمر ، والذكر والأنثى ، وأنه ما بعد الحق إلا الضلال ، وأن قول من قال ، ذلك صعب ، مكيدة من الشيطان ، كاد بها الناس عن سلوك الصراط المستقيم ، الحينيفية ملة إبراهيم ، وإن بان لكم أنهم مخطئون ، فبينوا لي الحق حتى أرجع إليه ، وإنما كتبت لكم هذا معذرة من الله ، ودعوة إلى الله ، لأحصل ثواب الداعين إلى الله ، وإلا أنا أظن أنكم لا تقبلونه ، وأنه عندكم من أنكر المنكرات ، من أن الذي يعيب هذا عندكم ، مثل من يعيب رسول الله ﷺ وأصحابه .

لكن أنت ، من سبب ما أظن فيك من طاعة الله ، لا أبعد أن يهديك الله إلى الصراط المستقيم ، ويشرح قلبك للإسلام ، فإذا قرأته : فإن أنكره قلبك فلا عجب ، فإن العجب ممن نجا كيف نجا ، فإن أصغى إليه قلبك بعض الإصغاء ، فعليك بكثرة التضرع إلى الله ، والانطراح بين يديه ، خصوصاً أوقات الإجابة ، كآخر الليل ، وأدبار الصلاة ، وبعد الأذان .

وكذلك بالأدعية المأثورة ، خصوصاً الذي ورد في الصحيح ، أنه ﷺ كان يقول : اللهم رب جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم [١] فعليك بالإلحاح بهذا الدعاء ، بين يدي من يجيب

---

[١] أخرجه مسلم : ح/٧٧٠ /١/ ٥٣٤

المضطر إذا دعاه ، وبالذي هدى إبراهيم لمخالفة الناس كلهم ، وقل : يا معلم إبراهيم علمني . وإن صعب عليك مخالفة الناس ، ففكر في قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾[1] وقوله : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2] .

وتأمل قوله في الصحيح : بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ [3] وقوله ﷺ : إن الله لا يقبض العلم [4] إلى آخره وقوله : عليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي وقوله : وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة [5] والآيات ، والأحاديث في ذلك كثيرة أفردت بالتصنيف .

فإني أحبك ، وقد دعوت لك في صلاتي ، وأتمنى من قبل هذه المكاتيب أن يهديك الله لدينه القيم ، ولا يمنعني من مكاتبك إلا ظني أنك لا تقبل ، وتسلك مسلك الأكثر ، ولكن لا مانع لما أعطى الله ، والله لا يتعاظم شيئاً أعطاه ، وما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقاً لدين الله كعمر رضي الله عنه في أوله ، فإنك لو تكون معناً لانتصفنا ممن أغلظ علينا .

---

(١) سورة الجاثية : ١٨ - ١٩

(٢) سورة الأنعام : ١١٦

(٣) أخرجه مسلم : ح/١٤٥ /١٣٠/١

(٤) أخرجه البخاري : ح/ ٥٠/١/١٠٠ ، وأخرجه مسلم : ح/٢٠٥٨/٤/٢٦٧٣

(٥) أخرجه ابن حبان : ح/١٧٨/١/٥ ـ ١٧٩ وأخرجه الحاكم : ح/١٧٤/١/٣٢٩ ، وأخرجه الترمذي : ح/١٤٤/٥/٢٦٧٦ وقال حسن صحيح .

وأما هذا الخيال الشيطاني : الذي اصطاد به الناس ، أن من سلك هذا المسلك ، فقد نسب نفسه للاجتهاد ، وترك الاقتداء بأهل العلم ، وزخرفه بأنواع الزخارف ، فليس هذا بكثير من الشيطان وزخارفه ، كما قال تعالى : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾(١) فإن الذي أنا عليه ، وأدعوكم إليه ، هو في الحقيقة الاقتداء بأهل العلم ، فإنهم قد وصوا الناس بذلك، ومن أشهرهم كلاماً في ذلك ، إمامكم الشافعي ، قال : لا بد أن تجدوا عني ما يخالف الحديث ، فكل ما خالفه ، فاشهدكم أني قد رجعت عنه .

وأيضاً : أنا في مخالفتي هذا العالم ، لم أخالفه وحدي ، فإذا اختلفت انا وشافعي مثلا ، في أبوال مأكول اللحم ، وقلت القول بنجاسته ، يخالف حديث العرنيين ، ويخالف حديث أنس : أن النبي ﷺ صلى في مرابض الغنم ، فقال هذا الجاهل الظالم : أنت أعلم بالحديث من الشافعي ؟ قلت : أنا لم أخالف الشافعي من غير إمام اتبعته ، بل اتبعت من هو مثل الشافعي ، أو أعلم منه قد خالفه ، واستدل بالأحاديث .

فإذا قال أنت أعلم من الشافعي ؟ قلت : أنت أعلم من مالك ؟ وأحمد ؟ فقد عارضته بمثل ما عارضني به ، وسلم الدليل من المعارض ، واتبعت قول الله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾(٢) واتبعت من اتبع الدليل في هذه المسألة ، حتى يتوجه عليّ ما قيل ، وهذا على التنزل ، وإلا فمعلوم : أن اتباعكم لابن حجر في الحقيقة ، ولا تعبؤون بمن خالفه من رسول ، أو صاحب ، أو تابع ، حتى

---

(١) سورة الأنعام : ١١٢

(٢) سورة النساء : ٥٩

الشافعي نفسه ، ولا تعبؤون بكلامه إذا خالف نص ابن حجر ، وكذلك غيركم : إنما اتباعهم لبعض المتأخرين للأئمة .

فهؤلاء الحنابلة : من أقل الناس بدعة ، وأكثر الاقناع ، والمنتهي ، مخالف لمذهب أحمد ونصه ، يعرف ذلك من عرفه ، ولا خلاف بيني وبينكم : أن أهل العلم إذا اجمعوا وجب اتباعهم ، وإنما الشأن إذا اختلفوا ، هل يجب عليّ أن أقبل الحق ممن جاء به ، وأرد المسألة إلى الله والرسول ، مقتدياً بأهل العلم ؟ أو انتحل بعضهم من غير حجة ؟ وأزعم أن الصواب في قوله ؟ فأنتم على هذا الثاني ، وهو الذي ذمّه الله ، وسماه شركاً ، وهو اتخاذ العلماء أرباباً ؟ وأنا على الأول ، أدعو إليه ، وأناظر عليه ، فإن كان عندكم حق رجعنا إليه ، وقبلناه منكم .

وإن أدرت النظر في أعلام الموقعين ، فعليك بالمناظرة في أثنائه ، عقدها بني مقلد وصاحب حجة ، وإن ألقي في ذهنك : أن ابن القيم مبتدع، وأن الآيات التي استدل بها ليس هذا معناها ، فاضرع إلى الله واسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق ، وتجرد ناظراً ، ومناظراً واطلب كلام أهل العلم في زمانه ، مثل الحافظ الذهبي ، وابن كثير ، وابن رجب ، وغيرهم ، ومما ينسب للذهبي رحمه الله :

العلم قال الله قال رسولـــــــه ... قال الصحابة ليس خلف فيه

ما العالم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي فقيه

فإن لم تتبع لهؤلاء ، فانظر كلام الأئمة قبلهم ، كالحافظ البيهقي في كتاب المدخل ، والحافظ ابن عبد البر ، والخطابي ، وأمثالهم ، ومن قبلهم ، كالشافعي ، وابن جرير ، وابن قتيبة ، وابي عبيد ، فهؤلاء إليهم المرجع في كلام الله ، وكلام رسوله ، وكلام السلف ، وإياك وتفاسير المحرفين للكلم عن مواضعه ، وشروحهم ، فإنها القاطعة عن الله ، وعن دينه .

وتأمل : ما في كتاب الاعتصام للبخاري ، وما قال أهل العلم في شرحه ، وهل يتصور شيء بما صرح مما صح عنه ﷺ أن أمته ستفترق على أكثر من سبعين فرقة ، أخبر أنهم كلهم في النار إلا واحدة ، ثم وصف تلك الواحدة أنها التي على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ، وأنتم مقرون أنكم على غير طريقتهم ، وتقولون ما نقدر عليها ، ولا يقدر عليها إلا المجتهد ، فجزمتم : أنه لا ينتفع بكلام الله ، وكلام رسوله إلا المجتهد ، وتقولون : يحرم على غيره أن يطلب الهدى من كلام الله ، وكلام رسوله ، وكلام أصحابه ، فجزمتم وشهدتهم : أنكم على غير طريقتهم ، معترفين بالعجز عن ذلك .

وإذا كنتم مقرين : أن الواجب على الأولين اتباع كتاب الله ، وسنة رسوله ، لا يجوز العدول عن ذلك ، وأن هذه الكتب ، والتي خير منها ، لو تحدث في زمن عمر بن الخطاب لفعل بها ، وبأهلها أشد الفعل ، ولو تحدث في زمن الشافعي وأحمد ، لاشتد نكيرهم لذلك ، فليت شعري : متى حرم الله هذا الواجب وأوجب هذا المحرم ؟.

ولما حدث قليل من هذا ، لا يشبه ما أنتم عليه في زمن الإمام أحمد ، أشتد إنكاره لذلك ، ولما بلغه عن بعض أصحابه : أنه يروى عنه مسائل بخراسان ، قال : أشهدكم أني قد رجعت عن ذلك ، ولما رأى بعضهم يكتب كلامه : أنكر عليه ، وقال : تكتب رأياً لعلّي أرجع عنه غداً ، أطلب العلم مثل ما طلبنا . ولما سئل عن كتاب أبي ثور قال : كل كتاب ابتدع ، فهو بدعة ، ومعلوم : أن أبا ثور من كبار أهل العلم ، وكان أحمد يثني عليه ، وكان ينهى الناس عن النظر في كتب أهل العلم الذين يثني عليهم ويعظمهم .

ولما أخذ بعض أئمة الحديث كتب أبي حنيفة ، هجره أحمد ، وكتب إليه : إن تركت كتب أبي حنيفة أتيناك تسمعنا كتب ابن المبارك ، ولما ذكر له بعض أصحابه : إن هذه الكتب فيها فائدة لمن لا يعرف الكتاب والسنة ، قال : إن عرفت الحديث لم تحتج إليها ، وإن لم تعرفه لم يحل لك النظر فيها .

وقال : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ، يذهبون إلى رأي سفيان ، والله يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] ، قال : أتدري ما الفتنه ؟ الفتنة : الشرك ، ومعلوم : أن الثوري عنده غاية ، وكان يسميه أمير المؤمنين ، فإذا كان هذا كلام أحمد في كتب نتمنى الآن أن نراها ، فكيف بكتب قد أقر أهلها على أنفسهم أنهم ليسوا من أهل العلم ؟ وشهد عيهم بذلك، ولعل بعضهم مات وهو لا يعرف ما دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ﷺ ؟

وشبهتكم التي ألقيت في قلوبكم أنكم لا تقدرون على فهم كلام الله ، ورسوله ، والسلف الصالح ، و قد قدمنا : أن النبي ﷺ قال : لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة [2] إلى آخره ، فتأمل هذه الشبهة ، أعني قولكم : لا نقدر على ذلك ، وتأمل ما حكى الله عن اليهود ، في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾[3] وقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[4] وقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[5] وقوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[6].

واطلب تفاسير هذه الآيات من كتب أهل العلم ، واعرف من نزلت فيه ، واعرف الأقوال والأفعال ، التي كانت سبباً لنزول هذه الأيات ، ثم أعرضها على قولهم : لا نقدر

---

(١) سورة النور ٦٣
(٢) أخرجه البخاري : ح/٦٨٨٩/٦/٢٦٦٩
(٣) سورة البقرة : ٨٨
(٤) سورة البقرة : ٩٩
(٥) سورة الزخرف : ٣
(٦) سورة القمر : ١٧

على فهم القرآن ، والسنة ، تجد مصداق قوله : لتتبعن سنن من كان قبلكم ، وما في معناه من الآحاديث الكثيرة ، فلتكن قصة إسلام سلمان الفارسي منكم على بال .

ففيها : أنه لم يكن على دين الرسل إلا الواحد بعد الواحد ، حتى أن آخرهم قال عند موته : لا أعلم على وجه الأرض أحداً على ما نحن عليه ، ولكن قد أظل زمان نبي ، واذكر مع هذا قول الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾[1] .

فحقيق لمن نصح نفسه ، وخاف عذاب الأخرة ، أن يتأمل ما وصف الله به اليهود في كتابه ، خصوصاً : ما وصف به علماءهم ، ورهبانهم ، من كتمان الحق، ولبس الحق بالباطل ، والصد عن سبيل الله ، وما وصفهم الله ، أي : علماءهم ، من الشرك ، والإيمان بالجبت ، والطاغوت ، وقولهم للذين كفروا : هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلاً ، لأنه عرف أن كل ما فعلوا لابد أن تفعله هذه الأمة ، وقد فعلت .

وإن صعب عليك مخالفة الكبر ، أو لم يقبل ذهنك هذا الكلام، فاحضر بقلبك: أن كتاب الله أحسن الكتب ، وأعظمها بياناً وشفاء لداء الجهل ، وأعظمها فرقاً بين الحق والباطل ، والله سبحانه قد عرف تفرق عبادة ، واختلافهم قبل أن يخلقهم ، وقد ذكر في كـــــتابه : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[2] وأحضر قلبك هذه الأصول وما يشابهها في ذهنك ، واعرضها على قلبك ، فأنه إن شاء الله يؤمن بها على سبيل الإجمال .

---

[1] سورة هود : ١١٦

[2] سورة النحل : ٦٤

فتأمل قوله ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[1] وتكرير هذا الأصل في مواضع كثيرة ، وكذلك قوله ﴿ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾[2] فكل حجة تحتجون بها تجدها مبسوطة في القرآن ، وبعضها في مواضع كثيرة .

فأحضر بقلبك : أن الحكيم الذي أنزل كتابه شفاء من الجهل ، فارقا بين الحق والباطل ، لا يليق منه أن يقرر هذه الحجج ، ويكررها ، مع عدم حاجة المسلمين إليها ، ويترك الحجج التي يحتاجون إليها ، ويعلم أن عباده يفترقون ، حاشا أحكم الحاكمين من ذلك .

ومما يهون عليك مخالفة من خالف الحق ، وإن كان من أعلم الناس وأذكاهم ، وأعظمهم جاهاً ، ولو اتبعه أكثر الناس : ما وقع في هذه الأمة من افتراقهم في أصول الدين ، وصفات الله تعالى ، وغالب من يدعي المعرفة ، وما عليه المتكلمون ، وتسميتهم طريقة رسول الله ﷺ حشواً ، وتشبيهاً ، وتجسيماً ، مع أنك إذا طالعت في كتاب من كتب الكلام ــ مع كونه يزعم أن هذا واجب على كل أحد ، وهو أصل الدين ــ تجد الكتاب من أوله إلى آخره ، لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله ، ولا حديث عن رسول الله ، اللهم إلا أن يذكره ليحرفه عن مواضعه .

وهم معترفون : أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحي ، بل من عقولهم ، ومعترفون : أنهم مخالفون للسلف في ذلك ، مثل ما ذكر في فتح الباري ، في مسألة الإيمان ، على قول البخاري : وهو قول وعمل ، ويزيد وينقص ، فذكر إجماع السلف على ذلك ، وذكر

---

(1) سورة لقمان : ٢١
(2) سورة الأعراف : ٧١

عن الشافعي : أنه نقل الإجماع على ذلك ، وكذلك ذكر أن البخاري نقله ، ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين ولم يرده .

فإن نظرت في كتاب التوحيد في آخر الصحيح فتأمل تلك التراجم ، وقرأت في كتب أهل العلم من السلف ، ومن اتباعهم من الخلف ، ونقلهم الإجماع على وجوب الإيمان بصفات الله تعالى ، وتلقيها بالقبول ، وأن من جحد شيئاً منها ، أو تأول شيئاً من النصوص ، فقد افترى على الله ، وخالف إجماع أهل العلم ، ونقلهم الإجماع أن علم الكلام بدعة وضلالة ، حتى قال أبو عمر بن عبد البر : أجمع أهل العلم في جميع الأعصار والأمصار ، أن أهل الكلام أهل بدع ، وضلالات ، لا يعدون عند الجميع من طبقات العلماء ، والكلام في هذا يطول .

والحاصل : أنهم عمدوا إلى شيء أجمع المسلمون كلهم ، بل وأجمع عليه أجهل الخلق بالله عبدة الأوثان ، الذين بعث فيهم النبي ﷺ فابتدع هؤلاء كلاماً من عند أنفسهم ، كابروا به العقول أيضاً ، حتى إنكم لا تقدرون تغيرون عوامكم عن فطرتهم ، التي فطرهم الله عليها ، ثم مع هذا كله تابعهم جمهور من يتكلم في علم هذا الأمر ، إلا من سبقت لهم من الله الحسنى ، وهم : كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، يبغضونهم الناس ويرمونهم بالتجسيم .

هذا : وأهل الكلام واتباعهم ، من أحذق الناس ، وأفطنهم ، حتى أن لهم من الذكاء والحفظ والفهم ، ما يحير اللبيب ، و هم وأتباهم : مقرون أنهم مخالفون للسف ، حتى أن أئمة المتكلمين ، لما ردوا على الفلاسفة في تأويلهم في آيات الأمر والنهي ، مثل قولهم ، المراد بالصيام ، كتمان أسرارنا ، والمراد بالحج : زيارة مشائخنا ، والمراد بجبريل : العقل الفعال ، وغير ذلك من إفكهم ، ردوا عليهم الجواب : بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام ، فقال لهم الفلاسفة : أنتم جحدتم علو الله على

خلقه ، واستواءه على عرشه ، مع أنه مذكور في الكتب ، على ألسنة الرسل ، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم ، وغيرهم من أهل الملل ، فكيف يكون تأويلنا تحريفاً ؟ وتأويلكم صحيحاً ؟ فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب عن هذا الأيراد .

والمراد : أن مذهبهم مع كونه فاسداً في نفسه ، مخالفاً للعقول ، وهو أيضاً مخالف لدين الإسلام ، والكتاب والرسول ، وللسلف كلهم ، ويذكرون في كتبهم أنهم مخالفون للسلف ، ثم مع هذا : راجت بدعتهم على العالم والجاهل ، حتى طبقت مشارق الأرض ومغاربها .

وأنا أدعوك إلى التفكر في هذه المسألة ، وذلك : أن السلف قد كثر كلامهم ، وتصانيفهم في أصول الدين ، وإبطال كلام المتكلمين ، وتفكيرهم ، وممن ذكر هذا من متأخري الشافعية : البيهقي ، والبغوي ، وإسماعيل التيمي ، ومن بعدهم ، كالحافظ الذهبي ، وأما متقدموهم : كابن سريج : والدارقطني ، وغيرهما ، فكلهم على هذا الأمر، ففتش في كتب هؤلاء فإن أتيتني بكلمة واحدة : أن منهم رجلاً واحداً لم ينكر على المتكلمين ، ولم يكفرهم فلا تقبل مني شيئاً أبداً ، ومع هذا كله ، وظهوره غاية الظهور ، راج عليكم حتى أدعيتم أن أهل السنة هم المتكلمون ، والله المستعان .

ومن العجب : أنه يوجد في بلدكم من يفتي الرجل بقول إمام ، والثاني بقول آخر ، والثالث بخلاف القولين ، ويعد فضيلة ، وعلماً ، وذكاءً ، ويقال : هذا يفتي في مذهبين ، أو أكثر ، ومعلوم عند الناس : أن مراده في هذا ، العلو والرياء ، وأكل أموال الناس بالباطل ، فإذا خالفت قول عالم لمن هو أعلم منه، أو مثله إذا كان معه الدليل ، ولم آت بشيء من عند نفسي ، تكلمتم بهذا الكلام الشديد ، فإن سمعتم أني أفتيت بشيء خرجت فيه من إجماع أهل العلم ، توجه عليّ القول .

وقد بلغني أنكم في هذا الأمر قمتم وقعدتم ، فإن كنتم تزعمون أن هذا إنكار للمنكر ، فيا ليت قيامكم كان في عظائم في بلدكم تضاد أصلي الإسلام : شهادة أن لا إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

منها ـ وهو أعظمها ـ عبادة الأصنام عندكم ، من بشر وحجر ، هذا يذبح له ، وهذا ينذر له ، وهذا يطلب منه إجابة الدعوات وإغاثة اللهفات ، وهذا يدعوه المضطر في البر والبحر ، وهذا يزعمون أن من التجأ إليه ينفعه في الدنيا والآخر ولو عصى الله .

فإن كنتم تزعمون : أن هذا ليس هو عبادة الأصنام ، والأوثان ، المذكورة في القرآن ، فهذا من العجب ، فإني لا أعلم أحداً من أهل العلم يختلف في ذلك ، اللهم إلا أن يكون أحد وقع فيما وقع فيه اليهود ، من إيمانهم بالجبت والطاغوت ، وإن ادعيتم : أنكم لا تقدرون على ذلك ، فإن لم تقدروا على الكل ، قدرتم على البعض ، كيف بعض الذين أنكروا على هذا الأمر ، وادعوا أنهم من أهل العلم ، ملتبسون بالشرك الأكبر ، ويدعون إليه ، ولو يسمعون إنساناً يجرد التوحيد ، لرموه بالكفر والفسوق ، ولكن نعوذ بالله من رضى الناس بسخط الله .

ومنها : ما يفعله كثير من اتباع إبليس ، وأتباع المنجمين والسحرة والكهان ، ممن ينتسب إلى الفقر ، وكثير ممن ينتسب إلى العلم من هذه الخوارق التي يوهمون بها الناس ، ويشبهونها بمعجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء ، ومرادهم أكل أموال الناس بالباطل ، والصد عن سبيل الله ، حتى إن بعض أنواعها يعتقد فيه من يدعي العلم : أنه من العلم الموروث عن الأنبياء ، من علم الأسماء ، وهو من الجبت والطاغوت ، ولكن هذا مصداق قوله ﷺ : لتتبعن سنن من كان قبلكم [١] .

---

[١] أخرجه البخاري : ح/٦٨٨٩/٦/٢٦٦٩

ومنها : هذه الحيلة الربوية ، التي مثل حيلة أصحاب السبت ، أو أشد ، وأنا أدعو من خالفني إلى أحد أربع ، إما إلى كتاب الله ، وإما إلى سنة رسوله ﷺ وإما إلى إجماع أهل العلم ، فإن عاند : دعوته إلى المباهلة ، كما دعا إليها إبن عباس في بعض مسائل الفرائض ، وكما دعا إليها سفيان ، والأوزاعي ، في مسألة رفع اليدين ، وغيرهما من أهل العلم ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم][1] .

وللشيخ محمد بن عبدالوهاب رسالة أخرى تبين اعتماده رحمه الله على الكتاب والسنة ، للرد على من خالفه يقول فيها :

[الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، آله الأولين والآخرين ، وقيوم السموات والأرضين ، وهو الذي في السماء آله ، وفي الارض آله ، وهو الحكيم العليم ، ثم ينتهي إلى جناب .. لا زال محروس الجناب ، بعين الملك الوهاب ، وبعد : الخط وصل أوصلك الله إلى رضوانه وسر الخاطر حيث أخبر بطيبكم فإن سألت عنا فالحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات .

وإن سألت عن سبب الاختلاف ، الذي هو بيننا وبين الناس ؟ فما اختلفنا في شيء من شرائع الإسلام ، من صلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج ، وغير ذلك ، ولا في شيء من المحرمات ، الشيء الذي عندنا زين ، هو عند الناس زين ، والذي عندهم شين هو ، عندنا شين ، إلا أنا نعمل بالزين ، ونغصب الذي يدنا عليه ، وننهي عن الشين ، ونؤدب الناس عليه .

---

(١) الدرر السنية ، ج١ ، ص ٣٥ ـ ٥٥

والذي قلب الناس علينا : الذي قلبهم على سيد ولد آدم ﷺ وقلبهم على الرسل من قبله : ﴿ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾[١] ومثل ما قال ورقة للنبي ﷺ والله ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، فرأس الأمر عندنا ، وأساسه ، إخلاص الدين لله ، نقول : ما يدعى إلا الله ، ولا ينذر إلا لله ، ولا يذبح القربان إلا لله ، ولا يخاف خوف الله إلا من الله ، فمن جعل من هذا شيئاً لغير الله ، فنقول : هذا الشرك بالله ، الذي قال فيه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾[٢] والكفار الذي قاتلهم النبي ﷺ واستحل دماءهم ، يقرون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له ، النافع الضار ، المدبر لجميع الأمور ، واقرأ قوله سبحانه لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾[٣] ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾[٤] وأخبر الله عن الكفار : أنهم يخصلون لله الدين أوقات الشدائد، واذكر قوله سبحانه : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٥] والآية الأخرى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٦] وبين الله غاية الكفار ، ومطلبهم ، أنهم يطلبون الشفاعة[٧]

---

[١] سورة المؤمنون : ٤٤
[٢] سورة النساء : ٤٨
[٣] سورة يونس : ٣١
[٤] سورة المؤمنون : ٨٨ ـ ٨٩
[٥] سورة العنكبوت : ٦٥
[٦] سورة لقمان : ٣٢
[٧] في الأصل الشفع

واقرأ أول سورة الزمر ، تراه سبحانه بيّن دين الإسلام ، وبين دين الكفار ومطلبهم ، الآيات في هذا من القرآن : ما تحصى ولا تعد .

وأما الاحاديث الثابتة عنه ﷺ فلما قال بعض الصحابة : ما شاء الله ، وشئت ، قال : أجلعتني لله نداً ؟ قل ما شاء الله وحده [١] وفي الحديث الثاني ، قال بعض الصحابة : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق قال : إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله وحده [٢] وفي الحديث الثالث : أن أم سلمة رضي الله عنها ، ذكرت له كنيسة رأتها بأرض الحبشة ، وما فيها من الصور ، قال : أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح - أو العبد الصالح - بنوا على قبره مسجداً ، صوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة [٣] .

والحديث الرابع ، لما بعث معاذاً إلى اليمن ، قال له : إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن أجابوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أجابوك لذلك ، فاعملهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم [٤] .

والحديث الخامس : عن معاذ ، قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي : يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟ قلت الله ورسوله أعلم

---

[١] أخرجه الإمام أحمد : ح/١٨٣٩/١/٢١٤ ، وأخرجه الإمام البهقي : ح/٥٦٠٣/٣/٢١٧

[٢] أخرجه الإمام أحمد : ح/٢٢٧٥٨/٥/٣١٧ ، قال في مجمع الزوائد رواه الطبراني ورجاله رجال ابن ليعهة وهو حسن الحديث ، ١٠/١٥٩

[٣] أخرجه البخاري : ح/٤٢٤/١/١٦٧ ، وأخرجه مسلم : ح/٥٢٨ ، ١/٣٧٥

[٤] أخرجه مسلم : ح/١٩ ، ١/٥٠

قال : حق الله على العابد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئاً [1] الحديث ، والاحاديث في هذا ما تحصى .

وأما تنويهه ﷺ بأن دينه يتغير بعده ، فقال ﷺ : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة [2] وفي الحديث عنه ﷺ : من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد [3] وفي الحديث قال : افترقت الامم قبلكم ، افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى افترقت على اثنتينن وسبعين فرقة ، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، قالوا من الواحدة يا رسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما انا عليه وأصحابي [4] وفي الحديث قال ﷺ : لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ [5] .

ويكون عندك معلوماً : أن أساس الأمر ، ورأسه ، ودعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم ، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والنهي عن عبادة من سواه ، قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [6]

---

(1) أخرجه مسلم : ح/٣٠ /٥٨/١

(2) أخرجه ابن حبان ح/١٧٨/١/٥ ـ ١٧٩ وأخرجه الحاكم : ح/١٧٤/١/٣٢٩ ، وأخرجه الترمذي ح/١٤٤/٥/٢٦٧٦ وقال حسن صحيح .

(3) أخرجه مسلم ح/١٣٤٣/٣/١٧١٨

(4) أخرجه الترمذي ح /٢٦/٥/٢٦٤١

(5) سبق تخريجه صفحة : ١١

(6) سورة الأنبياء : ٢٥

وقـــال تعـــالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ [١] وقـــال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ [٢] الآيتين .

ويكون عندك معلوماً : أن لله تعالى أفعالاً ، وللعبيد أفعالاً ، فأفعال الله : الخلق والرزق ، والنفع ، والضر ، والتدبير ، وهذا أمر ما ينازع فيه ، لا كافر ، ولا مسلم ، وأفعال العبد ، العبادة : كونه ما يدعو إلا الله ، ولا ينذر إلا لله ، ولا يذبح إلا له ، ولا يخاف خوف السر إلاّ منه ، ولا يتوكل إلا عليه ، فالمسلم : من وحد الله بأفعاله سبحانه وأفعاله بنفسه ، والمشرك : الذي يوحد الله بأفعاله سبحانه ، ويشرك بأفعاله بنفسه .

وفي الحديث لما أنزل الله عليه : قم فأنذر صعد الصفا ﷺ فنادي : واصباحاه فلما اجتمع إليه قريش ، قال لهم : ما قال ، فقال عمه : تبأ لك ، ما جمعتنا إلاّ لهذا ، وأنزل الله فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[٣] وقال ﷺ : يا عباس عم رسول الله ، ويا صفية عمة رسول الله ، اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد : سليني من مالي ما شئت ، لا أغني عنك من الله شيئاً [٤] أين هذا من قول صاحب البردة :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

وقوله :

ولن يضيق رسول الله جاهك بي   إذا الكريم تجلى باسم منتقم

---

[١] سورة النحل : ٣٦

[٢] سورة المدثر : ١

[٣] سورة المسد : ١

[٤] أخرجه البخاري : ح/٢٦٠٢/٣/١٠١٢

وذكر صاحب السيرة : أنه صلوات الله وسلامه عليه ، قام يقنت على قريش ، ويخصص أناساً منهم ، في مقتل حمزة ، وأصحابه ، فأنزل الله عليه : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾[1] ولكن مثل ما قال ﷺ : بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ [2] .

فإن قال قائلهم : إنهم يكفرون بالعموم ، فنقول : سبحانك هذا بهتان عظيم ، الذي نكفر ، الذي يشهد أن التوحيد دين الله ، ودين رسوله ، وأن دعوة غير الله باطلة ، ثم بعد هذا يكفر أهل التوحيد ، ويسميهم الخوارج ، ويتبين مع أهل القبب على أهل التوحيد ، ولكن نسأل الله الكريم ، رب العرش العظيم : أن يرينا الحق حقاً ، ويرزقنا اتباعه ، وأن يرينا الباطل باطلاً ، ويرزقنا جتنابه ، ولا يجعله ملتبساً علينا فنضل ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾[3] .

ويكون عندك معلوماً : أن أعظم المراتب وأجلها عند الله الدعوة إليه ، التي قال الله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[4] وفي الحديث : والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خير لك من حمر النعم [5] .

ثم بعد هذا يذكر لنا : أن عدوان الإسلام ، الذين ينفرون الناس عنه ، يزعمون : أننا ننكر شفاعة الرسول ﷺ فنقول : سبحانك هذا بهتان عظيم ، بل نشهد أن رسول ﷺ الشافع المشفع ، صاحب المقام المحمود ، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم : أن يشفعه فينا ، وأن يحشرنا تحت لوائه .

---

(١) سورة آل عمران : ١٢٨

(٢) أخرجه مسلم ح/١٣٠/١/١٤٥

(٣) سورة آل عمران : ٣١

(٤) سورة فصلت : ٣٣

(٥) أخرجه البخاري ح/١٠٧٧/٣/٢٧٨٣

هذا اعتقادنا ، وهذا الذي مشى عليه السلف الصالح ، من المهاجرين والأنصار ، والتابعين ، وتابع التابعين ، والأئمة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين وهم أحب الناس لنبيهم ، وأعظمهم في اتباعه وشرعه ، فإن كانوا يأتون عند قبره يطلوبنه الشفاعة : فإن اجتماعهم حجة ، والقائل : إنه يطلب الشفاعة بعد موته ، يورد علينا الدليل من كتاب الله ، أو من سنة رسول الله ، أو من إجماع الأمة ، والحق أحق أن يتبع . أنتهت الرسالة][1] .

يؤكد الشيخ محمد بن عبدالوهاب اعتماده على كتاب الله وسنه رسوله في رده على المخالفين بقوله :

[وبالجملة : فالذي أنكره : الاعتقاد في غير الله مما لا يجوز لغيره ، فإن كنت قلته من عندي ، فارم به ، أو من كتاب لقيته ، ليس عليه عمل ، فارم به، كذلك ، أو نقلته عن أهل مذهبي ، فارم به ، وإن كنت قلته ، عن أمر الله ورسوله ، وعما أجمع عليه العلماء في كل مذهب ، فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الاخر: أن يعرض عنه ، لأجل أهل زمانه ، أو أهل بلده ، وأن أكثر أهل زمانه أعرضوا عنه][2] .

وفي رسالة للإمام عبدالله بن سعود قال فيها إن إمام الدعوة :

[قام على الناس : بالأدلة من الكتاب والسنة وإجماع صالح سلف الأمة][3] .

وفي رسالة للإمام سعود بن عبد العزيز قال فيها :

---

(١) الدرر السنية ، ج ١ ، ص ٥٨ ـ ٦٤

(٢) الدرر السنية ، ج ١ ، ص ٧٦

(٣) الدرر السنية ، ج ١ ، ص٢٨٠

[قد بينا من كلام الله وكلام رسوله ﷺ وكلام أتباع الأئمة الأربعة ، ما يدحض حجتكم الواهية ويبطل دعواكم الباطلة][1] .

ومن الأدلة أيضاً على اعتماد أئمة الدعوة على الكتاب والسنة ماقاله الشيخ سليمان بأن الشيخ عبدالله بن محمد رحمه الله بخصوص الحديث عن كلام الله :

[والحق في ذلك : ما دل عليه الكتاب والسنة والاجماع : أن الله تعالى لم يزل متكلماً كيف شاء إذا شاء ، بحرف وصوت ، كما دل على ذلك القرآن ، والأحاديث ، فأما : القرآن فواضح ، وأما الاحاديث ، ففي صحيح البخاري وغيره : أن الله تعالى ينادي آدم يوم القيامة بصوت [2] وهذا نص وفيه نحو أربعة عشر حديثاً . [3]

وفي رسالة من الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بيّن فيها منهج إمام الدعوة ومستنده في دعوته حيث قال :

[وأرشدهم رحمه الله : إلى ما دل عليه الكتاب وسنة رسوله ﷺ][4].

وفي رسالة من محمد بن عبداللطيف لأهل عسير والحجاز واليمن قال :

[وبالجملة فإنا نأمر بما أمر الله في كتابه ، وأمر به رسول ﷺ وتنهى عما نهى الله عنه ، ونهى عنه رسوله ، ولا تحرم إلا ما حرم الله ، ولا تحل إلا ما حلل الله ، فهذا الذي ندعوا إليه][5] .

وقال الشيخ حسين والشيخ عبدالله أبناء إمام الدعوة رحمة الله :

---

(١) الدرر السنية ، ج ١ ، ٣٠٣
(٢) أخرجه البخاري ح/٤٤٦٤/٤/١٧٦٧
(٣) الدرر السنية ، ج١ ، ص ٣١٨
(٤) الدرر السنية ، ج ١ ، ص ٤٦٠
(٥) الدرر السنية ، ج ١ ، ص ٥٧٨

[واعتمد في هذا الأصل ، على كتاب الله ، الذي أنزله بياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمؤمنين](1) .

ومما يدل على إعتماد أئمة الدعوة على كتاب الله قول الشيخ حمد بن ناصر المعمر في بيانه للشفاعة قال :

[فإذا تأملت الآيات ـ بعد أن أورد الكثير منها ـ يتبين لك : أن الشفاعة المنفية ، هي التي يظنها المشركون ، ويطلبونها اليوم من غير الله ، وأما الشفاعة المثبتة ، فهي : التي لأهل التوحيد ، والإخلاص ، كما أخبر الرسول ﷺ أن شفاعته نائلة من مات من أمته ، لا يشرك بالله شيئاً](2) .

وقد قعد شيخ الإسلام محمد عبد الوهاب قواعداً للدين ، مبيناً منهجه في الاستتدلال عند بيان الدعوة والرد على خصومهاً حيث قال :

[هذه أربع قواعد ، من قواعد الدين ، التي تدور الأحكام عليها ، وهي : من أعظم ما أنعم الله به على محمد ﷺ وأمته ، حيث جعل دينهم ديناً كاملاً وافياً ، أكمل وأكثر علماً من جميع الأديان ، ومع ذلك جمعه لهم في لفظ قليل ، وهذا مما ينبغي التفطن له ، قبل معرفة القواعد الأربع ، وهو : أن تعلم قول النبي ﷺ لما ذكر ما خصه الله به على الرسل ، يريد منا أن نعرف منة الله علينا ، ونشكرها ، قال لما ذكر الخصائص : وأعطيت جوامع الكلم (3) قال إمام الحجاز : محمدبن شهاب الزهري ، معناه : أن يجمع الله له المسائل الكثيرة ، في الألفاظ القليلة .

---

(1) الدرر السنية ، ج٢ ، ص ١٥٦
(2) الدرر السنية ، ج ٢ ، ص ١٥٩
(3) أخرجه مسلم ح/٣٧١/١/٥٢٣

القاعدة الأولى : تحريم القول على الله بلا علم ، لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

القاعدة الثانية : أن كل شيء سكت عنه الشارع ، فهو عفو ، لا يحل لأحد أن يحرمه ، أو يوجبه ، أو يستحبه ، أو يكرهه ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ﴾[2] وقال النبي ﷺ : وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها [3] .

القاعدة الثالثة : أن ترك الدليل الواضح ، والاستدلال بلفظ متشابه ، هو طريق أهل الزيغ ، كالرافضة ، والخوارج ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾[4] والواجب على المسلم : اتباع المحكم ، فإن عرف معني المتشابه ، وجده لا يخالف المحكم بل يوافقه ، وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين في العلم في قولهم : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[5] .

---

(1) سورة الأعراف : ٣٣

(2) سورة المائدة : ١٠١

(3) أخرجه الدار قطني : ح/١٠٤/٤/٢٩٧ ـ ٢٩٨ ، قال في مجمع الزوائد رواه الطبراني في الأوسط وفيه نهشل بن سعيد الترمذي وهو متروك ، ٢٠٨/٧

(4) سورة آل عمران : ٧

(5) سورة آل عمران : ٧

القاعدة الرابعة : أن النبي ﷺ ذكر: أن الحلال بيِّن والحرام بيِّن ، وبينهما مشتبهات [١].

فمن لم يفطن لهذه القاعدة ، وأراد أن يتكلم على كل مسألة بكلام فاصل ، فقد ضل وأضل ، فهذه أربع قواعد ، ثلاث ذكرها الله في كتابه، والرابعة ذكرها رسول الله ﷺ][٢]

وقال الشيخ حسين والشيخ عبدالله رحمهم الله أبناء إمام الدعوة في عقيدة والدهم رحمه الله :

[عقيدة الشيخ رحمه الله التي يدين الله بها ، هي : عقيدتنا ، وديننا الذي ندين الله به ، وهي : عقيدة سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم باحسان ، وهو ابتاع مادل عليه الدليل ، من كتاب الله وسنه رسوله ﷺ ، وعرض أقوال العلماء على ذلك ، فما وافق كتاب الله وسنه رسوله ﷺ قبلناه ، وأفتينا به ، وما خالف ذلك ، رددناه على قائله][٣].

وقد ذكر الشيخ عبدالله بن إمام الدعوة بأنهم يعتمدون على الأصول الخمسة التي اعتمد عليها أحمد بن حنبل رحمه الله ، حيث ذكر أن أحدها هو :

[النصوص ، فإذا وجد النص أفتى بموجبه ولم يلتفت إلى ما خالفه ولا من خالفه كائناً من كان][٤] .

وما أحسن ما أورده الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن براهيم أحد أحفاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب إذ أكد أن الكتاب والسنة هما الأصلان اللذان ترتكز عليهما الدعوة السلفية في نجد جاء فيه :

---

[١] أخرجه البخاري : ح/٥٢/١/٢٨ ، وأخرجه مسلم : ح/١٥٩٩/٣/١٣١٩

[٢] الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٥ ـ ٦

[٣] الدرر السنية ، ج٤ ، ص١٢

[٤] الرسائل والمسائل النجدية ـ ج١ ـ ص٢٣٩

] لسائل أن يسأل ، ما هي حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

سؤال يجيب عليه الشيخ نفسه رحمه الله في رسالة أرسلها إلى أهل المغرب ، أقتطف منها بعض ما ورد ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(١) وقال تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾(٣) فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله ﷺ ، وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا وترك البدع والتفرق والاختلاف . فقال تعالى : ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(٤) والرسول ﷺ قد أخبر بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعاً بذارع ، وأخبر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا من هي يا رسول الله ، قال : من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي (٥).

إذا عرف هذا فمعلوم ما عمت به البلوي من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراك بالله والتوجه إلى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسموات ، وكذلك التقرب إليهم بالنذور وذبح القربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد ، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله ، وصرف شي من أنواع العبادة كصرفها جميعها . وأخبر تعالى أن من

---

(١) سورة يوسف : ١٠٨

(٢) سورة الحشر : ٧

(٣) سورة المائدة : ٣

(٤) سورة الأعراف : ٣

(٥) أخرجه الترمذي ح /٢٦/٥/٢٦٤١

جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم ، وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ (١) فلا يشفع عنده أحد إلا باذنه قال تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ (٢) الآية .

والرسول محمد ﷺ لا يشفع إلا بإذن الله ، لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر ساجداً فيحمده بمحامد يعلّمه إياها ثم يقال . ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطى واشفع تشفع ثم يحد لهم حداً فيدخلهم الجنة فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء . وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين ، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجمهم . وقد حذر ﷺ من حوادث الأمور فقال ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان (٣) وهو ﷺ حمى جانب التوحيد أعظم حماية ، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك ، فنهي أن يجصص القبر أو يبني عليه ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القبب المبنية على القبور لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ .

فهذا الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس ، وهو الذي ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله ، وإجماع السلف الصالح من الأئمة ، ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾(٤)، وندعو الناس إلى إقام الصلاة في الجماعات على الوجه المشروع وإيتاء الزكاة وصيام

---

(١) سورة الزمر : ٤٤

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥

(٣) أخرجه الحاكم : ح/٨٣٩٠/٤/٤٩٦ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وأحرجه أبو داود : ح/٤٢٥٠/٤/٩٧ ، وأخرجه الإمام أحمد : ح/٢٢٤٤٨/٥/٢٧٨ .

(٤) سورة البقرة : ١٩٣

شهر رمضان ، وحج بيت الله الحرام ، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾[1]][2] .

وبين الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم اعتماد الشيخ محمد بن عبدالوهاب على كتاب الله وسنة رسوله في دعوته ، حيث ذكر أن إمام الدعوة قال :

[الذي ندين الله به عبادة الله وحده لا شريك له ، والكفر بعبادة غيره ، ومتابعة الرسول النبي الأمي ﷺ .. فأما العبادة فقال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾[3] ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾[4] وأما متابعة الرسول فواجب على أمته متابعته في الاعتقادات والأقوال والأفعال ، قال الله تعالى : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾[5] .

وقال رسول الله ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد [6] فتأمل رحمك الله ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه بعده والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وما عليه الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء .

---

(1) سورة الحج : ٤١

(2) بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ج١ ، بحث بعنوان إعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة ـ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم إبن مفتي المملكة السابق تولى عدة مناصب في الدولة وهو مستشار في الديوان الملكي حالياً ، ص ١٩٨ ـ ٢٠٠

(3) سورة الذاريات : ٥٦

(4) سورة النحل : ٣٦

(5) سورة آل عمران : ٣١

(6) أخرجه البخاري ح/٩٥٩/٢/٢٥٥٠ ، ومسلم ح/١٣٤٣/٣/١٧١٨

وأما مذهبنا فهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ، ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها .

والمقصود بيان ما نحن عليه من الدين وأنه عبادة الله وحده لا شريك فيها ، وخلع جميع الشرك ، ومتابعة الرسول ﷺ فيها ، نخلع جميع البدع إلا بدعة لها أصل في الشرع ، كجمع المصحف في كتاب واحد ، وجمع عمر رضى الله عنه الصحابة على التراويح جماعة ، وجمع ابن مسعود أصحابه على القصص كل خميس ونحو ذلك فهذا حسن والله اعلم .

وإذا تأملنا تلك الرسالتين الجليلتين خرجنا بصورة واضحة عن بعض أصول دعوة الشيخ المجدد رحمه الله تعالى ، وأدركنا أنها ترتكز على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين ، ولما كانت طاعة الله ورسوله ﷺ والرضا بشريعته ودينه منطلقاً للإيمان والعبادة ، عقد الشيخ رحمه الله بابين في كتابه ـ التوحيد ـ ، ووضح في كثير من رسائله هذا الأمر وما جاء فيه عن الله وعن رسوله ﷺ .

ويقول الشيخ رحمه الله تعالى في باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله ، فقد أتخذهم أرباباً من دون الله ، الباب الآخر . قوله . باب قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ﴾[١] الآيات .

ولنقتطف مما ذكر الشيخ آية من باب أو حديثاً ونوضحه .

[١] سورة النساء : ٦٠

أما الباب الاول .. فقد أورد الشيخ حديث عدى بن حاتم أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1] ، فقلت له إنا لسنا نعبدهم قال .. أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه . ويحلون ما حرم الله فتحلونه .. فقلت : بلى .. قال فتلك عبادتهم [2] .

وشواهد الحديث من الآيات كثيرة فتأمل هذا الحديث العظيم ، تأمل قول عدى : إنا لسنا نعبدهم ، ظاناً أن العبادة هي التقرب إليهم بسجود أو نذر أو ذبح وتأمل قول الرسول ﷺ أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه وقول الرسول ﷺ فتلك عبادتهم .

ففي هذا صراحة ووضوح بأن العبادة هي الطاعة وهي الاتباع وهي التحكيم ، فمن أطاع الله ورسوله لم يرض بما يخالفه من الأحكام من أي مصدر كانت ، واتخاذهم أرباباً يكون في هذا النوع ، فمن رضى حكماً غير حكم الله وحكم رسوله وهو عالم بذلك معتقداً صحة هذا الحكم المخالف نصاً وروحاً لحكم الله فذلك لا شك في كفره .

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله .. وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وعكسه يكونون على وجهين . أحدهما أنهم يعلمون أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل . فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل ، وقد جعله الله ورسوله شركاً وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون . الثاني : أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحريم الحرام ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله ، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي ، فهؤلاء

---

(١) سورة التوبة : ٣١

(٢) أخرجه البيهقي : ح/٢٠١٣٧/١٠/١١٦ ، والطبراني في الكبير : ح/٢١٨/١٧/٩٢ .

لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب . كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : إنما الطاعة في المعروف . ثم نقول لهذا المحلل للحرام ، المحرم للحلال ، إن كان مجتهداً قصده اتباع الرسول ﷺ لكن خفى عليه الحق في نفس الأمر وقد اتقى الله ما استطاع فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه بل يثيبه على اجتهاده ، الذي أطاع به ربه ، ولكن من علم أن هذا الخطأ مخالف لما جاء به رسول الله ﷺ ، ثم اتبعه وعدل عن قول الرسول ﷺ ، فله نصيب من الشرك الذي ذمه الله لاسيماً إن اتبعه في ذلك لهواه ونصره باللسان واليد مع علمه أنه مخالف للرسول ﷺ فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه .

وأما الباب الثاني .. فإليك رأس الباب . باب قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ﴾ (١) .

يقول الشيخ سليمان بن عبداله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في شرحه لهذه الآية في كتاب تيسير العزيز الحميد :

لما كان التوحيد الذي هو معني شهادة أن لا إله إلا الله مشتملاً على الإيمان بالرسل مستلزماً له ، وذلك هو الشهادتان ، ولهذا جعلها النبي ﷺ ركناً واحداً ، نبه في هذا الباب على ما تضمنه التوحيد واستلزمه من تحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع ، إذ هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ولازمها الذي لابد منه لكل مؤمن فإن من عرف أن لا إله إلا الله فلابد له من الانقياد لحكم الله والتسليم لأمره الذي جاء من عنده على يد رسوله محمد ﷺ فمن شهد أن لا إله إلا الله ثم عدل إلى تحكيم غير الرسول ﷺ في موارد النزاع فقد كذب في شهادته انتهي .

---

(١) سورة النساء : ٦٠

يقول رحمه الله .. ومن لوازم ذلك ــ أي الشهادتين ــ متابعته وتحكيمه في موارد النزاع وترك التحاكم إلى غيره ، كالمنافقين الذي يَدعون الإيمان به ويتحاكمون إلى غيره وبهذا يتحقق للعبد كمال التوحيد ، ومن قوله ﴿ يَزْعُمُونَ ﴾ نفي لما زعموه من الإيمان وقد أمروا ﴿ أَن يَكْفُرُوا بِهِۦ ﴾ أي بالطاغوت ، وهو دليل على أن التحاكم إلى الطاغوت مناف للإيمان مضاد له ، فلا يصح الإيمان إلا بالكفر به وترك التحاكم اليه ، وقال وفي الآية دليل على أن التحاكم إليه ، به يكون العبد غير مؤمن بل ولا مسلم ــ يعني التحاكم إلى الطاغوت ــ وأورد الشيخ في نفس الباب قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (١) قال أبو العاليه في الآية ، يعني لا تعصوا في الأرض ، وكان فسادهم ذلك هو معصية الله ، لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ، وأخيراً أورد الشيخ سبب نزول آية النساء ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾(٢) الآية ، فقال : وقيل نزلت في رجلين اختصما وقال أحدهما نترافع إلى النبي ﷺ وقال الآخر إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر رضى الله عنه ، فذكر له أحدهما القصة ، فقال للذي لم يرض برسول ﷺ ، أكذلك ، قال نعم ، فضربه بالسيف فقتله ، ويحسن بنا أن نذكر في هذا الباب الرد على القانونيين الذي يحكمون الطاغوت المسمى ــ بالقانون ــ وأنقل ما كتبه والدي وشيخي سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله .. قال رحمه الله : إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين ، والرد إليه

---

(١) سورة البقرة : ١١

(٢) سورة النساء : ٦٠

عند تنازع المتنازعين مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل ، ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1] وقد نفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عن من لم يُحكِّم النبي ﷺ فيما شجر بينهم نفيا مؤكداً بتكرار أداة النفي وبالقسم .. قال تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[2] وقال في موضع أخر . وقد نفى الله الإيمان عمن أراد التحاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ من المنافقين .. كما قال تعالى ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾[3] فإن قوله يزعمون ، تكذيب لهم فيما ادعوه من الإيمان ، فإنه لا يجتمع إيمان مع تحاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ من الإيمان في قلب عبد أصلا بل أحدهما ينافي الآخر . والطاغوت مشتق من الطغيان ، وهو مجاوزة الحد ، فكل من حكم بغير ما جاء به الرسول ﷺ فقد حكم بالطاغوت وحاكم إليه ، وذلك أنه من حق كل أحد أن يكون حاكماً بما جاء به النبي ﷺ ، فمن حكم بخلافه أو حاكم إلى خلافه فقد طغى وجاوز حده حكماً أو تحكيماً ، فصار بذلك طاغوتاً لتجاوزه حده .

وقال عليه رحمة الله ورضوانه : وتأمل قوله عز وجل ﴿ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ

---

(١) سورة النساء : ٥٩

(٢) سورة النساء : ٦٥

(٣) سورة النساء : ٦٠

بِهِۦ﴾[١] تعرف منه معاندة القانونيين وإرداتهم خلاف مراد الله منهم حول هذا الصدد. فالمراد منهم شرعاً هو الذي تعبدوا به وهو الكفر بالطاغوت لا تحكيمه . ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾[٢] ثم تأمل قوله تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[٣] كيف دل على أن ذلك ضلال . وهؤلاء القانونيين يرونه من الهدى ، وقد دلت الآية على أنه من إرادة الشيطان عكس ما يتصوره القانونييون ، فتكون على زعمهم مرادات الشيطان هي صلاح الإنسان ومراد الرحمن وما بعث به سيد ولد عدنان معزولاً من هذا الوصف ومنحى عن هذا الشأن .

وقد قال الله تعالى منكراً على هذا الصنف من الناس ومقرراً ابتغاءهم أحكام الجاهلية وموضحاً أنه لا حكم أحسن من حكمه ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٤] فتأمل هذه الآية الكريمة وكيف دلت على أن قسمة الحكم ثنائية وأنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية الموضح أن القانونيين في زمرة أهل الجاهلية ، لا تناقض لديهم حول هذا الصدد .. وأما القانونيون فمتناقضون حيث يزعمون الإيمان بماجاء به الرسول ﷺ وينافقون ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً وقد قال الله في أمثال هؤلاء . ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[٥] ثم أنظر كيف ردت هذه الآية الكريمة على القانونيين ما زعموه من حسن زبالة أذهانهم

---

[١] سورة النساء : ٦٠
[٢] سورة البقرة : ٥٩
[٣] سورة النساء : ٦٠
[٤] سورة المائدة : ٥٠
[٥] سورة النساء : ١٥١

ونحاتة أفكارهم بقوله عز وجل ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[1] قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية : ينكر الله تعالى على من خرج من حكم الله المحكم المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه في الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من أهل الضلالات والجهالات ، مما يصنعونه بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار في السياسات الملكية التي يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول ﷺ فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير قال تعالى ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾[2] وعن حكم الجاهلية يعدلون : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[3] أي : ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم من الوالدة بولدها فإنه تعالى العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء : قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[4] وقال ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[5] ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[6] فانظر كيف سجل الله تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل الله بالكفر والظلم والفسق ، ومن الممتنع أن يسمى الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً

---

(1) سورة المائدة : ٥٠

(2) سورة المائدة : ٥٠

(3) سورة المائدة : ٥٠

(4) سورة المائدة : ٤٤

(5) سورة المائدة : ٤٥

(6) سورة المائدة : ٤٧

ولا يكون كافراً بل هو كافر مطلقاً إما كفر عمل وإما كفر اعتقاد وما جاء عن ابن عباس في تفسير هذه الآية ، يدل على أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة ، وإما كفر عمل لا ينقل عن الملة وقال : وهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مفتوحة الأبواب ، والناس إليها أسراب أثر أسراب ، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم الكتاب والسنة من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به وتحثهم عليه فأي كفر فوق هذا الكفر وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه لمناقضة نسأل الله العصمة من جميع المعاصي وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

وقد وقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلامذاته من بعده في صدق إيمان ونور بصيرة وثبات على الحق ، وموقف إمامهم شيخ الأسلام ابن تيمية ، وعلماء المسلمين ، أهل السنة والجماعة ، من النصارى واليهود والملحدين والمبتدعين والزنادقة والجهمية والمعطلة والمقلدين المتعصبين وعباد الموتى وقفة المجاهدين الناصحين لله ولرسوله ولدينه ، وأتاهم الله من قوة اليقين وشجاعة الجنان ووضوح الحجة ما أخرس خصومهم وقطع ألسنتهم ، وفي ذلك الجو وما فسر من لهم مصالح في انحراف الناس عن حقيقة التوحيد كما هي العادة مضواً في محاربة الشيخ وإيذائه ، ولكنهم لم يصلوا إلى حجته ولا إلى قلبه ولسانه ولا إلى هديه وبيانه هدى القرآن وبيان القرآن وسنة رسول الهدى محمد بن عبدالله ﷺ ، فدعى إلى الله وإلى متابعة رسوله ﷺ ، فأشعل منار العرفان وأضاء مصابيح السنة ، ففتح الله بدعوته قلوباً غلفا ، وأعينا عمياً ، وآذاناً صما ، ونفع الله بكتبه ورسائله على بصيرة من نور الله وشرعه ، شأنه في ذلك شأن المصلحين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، كما حصل قبله للإمام ابن تيمية في سبيل تحقيق التوحيد وتصحيح العقيدة والذود عن حوزة الإسلام ، حين نادى بهاحرباً شعواء ، فقد جهر برأيه في صراحة تامة لا غموض فيها سنده وحجته كتاب الله والسنة المطهرة ، ثم خلفه تلميذه

ابن القيم ، فحمل الراية وأعلنها حروباً على الفرق الضالة من المعتزلة والجهمية والمعطلة داعياً إلى عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم من فقهاء الأمة ومحدثيها . ولقد كان مسلك ابن القيم رحمه الله في التصوف مسلك المصلح العارف بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن قرأ كتابه القيم ـ مدارج السالكين ـ شرح كتاب ـ منازل السائرين ـ للإمام الهروي ، وعرف التصوف البرىء من كل دجل وضلالة ، وأن ما يدعيه أصحاب الفرق الضالة والطرق الصوفية ما هو إلا جاهلية وضلالة ينبغي محاربتها وكشف زيفها وضلالها وقد كان موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومسلكه في التصوف هو موقف ومسلك ابن القيم رحمه الله . كما أن موقف الشيخ محمد رحمه الله من التقليد الأعمى هو موقف الإبطال والرفض ، لأن العلم هو المعرفة الحاصلة عن دليل والتقليد ليس بدليل وبالتالي ليس علماً][1] انتهى كلام حفيد إمام الدعوة .

كما أوضح عضو هيئة كبار العلماء السابق الشيخ / صالح بن عبدالرحمن الأطرم مفصلاً ومبيناً اعتماد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في دعوته على الكتاب والسنة حيث قال :

[وحان الآن الشروع في الأستدلال من مؤلفات الشيخ في اعتماده على الكتاب والسنة ، ونبدأ بالأهم ، وهو ما ألفه في العقائد وأصول الدين والإيمان في هذا خمسة عشر فصلاً :

الأول : في ثلاث مسائل يجب تعلمها :

قال رحمه الله فيما يجب تعلمه ومعرفته على كل مسلم ومسلمة وهو ضروري من ضروريات الدين ، فذكر ثلاث مسائل :

---

(١) بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، بحث الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم المرجع السابق ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٧

١) أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً ، بل أرسل إلينا رسولاً، فمن أطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار .

٢) أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد .

٣) أن من وحد الله وأطاع الرسول وجبت عليه موالاة الله ورسوله ، ووجب عليه بغض أعداء الله وأعداء رسوله .

ثم استدل على الأولى بقوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾[١] واستدل على الثانية بقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[٢] ومعلوم أن الدعاء عبادة ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٣] فجعل العبادة هي الدعاء . استدل على الثالثة بقوله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٤] نزلت في أبي عبيدة رضي الله عنه لما قتل أباه في بدر .

---

[١] سورة المزمل : ١٥

[٢] سورة الجن : ١٨

[٣] سورة غافر : ٦٠

[٤] سورة المجادلة : ٢٢

فمن أنصف من نفسه وجد الأمر واضحاً ، حيث أستدل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالقرآن الكريم فلم يوجب شيئاً من بنات أفكاره ، ولا مقتبساً من إعداده][1] .

وبين الشيخ صالح الأطرم في الفصل الثاني الذي عنونه بعنوان : في المسألة التي بها نجاة المسلم من الخسارة والهلاك ، وأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب اعتمد على كتاب الله بقوله :

[ارشد على ما به الفلاح والنجاح ، وجعل ذلك في أربع مسائل تعلمها من مقتضى الإسلام .

١) العلم ثم بين المراد به بأنه ـ معرفة الله و ـ [2] معرفة نبيه ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة .

٢) العمل به .

٣) الدعوة إليه .

٤) الصبر على الأذى فيه .

ثم أستدل على هذه المسائل الأربع بسورة من سور القرآن وهي قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾[3] .

---

[1] بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، بحث بعنوان : اعتماد فقه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة ، الشيخ صالح بن عبدالرحمن الأطرم ، ج١ ، ص٣١٥ ـ ٣١٦

[2] لم ترد في الأصل ولعلها سقطت .

[3] سورة العصر : ١-٣

والاستدلال من هذه السورة واضح ﴿ ءَامَنُواْ ﴾ أي عملوا ، وهذا التفسير لاقتران العمل بالإيمان وحيث أطلق الإيمان شمل العلم والقول والعمل ، ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ دلت على وجوب العمل بالعلم ، و ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ﴾ دلت على وجوب الدعوة إليه، و ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ دلت على وجوب الصبر على الأذى فيه .

فهل ينكر هذا الاستدلال ومطابقته بما استدل عليه إلا مكابر معاند ، وهذا غير معتبر .

وقد سبق إلى هذا الاستدلال الإمام الشافعي رحمه الله بقوله : لو ما انزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم][1] .

ثم بين الشيخ صالح في الفصل الثالث أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب بين مراتب الدين واستدل عليها بكتاب الله وسنة رسوله ، حيث يقول :

[أنه جعل الدين ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى أعم من الثانية ، والثانية أعم من الثالثة .

المرتبة الأولى : الإسلام .

المرتبة الثانية : الإيمان .

المرتبة الثالثة : الإحسان .

وبعد أن بين معني الإسلام وهو : الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك وأهله ، وأن الإيمان هو التصديق بالباطن ، إذ ذكر مقروناً مع الإسلام ، لأن الإسلام إذا ذكر مع الإيمان فالمراد به الأعمال الظاهرة وإذا أفرد كل واحد منهما شمل الآخر .

---

[1] بحوث إسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب المرجع السابق ، ص ٣١٧

وأن الإحسان أخص منهما ، هو لا يحتاج إلى تفسير أوضح مما فسر به الحديث ، ثم استدل رحمه الله على هذه الأصول بحديث عمر بن الخطاب الذي رواه مسلم في صحيحه ، وفيه : أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الإسلام فقال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وذكر له الصلاة والصيام والزكاة والحج ، ثم سأله عن الإيمان فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره ، ثم سأل عن الإحسان فقال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .. الخ الحديث [1].

ثم استدل رحمه الله على كل مسألة من أركان الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في الحديث وذلك في آية من القرآن ، ومن شك في ذلك فيراجع ثلاثة الأصول من المجلد الأول قسم العقيدة من مؤلفات الشيخ والتي طبعتها الجامعة .

وهذا نموذج مما استدل به على معنى لا إله إلا الله بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2].

ثم بين معني شهادة أن محمداً رسول الله ثم استدل بقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] .

---

(١) أخرجه مسلم ح/٨/١/٣٧

(٢) سورة الزخرف : ٢٦-٢٨

(٣) سورة التوبة : ١٢٨

واستدل على وجوب التوحيد والصلاة والزكاة ، بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[١] .

واستدل على ركنية الصيام ، بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾[٢].

واستدل على ركنية الحج بقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٣] .

وأركان الإسلام الخمسة المتقدمة وهي شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام ، بين الرسول ﷺ بأنها مبنى الإسلام وجمعها بقوله : بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت الحرام[٤] . من حديث أبن عمر رضى الله عنهما الذي رواه البخاري ومسلم .

فهل يمكن لأحد لديه مسكة من عقل أن ينكر اعتماد الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة بعد استعراض هذه الأدلة على أركان الإسلام ؟!

واستدل على بعث الناس بعد الموت ، بقوله تعالى : ﴿ ۞مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴾[٥] وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝

---

[١] سورة البينة : ٥

[٢] سورة البقرة : ١٨٣-١٨٤

[٣] سورة آل عمران : ٩٧

[٤] أخرجه البخاري ح/١٢/١/٨

[٥] سورة طه : ٥٥

ﱫ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﱪ[1] وحكم بالكفر على من أنكر البعث واستدل بقوله تعالى : ﱫ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ فَـَٔامِنُوا۟ ﱪ[2] .

فعقيدة الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان .

فهل يستطيع إنكار هذه الأدلة إلا كافر معاند لوضوحها ومطابقتها للمستدل عليه ، وحكم بوجوب الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام .

واستدل بقوله تعالى : ﱫ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﱪ[3]

والمقصود ببلد الشرك الذي لا يستطيع المسلم أن يظهر فيه شعائر دينه من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

ووجه الاستدلال من الآية على وجوب الهجرة واضح ، وذلك أن الله توعده بسوء المصير، ووصفهم بظلم أنفسهم ، لأن المسلم لا يصح أن يبقى بين المشركين ذليلاً إلا إذا كان غير قادر كما قال الله تعالى : ﱫ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﱪ[4] .

---

(1) سورة الزمر : ٣٠ ـ ٣١
(2) سورة التغابن : ٧
(3) سورة النساء : ٩٧
(4) سورة النساء : ٩٨

كما استدل رحمه الله على أن أعظم ما أمر به التوحيد ، وأعظم ما نهى عنه الشرك ، قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[1] وبقوله جل وعلا : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾[2] وبقوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾[4].

وما استدل به من هذه الآيات واضح جلي ، وإذا يثبت عند العاقل أن هذه المسألة هي أساس الدين ، وأصل دعوة محمد بن عبد الوهاب .

ويتبين له أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يدع إلى شيء مجهول ، ولم يأت بشيء من عنده .

وبين رحمة الله أن أساس دعوته هي التي من أجلها أرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، ثم استدل بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[5]][6].

ثم ذكر الشيخ صالح الأطرم في الفصل الرابع : اعتناء الشيخ بتوحيد العبادة واعتماده في بيان ذلك على الكتاب والسنة ، حيث قال :

---

(1) سورة النساء : ٣٦
(2) سورة الذاريات : ٥٦ ـ ٥٧
(3) سورة الاسراء : ٢٣
(4) سورة الأنعام : ١٥١
(5) سورة النحل : ٣٦
(6) بحوث إسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص ٣١٨ ـ٣٢٢

] واعتنى الشيخ رحمه الله في تحقيق توحيد العبادة وبيان ما ينافيه أو ينافي كماله ، وألف في ذلك كتاباً عظيماً أسماه ـ كتاب التوحيد ـ جعله سبعة وستين باباً وكل باب منها ليس له فيه إلا مجرد العنوان والترجمة المتضمنة للحكم ، ثم يستدل على هذا بآيات قرآنية وأحاديث نبوية ، وأعقب كل باب بمسائل عظيمة تستفاد منه ، وقد صدر هذا الكتاب بوجوب توحيد العبادة ، فاستدل على وجوب التوحيد بقوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾[1] ونظائرها من الآيات ومن الأحاديث النبوية ما اتفق عليه البخاري ومسلم من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال له : أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله .. فقال معاذ : الله ورسوله أعلم ، قال عليه السلام : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً [2] .

فدل هذا الحديث أن لله حق على العباد ، وهو عبادته وعدم الشرك به ، وبعد أن بين الشيخ وجوب التوحيد بين فضله .

قال الشيخ : باب فضل التوحيد ، وما يكفر من الذنوب ، ثم استدل بآية الأنعام : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[3] ، بجملة أحاديث كلها تدل على فضل التوحيد دلالة واضحة منها ما أخرجاه في الصحيحين عن عتبان رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : من قال لا إله إلا الله يبغي بذلك وجه الله حرم الله وجهه على النار[4] .

---

[1] سورة النساء : ٣٦

[2] أخرجه مسلم : ح/١٣٤٣/٣/١٧١٨

[3] سورة الأنعام : ٨٢

[4] أخرجه البخاري ح / ١٦٤/١/٤١٥ ، ومسلم ح / ٤٥٥/١/٣٣

فانظر إلى هذا الاستدلال ووضوحه من الآيات والأحاديث .

ثم قال : باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب .

واستدل بآيات قرآنية وأحاديث نبوية لا يستطيع أحد أن ينكر الاستدلال بها ، ثم قال : باب الخوف من الشرك .. واستدل بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[١] فإذا حكم على المشرك بعدم المغفرة وجب الخوف من الشرك واستدل بآيات أخرى وأحاديث نبوية كلها واضح فيها وجه الاستدلال واستدل على وجوب الدعوة إلى التوحيد بقوله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[٢] .

وحديث ابن عباس في بعث معاذ إلى اليمن ، وتعليمه كيف تكون الدعوة واستدل أيضاً على وجوب الدعوة وفضلها في حديث سهل في فتح خيبر ، والشاهد منه قول الرسول لعلى بن أبي طالب ثم أدعهم إلى الإسلام مبيناً فضل هذه الدعوة لقوله : فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم [٣] .

ثم قال رحمه الله : باب تفسير شهادة أن لا إله إلا الله ، ثم استدل بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٤] ، وبحديث : أمرت أن أقاتل الناس حتى

---

[١] سورة النساء : ٤٨

[٢] سورة يوسف : ١٠٨

[٣] أخرجه البخاري ح/٢٠٧٧/٣/٢٧٨٣

[٤] سورة الزخرف : ٢٦ ـ ٢٨

يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فأن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل [١] .

ثم ابتدأ بجزئيات تنافي التوحيد وتنافي كماله، منها : لبس الحلقة لجلب النفع أو لدفع الضر، وأبطل ذلك بقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾[٢]

بقوله ﷺ للرجل الذي رأى عليه حلقة من صفر وأخبره بأنها عن الواهنة فقال له : انزعها فلا تزيدك إلا وهنا واستدل على بطلان التمائم بقوله عليه الصلاة والسلام : من علق تميمة لا أتم الله له وغير ذلك من الأحاديث .

واستدل رحمه الله على بطلان التبرك بالأشجار والأحجار بآية : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾[٣].

وبحديث فيه ، أن الصحابة طلبوا من الرسول أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها فأنكر عليهم الرسول ﷺ أشد الإنكار ، واستدل على صرف الذبح لله وتحريمه لغير الله بآيات قرآنية وأحاديث نبوية .

وهكذا في سائر أبواب مؤلفه رحمه الله المسمى بكتاب التوحيد .

ومن شك في ذلك فليراجع هذا المؤلف فإنه سيجد ما يشفيه ويكفيه من الأدلة ويطمئنه ويؤكد له أن الشيخ يعتمد اعتماداً كلياً على الكتاب والسنة لاسيماً في باب التوحيد والعقائد وكشف الشبهات .

---

[١] أخرجه البخاري ح/١٧/١/٢٥ ، ومسلم : ح/٥٣/١/٢٢

[٢] سورة الزمر : ٣٨

[٣] سورة النجم : ١٩ ـ ٢٠

وفي مؤلف كشف الشبهات ذكر إقرار الكفار بتوحيد الربوبية ، وذكر أنه لم يدخلهم في الإسلام بل قاتلهم رسول الله ﷺ حتى أقروا بتوحيد العبادة ، فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (١) وقوله : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ (٢) وغير ذلك من الآيات فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ .

وعرف أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد ، كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً ، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات أو نبياً مثل عيسى .

وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ (٣) وقال : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ

---

(١) سورة يونس : ٣١

(٢) سورة المؤمنون : ٨٦ ـ ٨٩

(٣) سورة الجن : ١٨

يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾ [1] وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله ، والنذر كله لله ، والذبح كله لله والاستغاثة كلها لله وجميع أنواع العبادات كلها لله ، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام ، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك ، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم .

عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، وأبى عن الإقرار به المشركون وهذا التوحيد هو معني قولك ـ لا إله إلا الله ـ .

فدل هذا الكلام المتقدم والذي سننقله لك عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقد فهمه من نصوص القرآن على ما يأتي :

١) أن الكفار يقرون بتوحيد الربوبية .

٢) أنه لم يدخلهم في الإسلام .

٣) أن معنى ـ لا إله إلا الله ـ يشمل النوعين .

٤) أن الكفار الذين قاتلهم الرسول يفهمون معناها ولهذا قالوا كما حكى الله عنهم : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[2] .

٥) أن كفار أهل زماننا لا يفهمون معناها لأنهم يقولونها ، ومع ذلك تخالفه أفعالهم ، فيعبدون القبور ، ويدعون الأولياء والصالحين ، ولو عرفوا معناها حقيقة لما عبدوهم وما استغاثوا بهم ، وأما الكفار فلم ينطقوا بها لأنهم لم يعملوا بمعناها ،

---

[1] سورة الرعد : ١٤

[2] سورة ص : ٥

وكل هذا ساق الشيخ عليه الأدلة ، وبين أن الشرك لا يغفر لصاحبه ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1] .

وبين أن من عرف دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى أخرهم الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه ، أنه يستفيد فائدتين .

الأولى : فضل الله ورحمته ، ثم استدل بقول الله . ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[2] .

الثانية : الخوف العظيم ، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركون ، ثم استدل بطلب قوم موسى مع صلاحهم : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾[3] .

فاستدلال الشيخ على هاتين الفائدتين بهاتين الآيتين واضح لا يستطيع أحد إنكاره .

وفي سياق كشف الشبهات بين رحمه الله بأن الله لم يبعث نبياً إلا جعل له أعداء .

ثم استدل على ما قاله بقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[4] .

---

(1) سورة النساء : ٤٨

(2) سورة يونس : ٥٨

(3) سورة الأعراف : ١٣٨

(4) سورة الأنعام : ١١٢

وساتدل أيضاً رحمة الله بأن هؤلاء الأعداء قد يكون لهم حجج وعلوم ، بقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾(١) .

ثم بين أن الواجب على المسلم أن يتعلم من دين الله ما يقاتل به الأعداء الذين قعدوا له على الطريق ، كما قال إمامهم ومقدمهم : ﴿ لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾(٢)

ثم بين أن هؤلاء الأعداء يضعفون أمام من تسلح بدين الله، واستدل بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾(٣) .

ثم بين أن العامي من الموحدين يغلب الألف من غيرهم وأنه لا خوف عليه إذا سلك الطريق وإنما الخوف على ضعيف التوحيد ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾(٤) .

ثم استدل رحمه الله على أنه مهما جاء أهل الباطل بشبهة ففي القرآن ما يبطلها ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾(٥) .

وهذه الآيات عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة .

ثم ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بأنه سيكشف هذه الشبهة بآيات قرآنية ، وأن لهم جوابين مجمل ومفصل ، أما المجمل ، فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة

---

(١) سورة غافر : ٨٣
(٢) سورة الأعراف : ١٦ ـ ١٧
(٣) سورة النساء : ٧٦
(٤) سورة الصافات : ١٧٣
(٥) سورة الفرقان : ٣٣

لمن عقلها وذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾(1) ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله ـ فاحذروهم (2) .

مثال ذلك إذا قال بعض المشركين : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(3) .

وأن الشفاعة حق ، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله .

وذكر كلاماً للنبي عليه الصلاة والسلام يستدل به على شيء من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجاوبه بقولك ، إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ، ويتبعون المتشابه .

وهكذا استمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في إيراد الشبه وجوابها ، والاستدلال على بطلانها من القرآن والسنة ، يجد ذلك واضحاً من أحب الحقيقة وأطلع على كشف الشبهات ، والمقصود ذكر نموذج منه كما تقدم](4) .

ثم أورد الشيخ صالح الأطرم في الفصل الخامس : القواعد الأربع التي قرر بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب توحيد العبادة وبين استناده في تقرير هذه القواعد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حيث قال :

---

(1) سورة آل عمران : ٧

(2) أخرجه مسلم ح/٢٦٦٥/٤/٢٠٥٣

(3) سورة يونس : ٦٢

(4) بحوث إسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص ٣٢٣ ـ ٣٣٠

] من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب : القواعد الأربع التي قرر بها توحيد العبادة وأنه لا يكون خالصاً إلا بنفي الشرك ، وأن الشرك مع العبادة كالحدث مع الطهارة ضدان لا يجتمعان فكما لا تصح الصلاة مع الحدث فإنها لا تصح عبادة مع الشرك .

وأوضح ذلك بهذه القواعد الأربع التي تدل على اعتماد دعوته وفقهه على الكتاب والسنة .

القاعدة الأولى : أن الإقرار بتوحيد الربوبية دون توحيد العبادة لا يدخل في الإسلام ، ثم استدل بقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[1] .

فأقروا بهذه الآيات الخلقية الكونية وأن القادر عليها هو الله ، ومع ذلك قاتلهم الرسول ﷺ ، فلو كان كافياً لما قاتلهم ، ولما طلب منهم توحيد العبادة ، فاستدلال الشيخ واضح واعتماده على الكتاب والسنة صريح .

القاعدة الثانية : أنهم يتوسلون بمعبوداتهم إلى الله ويتشفعون بهم ومع ذلك حكم عليهم القرآن بالكفر ، فدل على أن المطلوب أن يعبدوا الله مباشرة دون واسطة ، وأن يطلبوا منه شفاعة نبيهم لهم .

واستدل على أن شفاعة الأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة لا تطلب إلا من الله ، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، ثم استدل على ذلك كله بآيات قرآنية منها قوله

---

(١) سورة يونس : ٣١

تعـالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾(١) .

ووجه الأستدلال أنه حكم على من اتخذ الواسطة بالكفر .

القاعدة الثالثة : أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم منهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ، ومنهم من يعبد الشمس والقمر ، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم .

ومقصود الشيخ أن عبادة ما سوى الله على حد سواء بالكفر وبالمقاتلة للرجوع عن ذلك ، ثم استدل على بطلان عبادة أي نوع من هذه المخلوقات بدليل من القرآن .

القاعدة الرابعة : فيها أن الشيخ حكم على أن شرك أهل زمانه أشد وأغلظ من شرك الأولين ، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة ، وأهل زمانه يشركون في الرخاء والشدة ، بل كلما اشتد عليهم الأمر ازدادوا لجوء وتضرعاً ودعاء لمعبوداتهم ثم استدل بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾(٢) فهل ينكر وجه الاستدلال وأعتماد الشيخ على الكتاب والسنة إلا مكابر ومعاند](٣) .

أوضح الشيخ صالح الأطرم في الفصل السادس أن من الأمثلة على اعتماد الشيخ في دعوته على الكتاب والسنة ما جاء في مؤلفة ـ فضل الإسلام ـ :

---

(١) سورة الزمر : ٣

(٢) سورة العنكبوت : ٦٥

(٣) بحوث إسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢

[١ ـ استدل على فضل الإسلام بقوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1] .

ووجه الاستدلال على فضل الإسلام أن الله رضيه لنا ديناً ندين الله به ونتقرب به إليه ، فلو كان هناك وسيلة أفضل من الإسلام لرضيها لنا .

ثم استدل الشيخ رحمه الله على فضل هذا الإسلام الذي رضيه لأمة محمد ديناً ، أن ضلت اليهود والنصارى عن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع ، وهدى أمة محمد ﷺ لهذا اليوم ليكون لهم عيد الأسبوع ، لذا قال عليه الصلاة والسلام : نحن الآخرون السابقون من حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري .

٢ ـ قال رحمه الله : باب وجوب الإسلام ثم استدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2]

فلو لم يكن الإسلام واجباً لما حكم بالخسران على من ابتغى غيره ، ولا نفى قبول غيره ، ومن السنة استدل بحديث عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد [3] .

فدل على وجوب الإسلام حيث حكم عليه الصلاة والسلام برد الأعمال التي ليست على أمره ـ راجع وجوب الإسلام ص ٢٠٧ من كتاب فضل الإسلام للشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ .

---

[1] سورة المائدة : ٣

[2] سورة آل عمران : ٨٥

[3] أخرجه مسلم ح/١٧١٨/٣/١٣٤٣

٣ ـ قال : باب تفسير الإسلام : ثم استدل بقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ [١] ، فدلت الآية على أن الإسلام معناه .. الأستسلام والانقياد كما قال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [٢] .

ومن السنة من حديث عمر رضي الله عنه أن السائل قال للرسول : ما الإسلام ؟ فقال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً .

ففسر الإسلام بهذه الأعمال ، وهكذا إذا قرأ المنصف هذا المؤلف ـ أعنى فضل الإسلام ـ وجد وضوح الاستدلال ومطابقته للترجمة وأن استدلاله بالكتاب والسنة] [٣].

وفي الفصل السابع بين الشيخ صالح الأطرم أن :

[من مؤلفات الشيخ رحمه الله ـ أصول الإيمان ـ عنون لكل أصل واستدل عليه ، وهاك نموذجاً من استدلالاته على تراجمه وعناوينه ، وإن أردت المزيد فراجع القسم الاول في العقائد من مؤلفات الشيخ التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية :

١ ـ قال رحمه الله : باب معرفة الله والإيمان به ، ثم ساق حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم ، وفيه أن الله يقول : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً واشرك معى فيه غيري تركته وشركه [٤] .

---

(١) سورة آل عمران : ٢٠

(٢) سورة البقرة : ١١٢

(٣) بحوث إسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٥

(٤) أخرجه مسلم ح/٢٩٨٥/٤/٢٢٨٩

فمن عرف الله حق المعرفة وآمن به أخلص في عبادته ، ولم يشرك معه غيره ، وعلى هذا فاستدلال الشيخ بالحديث واضح ، وهكذا استمر في سرد الأدلة على وجوب معرفة الله والإيمان به . ـ راجع قسم العقائد من مؤلفاته ص ٢٢٩ ـ .

٢ ـ قال : باب الإيمان بالقدر، ثم استدل بجملة آيات منها : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (١) .

فإذا كان مقضياً وجب الإيمان به ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (٢) والأدلة على هذا المعني ـ أي الإيمان بالقدر كثيرة ـ ساق الشيخ منها جملة يستنير بها العاقل المنصف ويقوي بها إيمان المؤمن ، ويعرف من خلالها أن عدم الإيمان بالقدر مخل في أصول الإيمان بل ومناف له .

٣ ـ الإيمان بالملائكة من أصول الإيمان كما ترجم الشيخ لذلك ص ٢٤٨ من القسم الأول ـ العقائد ـ من مؤلفات الشيخ ، استدل رحمه الله بقوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (٣) .

والاستدلال من الآية واضح على وجود الملائكة والإيمان بهم ، إذ لو لم يوجدوا لما وجب الإيمان بهم .

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٨

(٢) سورة الأنبياء : ١٠١

(٣) سورة البقرة : ١٧٧

٤ ـ من أصول الإيمان ـ الإيمان بالقرآن وسائر الكتب المنزلة ـ ولما كان الأخذ بالقرآن واجباً ، عنون الشيخ بهذا العنوان ـ باب الوصية بكتاب الله ـ لأنه المهيمن على الكتب السابقة ، فهي وإن وجب الإيمان بها فالعمل بالقرآن لهيمنته عليها .

ثم استدل الشيخ بقوله تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [(١)] .

ووجه الاستدلال واضح حيث أمر باتباع الكتاب ، والأمر للوجوب ونهى عن اتباع غيره ، والنهي للتحريم .

وهكذا كلما استمر القارى مع هذا المؤلف للشيخ ـ أعني أصول الإيمان ـ وجد الأدلة مطابقة للتراجم ، وهي من الكتاب والسنة ، فلا حجة لمن أنكر اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة][(٢)] .

ويقول الشيخ صالح الأطرم في الفصل الثامن أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب يعتقد أن من أصول الإيمان وجوب اعتقاد حق الرسول ﷺ ، واستدل الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله على ذلك بعدة أدلة منها :

[ما يدل على طاعته بأسلوب الأمر ، ومنها أن جعل طاعته سبباً للرحمة ، أما الأولى فقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [(٣)]

---

(١) سورة الأعراف : ٣

(٢) بحوث إسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧

(٣) سورة النساء : ٥٩

وأما الثاني ففي قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] واستدل أيضاً بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[2] .

فمن حقوق الرسول ﷺ الإيمان بما جاء في هذه الآيات، وكما في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت به [3] .

فجعل من حقه الإيمان بما جاء به ، وهذا أكبر دليل على اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة] [4]

ويوضح الشيخ صالح الأطرم في الفصل التاسع بأن عقيدة إمام الدعوة :

[هي لزوم السنة والتحذير من البدع واستدلاله على ذلك :

ومن أصول الإيمان لزوم السنة والترغيب في ذلك، وترك البدع والتفرق والاختلاف والتحذير من ذلك ، كما ترجم الشيخ بهذا اللفظ ، ثم استدل بأدلة واضحة على ما ترجم له ، منها قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[5] .

وحديث العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب ، وفيه وإياكم ومحدثات الأمور .

---

[1] سورة النور : ٥٦

[2] سورة الحشر : ٧

[3] أخرجه البخاري ح/١٧/١/٢٥ ، ومسلم ح/٥٣/١/٢٢

[4] بحوث إسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩

[5] سورة الأحزاب : ٢١

راجع أصول الأيمان ، القسم الأول من مؤلفات الشيخ طبعة الجامعة ص ٢٦٢][١].

وفي الفصل العاشر بين الشيخ صالح الأطرم اعتماد الشيخ محمد بن عبدالوهاب على عقيدته في وجوب عداوة أعداء الله من كتاب الله بالأدلة الآتية :

[قال رحمه الله : باب في وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين قول الله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾[٢] وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾[٣] .

وساق رحمه الله نصوصاً كثيرة في هذا الموضوع ، و استدلالاته من هاتين الآيتين واضح في اعتماده على الأدلة][٤] .

وذكر الشيخ صالح الأطرم في الفصل الحادي عشر بأن من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ـ مسائل الجاهلية ـ التي خالف فيها رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلة الكتابيين والأميين ، عما لا غنى للمسلم عن معرفتها ، فالضد يظهر حسنة الضد ، وبضدها تتبين الأشياء ، فأهم ما فيها وأشدها خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ ، فإن أضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية ، لحقت الخسارة ، كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[٥].

---

[١] بحوث إسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص ٣٤٠ .

[٢] سورة النساء : ١٤٠

[٣] سورة الممتحنة : ١

[٤] بحوث إسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص ٣٤١

[٥] سورة العنكبوت : ٥٢

ونقل لك أيها القارئ نموذجاً من هذه المسائل لتتأكد من اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة في جميع مؤلفاته :

المسألة الأولى : أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادتهم لهم ، يريدون بها شفاعتهم عند الله لظنهم أن الله يحب ذلك ، وأن الصالحين يحبونه ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[2] وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول ﷺ ، فأتى بالإخلاص ، وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل ، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص ، وأخبر أن من فعل ما استحسنوا فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار .

وهذه المسألة تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر ، وعندها وقعت العداوة ولأجلها شرع الجهاد كما قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾[3] .

المسألة الثانية : أنهم متفرقون في دينهم ، كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[4] .

---

(1) سورة يونس : ١٨

(2) سورة الزمر : ٣

(3) سورة البقرة : ١٩٣

(4) سورة الروم : ٣٢

المسألة الثالثة : أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له عندهم فضيلة ، والسمع والطاعة له ذل ومهانة .

فخالفهم رسول الله وأمر بالصبر على جور الولاة وأمر بالسمع والطاعة والنصيحة لهم ، وغلظ في ذلك وأبدى فيه وأعاد .

وهذه الثلاث جمع بينها الرسول في الصحيحين أنه قال : إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم [١] .

ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها ، فهذه المسائل الثلاث من مائة وثمان وعشرين مسألة كلها على هذا النمط من حيث الاستدلال بالكتاب والسنة][٢] .

ثم يستمر الشيخ صالح الأطرم في بحثه القيم في بيان اعتماد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في استدلاله على الكتاب والسنة ، حيث ذكر في الفصل الثاني عشر :

[أن من مؤلفات الشيخ رحمه الله ستة موضوعات من السيرة كلها باستناد من الكتاب والسنة ، وأنقل له موضوعاً من هذه الموضوعات ، قال رحمه الله : الموضوع الثاني أنه ﷺ لما قام ينذرهم عن الشرك ، ويأمرهم بضده وهو التوحيد ، لم يكرهوا ذلك ، واستحسنوه ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه إلا أنه لما صرح بنبذ دينهم ، وتجهيل علمائهم حينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة وقالوا :

سفه أحلامنا ، وعاب ديننا ، وسب ألهتنا ، ومعلوم أن الرسول لم يسب عيسى وأمه ولا الملائكة ولا الصالحين ، ولكن لما ذكر أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون جعلوا

---

[١] أخرجه مسلم ح/١٧١٥/٣/١٣٤٠

[٢] بحوث إسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٤

ذلك سباً وشتماً ، فإذا عرفت هذا عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين ، والتصريح لهم بالعداوة والبغض كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[١]][٢] .

ويقول الشيخ صالح الأطرم في الفصل الثالث عشر :

[أن من مؤلفاته رحمه الله ـ تلقين ـ أصول العقيدة للعامة على طريقة السؤال والجواب بالدليل بعد توضيح المعني ، وهذه الرسالة توجد في المجلد الأول قسم العقيدة من مؤلفات الشيخ التي طبعتها الجامعة ص ٣٧٠ ، وهي رسالة عظيمة وقواعد ثابتة لا مدخل للتقليد ولا للاجتهاد بل كل سؤال وجواب مصحوب بالاستدلال وهاك نموذجاً منها :

المثال الأول : أولا قال رحمه الله : إذا قيل لك من ربك ؟ فقل ربي الله ، فإذا قيل لك : ما أكبر ما ترى من مخلوقاته ؟ فقل : السموات والأرض ، فإذا قيل بماذا تعرفه به ؟ فقل : أعرفه بآياته ومخلوقاته ، وإذا قيل لك ما أعظم ما في آياته ؟ فقل : الليل والنهار والدليل على ذلك ، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ

---

[١] سورة المجادلة : ٢٢

[٢] بحوث إسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ٣٤٥

ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] .

المثال الثاني : فإذا قيل لك : لأي شيء خلقك ؟ فقال : لعبادته ، فإذا قيل لك ما الدليل على ذلك ، فقل قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2] .

المثال الثالث : وإذا قيل لك أي شيء فرض أولاً عليكم ؟ فقل : كفر بالطاغوت وإيمان بالله ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3] .

وهكذا استوفى الشيخ رحمه الله الأصول الثلاثة وهي : معرفة الرب ، ومعرفة الإسلام ، ومعرفة النبي محمد ﷺ ، بهذه الطريقة وبطريقة السؤال والجواب ، وبعد قراءتها يتضح لنا أن الشيخ بين دعوته وفقهها للخاص والعام ، وأنها قائمة على الكتاب والسنة][4] .

وبين الشيخ صالح الأطرم في الفصل الرابع عشر بأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قال في معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه :

[أعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن أدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟

---

[1] سورة الأعراف : ٥٤

[2] سورة الذاريات : ٥٦

[3] سورة البقرة : ٢٥٦

[4] بحوث الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ٣٤٦ ـ ٣٤٧

ﵟٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖﵞ[١] ، ثم استمر رحمه الله يشرح معنى الكفر بالطاغوت ـ ومعنى الطاغوت ـ والدليل على كل معني ، ومن شك في هذا الاستدلال فليراجع ص ٣٧٦ من قسم العقيدة من مؤلفاته ، ومؤلفاته ورسائله كثيرة جداً ومصحوبة بالأدلة ، ولعلنا نكتفي منها بهذا المقدار ، وجزى الله من تسبب في جمعها وطبعها خير الجزاء][٢].

وذكر الشيخ صالح الأطرم في الفصل الخامس عشر :

[أن من مؤلفات الشيخ رحمه الله ما أسماه ـ بالكبائر ـ وشمل بذلك كبائر القلوب واللسان والأعمال ، فنص على كل كبيرة بعنوانها ودليلها ، والمراد بها عند جمهور العلماء ما تنقص الإيمان ولا تخرج منه ، وفي الآخرة تحت مشيئة الله ولا يخلد صاحبها في النار ، وإليك الأمثلة من هذه الكبائر لتعرف أن الشيخ رحمه الله يعتمد في مؤلفاته على الكتاب والسنة .

المثال الأول : استدل على وجود الكبائر وأنها غير الشرك الكفر بقوله تعالى : ﵟٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚﵞ[٣] ، وقوله تعالى : ﵟإِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡﵞ[٤] ، فدلت هاتان الآيتان على أن في الذنوب كبائر غير الشرك ، لأن الشرك لا يغفر لصاحبه إن مات عليه .

---

[١] سورة النحل : ٣٦

[٢] بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص ٣٤٨

[٣] سورة النجم : ٣٢

[٤] سورة النساء : ٣١

المثال الثاني : كبائر الأعمال ، قال الشيخ ـ باب أكبر الكبائر ـ ثم استدل بحديث أبي بكر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا : بلى يا رسول الله قال : الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت [1] ودلالة هذا الحديث واضحة على ما عنون له الشيخ وهو أكبر الكبائر .

المثال الثالث : على كبائر القلب ، واستدل رحمه الله بحديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم : إن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولا إلى أجسامكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم [2] وحديث النعمان بن بشير : ألا وأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب [3] .

فدل هذان الحديثان على أن القلب أساس الأعمال والأقوال وأنه مبني على المؤاخذة والمجازاة .

وهكذا استمر الشيخ في بيان الكبائر وجمعها ، وإن دل هذا فإنما يؤكد على أنه كاشف وموضح ما جاء في الكتاب والسنة][4] .

وإن المتتبع لمؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وعامة أئمة الدعوة من بعده ، يجد أنهم يسيرون على ما سار عليه أسلافهم الصالحين ، حيث لا يقدمون أي قول على ما فيه نص من الكتاب والسنة ، ويستدلون في جميع أقوالهم ومؤلفاتهم ودعوتهم بكتاب الله وسنة رسول ﷺ ، بل يجتهدون في ذكر أغلب الأدلة من الكتاب والسنة التي تخص

---

(١) أخرجه البخاري ح/٦٤٧٧/٦/٢٥١٩

(٢) أخرجه مسلم ح/٢٥٦٤/٤/١٩٨٦

(٣) أخرجه البخاري ح/٥٢/١/٢٨ ، ومسلم ح/١٥٩٩/٣/١٢١٩

(٤) بحوث إسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠

موضوع ما يتطرقون إليه ، وقد سار على نهجهم تلاميذهم ، وبعض العلماء داخل هذه البلاد وخارجها .

المبحث الثاني : الأعتماد على أقوال الصحابة والتابعين .

قبل إيراد أمثلة ، ونماذج ، تبين اعتماد أئمة الدعوة ، على أقول الصحابة والتابعين بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أورد ما جاء في إحدى رسائل إمام الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، عن عقيدته في هذه المسألة ، حيث قال :

[أشهد الله ومن حضرني من الملائكة ، وأشهدكم : أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية ، أهل السنة والجماعة] (١)

ولأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب متبع لنهج السلف الصالح وعلى رأسهم الصحابة والتابعين بين أنه متبع لهم ومعتقد ما عتقدوه ، وقال الشيخ في موضع أخر.

[وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم علي المرتضى ، ثم بقية العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان ، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم ، وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ وأذكر محاسنهم ، وأترضى عنهم ، وأستغفر لهم ، وأكف عن مساويهم ، وأسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾(٢) وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء] . (٣)

وفي موضع أخر ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب ما ورد من تهم باطلة جاءت في رسالة بن سحيم زعم فيها أنه مبطل للمذاهب الأربعة ، وقد قال الشيخ في رده :

---

(١) الدرر السنيه ، ج١ ، ص٢٩

(٢) سورة الحشر : ١٠

(٣) الدرر السنيه ، ج١ ، ص ٣٢

[جوابي في هذه المسائل ، أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم] .[1]

إذاً هذه عقيدة إمام الدعوة ولا شك أن العلماء والأئمة من بعده ساروا على نهجه يحبون الصحابة والتابعين ويقدرونهم ويقدمون كلامهم وأقوالهم على أي كلام بعد كتاب الله وسنه رسوله ﷺ وفي رد للشيخ محمد بن عبدالوهاب على بعض من أورد عنه بعض التلفيقات قال :

[غير خاف عليكم ما درج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، والتابعون وأتباعهم والأئمة كالشافعي وأحمد ، وأمثالهما ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم][2] وهنا بين أنهم على الحق وأنه مجمع عليهم .

والشيخ بين ، أن أعتماده على أقوال أهل العلم ، ليس فقط فيما ليس فيه نص من قرآن أو سنة ، بل أنه يفهم النص وفقاً لفهم أهل العلم وعلى رأسهم الصحابة والتابعين ، يقول عليه رحمة الله :

[وتبعت من أتبع الدليل في هذه المسألة من أهل العلم، لم استدل بالقرآن ، أو الحديث وحدي][3] .

ولأهمية الرسالة التي بعثها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عبدالله بن محمد بن عبد اللطيف والتي بين فيها منهجه في الاتباع وما يستند إليه في دعوته وأوضح بما لا يدع للشك فيه مجالاً أنه سار على ما سار عليه ﷺ وأصحابه في الدعوة ، فيرجع إليها ، حيث ذكرت هذه الرسالة في بداية المبحث الأول من هذا الفصل ص ٣٧٧ .

---

(١) الدرر السنيه ، ج١ ، ص ٣٢

(٢) الدرر السنيه ، ج١ ، ص ٣٨

(٣) الدرر السنيه ، ج١ ، ص ٤٤

وفي رسالة أخرى بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب منهجه في أخذ أقوال أهل العلم فيقول :

[إن كانت المسألة إجماعاً ، فلا نزاع ، وإن كانت مسائل اجتهاد ، فمعلومكم أنه لا إنكار في من سلك الاجتهاد ، فمن عمل بمذهبه في محل ولايته ، لا ينكر عليه ، وأنا أشهد الله وملائكته ، وأشهدكم أني على دين الله ورسوله ، وإني متبع لأهل العلم ، غير مخالف لهم ، والسلام][1] .

ورد الشيخ على من ادعى أنه ينكر شفاعة النبي ﷺ بقوله :

[بل نشهد أن رسول الله ﷺ الشافع المشفع ، صاحب المقام المحمود ، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم : أن يشفعه فينا ، وأن يحشرنا تحت لوائه هذا اعتقادنا ، وهذا الذي مشى عليه السلف الصالح ، من المهاجرين والأنصار والتابعين ، وتابع التابعين والأئمة الأربعة رضى الله عنهم أجمعين ، وهم أحب الناس لنبيهم وأعظمهم في اتباع شرعه][2].

بيّن الشيخ أيضاً أن هناك فرقاً بين اتباع أقول الصالحين ولاشك أن على رأسهم الصحابة والتابعين وبين الاعتقاد فيهم وأن محبتهم تقتضي متابعتهم لا الاعتقاد فيهم ، فيقول في رسالة له :

[الذي يعلم من وقف عليه من الإخوان ، المتبعين محمداً ﷺ أن أبن صياح : سألني عما ينسب إلي ؟ فطلب مني : أن أكتب الجواب ، فكتبته :

الحمد لله رب العالمين ، أما بعد : فما ذكره المشركون : على أني أنهى عن الصلاة على النبي ، أو أني أقول : لو أن لي أمراً ، هدمت قبة النبي ﷺ أو أني أتكلم في

---

(١) الدرر السنية ، ج١ ، ص ٥٨

(٢) الدرر السنية ، ج١ ، ص ٦٤

الصالحين ، أو أنهى عن محبتهم ، فكل هذا كذب وبهتان ، افتراه على الشياطين ، الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل ، مثل أولاد شمسان ، وأولاد إدريس ، الذين يأمرون الناس ينذرون لهم ، وينخونهم ، ويندبونهم ، وكذلك فقراء الشيطان : الذين ينتسبون إلى الشيخ عبد القادر رحمه الله ، وهو منهم بريء ، كبراءة على بن أبي طالب من الرافضة .

فلما رأوني آمر الناس بما أمرهم به نبيهم ﷺ أن لا يعبدوا إلا الله ، وأن من دعا عبدالقادر ، فهو كافر ، وعبد القادر منه بريء ، وكذلك من نخا الصالحين ، أو الأنبياء ، أو ندبهم ، أو سجد لهم ، أو نذر لهم ، أو قصدهم بشيء من أنواع العبادة ، التي هي حق الله على العبيد ، وكل إنسان ، يعرف أمر الله ورسوله : لا ينكر هذا الأمر ، بل يقر به ، ويعرفه .

وأما الذي ينكره ، فهو بين أمرين ، إن قال : إن دعوة الصالحين ، واستغاثتهم ، والنذر لهم ، وصيرورة الإنسان فقيراً لهم ، أمر حسن ، ولو ذكر الله ورسوله : أنه كفر ، فهو مصر بتكذيب الله ورسوله ، ولا خفاء في كفره فليس لنا معه كلام .

وإنما كلامنا : مع رجل ، يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويحب ما أحب الله ورسوله ، ويبغض ما أبغض الله ورسوله ، لكنه جاهل ، قد لبست عليه الشياطين دينه ، ويظن : أن الاعتقاد في الصالحين ، حق ولو يدري أنه كفر ، يدخل صاحبه في النار ، ما فعله ، ونحن نبين لهذا ما يوضح له الأمر ، فنقول : الذي يجب على المسلم ، أن يتبع أمر الله ورسوله ، فنقول : الذي يجب على المسلم ، أن يتبع أمر الله ورسوله ، ويسأل عنه ، والله سبحانه : أنزل القرآن ، وذكر فيه ما يحبه ، ويبغضه ، وبين لنا في ديننا ، وأكمل ، وكذلك محمد ﷺ أفضل الأنبياء ، فليس على وجه الأرض أحد أحب إلى أصحابه منه ،

وهم يحبونه على أنفسهم ، وأولادهم ، ويعرفون قدره ، ويعرفون أيضاً : الشرك ، والإيمان .

فإن كان أحد من المسلمين في زمن النبي ﷺ قد دعاه ، أو نذر له ، أو ندبه ، أو أحد من أصحابه جاء عند قبره بعد موته يسأله ، أو يندبه ، أو يدخل عليه للألتجاء له عند القبر ، فاعرف أن هذا أمر صحيح حسن ، ولا تطعني ، ولا غيري .

وإن كان إذا سألت وجدت أنه : ﷺ تبرأ ممن اعتقد في الأنبياء ، والصالحين ، وقتلهم ، وسباهم ، وأولادهم ، وأخذ أموالهم ، وحكم بكفرهم ، فاعرف : أن النبي ﷺ لا يقول إلا الحق ولا يأمر إلا بالحق ، والواجب على كل مؤمن : اتباعه فيما جاء به .

وبالجملة : فالذي أنكره : الاعتقاد في غير الله ، مما لا يجوز لغيره ، فإن كنت قلته من عندي ، فارم به ، أو من كتاب لقيته ، ليس عليه عمل ، فارم به ، كذلك ، أو نقلته عن أهل مذهبي ، فارم به ، وإن كنت قلته ، عن أمر الله ورسوله ، وعما أجمع عليه العلماء في كل مذهب ، فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر : أن يعرض عنه ، لأجل أهل زمانه ، أو أهل بلده ، وأن أكثر الناس في زمانه أعرضوا عنه .

واعلم : أن الأدلة على هذا ، من كلام الله ، وكلام رسوله ، كثيرة ، لكن : أنا أمثل لك بدليل واحد ، ينبهك على غيره ، قال الله تعالى : ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[1] ، ذكر المفسرون في تفسيرها : أن جماعة كانوا يعتقدون في عيسى ، عليه السلام ، وعزير ، فقال تعالى : هؤلاء عبيدي ، كما أنتم عبيدي ، ويرجون رحمتي ، كما ترجون رحمتي ، ويخافون عذابي ، كما تخافون عذابي .

---

(١) سورة الإسراء : ٥٦-٥٧

فيا عباد الله : تفكروا في كلام ربكم ، تبارك وتعالى ، إذا كان ذكر عن الكفار ، الذي قاتلهم رسول الله ﷺ : أن دينهم الذي كفرهم به ، هو : الاعتقاد في الصالحين ، وإلا فالكفار : يخافون الله ، ويرجونه ، ويحجون ، ويتصدقون ، ولكنهم : كفروا بالاعتقاد في الصالحين ، وهم يقولون : إنما اعتقدنا فيهم ، ليقربونا إلى الله زلفى ، ويشفعوا لنا ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾[2] .

فيا عباد الله : إذا كان الله ذكر في كتابه ، أن دين الكفار ، هو : الاعتقاد في الصالحين ، وذكر أنهم اعتقدوا فيهم ، ودعوهم ، وندبوهم ، لأجل أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، هل بعد هذا البيان ، بيان ؟ فإذا كان من اعتقد في عيسى ابن مريم ، مع أنه نبي من الأنبياء ، وندبه ونخاه[3] فقد كفر ، فكيف بمن يعتدقون في الشياطين ، كالكلب : أبي حديدة ، وعثمان ، الذي في الوادي ، والكلاب الأُخر في الخرج ، وغيرهم في سائر البلدان ، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ؟! .

وأنت يا من هداه الله : لا تظن أن هؤلاء يحبون الصالحين ، بل هؤلاء أعداء الصالحين ، وأنت والله : الذي تحب الصالحين ، لأن : من أحب قوماً أطاعهم ، فمن أحب الصالحين ، وأطاعهم ، لم يعتقد إلا في الله ، وأما من عصاهم ودعاهم يزعم أنه يحبهم ، فهو مثل النصارى ، الذين يدعون عيسى ، ويزعمون محبته ، وهو بريء منهم ، ومثل الرافضة : الذين يدعون علي بن أبي طالب ، وهو بريء منهم .

---

[1] سورة الزمر : ٣

[2] سورة يونس : ١٨

[3] ندبه ، أي استغاث به

ونختم هذا الكتاب ، بكلمة واحدة ، وهي ، أن أقول يا عباد الله ، لا تطيعوني ، ولا تفكروا ، واسألوا أهل العلم من كل مذهب ، عما قال الله ورسوله ، وأنا أنصحكم : لا تظنوا أن الاعتقاد في الصالحين ، مثل الزنا ، والسرقة ، بل هو عبادة للأصنام ، من فعله كفر ، وتبرأ منه رسول الله ﷺ ، يا عباد الله : تفكروا وتذكروا ، والسلام][1] .

وفي موضع أخر بيّن الشيخ عقيدته ومنهجه يقول :

[وأخبرتك أني - ولله الحمد - متبع ، لست بمبتدع ، عقيدتي وديني الذي أدين الله به ، هو : مذهب أهل السنة والجماعة ، الذي عليه أئمة المسلمين ، مثل الأئمة الأربعة ، وأتباعهم ، إلى يوم القيامة][2] .

وفي موضوع آخر يقول الشيخ :

[وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد ، فنحن مقلدون الكتاب والسنة ، وصالح سلف الأمة ، ومن عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة][3] .

وقد أرود الشيخ محمد بن عبد الوهاب أصولاً ستة للدلالة على قدرة الله منها الأصل الرابع :

[بيان العلم والعلماء ، والفقه والفقهاء ، وبيان من تشبه بهم ، وليس منهم ، وقد بين الله هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾[4] إلى قوله قبل ذكر إبراهيم : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ ﴾[5] كالآية

---

(1) الدرر السنية ، ج ١ ، ص٧٤ - ٧٨

(2) الدرر السنية ، ج١ ، ص ٧٩

(3) الدرر السنية ، ج١ ، ص ٩٦

(4) سورة البقرة : ٤٠

(5) سورة البقرة : ١٢٢

الأولى ، ويزيده وضوحاً : ما صرحت به السنة في هذا من الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد ؟ ثم صار هذا أغرب الأشياء ! وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات ، وخيار ما عندهم : لبس الحق بالباطل ! وصار العلم الذي فرضه الله على الخلق ، ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون ! وصار من أنكره وعاداه وجد في التحذير عنه ، والنهي عنه ، هو الفقيه العالم !!](١) .

وكذلك في رسالة أخرى يقرر أبناء الشيخ رحمه الله والشيخ حمد بن ناصر منهجهم وأعتمادهم على مذهب أهل السنة والجماعة حيث يقولون :

[سئل : أبناء الشيخ ، محمدبن عبد الوهاب ، وحمد بن ناصر ، رحمهم الله تعالى ، هل عندكم : أنه ما يلبث موحد في النار ، أم لا ؟

فأجابوا : الذي نعتقده ديناً ، ونرضاه لإخواننا المسلمين ، مذهباً ، أن الله تبارك وتعالى لا يخلد أحداً فيها من أهل التوحيد ، كما تظاهرت عليه الأدلة ، من الكتاب والسنة ، وإجماع الامة ، وقال الشيخ : تقي الدين ، أبو العباس ابن تيمية ، رحمه الله : تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ : بأنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وفي قلبه من الإيمان ما يزن شعيرة وفي لفظ ذرة ولكنها جاءات مقيدة بالقيود الثقال ، كقوله : من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه وفي رواية صادقاً من قبله (٢) انتهى .

وهذا : هو مذهب أهل السنة والجماعة ، من أصحاب رسول الله ﷺ ومن اتبعهم بإحسان ، من سلف الأمة وأئمتها ، ولا يخالف في ذلك إلا الخوارج ، والمعتزلة القائلين

---

(١) الدرر السنية ، ج١ ، ص١٧٣

(٢) أخرجه البخاري ح/٢٤/١/٤٤ ، ومسلم ح/١٨٢/١/١٩٣

بتخليد أهل الكبائر في النار . والجواب : عن الآيات التي احتجوا بها : تحتاج إلى بسط طويل][1].

وفي موضوع آخر يعتمد أبناء الشيخ رحمه الله والشيخ حمد بن ناصر في ردهم ونهجهم في إحدى المسائل على قول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب حيث يقولون :

[ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة ، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن وذمة ، ووقع فيه وأقره ، ودعا إليه ، وصوبه وحسنه ، وهو لا يعرف : أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية ، أو نظيره ، أو شر منه ، أو دونه ، فتنقض بذلك عرى الإسلام ، ويعود المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والبدعة سنة ، والسنة بدعة ، ويُبَدع الرجل بتجريد التوحيد ، ومتابعة الرسول ، ومفارقة أهل الهوى والبدع][2].

والشيخ حمد بن ناصر وأبناء الشيخ حسين وعبدالله في بيانهم بأن ارتكاب الكبائر لا تخرج من الملة احتجوا بقول أهل السنة والجماعة حيث يقولون :

[واحتج أهل السنة والجماعة على ذلك بحجج كثيرة ، من الكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة ، والتابعين ، فمن ذلك : ما رواه محمد بن نصر المروزي ، الإمام المشهور ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، حدثنا أبي ، عن الفضيل ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، أنه سئل عن قول النبي ﷺ : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن [3] فقال أبو جعفر : هذا الإسلام ، ودور دائرة واسعة ، وهذا الإيمان ،

---

(1) الدرر السنية ، ج١ ص ١٩٤

(2) الدرر السنية ، ج١ ، ص١٩٨

(3) أخرجه البخاري ح/٨٧٥/٢/٢٣٤٣ ، ومسلم ح/٧٦/١/٥٧

ودور دائـرة صـغيرة ، فـي وسـط الكـبيرة ، فـإذا زنى أو سـرق : خـرج مـن الإيمـان إلى الإسلام ، ولا يخرج من الإسلام إلا الكفر بالله] أنتهى[١].

وأبـناء الشـيخ حسـين وعبدالـله يقـررون أيضـاً فـي هـذا الموضـوع عقيدتهـم ومـنها اعتمادهم على أقوال الصحابة والتابعين حيث أنه عندما سئل عن عقيدة الشيخ رحمه الله تعالى في العمل في العبادة ؟ .

[فأجابا : عقيدة الشيخ . رحمه الله تعالى . التي يدين الله بها ، هي : عقيدتنا ، وديننا الذي ندين الله به ، وهو : عقيدة سلف الأمة وأئمتها ، من الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، وهو اتباع ما دل عليه الدليل من كتاب الله تعالى ، وسنة رسول الله ﷺ وعرض أقوال العلماء على ذلك ، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله قبلناه وأفتينا به ، وما خالف ذلك رددناه على قائله .

وهذا : هو الأصل الذي أوصانا الله به في كتابه ، حيث قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾[٢] أجمع المفسرون على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه ، وأن الرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته ، وإلى سنته بعد وفاته ، والأدلة على هذا الأصل كثيرة في الكتاب والسنة ، ليس هذا موضع بسطها .

وإذا تفقه الرجل في مذهب من المذاهب الأربعة ، ثم رأى حديثاً يخالف مذهبه ، فاتبع الدليل ، وترك مذهبه ، كان هذا مستحباً ، بل واجباً عليه إذا تبين له الدليل ،

---

(١) الدرر السنية ، ج١ ، ص ٢٠٢

(٢) سورة النساء : ٥٩

ولا يكون مخالفاً لإمامه الذي أتبعه ، فإن الأئمة كلهم متفقون على هذا الأصل، أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال الإمام مالك رحمه الله : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله ﷺ وقال الشافعي رحمه الله لأصحابه : إذا صح الحديث عندكم فاضربوا بقولي الحائط ، وفي لفظ : إذا صح الحديث فهو مذهبي . وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ، يذهبون إلى رأى سفيان ، والله تعالى يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١] ، أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله ، أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك . وقال لبعض أصحابه : لا تلقدوني ، ولا تلقدوا مالكاً ولا الشافعي ، وتعلَموا كما تعلَمنا . وكلام الأئمة في هذا كثير جداً مبسوط في غير هذا الموضع .

وأما إذا لم يكن عند الرجل دليل في المسألة ، يخالف القول الذي نص عليه العلماء ، أصحاب المذاهب ، فنرجوا أنه يجوز العمل به ، لأن رأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا ، وهم إنما أخذوا الأدلة من أقوال الصحابة فمن بعدهم ، ولكن : لا ينبغي الجزم بأن هذا شرع الله ورسوله ﷺ ، حتى يتبين الدليل الذي لا معارض له في المسالة ، وهذا عمل سلف الأمة وأئمتها ، قديماً وحديثاً ، والذي ننكر ، هو التعصب للمذهب ، وترك اتباع الدليل ، إذا تبين هذا ، فهذا الذي أنكرناه ، وأنكره العلماء في القديم ، والحديث ، والله أعلم][٢] .

---

(١) سورة النور : ٦٣

(٢) الدرر السنية ، ج١ ، ص ٢١٩ ـ ٢٢١

وقال الأمام والعالم عبد العزيز بن سعود يدافع عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب :

[وقام على الناس : بالأدلة من الكتاب والسنة ، وإجماع صالح سلف الأمة ، الذين قال فيهم صلاة الله وسلامه عليه : عليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة [1] وفي الحديث الثاني : قال ﷺ : تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك [2] وفي الحديث الثالث : كل ما ليس عليه أمرنا فهو رد [3] والأحاديث في هذا النوع ما يمكن حصرها ، ولكن نذكر هذا على سبيل التنبيه][4] .

وقال الإمام سعود بن عبد العزيز وهو أحد العلماء في رده على من جعل للحجر الأسود شأناً غير شأنه نقلاً عن ابن القيم :

[ولهذا : أنكر السلف التمسح بحجر المقام ، الذي أمر الله أن يتخذ مصلى ، كما ذكره الأزرقي في كتاب مكة ، عن قتادة ، في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[5] قال : إنما أمروا أن يصلوا عنده ، ولم يؤمروا بمسحه ، ولقد تكلفت هذه

---

[1] سبق تخريجه في صفحة : ٣٨٣

[2] أخرجه الإمام أحمد : ح/١٢٦/٤/٧١١٨٢

[3] أخرجه مسلم : ح/١٣٤٣/٣/١٧١٨

[4] الدرر السنية ، ج١ ، ص٢٨٠

[5] سورة البقرة : ١٢٥

الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم ، ذكر لنا : من رأى أثره ، وأصابعه ، فما زالت هذه الأمة تمسحه ، حتى اخلولق] انتهى[1].

وفي موضوع أخر بين الأمام سعود بن عبد العزيز أن أهل السنة والجماعة هم أتباع الرسول ﷺ ، حيث قال :

[فأهل السنة والجماعة : هم أتباع رسول الله ﷺ ، في كل زمان ، ومكان ، وهم : الفرقة الناجية ، كالصحابة ، والتابعين ، والأئمة الأربعة ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة ، وقد بعث الله جميع رسله بتوحيده ، ورفع مناره ، وطمس الشرك ، ومحو آثاره ، ومن أعظم الشرك والضلال : ما وقع في هذه الأمة ، من البناء على القبور ، ومخاطبة أصحابها بقضاء الأمور ، وصرف : كثير لها من العبادات ، والنذور ، فهذا النبي ﷺ هل تجد في عصره ، بناء على قبر صالح؟ أو ولي ؟ أو شهيد ؟ أو نبي ؟ بل : نهى عن البناء على القبور ، كما ثبت في صحيح مسلم وغيره .

وكذلك : أصحابه من بعده ، فتحوا الشام ، والعراق ، وغالب أقطار الأرض ، فهل : تجدون أحداً منهم بني على قبر أو دعاه ، أو استغاث به ؟ أو نذرله ؟ أو ذبح له ؟ أو وقف عليه وقفاً ؟ أو اسرج عليه ؟ بل : ثبت عنه ﷺ النهي عن ذلك ، والتغليظ فيه ، ولعن من فعله ، كما ثبت عنه أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أن لا يدع تمثالاً إلا طمسه ، ولا قبراً إلا سواه ، رواه مسلم ، وكذلك لم يكن أحد من الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، يقول إذا نزلت بهم ترة ، أو عرضت له حاجة ـ لميت ، يا سيدي : فلان ، أنا في حسبك ، أو اقض حاجتي ، كما يقوله بعض هؤلاء المشركين ، لمن يدعونهم ، من الموتى ، والغائبين ، ولا أحد من الصحابة : استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ، ولا بغيره من

---

[1] الدرر السنية ، ج١ ، ص٢٩٨

الأنبياء لا عند قبورهم ، ولا إذا بعدوا عنها ، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ، ولا الصلاة عندها .

بل : لما قحط الناس ، في زمان عمر بن الخطاب ، استسقى بالعباس ، وتوسل بدعائه ، وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك ، إذا أجدبنا بنبينا ، فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ، فاسقنا ، فيسقون ، فهذا : توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته ، في حياته ، لهذا : توسلوا بعد وفاته بدعاء العباس ، وهذا كله : تحقيق لما بعث الله به رسوله ﷺ من إخلاص العبادة ، بجميع أنواعها لله وحده ، الذي هو حقيقة معني : لا إله إلا الله ، فإن الله إنما أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، ليعبد وحده ، ولا يدعى معه إله آخر ، لا دعاء عبادة ، ولا دعاء مسألة ، وقد قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[2] فاتخاذ الأحبار والرهبان : أرباباً ، هو من فعل اليهود ، والنصارى .

وقال غير واحد من العلماء : إن من أسباب الكفر ، والشرك ، الغلو في الصالحين ، كعبد القادر ، وأمثاله ، بل : الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، بل الغلو في الأنبياء ، كالمسيح ، وغيره ، فمن غلا في نبي ، أو ولي ، أو جعل فيه نوعاً من الإليهة ، مثل أن يقول : يا سيدي فلان ، أغثني ، أو أنصرني ، أو أنا في حسبك ، فكل هذا : شرك وضلال ، يستتاب صاحبه ، فإنه تاب وإلا قتل .

---

[1] سورة النساء : ١٧١

[2] سورة التوبة : ٣١

قال : أبن القيم رحمه الله ، في شرح : المنازل ، ومن أنواع الشرك : طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجه إليهم ، وهذا : أصل شرك العالم ـ إلى أن قال ـ وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر ، إلا من جرد التوحيد لله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم إلى الله ، قال : وما أعز من تخلص من هذا ، بل : ما أعز من لا يعادي من أنكره](١) .

ومع محبة أئمة الدعوة للصحابة والتابعين إلا أنهم حذروا من الغلو فيهم فمثلاً أنكروا على الروافض ادعائهم لعلي ابن أبي طالب بحق لم يثبت عن الله ولا عن رسوله قال : الشيخ عبد الرحمن بن حسن في رده على السائل الذي سئل عن حديث : أنا مدينة العلم ، وعلي بابها ؟ .

[فأجاب : الذي وقفنا عليه ، من كلام أهل العلم : ذكر شيخ الإسلام في منهاج السنة ، أن أبن الجوزي : ذكره في الموضوعات ، وما علمت أن أحداً من العلماء خالف ابن الجوزي في ذلك ، إلا أن الحاكم ذكره في المستدرك ، وذكره لهذا الحديث مما عيب عليه .

وهذا الحديث يلزم عليه : أن تكون السنن التي صدرت عن رسول الله ﷺ أنها تصدر منه إلى علي ، ومن علي إلى الصحابة ، والواقع خلاف ذلك فقد تلقى الصحابة رضي الله عنهم أحاديث النبي ﷺ بلا واسطة علي ، فمقل ومستكثر ، وليس علي رضي الله عنه من المثكرين عنه ، وقد سئل علي رضي الله عنه ، فقيل له : هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء ؟ فقال : لا ، إلا هذه الصحيفة ، وفيها العقل ، وهذا مما يبين قوة قول ابن الجوزي ، وحكمه على الحديث بالوضع .

(١) الدرر السنية ، ج١ ، ص٣٠٥ ـ ٣٠٧

وقال في الدرر المنتثرة ، في الأحاديث المشتهرة ، حديث أنا مدينة العلم إلى آخره ، وقال منكر ، و أنكره البخاري أيضاً ، وذكره الحاكم في مستدركه ، من حديث ابن عباس ، وقال : صحيح ، قال الذهبي : بل موضوع ، وقال أبو زرعة : كم خلق افتضحوا فيه ، وقال يحيي بن معين : لا أصل له ، وكذا قال أبو حاتم ، ويحي بن سعيد ، قال الدراقطني : غير ثابت ، وقال ابن دقيق العيد لم يثبتوه ، هذا ما وقفنا عليه من كلام الحفاظ ، والله أعلم][1].

وفي موضوع أخر يقول الشيخ حسن بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب في فضل الصحابة :

[وأفضل : الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر ، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر ، وعلي بعد عثمان ، ووقف قوم على عثمان ، وهم خلفاء راشدون ، مهديون ، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة ، خير الناس ، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ، ولا نقص ، فمن فعل ذلك ، فقد وجب على السلطان تأديبه ، وليس له أن يعفو عنه ، بل يعقابه ، ويستتيبه ، فإن تاب قبل منه ، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة ، وخلده في الحبس حتى يتوب ، أو يرجع] إلى أن قال :

[والذي أعتقده ، وأدين الله به ، وأشهد الله عليه وملائكته ، والواقف عليه ، هذا ، وهو المذهب الصحيح ، الذي درج عليه السلف الصالحون ، والخلف التابعون ، وأبرأ إلى الله مما سواه ، ولا إله إلا الله ، عدة للقاه ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وصحبه ، ورضى عنهم أجمعين][2] .

---

[1] الدرر السنية ، ج١ ، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١

[2] الدرر السنية ، ج١ ، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٥

وقال الشيخ اسحاق بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله معتمداً على قول الصحابة :

[والصحابة كفروا من منع الزكاة وقاتلوهم][1] ، وهذا أيضاً دليل على اعتمادهم على أقوال الصحابة فيما لم يرد فيه نص من قرآن أو سنة .

وفي رسالة من حسين ، وعبدالله ، إبني الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى محمد بن أحمد الحفظي قالا :

[واعتمد في هذا الأصل ، على كتاب الله ، الذي أنزله تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمؤمنين ، وعلى ما كان عليه السلف الصالح ، من أصحابه ، والتابعين لهم بإحسان ، ولا تغتر بما حدث بعدهم ، من البدع المضلة ، في أصول الدين وفروعه ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[2]][3] .

وفي رسالة للإمام فيصل بن تركي بن سعود يقول :

[ومن تدبر سيرة النبي ﷺ قبل هجرته ، وبعدها ، وما كان عليه الصحابة ، والتابعون ، وأتباعهم ، والأئمة ، عرف : حقيقة دين الإسلام ، الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه ، وتبين له : كثرة المنحرفين عنه ، في هذه الأزمنة ، وقبلها ، فإن الأمة بعد القرون الثلاثة : افترقت على ثلاث وسبعين فرقة ، وذلك بعد ظهور دول الأعاجم ،

---

[1] الدرر السنية ، ج١ ، ص٥٢٤
[2] سورة الأنعام : ١٥٣
[3] الدرر السنية ، ج٢ ، ص١٥٦

والقرامطة في المشرق ، وبني عبيد القداح ، في مصر والمغرب ، وظهرت الفلسفة ، وغيرها ، من أصول البدع ، وظهر الشرك](١) .

وقد استشهد الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن ابابطين رحمه الله بقول السلف حيث قال :

[وكلام السلف : في تكفيرهم ، وتضليلهم ، موجود مشهور ، لا نطيل بذكره ، فمن أقل ما قيل فيهم ، قول : محمد بن إدريس ، الشافعي ، حكمي في أهل الكلام : أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في العشائر ، والقبائل ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، واقبل على علم الكلام](٢) .

وفي الرد على بعض الأسئلة أجاب أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ حمد بن ناصر بما يفيد اعتمادهم على أقوال السلف الصالح وعلى رأسهم الصحابة والتابعين .

[وقال السائل ، ايضاً : السنوسي المغربي ، مصنف السنوسية ، هو من أئمة أهل السنة والجماعة ، وتكلم بالسنوسية المعروفة بعلم الصفات ، فهل تنقمون عليه شيئا من ذلك ؟ الخ .

الجواب : السنوسي ليس من أئمة السنة والجماعة ، فإن أهل السنة والجماعة ، هم الذين نعتهم النبي ﷺ لما ذكر : أن بني إسرائيل افترقت على ثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة . قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم واصحابي (٣) والسنوسي المذكور ، صنف كتابه : أم البراهين ، على مذهب الأشاعرة ، وفيها أشياء كثيرة مخالفة

---

(١) الدرر السنية ، ج٢ ، ص ٢٨٣
(٢) الدرر السنية ، ج٢ ، ص٣٣٤
(٣) سبق تخريجه في صفحة : ٣٩٦

لما عليه أهل السنة ، فإن الأشاعرة ، قد خالفوا ما عليه السلف الصالح في مسائل : منها مسألة العلو ، ومسألة الصفات ، ومسألة الحرف والصوت .

فالسلف ، والأئمة يصفون الله بما وصف به نفسه ، في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل ، بل يثبتون ما أثبت لنفسه من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، ويعلمون أنه ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فإنه كما أن ذاته ليست كالذوات المخلوقات ، فصفاته ليست كالصفات المخلوقات ، بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال ، منزه عن كل نقص وعيب ، فهم متفقون على أن الله فوق سماواته ، على عرشه ، بائن من خلقه ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته .

وقد قال مالك بن أنس : إن الله في السماء ، وعلمه في كل مكان ، وقالوا لعبدالله ابن المبارك : بماذا نعرف ربنا ؟ قال : بأنه فوق سماواته ، على عرشه ، بائن من خلقه ، وقال أحمد بن حنبل كما قال هذا ، وهذا ، وقال الشافعي : خلافة أبي بكر حق ، قضاها الله فوق سماواته ، وجمع عليها قلوب أوليائه ، وقال الأوزاعي : كنا والتابعون متوافرون ، نقول بأن الله فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته .

والسنوسي : قد خالف أئمة السنة ، في هذه المسألة ، وعبارته في أم البراهين ، قال : ومما تستحيل في صفته تعالى : عشرون صفة ، فذكر منها ، وأن يكون في جهة ، قال الشارح لها ، وهو محمدبن عمر التلمساني ، هذا أيضاً ، من أنواع المماثلة المستحيلة ، وهي : كونه تعالى في جهة ، فلا يقال : إنه تعالى فوق العرش ، فقد تبين لك مخالفته السلف الصالح ، ومنها : مسألة الصفات ، فإن السنوسي أثبت الصفات السبع ، فقط .

وأما أهل السنة والجماعة : فيصفون الله بجميع ما وصف به نفسه كما يليق بجلاله وعظمته ، فيثبتون النزول ، كما وردت بذلك السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ أنه قال : ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل [١] الخ ، ويثبتون صفة اليدين ، كما يليق بجلاله وعظمته ، وكذلك الضحك الذي وردت به السنة ، والتعجب والغضب ، والرضى ، والقبضتان ، والأصابع ، فيصفون الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، ولا يفهمون من جميع ذلك ، إلا ما يليق بالله وعظمته ، لا ما يليق بالمخلوقات ، من الأعضاء ، والجوارح ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

فيحصل بذلك : إثبات ما وصف به نفسه في كتابه ، وفي سنة رسوله ﷺ : وفي سنة رسوله ﷺ ، ويحصل أيضاً : نفي التشبيه ، والتكييف في صفاته ، ويحصل أيضاً : ترك التأويل ، والتحريف ، المؤدي إلى التعطيل ، ويحصل أيضاً : إثبات الصفات على ما يليق بجلال الله وعظمته ، لا على ما نعقله نحن من صفات المخلوقين ، وأما الأشاعرة : فيؤلون النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ، فيؤلون الإستواء ، بالأستيلاء ، والنزول ، بنزول الأمر ، واليدين ، بالقدرتين ، والنعمتين ، والقدم ، بقدم صدق ، وأمثال ذلك .

وأما أهل السنة والجماعة، فيصفون الله بهذه الصفات ، وغيرها ، مما وصف به نفسه ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يكيفون ، ولا يشبهون ، والكلام عندهم في الصفات ، فرع على الكلام في الذات ، فكما أن ذاته لا تشبه ذوات خلقه ، فكذلك صفاته لا تشبه صفات خلقه ، فإذا ثبت وصفه تعالى بالصفات السبع ، على ما يليق بجلاله ، فكذلك باقي الصفات .

---

[١] أخرجه البخاري : ح/١٠٩٤/١/٣٨٤ ، ومسلم : ح/٧٥٨/١/٥٢١

وأما : مسألة الحرف ، والصوت ، فتساق هذا المساق ، فإن الله تعالى : قد تكلم بالقرآن المجيد ، وبجميع حروفه ، فقال : (الم) وقال : (المص) وقال : (ق) وكذلك جاء في الحديث : فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد ، كما يسمعه من قرب [١] وفي الحديث : (لا أقول (الم) حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف [٢] فهؤلاء ، أي : الأشاعرة ، ما فهموا من كلام الله ، إلا ما فهموا من كلام المخلوقين ، فقالوا ، إذا قلنا بالحرف ، أدى ذلك على القول بالجوارح ، واللهوات ، وكذلك : إذا قلنا بالصوت ، أدى ذلك إلى الحلق ، والحنجرة ، عملوا في هذا من التخبيط ، كما عملوا فيما تقدم من الصفات .

والتحقيق هو : أن الله تكلم بالحروف ، كما يليق بجلاله وعظمته ، فإنه قادر ، لا يحتاج إلى جوارح ، ولا إلى لهوات ، وكذلك : له صوت كما يليق به ، يسمع ، ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس ، إلى الحلق والحنجرة ، كلام الله يليق به ، وصوته كما يليق به ، ولا ننفي الحروف والصوت عن كلامه، لافتقارهما هنا إلى الجوارح ، واللهوات ، فإنهما في جناب الحق : لا يفتقران إلى ذلك ، وهذا ينشرح الصدر له ، ويستريح الإنسان به ، من التعسف والتكلف ، لا قوله : هذا عبارة عن ذلك .

فإن قيل : هذا الذي يقرأ القارىء ، هو عين قراءة الله ، وعين تكلمه به هو ؟

قلنا : لا ، بل القارىء يؤدي كلام الله ، والكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدياً ، لا إلى من قاله مؤدياً مبلغاً ، ولفظ القارىء في غير القرآن مخلوق ، وفي غير القرآن : لا يتميز اللفظ المؤدي ، عن الكلام المؤدى عنه ، ولهذا منع السلف ، عن قول : لفظي بالقرآن مخلوق ، لأنه يتميز ، كما منعوا عن قول : لفظي بالقرآن غير مخلوق ، فإن لفظ

---

[١] أخرجه البخاري تعليقاً عبدالله بن مسعود ٢٧١٩/٦، والإمام أحمد ح١٦٠٨٥/٣/٤٩٥

[٢] أخرجه الترمذي : ح/٢٩١٠/٥/١٧٥ ، وقال حسن صحيح غريب .

العبد في غير التلاوة مخلوق ، وفي التلاوة مسكوت عنه ، لئلا يؤدي الكلام في ذلك إلى القول بخلق القرآن ، وأما : ما أمر السلف بالسكوت عنه ، فيجب السكوت عنه ، أنتهى من قول : بعض مشائخ الإسلام][1] .

وعندما سئل الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هل يتأكد الأخذ بالإجماع السكوتي عن الصحابة رضي الله عنهم ..؟ أجاب :

[الذي عليه أكثر الفقهاء ، من الحنيفة ، والمالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، أن الأمر إذا اشتهر بين الصحابة رضي الله عنهم ، فلم ينكره منهم أحد ، كان إجماعاً، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد خيرهم أصحاب محمد ﷺ فاختارهم لصحبة نبيه ﷺ فما رأه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، أنتهى .

وباتباع السلف الصالح ، والأخذ بهديهم وسلوك طريقتهم ، والسكوت عما سكتوا عنه يزول عن المؤمن شبهات كثيرة ، وبدع وضلالات شهيرة ، أحدثها المتأخرون بعدهم ، كالكلام في تأويل آيات الصفات ، وأحاديثها، بالتأويلات المستكرهة ، التي لم تعهد عن الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، فإنهم سكتوا عن تفسير ذلك ، بالتأويلات الباطلة ، وقالوا : أمروها كما جاءت .

وقال : بعضهم في صفة الاستواء ، لما سأله سائل عن قوله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[2] كيف استوى ؟ قال : الأستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، كما تواتر ذلك عن الإمام مالك رحمه الله ، وما أجاب به

---

[1] الدرر السنية ، ج٣ ، ص ٢٣ ـ ٢٨

[2] سورة طه : ٥

مالك رحمه الله في هذه المسألة ، هو جواب أهل السنة والجماعة ، في آيات الصفات وأحاديثها ، فيقال في النزول : النزول معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وهكذا يقال في سائر الصفات ، مثل المجيء ، واليد والوجه ، والمحبة ، والغضب والرضا ، وغير ذلك من الصفات الواردة في الكتاب والسنة .

وما أحسن ما جاء عن عبد العزيزبن عبدالله بن أبي سلمة ، الماجشون ، أنه قال : عليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة ، فإن السنة إنما جعلت ليستن بها ، ويقتصر عليها ، وإن سنة من قدم ، قد علم ما في خلافها من الزلل، والخطأ ، والحمق ، والتعمق ، فارض لنفسك ما رضوا به ، فإنهم عن علم وقفوا ، وببصر نافد كفوا ، وهم كانوا على كشفها أقوى ، وبتفصيلها أحرى ، وإنهم لهم السابقون ، وقد بلغهم عن نبيهم ما يجري من الاختلاف ، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه ، لقد سبقتموهم إليه ، ولئن قلتم حدث بعدهم ، فما أحدث ، إلا من اتبع غير سبيلهم ، ورغب بنفسه عنهم ، وأختار ما نحته فكره ، على ما تلقوه من نبيهم ، وتلقاه عنهم ، من اتبعهم بإحسان ، ولقد وصفوا منه ما يكفي ، وتكلموا فيه بما يشفي ، فمن دونهم مقصر، ومن فوقهم مفرط ، ولقد قصر دونهم أناس فجفوا ، وطمح آخرون فغلوا ، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم][1] .

وللشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب رسالة تفيد اعتمادهم على الصحابة والتابعين حيث قال في الرسالة :

[الحمد لله رب العالمين ، الجواب ـ وبالله التوفيق ـ عن المبحث الأول عن آيات الصفات ، وأحاديثها ، التي اختلف فيها علماء الإسلام ، فنقول : الذي نعتقد وندين الله به ، هو مذهب سلف الأمة وأئمتها ، من الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، من الأئمة

---

(١) الدرر السنية ، ج٣ ، ص ٣١ ـ ٣٣

الأربعة ، وأصحابهم ، رضي الله عنهم أجمعين ، وهو : الإيمان بذلك ، والإقرار به وإمراره كما جاء ، من غير تشبيه ، ولا تمثيل ، ولا تعطيل ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾(١) .

وقد شهد الله تعالى لأصحاب نبيه ﷺ ومن تبعهم بإحسان بالإيمان ، فعلم قطعاً أنهم المراد بالآية الكريمة ، فقال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

فثبت بالكتاب لهم : أن من اتبع سبيلهم فهو على الحق ، ومن خالفهم فهو على الباطل ، فمن سبيلهم في الاعتقاد : الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه ، وسمى بها نفسه في كتابه وتنزيله ، أو على لسان رسوله ﷺ ، من غير زيادة عليها ، ولا نقصان منها ، ولا تجاوز لها ، ولا تفسير ، ولا تشبيه بصفات المخلوقين ، ولا سمات المحدثين ، بل أقروها كما جاءت ، وردوا علمها إلى قائلها ، ومعناها إلى المتكلم بها ، صادق لا شك في صدقة ، فصدقوه ولم يعلموا حقيقة معناها ، فسكتوا عما لم يعلموه ، وأخذ ذلك الآخرعن الأول ، ووصى بعضهم بعضاً بحسن الاتباع ، والوقوف حيث وقف أولهم وحذروا من التجاوز لها والعدل عن طريقهم ، وبينوا لنا سبيلهم ، ومذهبهم ، وحذرونا من اتباع طريق أهل البدع والاختلاف ، والمحدثات الذين قال الله

---

(١) سورة النساء : ١١٥

(٢) سورة التوبة : ١٠٠

(٣) سورة الفتح : ١٨

فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2]

ونرجوا أن يجعلنا الله تعالى ممن يقتدي بهم ، في بيان ما بينوه ، وسلوك الطريق الذي سلكوه .

والدليل على أن مذهبهم ما ذكرنا : أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم ، وأخبار رسول الله ﷺ نقل مصدق لها مؤمن بها ، قابل لها غير مرتاب فيها ، ولا شاك في صدق قائلها ، ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها ، ولا تأولوه ، ولا شبهوه بصفات المخلوقين ، إذ لو فعلوا شيئاً من ذلك لنقل عنهم ، بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا : أنهم كانوا إذا رأو من يسأل عن المتشابه ، بالغوا في كفه وتأديبه ، تارة بالقول العنيف ، وتارة بالضرب ، وتارة بالاعراض الدال على شدة الكراهة لمسألته]‏[3] .

ولأن منهج أئمة الدعوة واحد في الاعتماد على أقوال الصحابة والتابعين فهذا الشيخ حمد بن ناصر بن معمر يرد على سائله عن آيات الصفات والأحاديث الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، حيث أجاب عليه بما نصه :

[الحمد لله رب العالمين ، قولنا في آيات الصفات ، والأحاديث الواردة في ذلك ، ما قاله الله ورسوله ، وما قاله سلف الأمة وأئمتها ، من الصحابة ، والتابعين ، والأئمة الأربعة ، وغيرهم من علماء المسلمين ، فنصف الله تعالى ، بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف

---

[1] سورة الأنعام : ١٥٩
[2] سورة آل عمران : ١٠٥
[3] الدرر السنية ، ج٣ ، ص ٣٣ ـ ٣٥

ولا تمثيل ، بل نؤمن بأن الله سبحانه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١) فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا نحرف الكلم عن مواضعه ، ولا نلحد في أسماء سبحانه ، لا سمي له ، ولا كفو له ، ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، فهو سبحانه : ليس كمثله شيء في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، بل يوصف بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تكييف ولا تمثيل ، خلافاً للمشبهة ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، خلافاً للمعطلة .

فمذهبنا مذهب السلف ، إثبات بلا تشبيه ، وتنزيه بلا تعطيل ، وهو مذهب أئمة الإسلام ، كمالك ، والشافعي ، والثوري ، والأوزاعي ، وابن المبارك ، والإمام أحمد ، وإسحاق بن راهوية ، وهو اعتقاد المشائخ المقتدى بهم ، كالفضيل بن عياض ، وأبي سليمان الداراني ، وسهل بن عبدالله التستري ، وغيرهم ، فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين ، وكذلك أبو حنيفة رضي الله عنه ، فإن الاعتقاد الثابت عنه ، موافق لاعتقاد هؤلاء ، وهو الذي نطق به الكتاب والسنة ، قال الإمام أحمد رحمه الله : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ ، لا يتجاوز القرآن ، والحديث ، وهكذا مذهب سائرهم ، كما سننقل عباراتهم بألفاظها إن شاء الله تعالى .

ومذهب شيخ الإسلام : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى ، هو ما ذهب إليه هؤلاء الأئمة المذكورون ، فإنه يصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، ولا يتجاوز القرآن ، والحديث ، ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين ، الذين هم أعلم هذه الأمة بهذا الشأن ، نفياً ، وإثباتاً ، وهم أشد تعظيماً لله ، وتنزيهاً له ،

---

(١) سورة الشورى : ١١

عما لا يليق بجلاله ، فإن المعاني المفهومة من الكتاب والسنة ، لا ترد بالشبهات ، فيكون ردها من باب تحريف الكلم عن مواضعه .

ولا يقال : هي ألفاظ لا تعقل معانيها ، ولا يعرف المراد منها ، فيكون ذلك مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني ، بل هي أيات بينات ، دالة على أشرف المعاني وأجلها ، قائمة حقائقها في صدور الذين أوتوا العلم والإيمان ، إثباتاً بلا تشبيه ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما قامت حقائق سائر صفات الكمال في قلوبهم كذلك .

فكان الباب عندهم باباً واحداً ، قد اطمأنت به قلوبهم ، وسكنت إليه نفوسهم ، فأنسوا من صفات كماله ، ونعوت جلاله ، بما استوحش منه الجاهلون المعطلون ، وسكنت قلوبهم إلى ما نفر منه الجاحدون ، وعلموا أن الصفات حكمها حكم الذات ، فكما أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات ، فصفاته لا تشبه الصفات ، فما جاءهم من الصفات عن المعصوم ، تلقوه بالقبول ، وقابلوه بالمعرفة ، والإيمان ، والإقرار ، لعلمهم بأنه سبحانه لا شبيه لذاته ، ولا لصفاته](١) .

وعلى الرغم من أن أئمة الدعوة قد اعتمدوا على أقوال الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلا أنهم لا يقدمون كلامهم على ما فيه نص من كتاب أو سنة يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب :

[إذا اختلف كلام أحمد ، وكلام الأصحاب ، فنقول في محل النزاع : التراد إلى الله وإلى رسوله ، لا إلى كلام أحمد ، ولا إلى كلام الأصحاب ، ولا إلى الراجح من ذلك ، بل قد يكون الأرجح والمرجح من الروايتين والقولين خطأ قطعاً ، وقد يكون صواباً ، وقولك إذا استدل كل منهما بدليل ، فالأدلة الصحيحة لا تتناقض ، بل الصواب يصدق بعضه بعضاً ، لكن قد يكون أحدهما أخطأ في الدليل ، إما يستدل بحديث لم يصح ، وإما فهم

---

(١) الدرر السنية ، ج٣ ، ص ٥٣ ـ ٥٦

من كلمة صحيحة مفهوماً مخطئاً ، وبالجملة : فمتى رأيت الاختلاف ، فرده إلى الله والرسول ، فإذا تبين لك الحق فاتبعه ، فإن لم يتبين لك ، واحتجت إلى العمل ، فخذ بقول من تثق بعلمه ودينه .

وأما قول من قال : لا إنكار في مسائل الاجتهاد، فجوابها يعلم من القاعدة المتقدمة ، فإن أراد القائل مسائل الخلاف ، فهذا باطل يخالف إجماع الأمة، فما زال الصحابة ومن بعدهم : ينكرون على من خالف وأخطأ كائناً من كان ، ولو كان أعلم الناس وأتقاهم ، وإذا كان الله بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، وأمرنا باتباعه ، وترك ما خالفه ، فمن تمام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطئ ينبه على خطئه ، وينكر عليه .

وإن أريد بمسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب فهذا كلام صحيح ، لا يجوز للإنسان أن ينكر الشيء لكونه مخالفاً لمذهبه أو لعادة الناس ، فكما لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم ، لا يجوز أن ينكر إلا بعلم، وهذا كله داخل في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[1] وأما قول من قال : اتفاق العلماء حجة ، فليس المراد : الأئمة الأربعة ، بل إجماع الأمة كلهم ، وهم علماء الأمة .

وأما قولهم : اختلافهم رحمة ، فهذا باطل ، بل الرحمة في الجماعة ، والفرقة عذاب ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾[2] ولما سمع عمر : ابن مسعود ، وأبيا ، اختلفا في صلاة الرجل في الثوب الواحد ، صعد المنبر ، وقال : اثنان من أصحاب رسول الله ﷺ ، فعن أي فتياكم يصدر المسلمون ؟

---

(1) سورة الإسراء : ٣٦

(2) سورة هود : ١١٨-١١٩

لا أجد اثنين اختلفا بعد مقامي هذا ، إلا فعلت وفعلت ، لكن قد روى عن بعض التابعين ، أنه قال : ما أحسب اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ إلا رحمة للناس ، لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة ، ومراده : شيء آخر غير ما نحن فيه ، ومع هذا ، فهو قول مستدرك ، لأن الصحابة ذكروا اختلافهم عقوبة وفتنة .

وقال أيضاً : قد تبين لكم في غير موضع ، أن دين الإسلام حق بين باطلين ، وهدى بين ضلالتين ، وهذه المسائل واشباهها مما يقع الخلاف فيه بين السلف والخلف من غير نكير من بعضهم على بعض ، فإذا رأيتم من يعمل ببعض هذه الأقوال المذكورة بالمنع ، مع كونه قد اتقى الله ما استطاع ، لم يحل لأحد الإنكار عليه ، اللهم إلا أن يتبين الحق ، فلا يحل لأحد أن يتركه لقول أحد من الناس .

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يختلفون في بعض المسائل من غير نكير ، ما لم يتبين النص ، فينبغي للمؤمن أن يجعل همه وقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف ، والعمل بذلك ، ويحترم أهل العلم ، ويوقرهم ولو أخطؤوا ، لكن لا يتخذهم أرباباً من دون الله ، هذا طريق المنعم عليهم ، وأما اطراح كلامهم ، وعدم توقيرهم، فهو طريق المغضوب عليهم ، واتخاذهم أرباباً من دون الله ، وإذا قيل : قال الله ، قال رسول الله ، قال : هم أعلم منا ، فهذا هو طريق الضالين ، ومن أهم ما على العبد وأنفع ما يكون له : معرفة قواعد الدين على التفصيل ، فإن أكثر الناس يفهم القواعد ويقر بها على الإجمال ، ويدعها عند التفصيل .

وقال أيضاً : اختلفوا في الكتاب ، وهل يجب تعلمه واتباعه على المتأخرين لإمكانه ؟ أم لا يجوز للمتأخرين ، لعدم إمكانه ؟ فحكم الكتاب بينهم بقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ

ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾[1] وقولـــه : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[2] وقولـــه : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[3]][4].

وعندما سئل الشيخ سليمان بن سحمان هل إجماع الصحابة حجة أم لا ؟ أجاب :

[إجماعهم حجة قاطعة ، يجب الأخذ بها بإجماع أهل العلم ، واستدلوا على ذلك بقولـــه تعـــالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[5] وقولـــــه : ﴿ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[6] وقوله تعالى : في أعظم سورة في القرآن : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[7] وهـم أصـحاب رسول الله ﷺ ورضى الله عنهم .

وقول الواحد منهم ، فهو حجة عند العلماء ، يأخذ به الإمام أحمد وغيره ، إذا لم يخالفه مثله ، وأما إذا خالفه غيره من الصحابة ، فليس قول أحدهما على الآخر حجة][8] .

---

(١) سورة طه : ٩٩ - ١٠٠

(٢) سورة طه : ١٢٤

(٣) سورة الزخرف : ٣٦

(٤) الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٨ - ١١

(٥) سورة النساء : ١١٥

(٦) سورة التوبة : ١٠٠

(٧) سورة الفاتحة : ٦-٧

(٨) الدرر السنية ، ج٤ ، ص١٠٧

وفي إجابة للشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب على إحدى رسائل الصنعاني ـ التي أورد فيها مسائل جاءت في ثنايا رد الشيخ عليه ـ حيث بين فيها منهج أئمة الدعوة في الاستدلال ومن ضمن ما يعتمدون عليه أقوال الصحابة والتابعين يقول :

[الحمد لله الذي نزل الكتاب على النبي المختار ، وبينه ﷺ وحمله عنه أصحابه الأخيار ، ثم التابعون لهم من الأبرار .

إلى عبدالله بن عبدالله الصنعاني سلمه الله من الشرك والبدع ، ووفقه للإنكار على من أشرك وابتدع والصلاة والسلام على محمد الذي قامت به على الخلاق الحجة ، وبين وأوضح لهم المحجة ، وعلى آله وصحبه القدوة بعده ، أما بعد ، فقد وصل كتابكم وسر الخاطر ، وأقر الناظر ، حيث أخبرتم أنكم على ما نحن عليه من الدين وهو عبادة الله وحده لا شريك له ومتابعة الرسول الأمي سيد ولد آدم ﷺ وما أوردتم على ذلك من الآيات الواضحات ، والأحاديث الباهرات ، وأن الرد عند الاختلاف إلى كتاب الله وسنه رسوله ﷺ ثم إلى أقوال الصحابة ثم التابعين لهم بإحسان فذلك ما نحن عليه وهو ظاهر عندنا من كل قول له حقيقة ، وحقيقة العلم وثمرته العمل ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ (١) قال تعالى : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢) .

وكل يدعي وصلا لليلي	وليلي لا تقر لهم بذاكا

فنحن أقمنا الفرائض والشرائع والحدود والتعزيرات ونصبنا القضاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكرات ونصبنا علم الجهاد على أهل الشرك والعناد فلله الحمد والمنة .

وأما إستفصالكم عن قولنا مذهبنا مذهب الإمام أحمد وقولكم أن تريدوا أن نسلك في أخذ المسائل من الكتاب والسنة مثل مسلكه فنعم ما قلتم ، وأن تريدوا بقولكم ذلك

---

(١) سورة آل عمران : ٣١

(٢) سورة الصف : ٢

التقليد له فيما قاله من غير نظر إلى الحجة من الكتاب والسنة كما سلك بعض اتباع الأئمة الأربعة من جعل آرائهم وأقوالهم أصولاً لمسائل الدين واطرحوا الاحتجاج بالكتاب والسنة وسدوا بابهما إلى آخره انتهى كلامكم ملخصاً .

ـ فالجواب ـ وبالله التوفيق من أوجه ـ الوجه الأول ـ أن في رسالتنا التي عندكم ما يرد هذا التوهم وهو قولنا فيها ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي ﴾[1] الآية وقوله ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد [2] رواه البخاري ومسلم . فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله فما وافق منها قبل وما خالف رد على قائله كائناً من كان إلى آخره . فتضمن هذا الكلام أنه لا يقدم رأي أحد على كتاب الله وسنة رسوله والعجب كيف نبا فهمكم عنها .

ـ الوجه الثاني ـ قد صرح العلماء أن النصوص الصريحة الصحيحة التي لا معارض لها ولا ناسخ وكذا مسائل الإجماع لا مذاهب فيها وإنما المذاهب فيما فهمه العلماء من النصوص أو علمه أحد دون أحد أو في مسائل الاجتهاد ونحو ذلك .

ـ الوجه الثالث ـ قد ذكر العلماء أن لفظة المذهب لها معنيان معني في اللغة ومعني في الاصطلاح فالمذهب في اللغة : مفعل ويصح للمصدر والمكان والزمان بمعني الذهاب وهو المرور أو محله أو زمانه ، واصطلاحاً : ما ترجح عند المجتهد في أيما مسئله من المسائل بعد الاجتهاد فصار له معتقداً ومذهباً ، وعند بعضهم ما قاله مجتهد بدليل ومات قائلاً به ، وعند بعضهم أنه المشهور في مذهب كنقض الوضوء بأكل لحم الجزور ومس الذكر ونحوه عند أحمد ولا يكاد يطلق إلا على ما فيه خلاف ... ويطلق عند المتأخرين من أئمة المذاهب على ما به الفتوى وهو ما قوي دليله . وقيل ما كثر قائله . فقد تلخص

---

(1) سورة آل عمران : ٣١

(2) أخرجه البخاري : ح/٩٥٩/٢/٢٥٥٠ ، ومسلم :ح/١٣٤٣/٣/١٧١٨

من كلامهم أن المذهب في الاصطلاح ما اجتهد فيه إمام بدليل أو قول جمهور أو ما ترجح عنده ونحو ذلك ، وأن المذهب لا يكون إلا في مسائل الخلاف التي ليس فيها نص صريح ولا إجماع . فأنى هذا من توهمكم أن قولنا لكم مذهبنا مذهب الإمام أحمد أنا نقلده فيما رأى وقاله وإن خالف الكتاب والسنة والإجماع فنعوذ بالله من ذلك والله المستعان .

ـ الوجه الرابع ـ قال ابن القيم في أعلام الموقعين لما ذكر المفتين بمدينة السلام وكان بها إمام أهل السنة على الإطلاق أحمد بن حنبل الذي ملأ الأرض علماً وحديثاً وسنة إلى أن قال وكانت فتواه مبنية على خمسة أصول .

ـ أحدها ـ النصوص فإذا وجد النص أفتى بموجبه ولم يلتفت إلى ما خالفه ولا من خالفه كائناً من كان ثم ذكر أحاديث تمسك بها الإمام أحمد ولم يلتفت إلى ما خالفها إلى أن قال .

ـ الأصل الثاني ـ من أصول فتاوى الإمام أحمد ما أفتى به الصحابة فأنه إذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها لم يعدها إلى غيرها ولم يقل أن ذلك إجماع بل من ورعه في العبارة يقول لا أعلم شيئاً يدفعه ونحو هذا . إلى أن قال .

ـ الأصل الثالث ـ من أصوله إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها للكتاب والسنة ولم يخرج عن أقوالهم فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها ولم يجزم بقول ، إلى أن قال .

ـ الأصل الرابع ـ الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه فهو الذي يرجحه على القياس . وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر ولا ما في روايته متهم بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح فإذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه ولا قول صاحب ولا إجماع على خلافه كان العمل به عنده أولى من القياس

وليس من الأئمة إلا وهو موافقه على هذا الأصل من حيث الجملة فإذا لم يكن عند الإمام أحمد نص ولا قول للصحابة أو أحد منهم ولا أثر مرسل أو ضعيف عدل إلى .

ـ الأصل الخامس ـ وهو القياس فاستعماله للضرورة ، وقال الشافعي إنما يصار إليه عند الضرورة . وقال الإمام أحمد في راوية أبي الحارث ما تصنع بالرأي والقياس وفي الحديث ما يغنيك عنه وقد تتوقف في الفتوى لتعارض الأدلة عنده أو لاختلاف الصحبة فيها وقال أبو داود سمعت أحمد سئل عن كثير مما فيه الاختلاف في العلم فيقول لا أدري أنتهى كلام ابن القيم ملخصاً . فهذا ما أشرنا إليه من قولنا مذهبنا مذهب الإمام أحمد .

وأما ما ذكرتم من ذم من قلد الإمام أحمد وغيره وأطلقتم الذم فليس الأمر على إطلاقكم فإن تريدوا بذم التقليد تقليد من أعرض عما أنزل الله وعن سنة نبيه ﷺ أو من قلد بعد ظهور الحجة له أو من قلد من ليس أهلاً أن يؤخذ بقوله أو من قلد واحداً من الناس فيما قاله دون غيره فنعم المسلك سلكتم وإن تريدوا بذلك الإطلاق ، منع الناس لا ينقل بعضهم عن بعض ولا يفتي أحد لأحد إلا مجتهد فقد قال تعالى ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1] قال علي بن عقيل صاحب الفنون ورءوس المسائل يجب سؤال أهل الفقه بهذه الآية وقد أمر الله بطاعته وطاعة رسوله وأولى الأمر وهم العلماء أو العلماء والأمراء وأرشد النبي ﷺ من لا يعلم إلى سؤال من يعلم فقال في حديث صاحب الشجة إلا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال [2] وأيضاً فأنى

---

[1] سورة الأنبياء : ٧

[2] أخرجه الحاكم : ح/٦٣٠/١/٢٨٥ ، والبيهقي : ح/١٠١٦/١/٢٢٧ ، والدار قطني ح/٣/١/١٨٩ وقال أنه مرسل .

تدرك هذه في هذه الأزمنة التي قل المعلم في أهلها وقال فيها المجتهدون وقد صرح العلماء أن تقليد الإنسان لنفسه جائز وربما كان واجباً .

وكذا في أول الجزء الثاني من ـ أعلام الموقعين ـ ذكر القول في التقليد وانقسامه إلى ما يحرم القول فيه والإفتاء به وإلى ما يجب المصير إليه وإلى ما يسوغ من غير إيجاب ـ فأما النوع الأول ـ فهو ثلاثة أنواع ـ أحدها ـ الإعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء ـ الثاني ـ تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل أن يؤخذ بقوله ـ الثالث ـ التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد وقد ذم الله هذه الأنواع الثلاثة من التقليد في غير موضع من كتابة ـ ثم ذكر آيات في ذم التقليد ـ إلى أن قال وهذا القدر من التقليد هو ما اتفق السلف والأئمة الأربعة على ذمه وتحريمه .

وأما تقليد من بذل جهده في اتباع ما أنزل الله وخفى عليه بعضه وقلد فيه من هو أعلم منه فهذا محمود غير مذموم ومأجور غير مأزور كما سيأتي بيانه عند ذكر التقليد الواجب والسائغ إن شاء الله تعالى .

وقال أيضاً في أول الجزء الأول ـ من أعلام الموقعين ـ قلت وهذه المسئلة فيها ثلاثة أقوال لأصحاب أحمد ـ أحدها ـ أنه لا يجوز الفتوى بالتقليد لأنه ليس بعلم والفتوى بغير علم حرام وهذا قول أكثر الأصحاب ـ والثاني ـ أن ذلك يجوز فيما يتعلق بنفسه فيجوز له أن يقلد غيره من العلماء إذا كانت الفتوى لنفسه ولا يجوز أن يقلد العالم فيما يفتي به غيره فهذا قول ابن بطة وغيره من أصحابنا .

ـ والقول الثالث ـ أنه يجوز ذلك عند الحاجة وعدم المجتهد وهو أصح الأقوال وعليه العمل قال القاضي ذكر أبو حفص في تعاليقه قال سمعت أبا علي الحسن بن عبدالله

النجاد يقول سمعت أبا الحسن بن بشار يقول ما أعيب على رجل يحفظ لأحمد خمس مسائل استند إلى بعض سواري المسجد يفتي الناس بها انتهى كلام ابن القيم ملخصاً .

وقال في الاقناع وشرحه في شروط القاضي : وأن يكون مجتهداً اجماعاً ذكره ابن حزم وأنهم أجمعوا أنه لا يحل لحاكم ولا مفت تقليد رجل لا يحكم ولا يفتي إلا بقوله لانه فاقد للاجتهاد ولو كان اجتهاده في مذهب إمامه إذا لم يوجد غيره لضرورة كما قال في الإفصاح أن الإجماع انعقد على تقليد كل من المذاهب الأربعة وأن الحق لا يخرج عنهم ثم ذكر أن الصحيح في هذه المسئلة أن قول من قال أنه لا يجوز إلا توليه مجتهد فإنه ما عنى به ما كانت الحال عليه قبل استقرار ما أقرب عليه هذه المذاهب ، وقال الإمام موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد المقدسي في خطبة المغني النسبة إلى إمام في الفروع كالأئمة الأربعة ليست بمذمومة فإن اختلافهم رحمة واتفاقهم حجة قاطعة واختار في الإفصاح أحكام الناس وكذا المفتي ، قال ابن بشار ما أعيب من يحفظ لأحمد خمس مسائل يفتي بها ونقل عبدالله يفتي غير مجتهد ذكره القاضي وحمله أبو العباس بن تيمية على الحاجة أنتهى كلام صاحب الإقناع وشرحه .

ـ وقال في الأنصاف ـ قال الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية في شروط القاضي ويجب تولية الأمثل فالأمثل وعلى هذا يدل كلام أحمد وغيره فيولى للقدم أعدل المقلدين وأعرفهما بالتقليد قال في الفروع وهو كما قال انتهى كلام الإنصاف ملخصا .

ـ وأما ما ذكرتم ـ عن الأئمة وقول أبي حنيفة : إذا قلت قولا وفي كتاب الله وسنة رسول الله ما يخالف قولي فاعملوا به واتركوا قولي وقول الشافعي إذا صح الحديث على خلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط واعملوا بالحديث . وكذا ما ذكرتم عن الأئمة رضي الله عنهم أنهم صرحوا بعرض أقوالهم على الكتاب والسنة فما خالف منها رد ، وقد تقدم

في أصول أحمد أنه إذا صح الحديث لم يقدم عليه قول أحمد فهذا قد تقرر عندنا ولله الحمد والمنة .

ــ وأما قولكم ــ أن مرادنا بقولنا ألا ننكر على اتباع الأئمة الأربعة ولو أشركوا وابتدعوا فنعوذ بالله من ذلك بل ننكر الباطل ونقبل الحق ممن جاء به فان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا سيد الأولين والآخرين ﷺ .

ــ وأما قولكم ــ والمختار أن العمل بالحديث بحسب ما بدأ لصاحب الفهم المستقيم فننظر في صحة الحديث وإذا صح نظرنا في معناه ثانياً فإذا تبين فهو الحجة انتهى كلامكم ، فهل أنتم مجتهدون تأخذون من أقوال المفسرين وشراح الحديث واتباع الأئمة الأربعة فإن كان الثاني فاخبرونا عن أكثر من تأخذون عنه وترضون قوله من علماء أهل السنة ووفقنا الله وإياكم إلى ما يرضيه ، وجنبنا وإياكم العمل بمعاصيه ، وسامحنا وإياكم عند الوقوف بين يديه ، وجعل أعمالنا مقبولة لديه ، والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم][1] .

ومما سبق يتضح اعتماد أئمة الدعوة في منهجهم بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على أقوال الصحابة والتابعين فهم يرون أنهم خير أئمة محمد وفيهم نزل الوحي وهم المؤتمنون على حمل الرسالة ، حيث بلغوها لمن جاء بعدهم ، يجلونهم ويقدرونهم ويتثقفون بعلمهم ولا يغلون في محبتهم ولا يقدمون كلامهم على ما فيه نص من كتاب أو سنة فرضي الله عن الجميع وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرا الجزاء وأوفره .

---

(١) الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٢٣٧ ـ ٢٤٤

المبحث الثالث : الأخذ بالرأي الممدوح شرعاً :

إن المتتبع لرسائل أئمة الدعوة ، يجد أنهم لا يقدمون أي رأي مهما كانت قدرة ومكانة قائله العلمية ، على ما فيه نص من كتاب أو سنة ، وعندما لا يجدون نص يبحثون عن رأي الصحابة ثم التابعين فإن لم يجدوا أخذوا باجتهاد أئمة السلف والعلماء المعتبرين ، وعندما لا يجدون نصاً يجتهدون وفقاً لضوابط وقواعد حددها العلماء للاجتهاد ، وقد سبق ذكر بعض الأدلة من أقوال هؤلاء الأئمة في المباحث السابقة وسوف نأتي في هذا المبحث على بعض أقوالهم ورسائلهم :

يقول الشيخ محمد عبدالوهاب في إحدى رسائله لعبدالله بن محمد بن عبداللطيف :

[ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي ، أو فقيه ، أو متكلم ، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم ، مثل ابن القيم ، والذهبي ، وابن كثير ، أو غيرهم ، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له ، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم ، وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني ، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه ، إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين ، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي ، حيث رسول الله ﷺ لا يقول إلا الحق][1] .

ومن الضوابط التي سلكها الشيخ في الاجتهاد وعدم الإنكار على المخالف طالما لا يوجد نص ولا إجماع قوله :

[ثم اعلموا وفقكم الله : إن كانت المسألة إجماعاً ، فلا نزاع ، وإن كانت مسائل اجتهاداً ، فمعلومكم أنه لا إنكار في من يسلك الاجتهاد ، فمن عمل بمذهبه في محل

---

[1] الدرر السنية ، ج ١ ، ص ٣٧ ـ ٣٨

ولايته لا ينكر عليه ، وأنا أشهد الله وملائكته ، وأشهدكم أني على دين الله ورسوله ، وأني متبع لأهل العلم ، غير مخالف][1] .

وفي موضوع آخر يقول كل من الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب في إحدى الرسائل :

[وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد ، فنحن مقلدون الكتاب والسنة ، وصالح سلف الأمة ، وما عليها الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة : أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، ومالك بن أنس ، ومحمد بن إدريس ـ الشافعي ـ ، وأحمد بن حنبل ، رحمهم الله تعالى][2] .

وكذلك يقول الشيخ محمد عبدالوهاب :

[وأما المتأخرون ، رحمهم الله ، فكتبهم عندنا ، فنعمل بما وافق النص منها ، وما لا يوافق النص ، لا نعمل به][3] .

وفي رد الشيخ محمد بن عبدالوهاب على إحدى الأسئلة أستدل برأي أهل السنة في الرد على من أدعى أن المراد معرفة الإله الإجمالية ، حيث جاء في رده :

[ورد عليهم أهل السنة بأدلة كثيرة ، منها : أن التوحيد لا يتم إلا بإثبات الصفات ، وأن معنى الإله : هو المعبود ، فإذا كان هو سبحانه متفرداً به ، عن جميع المخلوقات ، وكان هذا وصفاً صحيحاً ، لم يكذب الواصف به ، فهذا يدل على الصفات ، فيدل على العلم العظيم ، والقدرة العظيمة ، وهاتان الصفتان : أصل جميع الصفات قال

---

(١) الدرر السنية ، ج ١ ، ص ٥٨
(٢) الدرر السنية ، ج ١ ، ص ٩٧
(٣) الدرر السنية ، ج ١ ، ص ١٠٠

تعـــالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[1] .

فإذا كان الله قد أنكر عبادة ، من لا يملك لعابده نفعاً ولا ضراً ، فمعلوم: أن هذا يستلزم العلم بحاجة العباد ، ناطقها وبهيمها ، ويستلزم : القدرة على قضاء حوائجهم ، ويستلزم الرحمة الكاملة ، واللطف الكامل ، وغير ذلك من الصفات ، فمن أنكر الصفات ، فهو معطل ، والمعطل : شر من المشرك ، ولهذا كان السلف ، يسمون التصانيف ، في إثبات الصفات : كتب التوحيد ، وختم البخاري صحيحه بذلك ، قال : كتاب التوحيد ، ثم ذكر الصفات ، باباً ، باباً .

فنكتة المسألة : أن المتكلمين يقولون : التوحيد لا يتم إلا بإنكار الصفات ، فقال أهل السنة : لا يتم التوحيد إلا بإثبات الصفات ، وتوحيدكم ، هو : التعطيل : ولهذا آل هذا القول ببعضهم إلى إنكار الرب تبارك وتعالى ، كما هو مذهب ابن عربي ، وابن الفارض ، وفئام من الناس ، لا يحصيهم إلا الله .

فهذا بيان لقولك : هل مراده الصفات ؟ أو الأفعال ؟ فبين السلف : أن العبادة إذا كانت كلها لله عن جميع المخلوقات ، فلا تكون إلا بإثبات الصفات ، والأفعال ، فتبين : أن منكر الصفات ، منكر لحقيقة الألوهية ، لكن لا يدري ، وتبين لك : أن من شهد أن لا إله إلا الله صدقاً من قلبه ، لا بد أن يثبت الصفات ، والأفعال ، و لكن العجب العجاب : ظن إمامهم الكبير ، أن الألوهية ، هي القدرة ، وأن معنى قولك لا إله إلا الله ، أي : لا يقدر على الخلق إلا الله !

---

[1] سورة الطلاق : ١٢

إذا فهمت هذا : تبين لك عظم قدرة الله ، على إضلال من شاء ، مع الذكاء والفطنة ، كأنهم لم يفهموا قصة إبليس ، ولا قصة قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وهلم جرا ، كما قال شيخ الإسلام ، في آخر الحموية : أوتوا ذكاء ، وما أوتوا زكاء ، وأوتوا علوماً ، وما أوتوا فهوماً ، وأوتوا سمعاً ، وأبصاراً ، وأفئدة ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾[1] ، والله أعلم] .[2]

وقد حذر الشيخ محمد بن عبدالوهاب أشد التحذير من اتباع الأسلاف الجهال وأهل الغفلة وأهل الرأي المذموم شرعاً في إحدى رسائله حيث قال :

[قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[3] وقال تعالى : ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[5] قيل : إنها آخر آية نزلت ، وفسر نبي الله ﷺ الإسلام لجبريل عليه السلام ، وبناه أيضاً : على خمس أركان ، وتضمن كل ركن علماً ، وعملاً ، فرضاً ، على كل ذكر ، وأنثى ، لقوله : لا ينبغي لأحد يقدم علي شيء ، حتى يعلم حكم الله فيه ، فاعلم : أن أهمها ، وأولاها ، الشهادتان ، وما تضمنتا من النفي والإثبات ، من حق الله على عبيده ، ومن حق الرسالة على الأمة ، فإن بان لك شيء من ذلك ، ما ارتعت ، وعرفت : ما الناس فيه ، من الجهل ، والغفلة ، والإعراض عما خلقوا

---

(١) سورة الأحقاف : ٢٦

(٢) الدرر السنية ، ج١ ، ص ١١٣ ـ ١١٤

(٣) سورة آل عمران : ١٩

(٤) سورة آل عمران : ٨٥

(٥) سورة المائدة : ٣

له ، وعرفت : ما هم عليه ، من دين الجاهلية ، وما معهم من الدين النبوي ، وعرفت : أنهم بنوا دينهم ، على ألفاظ وأفعال أدركوا عليها أسلافهم ، نشأ عليها الصغير وهرم عليها الكبير .

ويؤيد ذلك : أن الولد إذا بلغ عشر سنين ، غسلوا له أهله[1] وعلموه ألفاظ الصلاة ، وحيي على ذلك ، ومات عليه ، أتظن من كانت هذه حاله ، هل شم لدين الإسلام ، المورث عن الرسول ، رائحة ؟ فما ظنك به إذا وضع في قبره ؟! وأتاه الملكان ، وسألاه عما عاش عليه من الدين ؟ بما يجيب ؟ هاه ، هاه ، لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ، وما ظنك : إذا وقف بين يدي الله تعالى ، وسأله : ما ذا كنتم تعبدون ؟ وبماذا أجبتم المرسلين ؟ بماذا يجيب ؟ رزقنا وإياكم علماً نبوياً ، وعملاً خالصاً في الدنيا ، ويوم نلقاه آمين .

فانظر : يا رجل ، حالك ، وحال أهل هذا الزمان ، أخذوا دينهم عن آبائهم ، ودانوا بالعرف ، والعادة ، وما جاز عند أهل الزمان ، والمكان ، دانوا به ، وما لا ، فلا ، فأنت وذاك ، وإن كانت نفسك عليك عزيزة ولا ترضى لها بالهلاك ، فالتفت لما تضمنت أركان الإسلام ، من العلم والعمل ، خصوصاً الشهادتان من النفي ، والإثبات وذلك ثابت من كلام الله وكلام رسوله .

قيل إن أول آية نزلت ، قوله تعالى ، بعد ـ اقرأ ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾[2] قف عندها ، ثم قف ، ثم قف ، ترى العجب العجيب ، ويتبين لك ما أضاع الناس ، من

---

[1] يعني : علمه أهله ، الطهارة للصلاة ، من استنجاء ، ووضوء .
[2] سورة المدثر : ١ـ ٢

أصـل الأصـول ، وكذلـك قولـه تعـالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾[١] الآيـة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[٢] .

وكذلـك قولـه تعـالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[٣] وغير ذلك من النصوص الدالة على حقيقة التوحيد ، الذي هو مضمون ما ذكرت في رسالتك ، أن الشيخ محمد قرر لكم ثلاثة أصول ، توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، والولاء والبراء ، وهذا هو حقيقة دين الإسلام .

ولكن قف عند هذه الألفاظ ، واطلب ما تضمنت من العلم ، والعمل ، ولا يمكن في العلم إلا أنك تقف على كل مسمى منهما مثل ، الطاغوت ، تجد سليمان ، والمويس ، وعريعر ، وأبا ذراع ، والشيطان رئيسهم ، كذلك قف عند الأرباب منهم ، تجدهم العلماء ، والعباد كائناً من كان ، إن أفتوك بمخالفة الدين ، ولو جهلاً منهم ، فأطعتهم .

كذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[٤] يفسرها قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾[٥] الآية كذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[٦] وهذه : أعم مما قبلها ، وأضرها ، وأكثرها وقوعاً ، ولكن أظنك ، وكثير من أهل الزمان : ما يعرف من الآلهة المعبودة ، إلا : هبل ، ويغوث ، ويعوق ، ونسراً ، واللات ، والعزى ، ومناة فإن جاد فهمه ، عرف أن المقامات

---

[١] سورة النحل : ٣٦
[٢] سورة الجاثية : ٢٣
[٣] سورة التوبة : ٣١
[٤] سورة البقرة : ١٦٥
[٥] سورة التوبة : ٢٤
[٦] سورة الجاثية : ٢٣

المعبودة اليوم ، من البشر ، والشجر ، والحجر ، ونحوها ، مثل : شمسان وإدريس ، وأبو حديدة ، ونحوهم منها .

هذا : ما أثمر به الجهل ، والغفلة ، والإعراض عن تعلم دين الله ورسوله ، ومع هذا يقول لكم شيطانكم المويس : إن بنيات حرمه [١] ، وعيالهم ، يعرفون التوحيد ، فضلاً عن رجالهم .

وأيضاً : تعلم معنى لا إله إلا الله بدعة ، فإن استغربت ذلك مني ، فأحضر عندك جماعة ، واسألهم : عما يسألون عنه في القبر ، هل تراهم يعبرون عنه لفظاً وتعبيراً ؟! فكيف إذا طولبوا بالعلم والعمل ؟ هذا ما أقول لك ، فإن بان لك شيء : ارتعت روعة صدق ، على ما فاتك من العلم والعمل في دين الإسلام ، أكبر من روعتك التي ذكرت في رسالتك ، من تجهيلنا جماعتك ، ولكن هذا حق[٢] من أعرض عما جاء به رسول الله ﷺ من دين الإسلام ، فكيف بمن له قريب من أربعين سنة ، يسب دين الله ورسوله ، ويبغضه ، ويصد عنه مهما أمكن ؟!

فلما عجز عن التمرد في دينه الباطل ، وقيل له : أجب عن دينك ، وجادل دونه ، وانقطعت حجته ، أقر أن هذا الذي عليه ابن عبدالوهاب ، هو دين الله ورسوله ، قيل له : فالذي عليه أهل حرمة ؟ هو دين الله ورسوله ، كيف يجتمع هذا ، وهذا ، في قلب رجل واحد ؟! فكيف بجماعات عديدة ، بين الطائفتين من الاختلاف سنين عديدة ، ما هو معروف ؟! حتى إن كلاً منهم : شهر السيف دون دينه ، واستمر الحرب مدة طويلة ، وكل منهم يدعي صحة دينه ، ويطعن في دين الآخر ! نعوذ بالله من سوء الفهم ، وموت القلوب ، أهل دينين مختلفين ، وطائفتان يقتتلون ، كل منهم على صحة

---

[١] إسم بلدة في محافظة المجمعة

[٢] قوله : حق ، أي جزاء

دينه ، ومع هذا : يتصوران الكل دين صحيح ، يدخل من دان به الجنة ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، فكيف والناقد بصير ؟!

فيا رجل ألق سمعك لما فرض الله عليك خصوصاً الشهادتان ، وما تضمنتاه من النفي والإثبات ، ولا تغتر باللفظ والفطرة ، وما كان عليه أهل الزمان والمكان ، فتهلك ، فاعلم : أن أهم ما فرض الله على العباد : معرفة أن الله رب كل شيء ومليكه ، ومدبره ، بإرادته ، فإذا عرفت هذا ، فانظر : ما حق من هذه صفاته عليك بالعبودية ، بالمحبة والإجلال ، والتعظيم ، والخوف والرجاء ، والتأله المتضمن : للذل والخضوع ، لأمره ونهيه ، وذلك قبل فرض الصلاة والزكاة ، ولذلك : يعرف عباده ، بتقرير ربوبيته ليرتقوا بها إلى معرفة إلهيته ، التي هي مجموع عبادته على مراده نفياً وإثباتاً ، علماً وعملاً جملة وتفصيلاً](١) .

وقال الشيخ أيضاً في معرض تحذيره من الرأي المذموم شرعاً :

[فإن عند الناس من هذا كثير ، يخالف ما حد الله في القرآن ، وصار المعروف عندهم ، ما ألفوه عند أهليهم ، ولو يفعل أحد ما ذكر الله ، ويترك العادة ، لأنكروا عليه ، واستسفهوه ، بخلاف من يفعل أو يترك ، مع اعترافه بالخطأ ، وإيمانه بما ذكر الله](٢).

وكما وجه الشيخ المعلم بقوله :

[ينبغي للمعلم : أن يعلم الإنسان على قدر فهمه ، فإن كان ممن يقرأ القرآن أو عرف أنه ذكي ، فيعلم أصل الدين ، وأدلته ، والشرك وأدلته ، ويقرأ عليه القرآن ، ويجتهد أن يفهم القرآن فهم قلب ، وإن كان رجلاً متوسطاً ، ذكر لهم بعض هذا وإن كان

---

(١) الدرر السنية ، ج ١ ، ص ١١٥ - ١١٩

(٢) الدرر السنية ، ج ١ ، ص ١٢٤

مثل غالب الناس ضعيف الفهم ، فيصرح لهم بحق الله على العبيد ، مثل ما ذكر النبي ﷺ لمعاذ ، ويصف له حقوق الخلق ، مثل حق المسلم على المسلم ، وحق الأرحام ، وحق الوالدين ، وأعظم من ذلك حق النبي ﷺ][1] .

وقد استشهد أبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، والشيخ حمد بن ناصر في قول العلماء في بيان أنواع الشرك حيث قالوا :

[قد ذكر العلماء ، رحمهم الله : أن الشرك نوعان : أكبر ، وأصغر ، فالأكبر أن يجعل لله نداً من خلقه ، يدعوه كما يدعو الله ، ويخافه كما يخاف الله ، ويرجوه كما يرجو الله ، ويتوكل عليه في الأمور كما يتوكل على الله][2] .

وقد بين منهج أئمة الدعوة الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الاجتهاد بقوله :

[ونحن أيضاً : في الفروع ، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة ، دون غيرهم ، لعدم ضبط مذاهب الغير ، الرافضة ، والزيدية ، والإمامية ، ونحوهم ، ولا نقر ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة ، بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة .

ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ، ولا أحد لدينا يدعيها ، إلا أننا في بعض المسائل ، إذا صح لنا نص جلي ، من كتاب ، أو سنة غير منسوخ ، ولا مخصص ، ولا معارض بأقوى منه ، وقال به أحد الأئمة الأربعة : أخذنا به ، وتركنا المذهب ، كإرث الجد والإخوة ، فإنا نقدم الجد بالإرث ، وإن خالف مذهب الحنابلة .

---

(١) الدرر السنية ، ج ١ ، ص ١٧٠

(٢) الدرر السنية ، ج ١ ، ص ١٩٥

ولا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض عليه ، إلا إذا أطلعنا على نص جلي مخالفاً لمذهب أحد الأئمة ، وكانت المسألة مما يحصل بها شعار ظاهر، كإمام الصلاة ، فنأمر الحنفي ، والمالكي مثلاً ، بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال ، والجلوس بين السجدتين ، لوضوح دليل ذلك ، بخلاف جهر الإمام الشافعي بالبسملة ، فلا نأمره بالاسرار وشتان ما بين المسألتين ، فإذا قوي الدليل أرشدناهم بالنص ، وإن خالف المذهب ، وذلك يكون نادراً جداً ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض ، فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد ، وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم في بعض المسائل ، مخالفين للمذهب ، الملتزمين تقليد صاحبه .

ثم إنا نستعين على فهم كتاب الله ، بالتفاسير المتداولة المعتبرة ، ومن أجلها لدينا : تفسير ابن جرير ، ومختصر لابن كثير الشافعي ، وكذا البغوي والبيضاوي ، والخازن ، والحداد ، والجلالين ، وغيرهم . وعلى فهم الحديث بشروح الأئمة المبرزين : كالعسقلاني ، والقسطلاني على البخاري ، والنووي على مسلم ، والمناوي على الجامع الصغير .

ونحرص على كتب الحديث ، خصوصاً : الأمهات الست ، وشروحها ، ونعتني بسائر الكتب ، في سائر الفنون ، أصولاً ، وفروعاً ، وقواعد وسيراً ونحواً ، وصرفاً ، وجميع علوم الأمة .

ولا نأمر بإتلاف شيء من المؤلفات أصلاً ، إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك كروض الرياحين ، أو يحصل بسببه خلل في العقائد ، كعلم المنطق ، فإنه قد حرمه جمع من العلماء ، على أنا لا نفحص عن مثل ذلك ، وكالدلائل ، إلا إن تظاهر به

صاحبه معانداً ، أتلف عليه ، وما اتفق لبعض البدو ، في إتلاف بعض كتب أهل الطائف ، إنما صدر منه لجهله ، وقد زجر هو ، وغيره عن مثل ذلك][1] .

وقال الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب :

[وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل ، إمام أهل السنة ، ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة ، إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة ، ولا إجماع الأمة ، ولا قول جمهورها][2] .

وفي الرسالة التي بعثها الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى سليمان باشا بيان واضح وجلي على استدلال أئمة الدعوة بالرأي الممدوح شرعاً من أقوال أهل العلم وهي أنموذج واضح وبين يوضح هذا النهج الذي سار عليه الأئمة ، جاء فيها :

[فقد وصل إلينا كتابكم ، وفهمنا ما تضمنه من خطابكم ، وما ذكرتم من : أن كتابنا المرسل إلى يوسف باشا ، على غير ما أمر الله به ، ورسوله ، من الخطاب للمسلمين، بمخاطبة الكفار ، والمشركين ، وأن هذا حال الضالين ، وأسوة الجاهلين ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾[3] .

فنقول في الجواب عن ذلك : بأننا متبعون ما أمر الله به رسوله ، وعباده المؤمنين ، بقوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[4] ،

---

(1) الدرر السنية ، ج ١ ، ص ٢٢٧ – ٢٢٨

(2) الدرر السنية ، ج ١ ، ص ٢٤٥

(3) سورة آل عمران : ٧

(4) سورة النحل : ١٢٥

وقولـــــه تعـــــالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[1] ، وذلك : أن الله أوجب علينا النصح لجميع أمة محمد ﷺ .

ومن النصح لهم : بيان الحق لهم ، بتذكير عالمهم ، وتعليم جاهلهم ، وجهاد مبطلهم ، أولاً بالحجة والبيان ، وثانياً بالسيف والسنان ، حتى يلتزموا دين الله القويم ، ويسلكوا صراطه المستقيم ، ويبعدوا عن مشابهة أصحاب الجحيم ، وذلك : أن من تشبه بقوم فهو منهم [2] كما ورد ذلك عن الصادق الأمين ، صلى الله عليه وعلى صحبه أجمعين ، وقد قال تعالى ، في كتابه المبين : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3] وقال تعالى ، لهذه الأمة : ﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[4] .

ومن تلبيس إبليس ، ومكيدته لكل جاهل خسيس : أن يظن أن ما ذم الله به اليهود والنصارى والمشركين ، لا يتناول من شابههم من هذه الأمة ، ويقول: إذا استدل عليه بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، هذه الآيات : نزلت في المشركين ، نزلت في اليهود ، نزلت في النصارى ، ولسنا منهم ، وهذا من أعظم مكائده ، وتلبيسه ، فإنه فتن بهذه الشبهة كثيراً من الأغبياء والجاهلين، وقد قال بعض السلف ــ لمن قال له ذلك ــ مضى القوم وما يعني به غيركم ، وقال بعض العلماء : إن مما يحول بين المرء ، وفهم

---

(1) سورة يوسف : ١٠٨

(2) أخرجه أحمد في مسنده ح ٥٠/٢/٥١١٤ ، وفي مجمع الزوائد ذكر رواه الطبراني في الأوسط وفيه علي بن غراب وقد واحد ضعفه وبقية رجاله ثقات

(3) سورة آل عمران : ١٠٥

(4) سورة الروم : ٣١-٣٢

القرآن : أن يظن أن ما ذم الله به اليهود ، والنصارى ، والمشركين ، لا يتناول غيرهم ، وإنما هو في قوم كانوا فبانوا .

وقد قال الإمام ، الحافظ : سفيان بن عيينة ـ وهو من أتباع التابعين ـ من فسد من علمائنا ، ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ، ففيه شبه من النصارى ، وقد ثبت عن النبي ﷺ في الصحيحين ، وغيرهما ، من حديث أبي سعيد الخدري ، أنه قال : لتتبعن سنن من كان قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضب ، لسلكتموه ، قلنا يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن [1] ؟ وهذا : لفظ البخاري ، والأحاديث ، والآثار في هذا المعنى كثيرة .

وقد قال ابن عباس ، رضي الله عنهما ، في قوله تعالى : ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ ﴾[2] الآية .

قال : ما أشبه الليلة بالبارحة : ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ هؤلاء بنو إسرائيل ، شبهنا بهم ، لا أعلم إلا أنه ﷺ قال : والذي نفسي بيده ، لتتبعنهم ، حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه [3] فكيف يظن من له أدنى تمسك بالعلم ، بعد هذه الأدلة الواضحة ، والبراهين القاطعة ، أن هذه الأمة لا تشابه اليهود والنصارى ، ولا تفعل فعلهم ، ولا يتناولهم ما توعد الله به اليهود والنصارى ، إذا فعلوا مثل فعلهم ، ومن أنكر وقوع الشرك ، والكفر في هذه الأمة ، فقد خرق الإجماع ، وسلك طريق الغي ، والابتداع] [4].

---

(١) أخرجه البخاري : ح/٦٨٨٩ ، ٦/٢٦٦٩

(٢) سورة التوبة : ٦٩

(٣) أخرجه ابن كثير ٢/٣٦٩

(٤) الدرر السنية ، ج١ ، ص ٢٨٧ ـ ٢٩٠

وبين الإمام سعود بن عبدالعزيز بأن أئمة الدعوة لا يتبعون المتشابه من القرآن بل ساروا على هدي السلف الصالح ، حيث قال :

[ولسنا بحمد الله : نتبع المتشابه من التنزيل ، ولا نخالف ما عليه أئمة السنة من التأويل ، فإن الآيات ، التي استدللنا بها ، على كفر المشرك ، وقتاله ، هي من الآيات المحكمات ، في بابها ، لا من المتشابهات ، واختلف أئمة المسلمين في تأويلها ، والحكم بظاهرها ، وتفسيرها ، بل هي : من الآيات التي لا يعذر أحد من معرفة معناها ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[١] وقوله : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾[٢] وقوله : ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾[٣] الآية وقوله ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[٤] .

وأما قولكم : فأنا لله الحمد ، على الفطرة الإسلامية ، والاعتقادات الصحيحة ، ولم نزل بحمده تعالى عليها ، عليها نحيا ، وعليها نموت ، كما قال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ ﴾[٥] الآية ، فظاهرنا ، وباطننا بتوحيده تعالى ، في ذاته ، وصفاته ، كما بين في محكم كتابه ، قال تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾[٦]

---

[١] سورة النساء : ٤٨
[٢] سورة المائدة : ٧٢
[٣] سورة التوبة : ٥
[٤] سورة الأنفال : ٣٩
[٥] سورة إبراهيم : ٢٧
[٦] سورة النساء : ٣٦

وقال ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله [١] وقال ﷺ : بني الإسلام على خمس [٢] الخ ، فنقول : غاض الوفاء وفاض الجور وانفرجت مسافة الخلف بين القول والعمل .

وليس الإيمان بالتحلي ، ولا بالتمني ، ولكن : ما وقر في القلوب ، وصدقته الأعمال ، فإذا قال الرجل : أنا مؤمن ، أنا مسلم ، أنا من أهل السنة والجماعة ، وهو من أعداء الإسلام ، وأهله ، منابذ لهم ، بقوله ، وفعله ، لم يصر بذلك مؤمناً ، ولا مسلماً ، ولا من أهل السنة والجماعة ، ويكون كفره ، مثل اليهود فإنهم يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم .

فإن أصل الإسلام : شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ومضمون شهادة ألا إله ألا الله : ألا يعبد إلا الله وحده ، فلا يدعى إلا هو ، ولا يستغاث إلا به ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يخاف إلا منه ، ولا يرجى إلا هو ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[٤] وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٦].

---

[١] أخرجه البخاري : ح/١٧/١/٢٥ ، أخرجه مسلم : ح/٥٣/١/٢٢

[٢] أخرجه البخاري : ح/١٢/١/٨

[٣] سورة الكهف : ١١٠

[٤] سورة الجن : ١٨

[٥] سورة المائدة : ٢٣

[٦] سورة التوبة : ١٨

فكل من دعا مخلوقاً ، أو استغاث به ، أو جعل فيه نوعاً من الإلهية ، مثل أن يقول : يا سيدي فلان أغثني ، أو انصرني ، أو اقض ديني ، أو أشفع لي عند الله ، في قضاء حاجتي ، أو أنا متوكل على الله وعليك ، فهو مشرك في عبادة الله غيره ، وإن قال بلسانه : لا إله إلا الله ، وأنا مسلم ، وقد كفر الصحابة رضي الله عنهم : مانعي الزكاة ، وقاتلوهم ، وغنموا أموالهم ، وسبوا نساءهم ، مع إقرارهم بسائر شرائع الإسلام ، وذلك : لأن أركان الإسلام ، من حقوق لا إله إلا الله ، كما استدل به أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، على عمر ، حين أشكل عليه قتال مانعي الزكاة ، حين قال له : كيف تقاتل الناس ؟ وقد قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها ، عصموا مني دماءهم ، وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله [١] .

فقال أبو بكر : الزكاة من حقها ، والله لو منعوني عقالاً ، كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه ، قال عمر : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله ، قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق ، أخرجاه في الصحيحين ، وغيرهما من كتب الإسلام ، فكيف بمن كفر بمعنى لا إله إلا الله ؟ وصار الشرك وعبادة غير الله هو دينه ، وهو المشهور في بلده ، ومن أنكر ذلك عليهم ، كفروه ، وبدعوه ، وقاتلوه ، فكيف يكون من هذا فعله ، مسلماً من أهل السنة والجماعة ؟! مع منابذته لدين الإسلام ، الذي بعث الله به رسوله ﷺ من توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، إلى غير ذلك : من المجاهرة بالكفر ، والمعاصي ، واستحلال محارم الله ظاهراً .

[١] أخرجه البخاري : ح/١٧/١/٢٥ ، أخرجه مسلم : ح/٥٣/١/٢٢

فشعائر الكفر بالله ، والشرك به ، هي الظاهرة عندكم ، مثل : بناء القباب على القبور ، وإيقاد السرج عليها ، وتعليق الستور عليها ، وزيارتها بما لم يشرعه الله ورسوله ، واتخاذها عيداً ، وسؤال أصحابها قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات ، هذا مع : تضييع فرائض الله التي أمر الله بإقامتها ، من الصلوات الخمس ، وغيرها ، فمن أراد الصلاة صلى وحده ، ومن تركها ، لم ينكر عليه ، وكذلك الزكاة ، وهذا أمر قد شاع وذاع وملأ الأسماع في كثير من بلاد الشام ، والعراق ، ومصر ، وغير ذلك من البلدان .

وقد حدث ذلك ، في هذه البلدان ، كما ذكر ذلك العلماء في مصنفاتهم ، من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، فمن ذلك ، ما ذكره أبو الوفاء ، بن عقيل الحنبلي ، قال : لما صعبت التكاليف على الجهال ، والطغام ، عدلوا عن أوضاع الشرع ، إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم ، قال : وهم عندي كفار ، بهذه الأوضاع ، مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع ، من إيقاد النيران ، وتقبيلها ، وتخليقها ، وخطاب الموتى بالحوائج ، وكتب الرقاع ، فيها : يا مولاي أفعل بي كذا ، وكذا ، وأخذ تربتها ، تبركاً وإفاضة الطيب على القبور ، وشد الرحال إليها ، وإلقاء الخرق على الشجر ، اقتداء بمن عبد اللات ، والعزى .

والويل عندهم : لمن لم يقبل مشهد الكف ، ولم يتمسح بآجرة مسجد الملموسة ، يوم الأربعاء ، ولم يقل الحمالون على جنازته : أبوبكر الصديق أو محمد ، أو علي ، أو لم يعقد على قبر أبيه أزجاً ، بالجص والآجر ، ولم يخرق ثيابه إلى الذيل ، ولم يرق ماء الورد على القبر ، انتهى .

فانظر : إلى هذا الإمام ، كيف ذكر حدوث الشرك في وقته ؟ واشتهاره عند العامة الجهال ، وتكفيره لهم بذلك ، وهو من أهل القرن الخامس ، من تلامذة القاضي أبي يعلي ،

الحنبلي ، ونقل كلامه هذا ، غير واحد من أئمة الحنابلة ، كأبي الفرج ابن الجوزي ، في كتاب : تلبيس إبليس] [1] .

ومضى الإمام سعود بن عبدالعزيز في رسالته مستشهداً على منهج أئمة الدعوة بأقوال أهل العلم ، حيث قال :

[وقال الإمام : أبوبكر الطرطوشي ، المالكي ، لما ذكر حديث أبي واقد الليثي ولفظه : قال خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين ، ونحن حديثو عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون حولها ، وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط ، كما لهم ذات أنواط ، فقال النبي ﷺ : الله أكبر ، إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده ، كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون ، لتركبن سنن من كان قبلكم [2] .

قال الطرطوشي : فانظروا رحمكم الله ، أينما وجدتم سدرة ، أو شجرة يقصدها الناس ، ويعظمونها ، ويرجون البرء والشفاء من قبلها ، ويضربون بها المسامير ، والخرق ، فهي : ذات أنواط فاقطعوها ، انتهى .

فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة ، لتعليق الأسلحة ، والعكوف حولها ، اتخاذ : آلهة مع الله ، مع أنهم لا يعبدونها ، ولا يسألونها ، فما ظنك بالعكوف حول القبر ؟ والدعاء به ودعائه ، والدعاء عنده ، فأي نسبة بالفتنة بشجرة ، إلى الفتنة بالقبر ، لو كان أهل الشرك ، والبدع يعلمون ؟! .

وقال الحافظ : أبو محمد ، عبدالرحمن بن إسماعيل ، المعروف بأبي شامة ، الشافعي ، في كتابه : الباحث في إنكار البدع والحوادث .

---

(1) الدرر السنية ، ج١ ، ص ٢٩٠ ـ ٢٩٤

(2) أخرجه ابن حبان ح ٩٤/١٥/٦٧٠٢

ومن هذا القسم : أيضاً ، ما قد عم به الابتلاء ، من تزيين الشياطين للعامة تخليق الحيطان والعمد وسرج مواضع مخصوصة من كل بلد ، يحكى لهم حاك: أنه رأى في منامه بها أحداً ، ممن شهر بالصلاح ، والولاية ، فيفعلون ذلك ، ويحافظون عليه ، مع تضييعهم فرائض الله وسننه ، ويظنون أنهم متقربون بذلك ، ثم يتجاوزون هذا ، إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها ، ويرجون الشفاء لمرضاهم ، وقضاء حوائجهم ، بالنذر لها .

وهي ما بين : عيون ، وشجر ، وحائط ، وحجر ، وفي مدينة دمشق ، من ذلك مواضع متعددة ، كعوينة الحمى ، خارج باب توما ، والعمود المخلق ، داخل الباب الصغير ، والشجرة الملعونة اليابسة ، خارج باب النصر ، في نفس قارعة الطريق ، سهل الله قطعها ، واجتثاثها من أصلها ، فما أشبهها بذات أنواط ، التي في الحديث ، ثم ساق حديث : أبي واقد الليثي المتقدم ، ثم ذكر : أنه بلغه بعض أهل العلم ، ببلاد افريقية ، أنه كان إلى جانبه عين تسمى : عين العافية ، كان العامة قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق ، فمن تعذر عليه ، نكاح ، أو ولد ، قال : امضوا بي إلى العافية ، فتعرف فيها الفتنة ، فخرج في السحر ، فهدمها ، وأذن الصبح عليها ، ثم قال : اللهم إني هدمتها لك ، فلا ترفع لها رأساً ، قال : فما رفع بها رأس إلى الآن .

قال وأدهى من ذلك ، وأمرّ ، إقدامهم على الطريق السابلة ، يجيزون في أحد الأبواب الثلاثة القديمة العادية التي هي من بناء الجن ، في زمن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام ، أو من بناء ذي القرنين ، أو من بناء غيره ، مما يؤذن بالتقدم ، على ما نقلناه ، في كتاب : تاريخ دمشق ، وهو الباب الشمالي ، ذكر لهم بعض من لا يوثق به ، في شهور سنة ست وثلاثين وستمائة ، أنه رأى مناماً ، يقتضي أن ذلك المكان ، دفن فيه بعض أهل البيت ، وقد اخبرني عنه ثقة : أنه اعترف له أنه افتعل ذلك ،

فقطعوا طريق المارة فيه ، وجعلوا الباب بكماله مسجداً مغصوباً ، وقد كان الطريق يضيق بسالكيه ، فتضاعف الضيق والحرج على من دخل ، ومن خرج ، ضاعف الله نكال من تسبب في بنائه ، وأجزل ثواب من أعان على هدمه ، وإزالة اعتدائه ، اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ في هدم مسجد الضرار ، انتهي كلامه .

فانظر إلى كلام هؤلاء الأئمة ، وما حدث في زمانهم من الشرك ، وأنه قد عم الابتلاء به في وقتهم ، ومعلوم أنه لا يأتي زمان ، إلا والذي يعده شر منه وتأمل كلامه ، في تخصيصه دمشق ، بما حدث فيها من الشرك ، والأوثان ، وتمنيه أزالة ذلك ، وهي بلده ، ومستوطنه] [1] .

ثم بين الإمام سعود بن عبدالعزيز في رسالته أن الاجتهاد المذموم الذي هو من مكائد الشيطان حرف أمم عن عبادة الله وهذا ماذكره ابن القيم رحمه الله في كتابه : إغاثة اللهفان ، حيث قال :

[ومن أعظم مكائده ـ التي كاد بها أكثر الناس ، وما نجا منها إلا من لم يرد الله فتنته ـ ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه وأوليائه ، من الفتنة بالقبور ، حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابها ، ثم جعلت تلك الصور أجساداً ، لها ظل ، ثم جعلت أصناماً ، وعبدت مع الله ، وكان أول هذا الداء العظيم ، في قوم نوح ، وأطال الكلام في ذلك إلى أن قال : وكان بدمشق كثير من هذه الأنصاب ، فيسر الله سبحانه كسرها ، على يد شيخ الإسلام ، وحزب الله الموحدين ، كالعمود المخلق ، والنصب الذي كان بمسجد النارنج ، عند المصلى ، يعبده الجهال ، والنصب الذي كان تحته الطاحون ، الذي عنده مقابر النصارى ، ينتابه الناس للتبرك ، وكان صورة صنم في نهر : القلُوط ينذرون له ، ويتبركون به ، وقطع الله سبحانه في المسجد ، الذي عند الرحبة ، يسرج عنده ، ويتبرك

---

[1] الدرر السنية ، ج١ ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٧

به المشركون ، وكان عموداً طويلاً ، على رأسه حجر ، كالكرة ، وعند مسجد درب الحجر : نصب قد بني عليه ، مسجد صغير يعبده المشركون ، يسر الله كسره .

فما أسرع أهل الشرك ، إلى اتخاذ الأوثان من دون الله ، ولو كانت ما كانت ، ويقولون : إن هذا الحجر ، وهذه الشجرة ، وهذه العين ، تقبل النذر ، أي تقبل العبادة من دون الله ، فإن النذر عبادة ، وقربة ، يتقرب بها الناذر إلى المنذور له ، ويتمسحون بذلك النصب ، ويستلمونه .

ولهذا : أنكر السلف التمسح بحجر المقام ، والذي أمر الله أن يتخذ مصلى ، كما ذكره الأزرقي في كتاب مكة ، عن قتادة ، في قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[1] قال : إنما أمروا أن يصلوا عنده ، ولم يؤمروا بمسحه ، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم ، ذكر لنا : من رأى أثره ، وأصابعه ، فما زالت هذه الأمة تمسحه ، حتى اخلولق . ـ انتهى .

وقال ابن القيم رحمه الله ، في كتابه المشهور : بزاد المعاد ، في هدى خير العباد ، لما ذكر غزوة الطائف ، وقدوم وفدهم على رسول الله ﷺ وأنهم سألوه أشياء ، وكان فيما سألوه : أن يدع لهم اللات ثلاث سنين ، لا يهدمها ، واعتذروا أن مرادهم بذلك ، أن لا يروعوا نساءهم ، وسفهائهم ، فأبى عليهم رسول الله ﷺ ، فما برحوا يسألونه سنة ، ويأبى عليهم ، حتى سألوه شهراً واحداً بعد قدومهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى .

قال : لما ذكر فوائد القصة ، ومنها : أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك ، والطواغيت ، بعد القدرة على هدمها ، وإبطالها يوماً واحداً ، فإنها شعائر الكفر والشرك ،

---

(١) سورة البقرة : ١٢٥

وهي أعظم المنكرات ، فلا يجوز : الإقرار عليها مع القدرة البتة ، وهكذا حُكم المشاهد ، التي بنيت على القبور ، التي اتخذت أوثاناً ، وطواغيت ، تعبد من دون الله ، والأحجار التي تقصد ، للتعظيم والتبرك ، والنذر ، التقبيل ، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض ، مع القدرة على أزالته ، وكثير منها بمنزلة : اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، وأعظم شركاً عندها ، وبها والله المستعان .

ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت ، يعتقد : أنها تخلق ، أو ترزق ، أو تحيي ، وتميت ، وإنما كانوا يفعلون عندها ، وبها : ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم ، عند طواغيتهم ، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم ، وسلكوا سبيلهم ، حذو القذة بالقذة ، وأخذوا مأخذهم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، وغلب الشرك على أكثر النفوس ، لظهور الجهل ، وخفاء العلم ، وصار المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والسنة بدعة ، والبدعة سنة ، ونشأ في ذلك الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وطمست الأعلام ، واشتدت غربة الإسلام ، وقلت العلماء ، وغلبت السفهاء ، وتفاقم الأمر ، واشتد البأس ، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، ولكن لا تزال طائفة ، من العصابة المحمدية بالحق قائمين ، ولأهل الشرك ، والبدع ، مجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

ومنها : جواز صرف الإمام الأموال ، التي تصير إلى هذه المشاهد ، والطواغيت في الجهاد ، ومصالح المسلمين ، فيجوز للإمام ، بل يجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت ، التي تساق إليها ، ويصرفها على الجند ، والمقاتلة ، ومصالح المسلمين ، كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات ، وأعطاها لأبي سفيان يتألفه بها ، وقضى منها دين عروة ، والأسود ، وكذا : يجب عليه هدم هذه المشاهد التي بنيت على القبور ، التي

اتخذت أوثاناً ، وله : أن يقطعها للمقاتلة ، أو يبيعها ، ويستعين بأثمانها على مصالح المسلمين .

وكذا : الحكم في أوقافها ، فإن وقفها ، والوقف عليها باطل ، وهو مال ضائع ، فيصرف في مصالح المسلمين ، فإن الوقف لا يصح إلا في قربة ، وطاعة لله ورسوله ، فلا يصح الوقف : على مشهد ، ولا قبر يسرج عليه ، ويعظم وينذر له ، ويحج إليه ، ويعبد من دون الله ، ويتخذ آلهاً من دونه ، وهذا : لا يخالف فيه أحد من أئمة الإسلام ، ومن اتبع سبيلهم .

وقال : الشيخ قاسم ، في شرح : درر البحار ، وهو من أئمة الحنفية ، النذر : الذي يقع من أكثر العوام ، يأتي إلى قبر بعض الصلحاء ، قائلاً يا سيدي : فلان ، إن رد غائبي ، أو عوفي مريضي ، أو قضيت حاجتيه ، فلك من الذهب ، أو الطعام ، أو الشمع ، كذا ، باطل إجماعاً لوجوه منها : أن النذر للمخلوق لا يجوز ، ومنها : أن ذلك كفر ـ إلى أن قال ـ وقد ابتلى الناس بذلك ، لا سيما في مولد أحمد البدوي ، انتهى كلامه .

وقال الأذرعي ، في قوت المحتاج ، شرح المنهاج ، وهو من أئمة الشافعية ، وأما : النذر للمشاهد ، التي بنيت على قبر ولي ، أو شيخ ، أو على اسم من حلها من الأولياء ، أو تردد في تلك البقعة ، من الأنبياء ، والصالحين ، فإن قصد الناذر بذلك ـ وهو الغالب ، أو الواقع ، من مقصود العامة ـ تعظيم البقعة ، والمشهد ، والزاوية ، أو تعظيم من دفن بها ، ممن ذكرنا ، أو نسبت إليه ، أو بنيت على اسمه ، فهذا النذر : باطل ، غير منعقد .

فإن معتقدهم : أن لهذه الأماكن خصوصيات بأنفسها ، ويرون أنها مما يدفع بها البلاء ، ويستجلب به النعماء ، ويستشفي بالنذر لها من الأدواء ، حتى إنهم ينذرون

لبعض الأحجار ، لما قيل : إنه جلس إليها أو استند إليها عبد صالح ، وينذرون : لبعض القبور السرج ، والشموع ، والزيت ، ويقولون : القبر الفلاني ، والمكان الفلاني ، يقبل النذر ، يعنون ذلك أنه يحصل بالنذر له الغرض المأمول ، من شفاء مريض ، وقدوم غائب ، أو سلامة مال ، وغير ذلك من أنواع : نذر المجازاة .

فهذا النذر ، على هذا الوجه ، باطل ، لا شك فيه ، بل نذر الزيت ، والشمع ، ونحوهما للقبور ، باطل مطلقاً ، من ذلك : نذر الشموع ، الكثيرة العظيمة ، لقبر الخليل ﷺ ، ولقبر غيره من الأنبياء ، والأولياء ، فإن الناذر : لا يقصد بذلك ، إلا الإيقاد على القبر ، تبركاً وتعظيماً ، ظاناً : أن ذلك قربة ، وأكثر من ينذر ذلك ، يصرح بمقصوده ، فيقول : لله علي كذا من الشمع مثلاً ، يوقد عند رأس الخليل ، أو على القبر الفلاني ، أو قبر الشيخ فلان ، فهذا مما لا ريب في بطلانه ، والإيقاد المذكور ، محرم ، سواء انتفع به منتفع هناك ، أم لا ، لأن الناذر ، لم يقصد ذلك ، ولا مر بباله ، بل قصده ، وغرضه ما أشرنا إليه ، فهذا الفعل : من البدع الفاحشة ، التي عمت بها البلوى ، وفيها مضاهاة لليهود والنصارى ، الذين لعنوا في الحديث الصحيح على تعاطيهم ذلك ، على قبور أنبيائهم ، عليهم السلام ، انتهى .

فانظر : إلى تصريح هؤلاء الأئمة ، بأن هذه الأعمال الشركية ، قد عمت بها البلوى ، وشاعت في كثير من بلاد الشام ، وغيرها ، وأن الإسلام : قد اشتدت غربته ، حتى صار المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، وأن هذه المشاهد ، والأبنية ، التي على القبور ، قد كثرت ، وكثر الشرك عندها ، وبها ، حتى صار كثير منها ، بمنزلة اللات ، والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى بل أعظم شركاً عندها ، وبها ، وهذا مما يبطل قولكم : إنكم على الفطرة الإسلامية ، والاعتقادات الصحيحة ، ويبين : أن أكثركم ، قد فارق ذلك ،

ونبذه وراء ظهره ، وصار دينه الشرك بالله ، ودعاء الأموات ، والاستغاثة بهم ، وسؤالهم وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، والتمسك بالبدع المحدثات] [1].

وبين الإمام سعود بن عبدالعزيز أيضاً في رسالته لسليمان باشا بأنه لا يجوز الدعاء بأن الشركيات التي تعمل عند قبور الصالحين مبنية على أنكم مجتهدون وتابعون للأئمة الأربعة ، حيث أن هذا الاجتهاد قائم على رأي مذموم إمامه الشيطان ودافعه الهوى وما تزينه النفس إذ :

[قد بينا من كلام الله ، وكلام رسوله ، وكلام أتباع الأئمة الأربعة ، ما يدحض حجتكم الواهية ، ويبطل دعواكم الباطلة ، وليس : كل من ادعى دعوى ، صدقها بفعله ، فما استغنى فقير ، بقوله : ألف دينا ر، وما احترق لسان ، بقوله : نار فإن اليهود أعداء رسول الله ﷺ قالوا لرسول الله ، لما دعاهم إلى الإسلام ، قالوا : نحن مسلمون ، إلا إن كنت تريد أن نعبدك ، كما عبدت النصارى المسيح ، وقالت : النصارى مثل ذلك ، وكذلك فرعون قال لقومه ، ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[2] . وقد كذب وافترى في قوله ذلك ، وحالكم وحال أئمتكم ، وسلاطينكم : تشهد بكذبكم ، وافترائكم في ذلك ، وقد رأينا لما فتحنا الحجرة الشريفة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، عام اثنين وعشرين ، رسالة لسلطانكم سليم أرسلها ابن عمه ، إلى رسول الله ﷺ يستغيث به ، ويدعوه ، ويسأله النصر على الأعداء ، من النصارى ، وغيرهم ، وفيها من الذل والخضوع والعبادة والخشوع ما يشهد بكذبكم .

وأولها : من عبيدكم السلطان سليم ، وبعد : يا رسول الله ، قد نالنا الضر ، ونزل بنا من المكروه ، ما لا نقدر على دفعه ، واستولى عباد الصلبان ، على عباد الرحمن ،

---

(١) الدرر السنية ، ج ١، ص ٢٩٧ ـ ٣٠٣

(٢) سورة غافر : ٢٩

نسألك النصر عليهم ، والعون عليهم ، وأن تكسرهم عنا ، وذكر كلاماً كثيراً هذا معناه وحاصله .

فانظر إلى هذا الشرك العظيم ، والكفر بالله الواحد العليم ، فما سأله المشركون من آلهتكم ، العزى ، واللات ، فإنهم إذا نزلت بهم الشدائد أخلصوا لخالق البريات .

فإذا كان هذا حال خاصتكم ، فما الظن بفعل عامتكم ، وقد رأينا من جنس كلام سلطانكم ، كتباً كثيرة ، في الحجرة للعامة ، والخاصة ، فيها من سؤال الحاجات ، وتفريج الكربات ، وما لا نقدر على ضبطه ، وقد ورد في الحديث الذي رواه أبوداود وغيره : أن النبي ﷺ أخبر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار ، إلا واحدة ، قيل : من هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي [١] .

فأهل السنة والجماعة : هم أتباع رسول الله ﷺ في كل زمان ، ومكان ، وهم الفرقة الناجية ، كالصحابة ، والتابعين ، والأئمة الأربعة ، ومن تبعهم بأحسان إلى يوم القيامة ، وقد بعث الله جميع رسله بتوحيده ، ورفع مناره ، وطمس الشرك ، ومحو آثاره ، ومن أعظم الشرك والضلال : ما وقع في هذه الأمة ، من البناء على القبور ، ومخاطبة أصحابها بقضاء الأمور ، وصرف : كثير لها من العبادات ، والنذور فهذا النبي ﷺ هل تجد في عصره ، بناء على قبر صالح ؟ أو ولي ؟ أو شهيد ؟ أو نبي ؟ بل : نهى عن البناء على القبور كما ثبت في صحيح مسلم وغيره .

وكذلك : أصحابه من بعده ، فتحوا الشام ، والعراق ، وغالب أقطار الأرض ، فهل تجدون أحداً منهم بنى على قبر أو دعاه ؟ أو استغاث به ؟ أو نذر له ؟ أو ذبح له ؟ أو وقف عليه وقفاً ؟ أو أسرج عليه ؟ بل : ثبت عنه ﷺ النهي عن ذلك ، والتغليظ فيه ،

---

[١] سبق تخريجه في صفحة : ٣٩٦

ولعن من فعله ، كما ثبت عنه أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أن لا يدع تمثالاً إلا طمسه ، ولا قبراً مشرفاً إلى سواه ، رواه مسلم ، وكذلك لم يكن أحد من الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، يقول إذا نزلت بهم ترة ، أو عرضت له حاجة لميت ، يا سيدي : فلان ، أنا في حسبك ، أو اقض حاجتي ، كما يقوله بعض هؤلاء المشركين ، لمن يدعونهم ، من الموتى والغائبين ، ولا أحد من الصحابة ، استغاث بالنبي ﷺ وشفاعته ، في حياته ، ولهذا توسلوا بعد وفاته بدعاء العباس ، وهذا كله ، تحقيق لما بعث الله به رسوله ﷺ من إخلاص العبادة ، بجميع أنواعها لله وحده ، الذي هو حقيقة معنى : لا إله إلا الله ، فإن الله إنما أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ليعبد وحده ، ولا يدعى معه إله آخر ، لا دعاء عبادة ، ولا دعاء مسألة ، وقد قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[2] فاتخاذ الأحبار ، والرهبان ، أرباباً ، هو من فعل اليهود والنصارى .

وقال غير واحد من العلماء إن من أسباب الكفر والشرك : الغلو في الصالحين ، كعبدالقادر ، وأمثاله ، بل الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، بل الغلو في الأنبياء ، كالمسيح وغيره ، فمن غلا في نبي ، أو ولي أو جعل فيه نوعاً من الإلهية ، مثل أن يقول : يا سيدي فلان ، أغثني ، أو انصرني ، أو أنا في حسبك ، فكل هذا شرك وضلال ، يستتاب صاحبه ، فإن تاب وإلا قتل .

---

[1] سورة النساء : ١٧١

[2] سورة التوبة : ٣١

قال : ابن القيم رحمه الله ، في شرح : المنازل ، ومن أنواع الشرك : طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجه إليهم ، وهذا : أصل شرك العالم ، إلى أن قال : وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر ، إلا من جرد التوحيد لله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم إلى الله ، قال : وما أعز من تخلص من هذا ، بل : ما أعز من لا يعادي من أنكره](1) .

ثم يستمر الإمام سعود بن عبدالعزيز مبيناً في رسالته خطأ فهم سليمان باشا ، حيث قال : أنهم سلكو طريق الاجتهاد زاعماً أن خطئهم هذه سنة ماضيه لا تخرجهم من دائرة الإسلام ، كما زعمت الخوارج ، واجتهادهم ابتداع غير مشروع ، يقول الإمام سعود في هذا الشأن :

[وأما : قولكم ، وأما ما اعترينا ، وما ابتلينا به من الذنوب فليست : أول قارورة كسرت في الإسلام ، ولا يخرجنا من دائرة الإسلام ، كما زعمت الخوارج ، من الفرق الضالة ، الذين عقيدتهم ، على خلاف عقيدة أهل السنة والجماعة .

فنقول نحن بحمد الله ، لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ، وإنما نكفر لهم ، بما نص الله ، ورسوله ، وأجمع عليه علماء الأمة المحمدية ، الذين لهم لسان صدق في الأمة : أنه كفر ، كالشرك في عبادة الله غيره ، من دعاء ، ونذر وذبح ، وكبغض الدين وأهله ، والاستهزاء به ، وأما الذنوب ، كالزنى ، والسرقة ، وقتل النفس ، وشرب الخمر والظلم ، ونحو ذلك ، فلا نكفر من فعله ، إذا كان مؤمناً بالله ورسوله ، إلا إن فعله مستحلاً له ، فما كان من ذلك فيه حد شرعي ، أقمناه على من فعله ، وإلا عزرنا الفاعل بما يردعه ، وأمثاله من ارتكاب المحرمات .

---

(1) الدرر السنية ، ج1 ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٧

وقد جرت المعاصي ، والكبائر ، في زمن رسول الله ﷺ وأصحابه ، ولم يكفروا بها ، وهذا مما رد به أهل السنة والجماعة على الخوارج ، الذين يكفرون بالذنوب ، وعلى المعتزلة الذين يحكمون بتخليده في النار ، وإن لم يسموه كافراً ، ولا مؤمناً ، بل فاسقاً ، وينكرون شفاعة رسول الله ﷺ يوم القيامة ، ويقولون : لا يخرج من النار أحد دخلها بشفاعة ، ولا غيرها .

ونحن بحمد الله براء من هذين المذهبين ، مذهب الخوارج ، والمعتزلة ، ونثبت شفاعة رسول الله ﷺ وغيره من الأنبياء ، والصالحين ، ولكنها : لا تكون إلا لأهل التوحيد خاصة ، ولا تكون إلا بإذن الله ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[1]، وقال : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[2] فذكر في الشفاعة شرطين ، أحدهما : أنها لا تكون إلا بعد الإذن من الله للشافع ، لا كما يظنه المشركون ، الذين يسألونها من غير الله في الدنيا .

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[3] قال ابن القيم ، رحمه الله تعالى ، في الكلام على هذه الآية : وقد قطع الله سبحانه تعالى ، في الكلام على هذه الآية : وقد قطع الله سبحانه الأسباب ، التي يتعلق بها المشركون جميعاً ، قطعاً ، يعلم من تأمله ، وعرفه : أن من

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٨

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥

(٣) سورة سبأ : ٢٢- ٢٣

اتخذ من دون الله ولياً ، أو شفيعاً ، فمثله : ﴿ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾[١].

فالمشرك : إنما يتخذ معبوده ، لما يحصل له به من النفع ، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة ، من هذه الأربع : إما مالك لما يريده عابده منه ، فإن لم يكن مالكاً ، كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً ، كان معيناً أو ظهيراً فإن لم يكن معيناً أو ظهيراً ، كان شفيعاً عنده ، فنفى سبحانه : المراتب الأربع ، نفياً مرتباً ، منتقلاً من الأعلى إلى ما دونه ، فنفى الملك ، والشركة ، والمظاهرة ، والشفاعة ، التي يطلبها المشرك ، وأثبت شفاعة ، لا نصيب فيها لمشرك ، وهي : الشفاعة بإذنه .

فكفى بهذه الآية : نوراً ، وبرهاناً ، ونجاة ، وتجريداً للتوحيد ، وقطعاً : لأصول الشرك ، ومواده ، لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ، ونظائرها ، ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته ، ويظنه في نوع ، وقوم قد خلوا من قبل ، ولم يعقبوا وارثاً ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا ، فقد ورثهم من هو مثلهم ، وشر منهم ، ودونهم ، وتناول القرآن لهم ، كتناوله لأولئك .

ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنما تنقض عرى الإسلام ، عروة عروة ، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية ، أي : لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن ، وذمه وقع فيه ، وأقره ، ودعا إليه ، وصوبه ، وحسنه ، وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه الجاهلية ، أو نظيره ، أو شر منه ، أو دونه ، فتنتقض بذلك عرى الإسلام ، ويعود المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والبدعة سنة ، والسنة

---

[١] سورة العنكبوت : ٤١

بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الإيمان ، وتجريد التوحيد ، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء ، والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي ، يرى ذلك عياناً ، وبالله التوفيق ، انتهى .

وهذا الذي ذكره غير واحد عن أئمة العلم ، من تغير الإسلام ، وغربته قد أخبر به الصادق المصدق ، صلوات الله وسلامه عليه ، كما ثبت عنه في صحيح مسلم ، أنه قال : بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ [١] وفي حديث ثوبان ، الذي في صحيح مسلم وغيره ، ولا تقوم الساعة ، حتى يعبد فئام من أمتي الأوثان وفي حديث العرباض بن سارية ، أنه ﷺ قال : إنه من يعش منكم ، فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين ، المهديين ، من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة ضلالة [٢] أخرجه أبوداود وغيره ، وفي صحيح البخاري عنه ﷺ أنه قال : لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس ، حول ذي الخلصة [٣] .

وهذا الذي تقدم ذكره ، من كلام أهل العلم ، من حدوث الشرك ، وغيره ، من البدع في هذه الأمة وكثرته ، هو مصداق ما أخبر به النبي ﷺ في هذه الأحاديث وغيرها][٤].

ويستمر الإمام سعود بن عبدالعزيز في بيان منهجه ومنهج علماء الدعوة بأن اجتهادهم مبني على قواعد شرعية سلكها العلماء المحققون فإن أفعالهم ليست أهواء

---

[١] أخرجه مسلم : ح/١٤٥/١/١٣٠
[٢] سبق تخريجه في صفحة :٣٨٣
[٣] أخرجه البخاري : ح/٦٦٩٩/٦/٢٦٠٤ ، وأخرجه مسلم : ح/٢٩٠٦/٤/٢٢٣٠
[٤] الدرر السنية ، ج ١، ص ٣٠٧ ـ ٣١١

ومطامع أو رغبة في تفريق المسلمين أو قتالهم ، يقول الإمام سعود في رسالته لسليمان باشا :

] وأما قولكم : فكيف التجري بالغفلة ، على إيقاظ الفتنة ، بتكفير المسلمين ، وأهل القبلة ، ومقاتلة قوم ، يؤمنون بالله ، واليوم الآخر ، واستباحة أموالهم وأعراضهم ، وعقر مواشيهم ، وحرق أقواتهم ، من نواحي الشام ... الخ ؟

فنقول : قد قدمنا أننا لا نكفر بالذنوب ، وإنما نقاتل ، ونكفر من أشرك بالله ، وجعل لله نداً ، يدعوه كما يدعو الله ، ويذبح له ، كما يذبح لله ، وينذر له ، كما ينذر لله ، ويخافه كما يخاف الله ، ويستغيث به عند الشدائد ، وجلب الفوائد ، ويقاتل دون الأوثان ، والقباب المبنية على القبور ، التي اتخذت أوثاناً تعبد من دون الله ، فإن كنتم صادقين في دعواكم : أنكم على ملة الإسلام ومتابعة الرسول ﷺ فاهدموا تلك الأوثان كلها ، وسووها بالأرض ، وتوبوا إلى الله ، من جميع الشرك والبدع ، وحققوا قول : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

ومن صرف من أنواع العبادة شيئاً لغير الله ، من الأحياء والأموات ، فانهوه عن ذلك ، وعرفوه أن هذا مناقض لدين الإسلام ، ومشابهة لدين عباد الأصنام ، فإن لم ينته عن ذلك إلا بالمقاتلة ، وجب قتاله ، حتى يجعل الدين كله لله ، وقوموا على رعاياكم بالتزام شعائر الإسلام ، وأركانه ، من إقام الصلاة جماعة في المساجد ، فإن تخلف أحد ، فأدبوه ، وكذلك الزكاة التي فرض الله ، تؤخذ من الأغنياء وترد على أهلها ، الذين أمر الله بصرفها إليهم .

فإذا فعلتم ذلك : فأنتم إخواننا ، لكم ما لنا ، وعليكم ما علينا ، يحرم علينا دماؤكم وأموالكم ، وأما إن دمتم على حالكم هذه ، ولم تتوبوا من الشرك ، الذي أنتم عليه ، وتلتزموا دين الله ، الذي بعث الله به رسوله ، وتتركوا الشرك والبدع ، والمحدثات ، لم

نزل نقاتلكم ، حتى تراجعوا دين الله القويم ، وتسلكوا صراطه المستقيم ، كما أمرنا الله بذلك ، حيث يقول ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾[2]][3] .

وقد بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب أموراً خالف فيها أهل الجاهلية الكتابيين والأميين رسول الله ﷺ ، وهو المنهج الذي اتبعه أئمة الدعوة في التفريق بين الرأي الممدوح شرعاً والرأي المذموم شرعاً والمتمثل في استحسان ما عليه أهل الجاهلين وبين مواطن الخلل ، في مائة وسبعة وعشرون مسألة هي :

[المسألة الأولى : أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين ، في دعاء الله ، وعبادتهم ، يريدون شفاعتهم عند الله ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[4] . وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[5] . وهذه أعظم مسألة ، خالفهم فيها رسول الله ﷺ فأتى بالإخلاص ، وأخبر أنه دين الله ، الذي أرسل به جميع الرسل ، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص ، وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه ، فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وهذه المسألة هي التي تفرق الناس لأجلها ، بين مسلم

---

[1] سورة الأنفال : ٣٩
[2] سورة التوبة : ٥
[3] الدرر السنية ، ج١ ، ص ٣١١ - ٣١٣
[4] سورة يونس : ١٨
[5] سورة الزمر : ٣

وكافر ، وعندها وقعت العداوة ولأجلها شرع الجهاد ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[١] .

المسألة الثانية : أنهم متفرقون في دينهم ، كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[٢] . وكذلك في دنياهم ، ويرون ذلك هو الصواب ، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾[٤] . ونهانا عن مشابهتهم بقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ﴾[٥] ونهانا عن التفرق في الدين بقوله : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[٦] .

المسألة الثالثة : أن مخالفة ولي الأمر عندهم ، وعدم الانقياد له ، فضيلة والسمع والطاعة ، ذل ومهانة ، فخالفهم رسول الله ﷺ وأمر بالصبر على جور الولاة ، وأمر بالسمع والطاعة لهم ، والنصيحة ، وغلظ في ذلك ، وأبدى فيه وأعاد ، وهذه الثلاث ، التي جمع بينها فيما ذكر عنه ، في الصحيحين أنه قال : إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرقوا ، وأن

---

[١] سورة الأنفال : ٣٩

[٢] سورة الروم : ٣٢

[٣] سورة الشورى : ١٣

[٤] سورة الأنعام : ١٥٩

[٥] سورة آل عمران : ١٠٥

[٦] سورة آل عمران : ١٠٣

تناصحوا من ولاة أمركم [١] ولم يقع خلل في دين الناس ، ودنياهم ، إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث ، أو بعضها .

الرابعة : أن دينهم مبني على أصول ، أعظمها : التقليد ، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار ، أولهم وآخرهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٣] . فأتاهم بقوله : ﴿ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ ﴾[٤] الآية ، وقوله : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[٥] .

الخامسة : أن من أكبر قواعدهم ، الاغترار بالأكثر ، ويحتجون به على صحة الشيء ، ويستدلون على بطلان الشيء ، بغربته ، وقلة أهله ، فأتاهم بضد ذلك ، وأوضحه في غير موضع من القرآن .

السادسة : الاحتجاج بالمتقدمين ، كقوله : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾[٦] وقوله : ﴿ وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[٧] .

---

(١) سبق تخريجه في صفحة
(٢) سورة الزخرف : ٢٣
(٣) سورة لقمان : ٢١
(٤) سورة سبأ : ٤٦
(٥) سورة الأعراف : ٣
(٦) سورة طه : ٥١
(٧) سورة القصص : ٣٦

السابعة : الاستدلال بقوم ، أعطوا قوى في الأفهام ، والأعمال ، وفي الملك ، والمال ، والجاه ، فرد الله ذلك بقوله : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّكُمْ فِيهِ ﴾[1] الآية ، وقوله : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾[2] وقوله : ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾[3] الآية .

الثامنة : الاستدلال على بطلان الشيء ، بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء كقوله : ﴿ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾[4] .

وقوله : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ فرده الله بقوله : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[5] .

التاسعة : الاقتداء بفسقة العلماء ، فأتى بقوله : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[6] وبقوله : ﴿ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[7] .

---

(1) سورة الأحقاف : ٢٦
(2) سورة البقرة : ٨٩
(3) سورة البقرة : ١٤٦
(4) سورة الشعراء : ١١١
(5) سورة الأنعام : ٥٣
(6) سورة التوبة : ٣٤
(7) سورة المائدة : ٧٧

العاشرة : الاستدلال على بطلان الدين ، بقلة أفهام أهله ، وعدم حفظهم كقوله: ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْيِ ﴾[١] .

الحادية عشر : الاستدلال بالقياس الفاسد ، كقوله : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾[٢].

الثانية عشر : إنكار القياس الصحيح ، والجامع لهذا وما قبله : عدم فهم الجامع ، والفارق .

الثالثة عشر : الغلو في العلماء ، الصالحين ، كقوله : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾[٣] .

الرابعة عشر : أن كل ما تقدم ، مبني على قاعدة وهي : النفي ، والإثبات ، فيتبعون الهوى ، والظن ، ويعرضون عما آتاهم الله .

الخامسة عشر : اعتذارهم عن اتباع ما آتاهم الله ، بعدم الفهم ، كقوله : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾[٤] ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾[٥] فأكذبهم الله ، وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم والطبع بسبب كفرهم .

السادسة عشر : اعتياضهم عما أتاهم من الله ، بكتب السحر ، كما ذكر الله ذلك في قوله : ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾[٦] .

---

(١) سورة هود : ٢٧
(٢) سورة إبراهيم : ١٠
(٣) سورة النساء : ١٧١
(٤) سورة البقرة : ٨٨
(٥) سورة هود : ٩١
(٦) سورة البقرة : ١٠١ – ١٠٢

السابعة عشر : نسبة باطلهم إلى الأنبياء ، كقوله : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾[1] وقوله : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا ﴾[2] .

الثامنة عشر : تناقضهم في الانتساب ، ينتسبون إلى إبراهيم مع إظهارهم ترك اتباعه .

التاسعة عشر : قدحهم في بعض الصالحين ، بفعل بعض المنتسبين ، كقدح اليهود في عيسى ، وقدح اليهود ، والنصارى في محمد ﷺ .

العشرون : اعتقادهم في مخاريق السحرة ، وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين ، ونسبته إلى الأنبياء ، كما نسبوه لسليمان .

الحادية والعشرون : تعبدهم بالمكاء ، والتصدية .

الثانية والعشرون : أنهم اتخذوا دينهم لهواً ولعباً .

الثالثة والعشرون : أن الحياة الدنيا غرتهم ، فظنوا أن عطاء الله منها يدل على رضاه كقوله : ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾[3] .

الرابعة والعشرون : ترك الدخول في الحق ، إذا سبقهم إليه الضعفاء ، تكبراً وأنفة ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾[4] .

الخامسة والعشرون : الاستدلال على بطلانه ، بسبق الضعفاء كقوله : ﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾[5] .

---

(1) سورة البقرة : ١٠٢
(2) سورة آل عمران : ٦٧
(3) سورة سبأ : ٣٥
(4) سورة الأنعام : ٥٢
(5) سورة الأحقاف : ١١

السادسة والعشرون : تحريف كتاب الله ، من بعد ما عقلوه وهم يعلمون .

السابعة والعشرون : تصنيف الكتب الباطلة ، ونسبتها إلى الله ، كقوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[١] .

الثامنة والعشرون : أنهم لا يعقلون من الحق ، إلا الذي مع طائفتهم ، كقوله : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾[٢] .

التاسعة والعشرون : أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله الطائفة ، كما نبه الله عليه بقوله : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٣] .

الثلاثون : ـ وهي من عجائب آيات الله ـ أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع وارتكبوا ما نهى الله عنه من الافتراق ، صار كل حزب بما لديهم فرحون .

الحادية والثلاثون : ـ وهي من عجائب الله أيضاً ـ معاداتهم الدين ، الذي انتسبوا إليه ، غاية العداوة ، ومحبتهم دين الكفار ، الذين عادوهم ، وعادوا نبيهم ، غاية المحبة ، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهم بدين موسى ، واتبعوا كتب السحر ، وهي من دين آل فرعون .

الثانية والثلاثون : كفرهم بالحق ، إذا كان مع من لا يهوونه ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾[٤] .

---

(١) سورة البقرة : ٧٩

(٢) سورة البقرة : ٩١

(٣) سورة البقرة : ٩١

(٤) سورة البقرة : ١١٣

الثالثة والثلاثون : إنكارهم ما أقروا ، أنه من دينهم ، كما فعلوا في حج البيت فقال تعالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾[١] .

الرابعة والثلاثون : أن كل فرقة تدعي أنها الناجية فأكذبهم الله بقوله : ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[٢] ثم بين الصواب بقوله : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[٣] .

الخامسة والثلاثون : التعبد بكشف العورات ، كقوله : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً ﴾[٤] .

السادسة والثلاثون : التعبد بتحريم الحلال ، كما تعبدوا بالشرك .

السابعة والثلاثون : التعبد باتخاذ الأحبار ، والرهبان ، أرباباً من دون الله .

الثامنة والثلاثون : الإلحاد في الصفات ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٥] .

الأربعون : التعطيل ، كقول آل فرعون .

الحادية والأربعون : نسبة النقائص إليه .

الثانية وأربعون : الشرك في الملك : كقول المجوس .

الثالثة والأربعون : جحود القدر .

الرابعة والأربعون : معارضة شرع الله بقدره .

---

[١] سورة البقرة : ١٣٠

[٢] سورة البقرة : ١١١

[٣] سورة البقرة : ١١٢

[٤] سورة الأعراف : ٢٨

[٥] سورة فصلت : ٢٢

السادسة والأربعون : مسبة الدهر ، كقولهم : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾[1] .

السابعة والأربعون : إضافة نعم الله إلى غيره ، كقوله : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾[2] .

الثامنة والأربعون : الكفر بآيات الله .

التاسعة والأربعون : جحد بعضهم .

الخمسون : قولهم ما أنزل الله على بشر من شيء .

الحادية الخمسون : قولهم في القرآن : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾[3] .

الثانية والخمسون : القدح في حكمة الله تعالى .

الثالثة والخمسون : أعمال الحيل الظاهرة ، والباطنة ، في دفع ما جاءت به الرسل ، كقوله : ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ ﴾[5] .

الرابعة والخمسون : الإقرار بالحق ، ليتوصلوا به إلى دفعه ، كما قال في الآية .

الخامسة والخمسون : التعصب للمذهب ، كقوله فيها : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾[6] .

---

(1) سورة الجاثية : ٢٤
(2) سورة النحل : ٨٣
(3) سورة المدثر : ٢٥
(4) سورة آل عمران : ٥٤
(5) سورة آل عمران : ٧٢
(6) سورة آل عمران : ٧٣

السادسة والخمسون : تسمية اتباع الإسلام شركاً ، كما ذكره في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1].

السابعة والخمسون : تحريف الكلم عن مواضعه .

الثامنة والخمسون : لي الألسنة بالكتاب .

التاسعة والخمسون : تلقيب أهل الهدى ، بالصباة ، والحشوية .

الستون : افتراء الكذب على الله .

الحادية والستون : التكذيب بالحق .

الثانية والستون : كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا إلى الشكوى للملوك ، كما قال : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2] .

الثالثة والستون : رميهم إياهم بالفساد في الأرض ، كما في الآية .

الرابعة والستون : رميهم إياهم بانتقاص دين الملك ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾[3] ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾[4] الآية .

الخامسة والستون : رميهم إياهم بانتقاص آلهة الملك ، كما في الآية .

السادسة والستون : رميهم إياهم بتبديل الدين كما قال : ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾[5] .

---

(١) سورة آل عمران : ٧٩
(٢) سورة الأعراف : ١٢٧
(٣) سورة الأعراف : ١٢٧
(٤) سورة غافر : ٢٦
(٥) سورة غافر : ٢٦

السابعة والستون : رميهم إياهم بانتقاص الملك ، كقولهم : ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾[١] .

الثامنة والستون : دعواهم العمل بما عندهم من الحق ، كقوله : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾[٢] مع تركهم إياه .

التاسعة والستون : الزيادة في العبادة ، كفعلهم يوم عاشوراء .

السبعون : نقصهم منها ، كتركهم الوقوف بعرفات .

الحادية والسبعون : تعبدهم بترك الطيبات من الرزق .

الثالثة والسبعون : تعبدهم بترك زينة الله .

الرابعة والسبعون : دعاؤهم الناس إلى الضلال بغير علم .

الخامسة والسبعون : دعواهم محبة الله ، مع تركهم شرعه ، فطالبهم الله بقوله : ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾[٣] الآية .

السادسة والسبعون : دعاؤهم إياهم إلى الكفر ، مع العلم .

السابعة والسبعون : المكر الكبار ، كفعل قوم نوح .

الثامنة والسبعون : أن أئمتهم إما عالم فاجر ، وإما عابد جاهل ، كما في قوله : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾[٤] .

---

[١] سورة الأعراف : ١٢٧

[٢] سورة البقرة : ٩١

[٣] سورة آل عمران : ٣١

[٤] سورة البقرة : ٧٥ – ٧٨

التاسعة والسبعون : تمنيهم الأماني الكاذبة ، كقولهم : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ﴾[1] وقولهم : ﴿ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ ﴾[2] .

الثمانون : دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس .

الحادية الثمانون : اتخاذ قبور أنبيائهم ، وصالحيهم ، مساجد .

الثانية والثمانون : اتخاذ آثار أنبيائهم ، مساجد كما ذكر عن عمر .

الثالثة والثمانون : اتخاذ السرج على القبور .

الرابعة والثمانون : اتخاذها أعياداً .

الخامسة والثمانون : الذبح عند القبور .

السادسة والثمانون : التبرك بآثار المعظمين ، كدار الندوة ، افتخار من كانت تحت يده ، كما قيل لحكيم بن حزام : بعت مكرمة قريش ؟ فقال : ذهبت المكارم إلا التقوى .

السابعة والثمانون : الاستسقاء بالأنواء .

الثامنة والثمانون : الفخر بالأحساب .

التاسعة والثمانون : الطعن في الأنساب .

التسعون : النياحة .

الحادية والتسعون : أن أجل فضائلهم ، الفخر بالأنساب ، فذكر الله فيه ما ذكر .

الثانية والتسعون : أن أجل فضائلهم الفخر أيضاً ، ولو بحق ، فنهي عنه .

الثالثة والتسعون : أن الذي لا بد منه عندهم ، تعصب الإنسان لطائفته ، ونصر من هو ظالماً ، أو مظلوماً ، فأنزل الله في ذلك ما أنزل .

---

(1) سورة البقرة : ٨٠

(2) سورة البقرة : ١١١

الرابعة والتسعون : أن دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[1] .

الخامسة والتسعون : تعيير الرجل بما في غيره ، فقال : أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية .

السادسة والتسعون : الافتخار بولاية البيت ، فذمهم الله بقوله : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾[2] .

السابعة والتسعون : الافتخار بكونهم ذرية الأنبياء ، فأتى الله بقوله : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾[3] الآية .

الثامنة والتسعون : الافتخار بالصنائع ، كفعل أهل الرحلتين على أهل الحرث .

التاسعة والتسعون : عظمة الدنيا في قلوبهم ، كقولهم : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[4] .

المائة : التحكم على الله كما في الآية .

الحادية بعد المائة : ازدراء الفقراء ، فأتاهم بقوله : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾[5] .

---

(١) سورة الإسراء : ١٥

(٢) سورة المؤمنون : ٦٧

(٣) سورة البقرة : ١٣٤

(٤) سورة الزخرف : ٣١

(٥) سورة الأنعام : ٥٢

الثانية بعد المائة : رميهم اتباع الرسل بعدم الإخلاص ، وطلب الدنيا ، فأجابهم بقوله : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾[1] الآية .

الثالثة بعد المائة : الكفر بالملائكة .

الرابعة بعد المائة : الكفر بالرسل .

الخامسة بعد المائة : الكفر بالكتب .

السادسة بعد المائة : الإعراض عن ما جاء عن الله .

السابعة بعد المائة : الكفر باليوم الآخر .

الثامنة بعد المائة : التكذيب بلقاء الله .

التاسعة بعد المائة : التكذيب ببعض ما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر كما في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ ﴾[2] ومنها : التكذيب بقوله : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[3] . وقوله : ﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾[4] . وقوله : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[5] .

العاشرة بعد المائة : الإيمان بالجبت والطاغوت .

الحادية عشر بعد المائة : تفضيل دين المشركين ، على دين المسلمين .

الثانية عشر بعد المائة : لبس الحق بالباطل .

الثالثة عشر بعد المائة : كتمان الحق مع العلم به .

---

(١) سورة الأنعام : ٥٢

(٢) سورة الأعراف : ١٤٧

(٣) سورة الفاتحة : ٤

(٤) سورة البقرة : ٢٥٤

(٥) سورة الزخرف : ٨٦

الرابعة عشر بعد المائة : قاعدة الضلال ، وهي : القول على الله بلا علم .

الخامسة عشر بعد المائة : التناقض الواضح ، لما كذبوا الحق ، كما قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾[١] .

السادسة عشر بعد المائة : الإيمان ببعض المنزل دون بعض .

السابعة عشر بعد المائة : التفريق بين الرسل .

الثامنة عشر بعد المائة : مخالفتهم فيما ليس لهم به علم .

التاسعة عشر بعد المائة : دعواهم اتباع السلف ، مع التصريح بمخالفتهم .

العشرون بعد المائة : صدهم عن سبيل الله من آمن به .

الحادية والعشرون بعد المائة : مودتهم الكفر ، والكافرون .

الثانية والعشرون بعد المائة ، والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة والعشرون ، بعد المائة : العيافة ، والطرق ، الطيرة ، والكهانة ، والتحاكم إلى الطاغوت ، وكراهية التزويج بين العيدين ، والله أعلم][٢]

وهذا الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن يبين المنهج الصحيح في الاجتهاد وهو ما عليه السلف الصالح ويحث المكلفين بالأخذ به ، حيث يقول :

[والواجب على المكلفين ، في كل زمان ومكان ، الأخذ بما صح وثبت ، عن رسول الله ﷺ وليس لأحد أن يعدل عن ذلك إلى غيره ، ومن عجز عن ذلك في شيء من أمر دينه ، فعليه بما كان عليه السلف الصالح ، والصدر الأول ، فإن لم يدر شيئاً من ذلك ، وصح عنده عن أحد الأئمة الأربعة المقلدين ، الذين لهم لسان صدق في الأمة ، فتقليدهم سائغ حينئذٍ ، فإن كان المكلف أنزل قدراً ، وأقل علماً ، وأنقص فهماً ، من أن

---

[١] سورة ق : ٥

[٢] الدرر السنيه : ج ٢ ، ص ١٣٢ – ١٤٦

يعرف شيئاً من ذلك، فليتق الله ما استطاع ، وليقلد الأعلم من أهل زمانه ، أو من قبلهم ، خصوصاً من عرف بمتابعة السنة ، وسلامة العقيدة ، والبراءة من أهل البدع ، فهؤلاء أحرى الناس ، وأقربهم إلى الصواب ، وأن يلهموا الحكمة ، وتنطق بها ألسنتهم ، فاعرف هذا ، فإنه مهم جداً][1] .

وقد قعد الشيخ محمد بن عبدالوهاب قواعد لا يجوز للمجتهد تجاوزها وبيَن المواضع التي يجوز فيها الاجتهاد والاختلاف وأن كنا قد ذكرنا بعضها في موضوع سابق من مباحث الرسالة ، إلا أن أهمية ذكرها في هذا الموضوع توجب علينا إيرادها ذلك لأن الشيخ استدل ببعض أقوال الأمة كابن تيمية ومالك ، فيقول الشيخ :

[هذه أربع قواعد ، من قواعد الدين ، التي تدو الأحكام عليها ، وهي : من أعظم ما أنعم الله به على محمد ﷺ وأمته ، حيث جعل دينهم ديناً كاملاً وافياً ، أكمل وأكثر علماً من جميع الأديان ، ومع ذلك جمعه لهم في لفظ قليل ، وهذا مما ينبغي التفطن له ، قبل معرفة القواعد الأربع ، وهو : أن تعلم قول النبي ﷺ لما ذكر ما خصَه الله به على الرسل ، يريد منا أن نعرف منة الله علينا ، ونشكرها ، قال لما ذكر الخصائص : وأعطيت جوامع الكلم [2] قال إمام الحجاز : محمد بن شهاب الزهري ، معناه : أن يجمع الله له المسائل الكثيرة ، في الألفاظ القليلة .

القاعدة الأولى : تحريم القول على الله بلا علم ، لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3] .

---

[1] الدرر السنية ، ج ٣ ، ص ٢٧٦

[2] أخرجه مسلم : ح/٣٧١/١/٥٢٣

[3] سورة الأعراف : ٣٣

القاعدة الثانية : أن كل شيء سكت عنه الشارع ، فهو عفو ، لا يحل لأحد أن يحرمه ، أو يوجبه ، أو يستحبه ، أو يكرهه ، لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ ﴾[١] وقال النبي ﷺ : وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها [٢] .

القاعدة الثالثة : أن ترك الدليل الواضح ، والاستدلال بلفظ متشابه ، هو طريق أهل الزيغ ، كالرافضة ، والخوارج ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ ﴾[٣] . والواجب على المسلم اتباع المحكم ، فإن عرف معنى المتشابه ، وجده لا يخالف المحكم بل يوافقه ، وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين في العلم في قولهم : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾[٤] .

القاعدة الرابعة : أن النبي ﷺ ذكر أن الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات [٥] فمن لم يفطن لهذه القاعدة ، وأراد أن يتكلم على كل مسألة بكلام فاصل ، فقد ضل وأضل ، فهذه أربع قواعد ، ثلاث ذكرها الله في كتابه ، والرابعة ذكرها رسول الله ﷺ .

واعلم رحمك الله : أن أربع هذه الكلمات ، مع اختصارها ، يدور عليها الدين سواء كان المتكلم يتكلم في علم التفسير ، أو في علم الأصول ، أو في علم أعمال القلوب ، الذي يسمّى علم السلوك ، أو في علم الحديث ، أو في علم الحلال والحرام ، والأحكام ،

---

[١] سورة المائدة : ١٠١

[٢] سبق تخريجه في صفحة : ٤٠٢

[٣] سورة آل عمران : ٧

[٤] سورة آل عمران : ٧

[٥] أخرجه البخاري : ح/٥٢/١/٢٨ ، وأخرجه مسلم : ح/١٥٩٩/٣/١٣١٩

الذي يسمى : علم الفقه ، أو في علم الوعد والوعيد ، أو في غير ذلك من أنواع علوم الدين]^(١) .

وبين الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى أن الله اختص هذه الأمة ورسولها ﷺ بخصيصة عظيمة هي أن الله أعطاه جوامع الكلم ، فينبغي للمجتهد أن لا تغيب عنه هذه الخصيصة يقول الشيخ :

[ومن أعظم ما منّ الله به عليه ﷺ وعلى أمته : إعطاء جوامع الكلم ، فيذكر الله تعالى في كتابه كلمة واحدة ، تكون قاعدة جامعة ، يدخل تحتها من المسائل ما لا يحصر ، وكذلك رسول الله ﷺ فقد خصّه الله بالحكمة الجامعة ، ومن فهم هذه المسألة فهماً جيداً فهم قول الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾^(٢) . وهذه الكلمة أيضاً من جوامع الكلم ، إذ الكامل لا يحتاج إلى زيادة ، فعلم منه بطلان كل محدث بعد رسول الله ﷺ وأصحابه ، كما أوصانا به في قوله : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ^(٣) .

وتفهم أيضاً معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾^(٤) .

---

(١) الدرر السنية / ج٤ ، ص ٥ ـ ٧

(٢) سورة المائدة : ٣

(٣) سبق تخريجه في الصفحة :٣٨٣

(٤) سورة النساء : ٢٩

إذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه إلى الله ، أي : إلى كتاب الله ، وإلى الرسول ﷺ أي : إلى سنته ، علمنا قطعاً أن من رد إلى الكتاب والسنة ما تنازع الناس فيه ، وجد فيهما ما يفصل النزاع][1] .

وبين الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن الاجتهاد في المختلف فيه مرجعه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يقول الشيخ :

[إذا اختلف كلام أحمد ، وكلام الأصحاب ، فنقول في محل النزاع : التراد إلى الله وإلى رسوله ، لا إلى كلام أحمد ، ولا إلى كلام الأصحاب ، ولا إلى الراجح من ذلك ، بل قد يكون الراجح والمرجح من الروايتين والقولين خطأ قطعاً ، وقد يكون صواباً ، وقولك إذا استدل كل منهما بدليل ، فالأدلة الصحيحة لا تتناقض ، بل الصواب يصدق بعضه بعضاً ، قد يكون أحدهما أخطأ في الدليل ، إما يستدل بحديث لم يصح ، وإما فهم من كلمة صحيحة مفهوماً مخطئاً ، وبالجملة : فمتى رأيت الاختلاف ، فرده إلى الله والرسول ، فإذا تبين لك الحق فاتبعه ، فإن لم يتبين لك ، واحتجت إلى العمل ، فخذ بقول من تثق بعلمه ودينه .

وأما قول من قال : لا إنكار في مسائل الاجتهاد ، فجوابها يعلم من القاعدة المتقدمة ، فإن أراد القائل مسائل الخلاف ، فهذا باطل يخالف إجماع الأمة ، فما زال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف واخطأ كائناً من كان ولو كان أعلم الناس وأتقاهم ، وإذا كان الله بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، وأمرنا باتباعه ، وترك ما خالفه ، فمن تمام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطئ ينبه على خطئه وينكر عليه .

---

[1] الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٧ ـ ٨

وإن أريد بمسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب فهذا كلام صحيح ، لا يجوز للإنسان أن ينكر الشيء لكونه مخالفاً لمذهبه أو لعادة الناس ، فكما لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم ، لا يجوز أن ينكر إلا بعلم ، وهذا كله داخل في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[1] وأما قول من قال : اتفاق العلماء حجة ، فليس المراد : الأئمة الأربعة ، بل إجماع الأمة كلهم ، وهم علماء الأمة .

وأما قولهم : اختلافهم رحمة ، فهذا باطل ، بل الرحمة في الجماعة ، والفرقة عذاب ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾[2] . ولما سمع عمر : ابن مسعود ، وأبيا ، اختلفا في صلاة الرجل في الثوب الواحد ، صعد المنبر ، وقال : اثنان من أصحاب رسول الله ﷺ فعن أي فتياكم يصدر المسلمون ؟ لا أجد اثنين اختلفا بعد مقامي هذا ، إلا فعلت وفعلت ، لكن قد روى عن بعض التابعين ، أنه قال : ما أحسب اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ إلا رحمة للناس ، لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة ، ومراده : شيء آخر غير ما نحن فيه ، ومع هذا فهو قول مستدرك ، لأن الصحابة ذكروا اختلافهم عقوبة وفتنة .][3] .

وبين الشيخ محمد بن عبدالوهاب أنه لا ينبغي للمجتهدين أن ينكر بعضهم على بعض طالما أنه لا يوجد نص أو لم تتضح المسألة بقوله :

[تبين لكم في غير موضع ، أن دين الإسلام حق بين باطلين ، وهدى بين ضلالتين ، وهذه المسائل[4] وأشباهها مما يقع الخلاف فيه بين السلف والخلف من غير

---

(1) سورة الإسراء : ٣٦

(2) سورة هود : ١١٨ - ١١٩

(3) الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٨ ـ ١٠

(4) أي : إخراج العروض زكاة ، والمضاربة بها . وكذا المغشوش

نكير من بعضهم على بعض ، فإذا رأيتم من يعمل ببعض هذه الأقوال المذكورة بالمنع ، مع كونه قد اتقى الله ما استطاع ، لم يحل لأحد الإنكار عليه ، اللهم إلا أن يتبين الحق ، فلا يحل لأحد أن يتركه لقول أحد من الناس .

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يختلفون في بعض المسائل من غير نكير، ما لم يتبين النص ، فينبغي للمؤمن أن يجعل همه وقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف ، والعمل بذلك ، ويحترم أهل العلم ، ويوقرهم ولو أخطؤوا ، لكن لا يتخذهم أرباباً من دون الله ، هذا طريق المنعم عليهم ، وأما إطراح كلامهم ، وعدم توقيرهم ، فهو طريق المغضوب عليهم ، واتخاذهم أرباباً من دون الله ، وإذا قيل : قال الله ، قال رسول الله ، قال : هم أعلم منا ، فهذا هو طريق الضالين ، ومن أهم ما على العبد وأنفع ما يكون له معرفة قواعد الدين على التفصيل ، فإن أكثر الناس يفهم القواعد ويقر بها على الإجمال ، ويدعها عند التفصيل .] [1] .

وأوضح الشيخ محمد بن عبدالوهاب الخلاف في تعلم القرآن بقوله :

[اختلفوا في الكتاب ، وهل يجب تعلمه واتباعه على المتأخرين لإمكانه ؟ أم لا يجوز للمتأخرين ، لعدم إمكانه ؟ فحكم الكتاب بينهم بقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾[2] . الآية وقوله : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[3]] [4].

---

[1] الدرر السنية ، ج٤ ، ص ١٠ ـ ١١

[2] سورة طه : ٩٩ - ١٠٠

[3] سورة طه : ١٢٤

[4] الدرر السنية ، ج٤ ، ص ١١

ومن القواعد التي إستشهد بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في مسائل الأخذ بالرأي الممدوح شرعاً ماذكره الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى من قواعد ، حيث قال :

[القاعدة الأولى : أن النبي ﷺ إذا سن أمرين ، وأراد أحد أن يأخذ بأحدهما ، ويترك الآخر ، أنه لا ينكر عليه ، كالقراءات الثابتة ، ومثل الذين اختلفوا في آية ، فقال أحدهما : ألم يقل الله كذا ؟ وقال الآخر ألم يقل الله كذا ، وأنكر النبي ﷺ عليهم ، وقال : كلاكما محسن [1] فأنكر الاختلاف ، وصوب الجميع في الآية .

الثانية : إذا أمّ رجل قوماً ، وهم يرون القنوت ، أو يرون الجهر بالبسملة ، وهو يرى غير ذلك ، والأفضل ما رأى فموافقتهم أحسن ، ويصير المفضول ، هو الفاضل] [2] .

وبين الشيخ حسين والشيخ عبدالله أبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله عقيدة والدهم بأن الرأي الممدوح شرعاً ما عرض على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإن وافق ما فيها أخذوا به وإن خالف ما فيهما ردوه ، حيث قالا :

[عقيدة الشيخ رحمه الله التي يدين الله بها ، هي : عقيدتنا وديننا الذي ندين الله به ، وهي : عقيدة سلف الأمة وأئمتها ، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وهو : اتباع ما دلّ عليه الدليل ، من كتاب الله سنة ورسوله ﷺ ، وعرض أقوال العلماء على ذلك ، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبلناه ، وأفتينا به ، وما خالف ذلك ، رددناه على قائله .

---

(١) أخرجه البخاري : ح/٤٧٧٥/٤/١٩٢٩

(٢) الدرر السنية ، ج٤ ، ١٢

وهذا : هو الأصل الذي أوصانا به في كتابه حيث قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾[1] الآية أجمع المفسرون على أن الرد إلى الله ، هو الرد إلى كتابه ، وأن الرد إلى الرسول ، هو : الرد إليه في حياته ، وإلى سنته بعد وفاته ، والأدلة على هذا الأصل كثيرة في الكتاب والسنة ، وإذا تفقه الرجل في مذهب من المذاهب الأربعة ، ثم رأى حديثاً يخالف مذهبه ، فاتبع الدليل ، وترك مذهبه ، كان هذا مستحباً ، بل واجباً عليه إذا تبين له الدليل ، ولا يكون بذلك مخالفاً لإمامه الذي اتبعه ، فإن الأئمة كلهم متفقون على هذا الأصل ، أبوحنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال الإمام مالك : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وقال الشافعي لأصحابه : إذا صح الحديث عندكم فاضربوا بقولي الحائط ، وفي لفظ : إذا صح الحديث عندكم فهو مذهبي ، وقال الإمام أحمد رحمه الله : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ، ويذهبون إلى رأي سفيان ، والله يقول : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك ، وقال لبعض أصحابه : لا تقلدوني ، ولا تقلدوا مالكاً ، ولا الشافعي ، وتعلموا كما تعلمنا ، وكلام الأئمة في هذا كثير جداً ، ومبسوط في غير هذا الموضع .

---

(١) سورة النساء : ٥٩

(٢) سورة النور : ٦٣

وأما إذا لم يكن عند الرجل دليل في المسألة ، يخالف القول الذي نص عليه العلماء ، أصحاب المذاهب فنرجو أنه يجوز له العمل به ، لأن رأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا ، وهم إنما أخذوا الأدلة من أقوال الصحابة فمن بعدهم ولكن : لا ينبغي الجزم بأن هذا شرع الله ورسوله ، حتى يتبين الدليل الذي لا معارض له في المسألة ، وهذا عمل سلف الأمة وأئمتها قديماً وحديثاً ، والذي ننكره هو التعصب للمذاهب ، وترك اتباع الدليل] [1].

وبينا أبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أن مسائل الخلاف التي لم يتبين الدليل القاطع في شأنها لا إنكار فيها ، حيث قالا :

[أعلم أن مسائل الخلاف بين الأئمة ، لا إنكار فيها ، إذا لم يتبين الدليل القاطع ، والصحابة رضي الله عنهم قد اختلفوا في أشياء من مسائل الفروع ، ولم ينكر بعضهم على بعض ، وكذلك العلماء بعدهم ، وأن كلاً منهم قد قال بما عنده من العلم .

وقالا أيضاً : لما سئلا عن العمل بصريح الحديث: الذي ينبغي لطالب العلم أن يبحث عن كلام أهل العلم في المسألة ، التي دلْ عليها الحديث ، وهل هو معمول به عندهم ، أم هو منسوخ ؟ أم قد عارضه ما هو أقوى منه ؟ فإذا فعل ذلك ، وعرف مذاهب العلماء في المسألة ، وتبين له أن الحديث محكم صحيح ، وجب عليه العمل به ، هذا إذا كان الإنسان من أهل المعرفة بالحديث ، وكلام العلماء ، وكان قد سبقه إليه من أهل العلم من يقتدي به ، ولو خالف مذهبه الذي ينتسب إليه ، وإذا كان الرجل ليس له معرفة بالحديث ، وكلام العلماء ، وترجيح الأقوال ، فإنما وظيفته : تقليد أهل العلم .

[1] الدرر السنية ، ج٤ ، ص ١٢ ـ ١٤

قال الله تعالى : ﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]][2] .

وبين الشيخ : عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله منهجهم في الاجتهاد بقوله :

[ونحن في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير ، كالرافضة ، والزيدية ، والإمامية ، ونحوهم ، بل لا نقرهم ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة ، ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ، ولا أحد منا يدعيها ، إلا أنّا في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي ، من كتاب أو سنة ، غير منسوخ ، ولا مخصص ، ولا معارض بأقوى منه ، وقال به أحد الأئمة الأربعة ، أخذنا به ، وتركنا المذهب .

وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه إماماً حق ، من أهل السنة ، وكتبهم من أعز الكتب ، إلا أنّا غير مقلدين لهم في كل مسألة ، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا ﷺ][3] .

وفي رسالة نفيسة للشيخ عبدالله بن الشيخ محمد رحمهما الله أرسلها لعبدالله بن عبدالله الصنعاني تحدث فيها عن مواضع الاجتهاد ومواضع التقليد والضوابط اللازمة في ذلك واستشهد بجملة من أقوال أئمة السلف الصالح يقول فيها :

[وأما استفصالكم عن قولنا : مذهبنا مذهب الإمام أحمد ؟ وقولكم : إن تريدوا أن نسلك في أخذ المسائل من الكتاب والسنة مثل مسلكه ، فنعم ما قلتم ، وإن تريدوا بقولكم ذلك التقليد له فيما رآه وقال ، من غير نظر إلى الحجة من الكتاب والسنة ، كما

---

(1) سورة النحل : ٤٣
(2) الدرر السنية ، ج٤ ، ص ١٤ ـ ١٥
(3) الدرر السنية ، ج ٤ ص ١٥

سلك بعض اتباع الأئمة الأربعة ، من جعل آرائهم وأقوالهم أصولاً لمسائل الدين ، واطرحوا الاحتجاج من الكتاب والسنة ، وسدوا بابهما ، إلى آخره ، انتهى ملخص كلامكم .

فالجواب عليه : من وجوه ، وبالله التوفيق .

الوجه الأول : إن في رسالتنا التي عندكم ما رد هذا التوهم ، وهو قولنا فيها : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1] وقوله ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد [2] رواه البخاري ومسلم ، فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله ، فما وافق منها قبل ، وما خالف رد على قائله وفاعله كائناً من كان إلى آخره ، فتضمن هذا الكلام : أنه لا يقدم رأي أحد على كتاب الله ، وسنة رسول الله ﷺ والعجب كيف نبا فهمكم عنها ؟!

الوجه الثاني : قد صرح العلماء ، أن النصوص الصحيحة الصريحة ، التي لا معارض لها ، ولا ناسخ ، وكذا مسائل الاجماع ، لا مذاهب فيها ، وإنما المذاهب فيما فهمه العلماء من النصوص ، أو علمه أحد دون أحد ، أو في مسائل الاجتهاد ، ونحو ذلك .

الوجه الثالث : قد ذكر العلماء ، أن لفظة ـ المذهب ـ لها معنيان : معنى في اللغة ، ومعنى في الاصطلاح ، فالمذهب في اللغة : مفعل ، ويصح للمصدر والمكان ، والزمان ، بمعنى الذهاب ، وهو المرور ، أو محله أو زمانه ، واصطلاحاً ما ترجح عند المجتهد في أيما مسألة من المسائل بعد الاجتهاد ، فصار له معتقداً ، أو مذهباً .

وعند بعضهم : ما قاله مجتهد بدليل ، ومات قائلاً به ، وعند بعضهم : أنه المشهور في مذهبه ، كنقض الوضوء بأكل لحم الجزور ، ومس الذكر ونحوه عند أحمد ، ولا يكاد

---

[1] سورة آل عمران : ٣١

[2] أخرجه البخاري : ح/٢٥٥٠/٢/٩٥٩ ، وأخرجه مسلم : ح/١٧١٨/٣/١٣٤٣

يطلق إلا على ما فيه خلاف ، وقال بعضهم : هو في عرف الفقهاء ما ذهب إليه إمام من الأئمة المجتهدين . ويطلق عند المتأخرين من أئمة المذاهب : على ما به الفتوى ، وهو ما قوي دليله ، وقيل : ما كثر قائله .

فقد تلخص من كلامهم : أن المذهب في اصطلاح ، ما اجتهد فيه إمام بدليل ، أو قول جمهور ، أو ما ترجع عنده ، ونحو ذلك ، وأن المذهب لا يكون إلا في مسائل الخلاف ، التي ليس فيها نص صريح ، ولا إجماع ، فأين هذا من توهمكم أن قولنا : مذهبنا مذهب الإمام أحمد أنا نقلده فيما رأى ، وقال ، وإن خالف الكتاب والسنة ، والإجماع ، فنعوذ بالله من ذلك ، والله المستعان .

الوجه الرابع : قال ابن القيم في أعلام الموقعين ـ لما ذكر المفتين بمدينة السلام ـ وكان بها إمام أهل السنة على الإطلاق ، أحمد بن حنبل ، الذي ملأ الأرض علماً وحديثاً وسنة ــ إلى أن قال ــ وكانت فتواه مبنية على خمسة أصول ، أحدها النصوص ، فإذا وج النص أفتى بموجبه ، ولم يلتفت إلى ما خالفه ، ولا من خالفه ، كائناً ما كان .

ثم ذكر أحاديث تمسك بها الإمام أحمد ، ولم يلتفت إلى ما خالفها ـ إلى أن قال ـ الأصل الثاني من فتوى الإمام أحمد : ما أفتى به الصحابة ، فإنه إذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها لم يعدها إلى غيرها ، ولم يقل إن ذلك إجماع ، بل من ورعه في العبارة يقول : لا أعلم شيئاً يدفعه ، ونحو هذا ـ إلى أن قال ـ الأصل الثالث من أصوله إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة ولم يخرج عن أقوالهم .

فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال ، حكى الخلاف فيها ، ولم يجزم بقول ـ إلى أن قال ـ الأصل الرابع : الأخذ بالمرسل ، والحديث الضعيف ، إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه ، وهو الذي رجحه على القياس ، وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ،

ولا المنكر ، ولا ما في رواته متهم . بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح ، فإذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه ، ولا قول صاحب ، ولا إجماعاً على خلافه ، كان العمل به عنده أولى من القياس ، وليس أحد من الأئمة إلا وهو موافقه على هذا الأصل من حيث الجملة .

فإذا لم يكن عند الإمام أحمد نص ، ولا قول الصحابة ، ولا أحد منهم ، ولا أثر مرسل ، أو ضعيف ، عدل إلى الأصل الخامس ، وهو : القياس ، فاستعمله للضرورة ، وقال الشافعي : إنما يعاد إليه عند الضرورة . وقال الإمام أحمد ـ في رواية أبي الحارث ـ ما تصنع بالرأي والقياس ، وفي الحديث ما يغنيك عن ؟ ! .

وقد يتوقف في الفتوى ، لتعارض الأدلة عنده ، أو لاختلاف الصحابة فيها ، وقال أبو داود : سمعت أحمد سئل عن كثير مما فيه الاختلاف في العلم ، فيقول : لا أدري ، انتهى كلام ابن القيم ملخصاً ، فهذا ما أشرنا إليه من قولنا : مذهبنا مذهب الإمام أحمد.

وأما ما ذكرتم : من ذم من قلد الإمام أحمد وغيره ، وأطلقتم الذم ، فليس الأمر على إطلاقكم ، فإن تريدوا بذم التقليد : تقليد من أعرض عما أنزل الله وعن سنة نبيه ﷺ ومن قلد بعد ظهور الحجة له ، ومن قلد من ليس بأهل أن يؤخذ بقوله ، ومن قلد واحداً من الناس ، فيما قال ، دون غيره ، فنعم المسلك سلكتم .

وإن تريدوا بذلك الإطلاق : منع الناس ، لا ينقل بعضهم عن بعض ، ولا يفتي أحد لأحد إلا مجتهد ، فقد قال تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١] . قال علي بن عقيل ، صاحب الفنون ، ورؤوس المسائل : يجب سؤال أهل الفقه بهذه الآية ، وأمر الله بطاعته ، وطاعة رسوله ، وأولي العلم ، وهم العلماء ، أو العلماء والأمراء ،

---

[١] سورة النحل : ٤٣

وأرشد النبي ﷺ من لا يعلم إلى سؤال من يعلم ، فقال في حديث صاحب الشجة : ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال [١] .

وأيضاً فأين تدرك هذه في هذه الأزمنة التي قل العلم في أهلها ، وقل فيه المجتهدون ، وقد صرح العلماء أن تقليد الإنسان لنفسه جائز وربما كان واجباً وكذا المفتي للضرورة ، وعدم المجتهد يجوز أن يفتي بالتقليد][٢].

وقد استدل الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب على قوله في الاجتهاد على ما قاله ابن القيم ، حيث أن منهج أئمة الدعوة في مسألة الاجتهاد له أصول وجذور أخذت من الأئمة الأعلام مثال ابن القيم ، حيث نقل قول ابن القيم :

[في أول الجزء الثاني من أعلام الموقعين : ذكر تفصيل القول في التقليد ، وانقسامه إلى ما يحرم القول والإفتاء به ، وإلى ما يجب المصير إليه ، وإلى ما يسوغ من غير إيجاب ، فأما الأول فهو ثلاثة أنواع ، الأول : الإعراض عما أنزله الله ، وعدم الالتفات إليه ، اكتفاء بتقليد الآباء الثاني تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل أن يؤخذ بقوله ، الثالث : التقليد بعد قيام الحجة ، وظهور الدليل على خلاف قول المقلد .

وقد ذم الله هذه الأنواع الثلاثة من التقليد ، في غير موضع من كتابه ، ثم ذكر آيات في ذم التقليد ــ إلى أن قال ــ وهذا القدر من التقليد ، هو : مما اتفق السلف والأئمة الأربعة على ذمه ، وتحريمه ، وأما تقليد من بذل جهده في اتباع ما أنزل الله ، وخفي عليه بعضه ، وقلد فيه من هو أعلم منه ، فهذا محمود غير مذموم ومأجور غير مأزور ، كما سيأتي بيانه ، عند ذكر التقليد الواجب ، والسائغ إنشاء الله تعالى .

---

(١) أخرجه أبو داود ح/٣٣٦/١/٩٣

(٢) الدرر السنية ، ج٤ ، ١٧ ـ ٢١

وقال أيضاً في الجزء الأول من أعلام الموقعين ، قلت : وهذه المسألة فيها ثلاثة أقوال لأصحاب أحمد ، أحدها : أنه لا يجوز الفتوى بالتقليد ، لأنه ليس بعلم ، والفتوى بغير علم حرام ، وهذا قول أكثر الأصحاب ، والثاني : أن ذلك يجوز فيما يتعلق بنفسه ، فيجوز له أن يقلد غيره من العلماء ، إذا كانت الفتوى لنفسه ، ولا يجوز أن يقلد العالم فيما يفتي به غيره ، فهذا قول ابن بطة ، وغيره من أصحابنا ، والقول الثالث : أنه يجوز ذلك عند الحاجة ، وعدم المجتهد ، وهو : أصح الأقوال ، وعليه العمل .

قال القاضي : ذكر أبو حفص في تعاليقه ، قال سمعت أبا علي الحسن بن عبدالله النجاد ، يقول : سمعت أبا الحسن بن بشار يقول : ما أعيب على رجل يحفظ لأحمد خمس مسائل ، استند إلى بعض سواري المسجد أن يفتي الناس بها ، انتهى كلام ابن القيم ملخصاً .

وقال في الإقناع وشرحه ، في شروط القاضي : وأن يكون مجتهداً إجماعاً ، ذكره ابن حزم ، وأنهم أجمعوا أنه لا يحل لحاكم ، ولا مفت ، تقليد رجل لا يحكم ، ولا يفتي إلا بقوله ، لأنه فاقد الاجتهاد ، ولو كان اجتهاده في مذهب إمامه ، إذا لم يوجد غيره للضرورة ، كما قال في الإفصاح : إن الإجماع انعقد على تقليد كل من المذاهب الأربعة ، فإن الحق لا يخرج عنهم ، ثم ذكر أن الصحيح في هذه المسألة : أن قول من قال : لا يجوز إلا تولية مجتهد ، فإنه إنما عنى به ما كانت الحال عليه ، قبل استقرار ما أقرت عليه هذه المذاهب]⁽¹⁾ .

ويستمر الشيخ عبدالله رحمه الله في سرد بعض أقوال أهل العلم مثل المقدسي وابن تيمية وغيرهم والتي تدعم المنهج الذي سلكه أئمة الدعوة في الاجتهاد ، ومن ذلك ما قاله :

---

(١) الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٢٢ - ٢٣

] الإمام موفق الدين ، أبومحمد : عبدالله بن أحمد المقدسي ، في خطبة المغني : النسبة إلى إمام في الفروع ، كالأئمة الأربعة ، ليست بمذمومة ، فإن اختلافهم رحمة ، واتفاقهم حجة قاطعة .

واختار في الإفصاح والرعاية : أو مقلداً ، قال في الإنصاف : وعليه العمل ، من مدة طويلة ، وإلا انقطعت أحكام الناس ، وكذا المفتي ، قال ابن بشار : ما أعيب على من يحفظ لأحمد خمس مسائل يفتي بها ، ونقل عبدالله : يفتي غير مجتهد ، ذكره القاضي ، وحمله أبوالعباس ابن تيمية على الحاجة ، انتهى كلام صاحب الإقناع وشرحه .

وقال في الإنصاف : قال الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية ، في شروط القاضي : ويجب تولية الأمثل فالأمثل وعلى هذا يدل كلام أحمد وغيره ، فيولى للعدم : أعدل المقلدين ، وأعرفهما للتقليد ، قال في الفروع : وهو كما قال ، انتهي كلام الإنصاف ، ملخصاً .

وأما ما ذكرتم عن الأئمة ، وقول أبي حنفية : إذا قلت قولاً ، وفي كتاب الله ، وسنة رسول الله ﷺ ، ما يخالف قولي فاعملوا به ، واتركوا قولي ، وقول الشافعي : إذا صح الحديث على خلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط ، واعملوا بالحديث ، وكذا ما ذكرتم عن الأئمة الأربعة : أنهم صرحوا بعرض أقوالهم ، على الكتاب والسنة ، فما خالف منها رد ، وقد تقدم في أصول أحمد أنه إذا صح الحديث لم يقدم عليه قول أحد ، فهذا قد تقرر عندنا ولله الحمد والمنة .

وأما قولكم : إن مرادنا بقولنا : لا ننكر على اتباع الأئمة الأربعة ولو أشركوا وابتدعوا ، فنعوذ بالله من ذلك ، بل نترك الباطل ، ونقبل الحق ممن جاء به ، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك ، إلا سيد الأولين والآخرين ﷺ . وأما قولكم ، والمختار : أن

العمل بالحديث بحسب ما بدا لصاحب الفهم المستقيم ، فينظر في صحة الحديث أولاً ، فإذا صح ، نظرنا في معناه ثانياً ، فإذا تبين ، فهو الحجة] [1] .

وبين الشيخ عبدالله بأنهم لا يعتمدون في اجتهادهم على الأئمة الأربعة بل يردون جميع الأقوال إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فما وافقها أخذوا به وما عارضها ردوه ، فيقول :

[وأما قولكم : إن أهل هذا الدين بلغنا أنهم يعتمدون على مذاهب الأئمة الأربعة ، وأنكروا علم أهل البيت ، وأقوالهم ومذاهبهم ، فالذي نحن عليه اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والاعتماد على تفسير الأئمة لكتاب الله وسنة رسوله ، لأنهم أعلم بكتاب الله منا ، فإذا اختلفوا في مسائل الفروع ، عرضنا أقوالهم ، ورددناها إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فما كان أقرب إلى ذلك اتبعناه ، كما أمرنا الله بذلك في قوله : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[2] والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه ، وكذلك الرسول ﷺ فالرد إليه في حياته ، وبعد موته ، إلى ما صح من سنته ، كما فسره بذلك المفسرون من السلف والخلف][3] .

ولأن منهج أئمة الدعوة في الاجتهاد واحد فنجد أن الشيخ عبدالله والشيخ إبراهيم ، وحسين ، وعلي أبناء إمام الدعوة ، وحمد بن ناصر ، يردون على المخالف بقولهم :

---

(1) الدرر السنية ، ج٤ ، ٢٣ ـ ٢٥

(2) سورة النساء : ٥٩

(3) الدرر السنية ، ج٤ ، ٢٥ ـ ٢٦

[وأما قولكم : هل يجب على المكلف التقليد ، في المسائل المختلف فيها ، فهذا يحتاج إلى تفصيل ، وبسط ، ليس هذا موضعه ، لكن الواجب على المكلف : أن يتقي الله ما استطاع ، كما قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[2] فإن كان المكلف فيه أهلية لمعرفة دلائل المسائل ، من الكتاب ، والسنة ، وجب عليه ذلك ، باتفاق العلماء ، وإن لم يكن فيه أهلية ، كحال العوام ، الذين لا معرفة لهم بأدلة الكتاب والسنة ، فهؤلاء يجب عليهم التقليد ، وسؤال أهل العلم فقط ، كما قال تعالى ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3] وهذا في غير أصول الدين .

وأما الأصول : فلا يجوز التقليد فيها بالإجماع ، بل يجب على كل مكلف : معرفة الله تبارك وتعالى ، ومعرفة الرسول ﷺ وما بعث به من التوحيد وما أخبر به عن الله من البعث بعد الموت ، والجنة والنار ، ومثل وجوب الفرائض ، من الصلاة ، والزكاة والحج ، والصيام ، ونحو هذا ، فلا يجوز التقليد في هذا ، والمقلد فيه ممن يعذب في البرزخ كما ثبت ذلك في الأحاديث منها قوله : وأما المنافق والمرتاب ، فيقول : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته .[4]][5] .

والشيخ حمد بن ناصر بن معمر بين المنهج الصحيح في التقليد والاجتهاد ، وذلك عندما أجاب رحمه الله تعالى عن الأسئلة الآتية :

---

(1) سورة التغابن : ١٦

(2) سورة البقرة : ٢٣٣

(3) سورة النحل : ٤٣

(4) أخرجه البخاري : ح/٨٦/١/٤٤ ، وأخرجه مسلم : ح/٩٠٥/٢/٦٢٤

(5) الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٢٦ ـ ٢٧

] ما قولكم نور الله قلوبكم لفك المعضلات ، ووفقكم إلى معرفة الدليل الناصع على كل مسألة ؟ ومعرفة طرقه ، وصحته ؟ أم تقليد المخرجين للحديث ، إنه صحيح أو حسن ؟ أو يكفيهم العلم بالفقهيات المجردة عن الدليل ويغنيهم ؟ هذا فيمن طلب العلم ، وتأهل له ، فما الحال في العوام ، هل : يجزؤهم مجرد التقليد ؟

وأيضاً : حكى بعض المتأخرين الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة ، أبي حنيفة ، ومالك والشافعي ، وأحمد ، فأفيدونا واحتسبوا فإن الحاجة ماسة إلى هذه المباحث ، فإن تفضلتم بطول الجواب ، وذكر الدليل ، ومن قال به فهو المطلوب .

فأجاب : لا ريب أن الله سبحانه فرض على عباده طاعته ، وطاعة رسوله ﷺ قال الله تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ ﴾[2] ولم يوجب الله على هذه الأمة طاعة أحد بعينه ، في كل ما يأمر به ، وينهى عنه ، إلا رسول الله ﷺ .

واتفق العلماء على أنه : ليس أحد معصوماً إلا رسول الله ﷺ وهؤلاء الأئمة الأربعة : قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولون ، فقال أبو حنيفة : علمنا هذا رأي ، وهو أحسن ما قدرنا عليه ، ومن جاءنا بأحسن منه قبلناه منه ، وقال معن بن عيسى : سمعت مالكاً يقول : إنما أنا بشر ، أخطي وأصيب ، فانظروا في قولي ، فكل ما خالف الكتاب والسنة فاتركوه .

وقال ابن القاسم : كان مالك يكثر أن يقول : إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين ، وقال الشافعي : إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط ، وإذا رأيت الحجة على الطريق فهي قولي ، والإمام أحمد : كان يقول : لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكاً ، ولا الشافعي ،

---

(1) سورة الأعراف : ٣

(2) سورة النور : ٥٤

ولا الثوري ، وتعلموا كما تعلمنا ، وكان يقول : من قلة علم الرجل أن يقلد في دينه الرجال ، وقال لا تقلد دينك الرجال ، فإنهم لن يسلموا من أن يغلطوا .

وقال ابن عبد البر : أجمع الناس على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم ، وأن العلم معرفة الحق بدليله ، ولهذا جعل الفقهاء من شروط القاضي: أن يكون مجتهداً فلا يصح أن يتولاه المقلد ، هذا الذي عليه جمهور العلماء ، قال في الإفصاح : اتفقوا على أنه لا يجوز أن يتولى القضاء من ليس من أهل الاجتهاد ، إلا أبا حنيفة فإنه قال : يجوز ذلك .

وقال الموفق في المغنى : يشترط في القاضي ثلاثة شروط أحدها: الكمال ، وهو نوعان : كمال الأحكام ، وكمال الخلقة ، والثاني : العدالة ، والثالث : أن يكون من أهل الاجتهاد ، وبهذا قال مالك ، والشافعي ، وبعض الحنفية ، وقال بعضهم : يجوز أن يكون عامياً ، فيحكم بالتقليد ، لأن الغرض فصل الخصومات ، فإذا أمكنه ذلك بالتقليد جاز ، كما يحكم بقول المقومين .

ولنا : قوله تعالى ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[١] ، ولم يقل بالتقليد ، وقال : ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾[٢] ، وقال : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[٣] ، وروى بريدة عن رسول الله ﷺ أنه قال : القضاة ثلاثة ، اثنان في النار ، وواحد في الجنة ، رجل علم الحق فقضى به ، فهو في الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل ، فهو في النار ، ورجل جار في الحكم فهو في النار [٤] رواه ابن ماجه ، والعامي

---

(١) سورة المائدة : ٤٩

(٢) سورة النساء : ١٠٥

(٣) سورة النساء : ٥٩

(٤) أخرجه ابن ماجه ح/٢٣١٥/٢/٧٧٦

يقضي على جهل ، ولأن الحكم آكد من الفتيا لأنه فتيا وإلزام ، و المفتي لا يجوز أن يكون مقلداً فالحكم أولى انتهى .

وقال في الإنصاف : ويشترط في القاضي : ان يكون مجتهداً ، هذا المذهب المشهور ، وعليه معظم الأصحاب ، قال ابن حزم : يشترط كونه مجتهداً إجماعاً ، وقال : أجمعوا على أنه لا يحل لحاكم ، ولا لمفت ، تقليد رجل لا يحكم ولا يفتي إلا بقوله ، وقال في الأفصاح : الاجماع انعقد على تقليد كل من المذاهب الأربعة ، وأن الحق لا يخرج عنهم واختار في الترغيب : ومجتهداً في مذهب إمامه للضرورة واختار في الإفصاح ، والرعاية : ومقلداً .

قلت : وعليه العمل من مدة طويلة ، وإلا تعطلت أحكام الناس ، وقيل في المقلد : يفتى ضرورة ، وذكر القاضي : أن ابن شاقلا اعترض عليه بقول الإمام أحمد : لا يكون فقيهاً حتى يحفظ أربعمائة ألف حديث ، فقال إن كنت لا أحفظه فإني أفتي بقول من يحفظ أكثر منه ، قال القاضي : لا يقتضي هذا إن كان يقلد أحمد ، لمنعه الفتيا بلا علم ، قال بعض الأصحاب : ظاهره تقليده ، إلا أن يحمل على أخذ طرق العلم عنه ، وقال ابن بشار ـ من الأصحاب ـ لا أعيب على من يحفظ خمس مسائل لأحمد يفتي بها ، قال القاضي : هذا منه مبالغة في فضله ، وظاهر نقل عبد الله يفتي غير مجتهد ، ذكره القاضي ، وحمله الشيخ تقي الدين على الحاجة ، انتهى ملخصاً .] [1]

ويلحظ أن قول أئمة الدعوة واحد ومصدرهم واحد واستدلالاتهم واحده ، ولهم منهج واحد واضح وجلي .

ثم يورد الشيخ حمد أدلته على المنهج الصحيح في التقليد مستنداً على أقوال أعلام العلماء ومنهم ابن القيم الذي ذكر في مسالة التقليد في الفتيا ، ثلاثة أقوال :

---

[1] الدرر السنية ، ج٤ ، ٢٧ ـ ٣١

] أحدها : أنه لا يجوز الفتوى بالتقليد ، لأنه ليس بعلم والفتوى بغير علم حرام لا خلاف بين الناس : أن التقليد ليس بعلم ، وأن المقلد لا يطلق عليه اسم عالم ، وهذا قول أكثر الأصحاب ، وهو قول جمهور الشافعية .

والثاني : أن ذلك يجوز فيما يتعلق بنفسه ، فيجوز أن يقلد غيره من العلماء ، إذا كانت الفتوى لنفسه ، ولا يجوز أن يقلد العالم فيما يفتي به لغيره ، وهذا قول ابن بطة وغيره من أصحابنا .

والقول الثالث : أنه يجوز ذلك عند الحاجة وعدم العالم المجتهد ، وهذا أصح الأقوال ، وعليه العمل ، انتهى كلام ابن القيم رحمه الله .

فتبين بما ذكرناه : أن المقلد ليس بعالم ، وأن التقليد إنما يصار إليه عند الحاجة للضرورة ، ولكن قد دعت الحاجة والضرورة إليه من زمان طويل ، لا سيما في هذا الوقت ، وحينئذ فيقال : التقليد ثلاثة أنواع :

أحدها : التقليد بعد قيام الحجة ، وظهور الدليل على خلاف قول المقلد ، فهذا لا يجوز ، وقد اتفق السلف والأئمة على ذمه وتحريمه .

قال الشافعي رحمه الله ، أجمع المسلمون على أنه من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن أن يدعها لقول أحد من الناس .

النوع الثاني : التقليد مع القدرة على الاستدلال والبحث عن الدليل ، فهذا مذموم أيضاً لأنه عمل على جهل ، وإفتاء بغير علم ، مع قدرته وتمكنه من معرفة الدليل المرشد ، والله تعالى قد أوجب على عباده أن يتقوه بحسب استطاعتهم ، فقال تعالى :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[١] . وقال النبي ﷺ : إذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم [٢].

فالواجب على كل عبد : أن يبذل جهده في معرفة ما يتقيه مما أمره الله به ونهاه عنه ، ثم يلتزم طاعة الله ورسوله ، ولم يكلف الله عباده ما لا يطيقونه ، بل الواجب على العبد ما يستطيعه من معرفة الحق ، فإذا بذل جهده في معرفة الحق فهو معذور فيما خفي عليه .

النوع الثالث : التقليد السائغ ، وهو تقليد أهل العلم عند العجز عن معرفة الدليل ، وأهل هذا النوع ، نوعان أيضاً أحدهما : من كان من العوام ، الذين لا معرفة لهم بالفقه والحديث ، ولا ينظرون في كلام العلماء ، فهؤلاء : لهم التقليد بغير خلاف ، بل حكى غير واحد : إجماع العلماء على ذلك .

النوع الثاني : من كان محصلاً لبعض العلوم ، وقد تفقه في مذهب من المذاهب ، وتبصر في كتب متأخري الأصحاب كالإقناع المنتهى ، في مذهب الحنابلة ، أو ـ المنهاج ـ ونحو في مذهب الشافعية أو ـ مختصر خليل ـ ونحوه في مذهب المالكية أو ـ الكنز ـ ونحوه في مذهب الحنفية ، ولكنه قاصر النظر عن معرفة الدليل ، ومعرفة الراجح من كلام العلماء ، فهذا له التقليد أيضاً إذا لا يجب عليه ما يقدر عليه و ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٣]][٤].

ثم شرع الشيخ حمد في إيراده لنصوص العلماء : على جواز التقليد الذي ذكره في كلامه السابق وأدلتهم ، حيث استشهد بقوله تعالى :

---

(١) سورة التغابن : ١٦

(٢) أخرجه مسلم ح/٩٧٥/٢/١٣٣٧

(٣) سورة البقرة : ٢٨٦

(٤) الدرر السنية ، ج٤ ، ٣١ ـ ٣٣

]﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] ، وفي الحديث عن النبي ﷺ : ألا سالوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال [2] ، ولم تزل العامة في زمن الصحابة والتابعين ومن بعدهم : يستفتون العلماء ويتبعوهم في الأحكام الشرعية ، والعلماء : يبادرون إلى إجابة سؤالهم ، من غير إشارة إلى ذكر الدليل ، ولا ينهونهم عن ذلك من غير نكير ، فكان إجماعاً : على جواز اتباع العامي العلماء المجتهدين .

ويلزم هذا العامي : أن يقلد الأعلم عنده ، كما يلزمه في مسألة القبلة ، فإذا اجتهد مجتهدان عند اشتباه القبلة ، فاختلفا في الجهة ، اتبع المقلد أوثقهما عنده ، ولا يجوز له أن يتبع الرخص ، بل يحرم ذلك عليه ، ويفسق به ، قال ابن عبد البر : لا يجوز للعامي تتبع الرخص إجماعاً ، ولا يلزم العامي أن يتمذهب بمذهب يأخذ بعزائمه ورخصه ، قال الشيخ تقي الدين : في الأخذ برخص المذهب وعزائمه ، طاعة لغير النبي ﷺ في كل أمره ونهيه ، وهو خلاف الإجماع ، ويتوقف أيضاً في جوازه .

وبالجملة : فالعامي الذي ليس له من العلم حظ ولا نصيب ، فرضه التقليد ، فإذا وقعت له حادثة : استفتى من عرفه عالماً عدلاً ، أو رآه منتصباً للافتاء والتدريس ، واعتبر الشيخ تقي الدين ، وابن الصلاح : الاستفاضة بأنه أهل للفتيا ، ورجحه النووي في الروضة ، ونقله عن أصحابه .

وقال الشيخ تقي الدين : لا يجوز أن يستفتى إلا من يفتي بعلم وعدل ، فعلى هذا لا يكتفي بمجرد انتسابه إلى العلم ، ولو بمنصب تدريس أو غيره ، لا سيما في هذا الزمان ، الذي غلب فيه الجهل ، وقل فيه طلب العلم ، وتصدى فيه جهلة الطلبة للقضاء والفتيا ، فتجد بعضهم يقضي ويفتي ، وهو لا يحسن عبارة الكتاب ، ولا يعلم صورة

---

[1] سورة النحل : ٤٣

[2] سبق تخريجه في صفحة : ٥٤٣

المسألة ، بل لو طولب بإحضار تلك المسألة ، وهي في الكتاب ، لم يهتد إلى موضعها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، شعرا :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس] [1]

ثم بين الشيخ حمد دور ولي الأمر نحو من يجتهد بغير علم مستنداً لما جاء في مختصر التحرير بقوله :

[ويلزم ولي الأمر : منع من لم يعرف بعلم ، أو جهل حاله ، من الفتيا ، قال ربيعة بعض من يفتي : أحق بالضرب من السراق ، ولا تصح الفتيا من مستور الحال ، وما يجيب به المقلد من حكم فإخبار عن مذهب إمامه ، لا فتيا ، قال أبو الخطاب ، وابن عقيل والموفق ، ويعمل بخبره إن كان عادلاً ، لأنه ناقل كالراوي .] [2]

ثم بين الشيخ حمد ما يجب على العامي حول التقليد ، حيث قال :

[ولعاميّ : تقليد مفضول من المجتهدين ، عند الأكثر من أصحابنا ، منهم القاضي ، وأبو الخطاب ، وصاحب الروضة ، وقال الحنفية ، والمالكية ، وأكثر الشافعية ، وقيل : يصح أن اعتقده فاضلاً ، أو مساوياً لا إن اعتقده مفضولاً لأنه ليس من القواعد أن يعدل عن الراجح الى المرجوح ، وقال ابن عقيل ، وابن سريج ، والقفال ، والسمعاني : يلزمه الاجتهاد ، فيقدم الأرجح ، ومعناه : قول الخرقي ، والموفق في المقنع ولأحمد : روايتان .

ويلزمه إن بان له الأرجح تقليده في الأصح ، زاد بعض أصحابنا وبعض الشافعية في الأظهر ، ويقدم الأعلم على الأورع ، ويخير في تقليد أحد مستورين عند أكثر أصحابنا ،

---

(١) الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٣٣ ـ ٣٥

(٢) الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٣٥

قال في الرعاية : ولا يكفيه من تسكن نفسه اليه ، بل لا بد من سكون النفس والطمأنينة به ، يحرم عليه تتبع الرخص ويفسق به .

وإن اختلف مجتهدان بأن أفتاه أحدهما بحكم ، والآخر بخلافه : يخير في الأخذ بأيهما شاء ، على الصحيح ، اختاره القاضي ، والمجد ، وأبو الخطاب ، وذكر أنه ظاهر كلام أحمد ، وقيل : يأخذ بقول الأفضل منهما علماً وديناً ، وهذا اختيار الموفق في الروضة][1].

ثم بين الشيخ حمد ما يتوجب على المفتي بقوله :

[ويحرم تساهل مفت وتقليد معروف به ، لأن الفتيا أمر خطر ، فينبغي أن يتبع السلف الصالح في ذلك ، فقد كانوا يهابون الفتيا كثيراً ، وقد قال الإمام أحمد رضي الله عنه : إذا هاب الرجل شيئاً لا ينبغي أن يحمل على أن يقول به .

قال بعض الشافعية : من اكتفى في فتياه بقول أو وجه في المسألة ، من غير نظر في الترجيح ، فقد جهل ، وخرق الإجماع ، وذكر عن أبي الوليد الباجي : أنه ذكر عن بعض أصحابهم ، أنه كان يقول : الذي لصديقي على أن أفتيه بالرواية التي توافقه ، قال أبو الوليد : وهذا لا يجوز عند أحد يعتد به في الإجماع ، انتهى كلامه في شرح المختصر ملخصاً .

وهذا الذي ذكره أبو الوليد : ذكر مثله الشيخ تقي الدين ، وصاحب الإنصاف ، وغيرهما ، قال في الاختيارات : وأجمع العلماء على تحريم الحكم والفتيا بالهوى أو بقول أو وجه من غير نظر في الترجيح ، ويجب العمل بموجب اعتقاده فيما له إجماعاً ، وشروط القضاء تعتبر حسب الإمكان .

---

(١) الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٣٥ ـ ٣٦

ويجب تولية الأمثل فالأمثل ، وعلى هذا يدل كلام أحمد ، وغيره ، فيولي مع عدم العدل أنفع الفاسقين ، وأقلهما شراً ، وأعدل المقلدين وأعرفهما بالتقليد ، فإن كان أحدهما أعلم ، والآخر أورع ، قدم فيما قد يظهر حكمه ويخاف الهوى فيه الأورع وفيما ندر حكمه ، ويخاف فيه الاشتباه ، الأعلم ، انتهى] [١] .

وفي جواب على سائل سئل الشيخ حمد : هل يلزم المبتدئين المتعلمين ، الترقي إلى معرفة الدليل ، الناص على كل مسألة ؟ فأجاب بقوله :

[يعلم مما تقدم ، وهو أن عليه أن يتقي الله بحسب استطاعته ، فيلزمه من ذلك ما يمكنه ، ويسقط عنه ما يعجز عنه و ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٢] . فلا يهجم على التقليد ، ويخلد إلى أرضه ، مع قدرته على معرفة الدليل ، لا سيما إذا كان قاضياً أو مفتياً ، وله ملكة قوية ، يقوى بها على الاستدلال ، ومعرفة الراجح. فإن الرجل النبيه ، الذي له فهم ، وفيه ذكاء ، إذا سمع اختلاف العلماء ، وأدلتهم في الكتب التي يذكر فيها أقوال العلماء وأدلتهم ، كالمغنى ، والشرح ، والتمهيد لابن عبد البر ، ونحو هذه الكتب ، يحصل عنده في الغالب ، ما يعرف به رجحان أحد القولين ، فإذا كان طالب العلم متمذهباً بأحد المذاهب الأربعة ، ثم رأى دليلاً مخالفاً لمذهب إمامه ، وذلك الدليل قد أخذ به بعض أئمة المذاهب ولم يعلم له ناسخاً ، ولا معارضاً ، فخالف مذهبه واتبع الإمام الذي قد أخذ بالدليل ، كان مصيباً في ذلك ، بل هذا الواجب عليه ، ولم يخرج بذلك عن التقليد ، فهو مقلد لذلك الإمام ، فيجعل إماماً بإزاء إمام ، ويبقى له الدليل بلا معارض .

---

[١] الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٣٦ ـ ٣٧

[٢] سورة البقرة : ٢٨٦

قال في الاختيارات : من كان متبعاً لإمام ، فخالفه في بعض المسائل ، لقوة الدليل ، أو لكون أحدهما أعلم ، أو أتقى ، فقد أحسن ، وقال أبو العباس في موضع آخر : بل يجب عليه ، وأن أحمد نص عليه ، ولم يقدح ذلك في عدالته بلا نزاع .

وقال أيضاً : أكثر من يميز في العلم من المتوسطين ، إذا نظر وتأمل أدلة الفريقين ، بقصد حسن ، ونظر تام ، ترجح عنده أحدهما ، لكن قد لا يثق بنظره ، بل يحتمل أن عنده ما لا يعرف جوابه ، والواجب على مثل هذا : موافقته للقول الذي ترجح عنده ، بلا دعوى من للاجتهاد ، كالمجتهد في أعيان المفتين والأئمة ، إذا ترجح عنده أحدهما قلده ، والدليل الخاص الذي يرجح به قول على قول ، أولى بالاتباع من دليل عام ، على أن أحدهما أعلم أو أدين ، لأن الحق واحد ، ولا بد ، ويجب أن ينصب على الحكم دليلاً ، انتهى .

وقال الشيخ تقي الدين : في بعض أجوبته ، قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين [١] ولازم ذلك : أن من لم يفقه في الدين لم يرد به خيراً ، فيكون التفقه في الدين فرضاً ، والفقه في الدين : معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها السمعية ، فمن لم يعرف ذلك لم يكن متفقهاً ، لكن من الناس من قد يعجز عن الأدلة التفصيلية في جميع أموره ، فيسقط عنه ما يعجز عن معرفته ، ويلزمه ما يقدر عليه .

وأما القادر على الاستدلال ، فقيل : يحرم عليه التقليد مطلقاً ، وقيل : يجوز مطلقاً ، وقيل : يجوز عند الحاجة ، كما إذا ضاق الوقت عن الاستدلال ، وهذا القول أعدل الأقوال ، والاجتهاد : ليس هو أمراً واحداً لا يقبل لتجزي والانقسام ، بل قد يكون الرجل مجتهداً في فن أو باب أو مسألة ، دون فن وباب ومسألة .

---

[١] أخرجه البخاري : ح/٧١ /٣٩/١ ، وأخرجه مسلم : ح/١٠٣٧/٢/٧١٨

وكل أحد فاجتهاده بحسب وسعه ، فمن نظر في مسألة تنازع فيها العلماء ، ورأى مع أحد القولين نصوصاً لم يعلم لها معارضاً ، بعد نظر مثله ، فهو بين أمرين : إما أن يتبع قول القائل الأخير ، لمجرد كونه الإمام ، الذي اشتغل على مذهبه ومثل هذا ليس بحجة شرعية ، بل مجرد عادة يعارضها عادة غيره ، باشتغاله على مذهب إمام آخر .

وإما أن يتبع القول الذي ترجح في نظره بالنصوص الدالة عليه ، وحينئذ: فيكون موافقته لإمام يقاوم به ذلك الإمام ، وتبقى النصوص سالمة في حقه عن المعارض بالعمل ، فهذا هو الذي يصلح وإنما تنزلنا هذا التنزل : لأنه قد يقال : إن نظر هذا قاصر ، وليس اجتهاده تاماً في هذه المسألة ، لضعف آلة الاجتهاد في حقه .

أما إذا قدر على الاجتهاد التام ، الذي يعتقد معه أن القول الآخر ، ليس معه ما يدفع به النصوص ، فهذا يجب عليه اتباع النصوص ، وإن لم يفعل كان متبعاً للظن وما تهوى الأنفس وكان من أكبر العصاة لله ورسوله ، بخلاف من يقول : قد يكون للقول الآخر حجة راجحة على هذا النص وأنا لا أعلمها . فهذا يقال له : قد قال الله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[١] والذي تستطيعه من العلم والفقه في هذه المسألة : قد دلك على أن هذا القول هو الراجح ، فعليك أن تتبع ذلك ، ثم إن تبين لك فيما بعد ، أن للنص معارضاً راجحاً كان حكمك في ذلك حكم المجتهد المستقل ، إذا تغير اجتهاده ، وانتقال الإنسان من قول إلى قول ، لأجل ما تبين له من الحق ، هو محمود فيه بخلاف إصراره على قول لا حجة معه عليه ، وترك القول الذي ترجحت حجته .

وأما الانتقال عن قول إلى قول لمجرد عادة ، واتباع هوى ، فهذا مذموم ، وإذا كان الإمام المقلد ، قد سمع الحديث وتركه ، لا سيما إن كان قد رواه أيضاً ، فمثل هذا

---

[١] سورة التغابن : ١٦

لا يكون عذراً في ترك النص ، فقد بينا فيما كتبناه في ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام ـ نحو عشرين عذراً للأئمة ، في ترك العمل ببعض الحديث ، وبينا أنهم يعذرون في الترك لتلك الأعذار .

وأما نحن : فلسنا معذورين في تركنا لهذا القول ، فمن ترك الحديث ، لاعتقاده أن ظاهر القرآن يخالفه ، أو القياس ، أو عمل بعض أهل الأمصار ، وقد تبين لآخر أن ظاهر القرآن لا يخالفه ، وأن نص الحديث الصحيح مقدم على الظواهر ، ومقدم على القياس ، والعمل ، لم يكن عذر ذلك الرجل عذراً في حقه .

فإن ظهور المدارك الشرعية للأذهان ، وخفاءها عنها : أمر لا ينضبط طرفاه ، لا سيما إذا كان التارك للحديث ، معتقداً أنه قد ترك العمل به المهاجرون والأنصار ، من أهل المدينة النبوية ، الذين يقال إنهم لا يتركون الحديث إلا لاعتقادهم أنه منسوخ ، أو له معارض راجح ، وقد بلغ من بعده أن المهاجرين والأنصار لم يتركوه ، بل عمل به طائفة منهم أو من سمعه منهم ، ونحو ذلك مما يقدح في هذا المعارض .

وإذا قيل لهذا المستهدي المسترشد : أنت أعلم ، أم الإمام الفلاني ؟ كانت هذه معارضة فاسدة ، لأن الإمام الفلاني : قد عارضه في هذه المسألة ، من هو نظيره من الأئمة ، فكما أن الصحابة بعضهم لبعض أكفاء ، في موارد النزاع ، وإذا تنازعوا في شيء ، ردوا ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ، وإن كان بعضهم قد يكون أعلم في مواضع آخر ، فكذلك موارد النزاع بين الأئمة .

وقد ترك الناس قول عمر ، وابن مسعود ، في مسألة تيمم الجنب ، وأخذوا بقول من هو دونهما كأبي موسى الأشعري ، وغيره ، لما احتج بالكتاب والسنة ، وتركوا قول

عمر في دية الأصابع ، وأخذوا بقول معاوية ، لما كان معه من السنة أن النبي ﷺ قال : هذه وهذه سواء[١] .

وقد كان بعض الناس : يناظر ابن عباس في التمتع ، فقال له : إن أبا بكر وعمر يقولان ، فقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبوبكر وعمر ! وكذلك ابن عمر : لما سألوه عنها فأمر بها ، فعارضوه بقول عمر ، فبين أن عمر يرد ما يقولونه ، فألحوا عليه ، فقال : أمر رسول الله ﷺ أحق أن يتبع ، أم أمر عمر ؟ مع علم الناس : أن أبابكر وعمر ، أعلم ممن هو فوق ابن عمر ، وابن عباس .

ولو فتح هذا الباب ، لوجب أن يعرض عن أمر الله ورسوله ، ويبقى كل إمام في اتباعه بمنزلة النبي في أمته ، وهذا تبديل للدين ، يشبه ما عاب الله به النصارى في قوله تعالى ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[٢] انتهى كلام الشيخ رحمه الله تعالى][٣].

وفي سياق أخذ أئمة الدعوة بالرأي الممدوح شرعاً بين الشيخ حمد في رده على سؤال السائل : عن الترقي إلى معرفة طرق الحديث وصحته ؟ أم تقليد المخرجين للحديث ، في أنه صحيح ، أو حسن يكفيهم ، فأجابه بقوله :

[أن ذلك يكفيهم ، قال في شرح ـ مختصر التحرير ـ ويشترط في المجتهد : أن يكون عالماً بصحة الحديث ، وضعفه ، سنداً ومتناً ، ولو كان علمه بذلك تقليداً ، كنقله من كتاب صحيح ، من كتب الحديث المنسوبة إلى الأئمة ، كمالك ، وأحمد ، والبخاري ،

---

(١) أخرجه البخاري : ح/٦٥٠٠/٦/٢٥٢٦

(٢) سورة التوبة : ٣١

(٣) الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٣٧ ـ ٤٣

ومسلم ، وأبي داود ، والترمذي ، والدارقطني ، والحاكم ، ونحوهم ، لأنهم : أهل المعرفة بذلك ، فجاز الأخذ بقولهم ، كما يؤخذ بقول المقومين في القيم ، انتهى .

وقال في مسودة ابن تيمية : العامي الذي ليس معه آلة الاجتهاد في الفروع يجوز له التقليد فيها ، عند الشافعية ، والجمهور ، وقال أبو الخطاب : يجوز له الرجوع إلى أهل الحديث في الخبر ، وكون سنده صحيحاً أو فاسداً ، ولا يلزمه أن يتعلم ذلك بالإجماع ، انتهى .

وقال عبد الرحيم : ابن الحسين العراقي في ألفيته :

واخذ متن من كتاب لعمـــل أو احتجاج حيث ساغ قد جعل

عرضا له على أصول يشترط وقال يحي النووي أصل فقــط

ثم قال المؤلف في شرحه أي وأخذ الحديث ، من كتاب ، من الكتب المعتمدة لعمل به ، أو احتجاج به ، إن كان ممن يسوغ له العمل بالحديث والاحتجاج به ، جعل ابن الصلاح شرطه : أن يكون ذلك الكتاب ، مقابلاً بمقابلة ثقة ، على أصول صحيحة متعددة ، مروية روايات متنوعة ، قال النووي ، فإن قابلها بأصل معتمد محقق أجزأه .

وقال ابن الصلاح في قسيم الحسن ، حين ذكر أن نسخ الترمذي تختلف في قوله : حسن صحيح ، ونحو ذلك فينبغي : أن تصحح أصلك بجماعة أصول ، وتعتمد على ما اتفقت عليه ، فتقول : ينبغي ، قد يشير إلى عدم اشتراط ذلك ، وإنما هو مستحب ، وهو كذلك ، انتهى كلام العراقي .

وقال أبو الحسن البكري الشافعي ، في كتابه ـ كنز المحتاج على المنهاج ـ لما ذكر أن من شروط القاضي : أن يكون مجتهداً إلا إذا فوضت إليه واقعة خاصة ، فيكفي الاجتهاد في تلك الواقعة ، بناء على تجزي الاجتهاد ، وهو الأصح .. إلى أن قال : وقد يحصل الاجتهاد في باب دون باب آخر ، ولا حاجة لتتبع الأحاديث ، بل يكفي أصل

مصحح ، أعتني فيه بجميع أحاديث الأحكام ، كسنن أبي داود ، ولا أن يعرف مواقع كل باب فيراجعه عند الحاجة ، ولا إلى البحث عن رواة حديث ، أجمع السلف على قبوله ، أو تواترت عدالة رواته ، ويقظتهم ، وما عداه يكتفي في رواته بتعديل إمام مشهور ، عرفت صحة مذهبه ، جرحاً وتعديلاً ، ولا إلى ضبط جميع مواضع الإجماع والاختلاف ، بل يكفي معرفته بعدم مخالفة قوله الإجماع ، لموافقته بتقدم عليه ، أو غلبة ظن بتولدها في عصره ، وكذا في معرفة الناسخ والمنسوخ ، انتهى .

وقال في شرح الروض ، للقاضي زكريا ، لما ذكر أن من شروط القاضي : أن يكون مجتهداً ، قال ، والمجتهد : من علم ما يتعلق بالأحكام ، من الكتاب والسنة ، وعرف منها العام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والمجمل والمبين ، و النص والظاهر ، والناسخ والمنسوخ ، والمتواتر والأحاد ، والمرسل والمتصل ، وعدالة الرواة ، وجرحهم ، وأقاويل الصحابة فمن بعدهم .. إلى أن قال :

ولا يشترط التبحر في هذه العلوم ، بل يكفي معرفة جمل منها ، وأن يكون له في كتب الحديث أصل صحيح ، يجمع أحاديث الأحكام ،أي غالبها ، كسنن أبي داود ، فيعرف كل باب ، فيراجعه إذا احتاج إلى العمل به ، ويكتفي في البحث عن الأحاديث بما قبله منها السلف ، وتواترت أهلية رواته ، من العدل ، والضبط ، وماعداه يكتفي في أهلية رواته بتأهل إمام مشهور ، عرفت صحة مذهبه في الجرح والتعديل ، ثم اجتماع هذه العلوم : إنما يشترط في المجتهد المطلق ، الذي يفتي في جميع أبواب الشرع ، ويجوز أن يتبعض الاجتهاد ، بأن يكون العالم مجتهداً في باب دون باب ، فيكفيه علم ما يتعلق بالباب الذي يجتهد فيه ، انتهي كلام القاضي .

فتبين بما ذكرناه من المنقول : جواز الاعتماد على نقل الأحاديث ، من الكتب الصحيحة ، وكذا التقليد لأهل الجرح والتعديل ، في تصحيح الحديث ، أو تضعيفه ، والله سبحانه أعلم .] [1]

وبين الشيخ حمد على سؤال السائل عن ما حكاه بعض المتأخرين من الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة ، أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد ، رحمهم الله ، فأجابه بقوله :

[هذا الإجماع حكاه غير واحد من المتأخرين ، وكلهم نسبوه إلى الوزير أبي المظفر : يحي بن هبيرة ، صاحب ـ الإفصاح عن معاني الصحاح ـ فإنه ذكر نحواً من هذه العبارة ، وليس مراده : أن الإجماع منعقد ، على وجوب تقليد هؤلاء الأئمة الأربعة ، وأن الاجتهاد بعد استقرار هذه المذاهب لا يجوز ، فإن كلامه يأبى ذلك .

وإنما أراد : الرد على من اشترط في القاضي ان يكون مجتهداً ، وأن المقلد : لا ينفذ قضاؤه ، كما هو مذهب كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين ، وحمل كلام من اشترط في القاضي أن يكون مجتهداً على ما كانت عليه الحال قبل استقرار هذه المذاهب الأربعة ، وأما بعد استقرار هذه المذاهب فتجوز تولية المقلد لأهلها وينفذ قضاؤه .

وليس في كلامه ما يدل على أنه يجب التقليد لهؤلاء الأئمة ، بحيث أن يلزم الرجل أن يتمذهب بأحد هذه المذاهب الأربعة ، ولا يخرج عن مذهب من قلده ، كما قد يتوهم بل كلامه يخالف ذلك ، ولا يوافقه .

وعبارته في الإفصاح اتفقوا على أنه لا يجوز أن يولى القضاء من ليس من أهل الاجتهاد ، إلا أبا حنيفة فإنه قال يجوز ذلك ، قال الوزير : والصحيح في هذه المسألة : أن قول من قال لا يجوز تولية قاض ، حتى يكون من أهل الاجتهاد ، فإنه إنما عنى به

[1] الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٤٣ ـ ٤٦

ما كانت الحال عليه ، قبل استقرار هذه المذاهب الأربعة ، التي أجمعت الأمة أن كل واحد منها يجوز العمل به ، لأنه مستند إلى سنة رسول الله ﷺ .

فالقاضي الآن : وإن لم يكن من أهل الاجتهاد ، ولا يسعى في طلب الأحاديث ، وابتغاء طرقها ، ولا عرف من لغة الناطق بالشريعة ﷺ ، ما لا يعوزه معه معرفة ما يحتاج إليه فيه ، وغير ذلك من شروط الاجتهاد ، فإن ذلك مما قد فرغ منه .

ودأب له فيه سواه ، وانتهي له الأمر من هؤلاء الأئمة المجتهدين ، إلى ما أراحوا به من بعدهم ، وانحصر الحق في أقاويلهم ، ودونت العلوم ، وانتهت إلى ما اتضح فيه الحق ، فإذا عمل القاضي في أقضيته بما يأخذ عنهم ، أو عن الواحد منهم ، فإنه في معنى من كان أداه اجتهاده إلى قول قاله .

وعلى ذلك : فإنه إذا خرج من خلافهم ، متوخياً مواطن الاتفاق ما أمكنه ، كان آخذاً بالحزم ، وعاملاً بالأولى ، وكذلك إذا قصد في مواطن الخلاف ، وتوخي ما عليه الأكثر منهم ، والعمل بما قاله الجمهور ، دون الواحد ، فإنه قد أخذ بالحزم والأحوط والأولى ، مع جواز علمه أن يعمل بقول الواحد .

إلا أنني أكره له أن يكون ذلك ، من حيث أنه قد قرأ مذهب واحد منهم ، أو نشأ في بلدة لم يعرف فيها إلا مذهب إمام واحد منهم ، أو كان شيخه ومعلمه ، على مذهب فقيه من الفقهاء ، فقصر نفسه على اتباع ذلك المذهب ، حتى إنه إذا حضر عنده خصمان ، وكان ما تشاجرا فيه ، مما يفتي الفقهاء الثلاثة فيه بحكم ، نحو التوكيل بغير رضا الخصم ، وكان الحاكم ـ حنفياً ـ وقد علم : أن مالكاً ، والشافعي ، وأحمد ، اتفقوا على جواز هذا التوكيل ، وأن أبا حنيفة يمنعه ، فعدل عما اجتمع عليه هؤلاء الأئمة الثلاثة ، إلى ما ذهب إليه أبو حنيفة ، بمجرد أنه قاله فقيه ، هو في الجملة من فقهاء الاتباع له ، ومن غير أن يثبت عنده بالدليل ما قاله ، ولا أداه اجتهاده إلى أن أبا حنيفة أولى بالاتباع

مما اتفق الجماعة عليه ، فإني أخاف على هذا من الله عز وجل ، بأنه اتبع في ذلك هواه ، وأنه ليس من ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾[1].

وكذلك إن كان القاضي ــ مالكياً ــ فاختصم إليه اثنان في سؤر الكلب ، فقضى بطهارته ، مع علمه بأن الفقهاء كلهم قضوا بنجاسته ، فعدل إلى مذهبه ، وكذلك إن كان القاضي ــ شافعياً ــ فاختصم إليه اثنان في متروك التسمية عمداً ، فقال أحدهما : هذا منعني بيع شاة مذكاة ، فقال الآخر ، إنما منعته من بيع الميتة ، فقضى عليه بمذهبه ، وهو يعلم أن الأئمة الثلاثة على خلافه .

وكذلك : إن كان القاضي ــ حنبلياً ــ فاختصم إليه اثنان فقال أحدهما : لي عليه مال ، ففال الآخر : كان له علي مال فقضيته ، فقضى ، بالبراءة من إقراره ، مع علمه : بأن الأئمة الثلاثة على خلافه ، فإن هذا وأمثاله ، مما توخي اتباع الأكثرين فيه ، أقرب عندي إلى الإخلاص ، وأرجح في العمل ، وبمقتضى هذا : فإن ولايات الحكام في وقتنا هذا صحيحة ، وأنهم قد سدوا ثغراً من ثغور الإسلام ، سده فرض كفاية .

ولو أهملت هذا القول ولم أذكره ، ومشيت على الطريق التي يمشي عليه الفقهاء ، الذي يذكر كل منهم في كتاب إن صنفه ، أو كلام إن قاله ، أنه لا يصح أن يكون قاضياً من كان من أهل الاجتهاد ، ثم يذكر من شروط الاجتهاد أشياء ، ليست موجودة في الحكام ، فإن هذا كالإحالة ، والتناقض ، وكأنه تعطيل للأحكام ، وسد لباب الحكم ، وأن لا ينفي حق ولا يكاتب به ، ولا يقام بينة ، إلى غير ذلك من القواعد الشرعية .

---

[1] سورة الزمر : ١٨

وهـذا غيـر صـحيح ، بـل الصـحيح فـي المسـألة : أن ولايـات الحكـام جائـزة وأن حكومـاتهم اليوم صحيحة نـافذة وولايـاتهم جائزة شرعاً ، انتهي كلام ابن هبيرة رحمه الله تعالى .

فقد تضمن هـذا الكلام : إن تولية المقلد جائزة ، إذا تعذرت تولية المجتهد ، لأنه ذكر أن شـروط الاجتهاد ليسـت موجـودة فـي الحكـام ، وأن هـذا كالإحالـة ، وكأنـه تعطيـل للأحكام ، وسـد لباب الحكم ، فينفذ قضـاء المقلد لـلحاجة ، لئلا تتعطل الأحكام ، وهكذا قال غير واحد من المتأخرين ، الذين يذكرون أن من شروط القاضي : أن يكون مجتهداً ، يذكر هـذا ، ثـم يذكر القول الثاني : أنه يجوز تولية المقلد للضرورة ، كما ذكره متأخروا الحنابلة ، والمالكية ، و الشافعية .

وتضمن أيضاً : كلام ابن هبيرة ، أن إجماع الأئمة الأربعة حجة ، وأن الحق لا يخرج عن أقوالهم ، فلا يخرج القاضي عما أجمعوا عليه ، فإن اختلفوا ، فالأولى أن يتبع ما عليه الأكثر ، وصرح بأنـه يكره لـه أن يقضـي بمـا انفرد بـه الواحـد منهم ، عمـا عليه الثلاثة ، لكونه مذهب شيخه ، أو أهل بلده ، وذكر : أنه يخاف على هذا أن يكون متبعاً لهواه .

وتضمن كلامه أيضاً : أن الإجماع انعقد على تقليد كل واحد من المذاهب الأربعة ، دون من عداهـم مـن الأئمة ، لأن مذاهبهم مدونـة ، قـد حررت ، ونقحها أتباعهم ، بخلاف أقوال غيرهم من الأئمـة ، فلأجـل هـذا جاز تقليدهم ، فليس في كلامـه إلا حكاية الإجماع علـى جواز تقليدهم ، لا علـى وجوبه ، بل صرح بأن القاضي : لا ينبغي له الاقتصار على مذهب واحد منهم ، لا يفتي إلا به .

بـل ذكر أن الأولى للقاضي أن يتوخى مواطن الاتفاق إن وجده ، وإلا توخى ما عليه الأكثر ، فيعمل بما قاله الجمهور ، لا بما قاله الواحد منهم مخالفاً الأكثر.

فقضية كلامه : أن المقلد لا يخرج عن أقوال الأئمة الأربعة ، بل يجتهد في أقوالهم ، ويتوخى ما عليه أكثرهم ، إلا أن يكون للواحد منهم دليل ، فيأخذ بقول من كان الدليل معه ، فيكون من ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾[1] وهذا من جنس ما أشرنا إليه فيما تقدم ، من أن المقلد إذا كان نبيهاً ، وله ملكة قوية ، ونظر فيما تنازع فيه الأئمة ، وأمعن النظر في أدلتهم ، وتعليلاتهم : تبين له الراجح من المرجوح ، وحينئذ : فيعمل بما ترجح عنده أنه الصواب ، ولا يخرج بذلك عن التقليد .

فإذا كان الرجل شافعياً أو حنبلياً ، ونظر في كتب الخلاف ، ووجد صحيحاً قد استدل به مالك ، فعمل بالدليل ، كان هذا هو المناسب في حقه ، فيجعل إماماً بإزاء إمام ، ويسلم له الدليل بلا معارض ، وليس هذا من الاجتهاد المطلق ، بل هو من الاجتهاد المقيد ، فهو يتبع الدليل ، ويقلد الإمام الذي قد أخذ به .

وأما الأخذ بالدليل ، من غير نظر كلام العلماء ، فهو وظيفة المجتهد المطلق ، وأما المقلد الذي لم تجتمع فيه الشروط ، ففرضه التقليد ، وسؤال أهل العلم ، قال عبدالله ابن الإمام أحمد : سألت أبي ، عن الرجل تكون عنده الكتب المصنفة ، فيها قول رسول الله ﷺ ، واختلاف الصحابة ، والتابعين ، وليس للرجل بصر بالحديث الضعيف المتروك ، ولا الإسناد القوي من الضعيف ، أفيجوز أن يعمل بما شاء ؟ ويتخير ما أحب منها ؟ فيفتي به ويعمل به ؟ قال : لا ، لا يعمل حتى يسأل ما يؤخذ به منها ، فيكون يعمل على أمر صحيح ، يسأل عن ذلك أهل العلم ، انتهى كلامه .

---

(١) سورة الزمر : ١٨

وأما إذا وجد الحديث قد عمل به بعض الأئمة المجتهدين ولم يعلم عند غيره حجة يدفع بها الحديث فعمل به كان قد عمل بالحديث وقلد هذا الإمام المجتهد في تصحيحه ، وعدم ما يعارضه فيكون متبعاً غير خارج عن التقليد .] [1]

[وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : طالب العلم يمكنه معرفة الراجح من الكتب الكبار ، التي يذكر فيها مسائل الخلاف ، ويذكر فيها الراجح ، مثل كتاب ـ التعليق ـ للقاضي أبي يعلى و ـ الانتصار ـ لأبي الخطاب و ـ عمد الأدلة ـ لابن عقيل و ـ تعليق القاضي ـ يعقوب البرزبيني ، وأبي الحسن الزاغوني ، ومما يعرف منه ذلك : كتاب ـ المغنى ـ للشيخ أبي محمد ، وكتاب ـ شرح الهداية ـ لجدنا أبي البركات .

ومن كان خبيراً بأصول أحمد ، ونصوصه ، عرف الراجح في مذهبه ، في عامة المسائل ، ومن كان له بصر بالأدلة الشرعية ، عرف الراجح في الشرع ، وأحمد رحمه الله أعلم من غيره بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان رحمهم الله ، ولهذا لا يكاد يوجد له قول يخالف نصاً كما يوجد لغيره ، ولا يوجد له قول ضعيف في الغالب إلا وفي مذهبه ما يوافق القول القوي ، وأكثر مفاريده التي لا يختلف فيها مذهبه ، يكون قوله فيها راجحاً ، انتهى كلامه رحمه الله] [2].

ثم يورد الشيخ حمد الأدلة وأقول العلم التي تعضد قوله وتبين شبه المتعصبين للمذاهب بقوله :

[وهو موافق ـ أي كلام إبن تيميه ـ لما ذكره صاحب ـ الافصاح ـ من أن القاضي عليه أن يتوخى إصابة الحق ، فيتوخى مواطن الاتفاق ، فيعمل بما اتفقوا عليه ، فإن لم يكن الحكم متفقاً عليه ، نظر فيما عليه الجمهور ، إذا لم يكن مع مخالفهم دليل ، فليس

---

[1] الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٤٦ ـ ٥٣

[2] الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٥٣

الناظر في كتب الخلاف ، ومعرفة الأدلة بخارج عن التقليد ، وليس في كلام صاحب الإفصاح ما يقتضي التمذهب بمذهب لا يخرج عنه ، بل كلامه صريح في ضد ذلك .

وهذه الشبهة : ألقاها الشيطان على كثير ممن يدعي العلم ، وصال بها أكثر فظنوا أن النظر في الأدلة أمر صعب لا يقدر عليه إلا المجتهد المطلق ، وأن من نظر في الدليل ، وخالف إمامه لمخالفة قوله لذلك الدليل ، فقد خرج عن التقليد ، ونسب نفسه إلى الاجتهاد المطلق .

واستقرت هذه الشبهة في قلوب كثير ، ـ صدق عليهم قول الله تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾[1] . وزعموا أن هذا هو الواجب عليهم ، وأن من انتسب إلى مذهب إمام ، فعليه أن يأخذ بعزائمه ورخصه ، وإن خالف نص كتاب أو سنة ، فصار إمام المذهب عند أهل مذهبه كالنبي في أمته ، لا يجوز الخروج عن قوله ، ولا تجوز مخالفته .

فلو رأى واحداً من المقلدين ، قد خالف مذهبه ، وقلد إماماً آخر في مسألة لأجل الدليل الذي استدل به ، قالوا هذا قد نسب نفسه إلى الاجتهاد ، ونزل نفسه منزلة الأئمة المجتهدين ، وإن كان لم يخرج عن التقليد ، وإنما قلد إماماً دون إمام آخر ، لأجل الدليل ، وعمل بقوله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾[2] .

فالمتعصبون للمذاهب : إذا وجدوا دليلا ردوه إلى نص إمامهم ، فإن وافق الدليل نص الإمام قبلوه ، وإن خالفه ردوه واتبعوا نص الإمام ، واحتالوا في رد الأحاديث ، بكل حيلة يهتدون إليها .

---

(١) سورة المؤمنون : ٥٣

(٢) سورة النساء : ٥٩

فإذا قيل لهم : هذا حديث رسول الله ﷺ قالوا : أنت أعلم بالحديث من الإمام الفلاني ؟ مثال ذلك : إذا حكمنا بطهارة بول ما يؤكل لحمه ، وحكم الشافعي بنجاسته ، وقلنا له : قد دلّ على طهارته حديث العرنيين ، وهو حديث صحيح .

وكذلك حديث أنس في الصلاة في مرابض الغنم ، فقال هذا المنجس لأبوال مأكول اللحم : أنت أعلم بهذه الأحاديث من الإمام الشافعي ؟ فقد سمعها ولم يأخذ بها ، فنقول له : قد خالف الشافعي في هذه المسألة ، من هو مثله ، أو هو أعلم منه كمالك ، والإمام أحمد رحمهما الله ، وغيرهما من كبار الأئمة ، فنجعل هؤلاء الأئمة بإزاء الشافعي ، ونقول إمام بإمام ، وتسلم لنا الأحاديث ، ونرد الأمر إلى الله والرسول عند تنازع هؤلاء الأئمة ، ونتبع الذي أخذ بالنص ، ونعمل بقوله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[1] فنمتثل ما أمر الله به وهذا هو الواجب علينا .

ولسنا في هذا العمل : خارجين عن التقليد ، بل خرجنا من تقليد إمام ، إلى تقليد إمام آخر ، لأجل الحجة التي أدلى بها من غير معارض لها ولا ناسخ ، فالانتقال من مذهب إلى مذهب آخر ، لأمر ديني ، بأن تبين له رجحان قول على قول ، فيرجع إلى القول الذي يرى أنه أقرب إلى الدليل ، مثاب على فعله ، بل واجب عل كل أحد ، إذا تبين له حكم الله ورسوله ،في أمر ، أن لا يعدل عنه ، و لا يتبع أحداً في مخالفة حكم الله ورسوله ، فإن الله فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله ﷺ في كل حال ، كما تقدم ذكره .

وقد ذكرنا : أن الشافعي رحمه الله قال : أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس ، وأما الانتقال من مذهب إلى مذهب ، لمجرد الهوى ، أو لغرض دنيوي ، فهذا لا يجوز وصاحبه : يكون متبعاً لهواه .

---

[1] سورة النساء : ٥٩

وقد نص الإمام أحمد رحمه الله على أنه : ليس لأحد أن يعتقد الشيء واجباً ، أو محرماً ، ثم يعتقده غير واجب أو محرم ، بمجرد هواه ، وذلك مثل : أن يكون طالباً للشفعة بالجوار ، فيعتقدها أنها حق ، ويقول : مذهب أبي حنيفة في هذه المسألة أرجح من مذهب الجمهور ، ثم إذا طلبت منه الشفعة بالجوار ، اعتقد أنها ليست ثابتة ، وقال : مذهب الجمهور في هذه المسألة أرجح .

ومثل من يعتقد : إذا كان أخاً مع جد ، أن الأخوة تقاسم الجد ، كما هو مذهب الأئمة الثلاثة ، فإذا كان جد ، مع أخ ، اعتقد أن الجد يسقط الإخوة كما هو مذهب أبي حنيفة ، فهذا ونحوه ، لا يجوز ، وصاحبه مذموم ، بل يجب عليه أن يعتقد الحق فيما له وعليه ، ولا يتبع هواه ، ولا يتبع الرخص ، فمتبع الرخص مذموم ، والمتعصب للمذهب مذموم ، وكلاهما متبع هواه .](١)

ثم بين الشيخ حمد الخطأ الذي عليه متعصبوا المذاهب ، حيث أنهم يخالفون الأئمة الأربعة ويتبعون اجتهادات المتأخرين الأقل علماً ولو خالفت أقوالهم نصوص الكتاب والسنة ، ولاشك أن هذا انحراف في المنهج الصحيح للاجتهاد ، يقول الشيخ حمد في ذلك :

[والمتعصبون لمذاهب الأئمة تجدهم في أكثر المسائل قد خالفوا نصوص أئمتهم ، واتبعوا أقوال المتأخرين من أهل مذهبهم ، فهم يحرصون على ما قاله الآخر ، فالآخر ، وكلما تأخر الرجل ، أخذوا بكلامه ، وهجروا ، أو كادوا يهجرون كلام من فوقه ، فأهل كل عصر إنما يقضون بقول الأدنى فالأدنى إليهم ، وكلما بعد العهد ، ازداد كلام المتقدمين هجراً ورغبة عنه ، حتى إن كتب المتقدمين لا تكاد توجد عندهم فإن وقعت في أيديهم ، فهي مهجورة .

---

(١) الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٥٣ ـ ٥٧

فالحنابلة : قد اعتمدوا على ما في الإقناع ، والمنتهى ، ولا ينظرون فيما سواهما ، ومن خالف مذهب المتأخرين ، فهو عندهم مخالف لمذهب أحمد رحمه الله ، مع أن كثيراً من المسائل ، التي جزم بها المتأخرون ، مخالفة لنصوص أحمد يعرف ذلك من عرفه ، وتجد كتب المتقدمين ، من أصحاب أحمد مهجورة عندهم ، بل قد هجروا كتب المتوسطين ولم يعتمدوا إلا على كتب المتأخرين .

فـ ـ المغنى ـ و ـ الشرح ـ و ـ الانصاف ـ و ـ الفروع ـ ونحو هذه الكتب ، التي يذكر فيها أهلها خلاف الأئمة ، او خلاف الأصحاب ، لا ينظرون فيها ، فهؤلاء في الحقيقة اتباع ـ الحجاوي ـ و ـ ابن النجار ـ لا أتباع الإمام أحمد .

وكذلك متأخروا الشافعية ، هم في الحقيقة : أتباع ابن حجر ـ الهيتمي ـ صاحب ـ التحفة ـ وأضرابه من شراح المنهاج ، فما خالف ذلك من نصوص الشافعي ، لا يعبؤون به شيئاً .

وكذلك متأخروا المالكية ، هم في الحقيقة : أتباع ـ خليل ـ فلا يعبؤون بما خالف مختصر خليل شيئاً ، ولو وجدوا حديثاً ثابتاً في الصحيحين ، لم يعلموا به إذا خالف المذهب ، وقالوا : الإمام الفلاني أعلم منا بهذا الحديث ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾[1] . وكل أهل مذهب : اعتمدوا على كتب متأخريهم ، فلا يرجعون إلا إليها ، ولا يعتمدون إلا عليها . وأما كتب الحديث ، كالأمهات الست ، وغيرها من كتب الحديث وشروحها ، وكتب الفقه الكبار ، التي يذكر فيها خلاف الأئمة وأقوال الصحابة ، والتابعين ، فهي عندهم مهجورة ، بل هي في الخزانة مسطورة ، للتبرك بها لا للعمل .

---

[1] سورة المؤمنون : ٥٣

ويعتذرون بأنهم قاصرون عن معرفتها ، فالأخذ بها وظيفة المجتهدين ، والاجتهاد قد انطوى بساطه من أزمنة متطاولة ولم يبق إلا التقليد ، والمقلد يأخذ بقول إمامه ، ولا ينظر إلى دليله وتعليله .

ولم يميزوا بين المجتهد المطلق ، الذي قد اجتمعت فيه شروط الاجتهاد ، فهو يستقل بإدراك الأحكام الشرعية ، من الأدلة الشرعية ، من غير تقييد ، وبين المجتهد في مذهب إمامه ، أو في مذاهب الأئمة الأربعة ، من غير خروج عنها .

فهو ملتزم لمذهب إمام من الأئمة ، وينظر في كتب الخلاف ، ويمعن النظر في الأدلة ، فإذا رأى الدليل بخلاف مذهبه ، قلد الإمام الذي أخذ بالدليل ، فهو اجتهاد مشوب بالتقليد .

فينظر إلى ما اتفقوا عليه ، ويأخذ به ، فإن اختلفوا نظر في الأدلة ، فإن وجد مع أحدهم دليلاً أخذ بقوله ، فإن لم يجد في المسألة دليلاً من الجانبين ، أخذ بما عليه الجمهور ، فإن لم يجد ذلك ، بل قوي الخلاف عنده ، من الجانبين التزم قول إمامه ، إذا لم يترجح عنده خلافه .

فأكثر المقلدين : لا يميزون بين المجتهد المستقل من غيره ، وجعلوهما واحداً ، وهذا غلط واضح ، فإن من كان قاصراً في العلم ، لا يستقل بأخذ الأحكام من الأدلة ، بل يسأل أهل العلم ، كما نص عليه الإمام أحمد رحمه الله ، في رواية ابنه عبد الله ، وقد ذكرناه فيما تقدم] [1].

ثم بين الشيخ حمد الاجتهاد الممدوح شرعاً والاجتهاد المذموم شرعاً وأدلته من أقوال أهل العلم بقوله :

---

(١) الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٥٧ ـ ٦٠

] وأما الاجتهاد المقيد بمذاهب الأئمة ، وتوخى الحق بما دلّ عليه الدليل ، وبما عليه الجمهور ، فهذا هو الذي لا ينبغي العدول عنه ، وهو الذي ذكره صاحب ـ الإفصاح ـ وأما لزوم التمذهب بمذهب بعينه ، بحيث لا يخرج عنه ، وإن خالف نص الكتاب أو السنة ، فهذا مذموم ، غير ممدوح ، وقد ذمه صاحب ـ الإفصاح ـ كما تقدم ذكره ، بل قد ذمه الأئمة رضي الله عنهم .

قال الشافعي قدّس الله وجهه : طالب العلم بلا حجة ، كحاطب ليل ، يحمل حزمة حطب ، وفيها أفعى تلدغه ، وهو لا يدري .

وقال أبو حنيفة ، وأبو يوسف : لا يحل لأحد أن يقول بقولنا ، حتى يعلم من أين قلناه ، وقد صرح مالك : بأن من ترك قول عمر بن الخطاب ، لقول إبراهيم النخعي ، أنه يستتاب فكيف بمن ترك قول رسول الله ﷺ لقول من هو دون إبراهيم أو مثله ؟ !

قال جعفر الفريابي : حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثني الهيثم بن جميل ، قلت لمالك بن أنس رضي الله عنه : يا أبا عبد الله إن عندنا قوماً وضعوا كتباً ، يقول أحدهم : حدثنا فلان عن فلان ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بكذا ، وكذا ، وفلان عن إبراهيم بكذا ، ويأخذ بقول إبراهيم ، قال مالك : وصح عندهم قول عمر ؟ قلت إنما هي رواية ، كما صح عندهم قول إبراهيم ، فقال : هؤلاء يستتابون .

وقال أبو عمر بن عبد البر : يقال لمن قال بالتقليد ، لم قلت به ، وخالفت السلف في ذلك ، فإنهم لم يقلدوا ؟ فإن قال : قلدت : لأن كتاب الله لا علم لي بتأويله ، وسنة رسول الله ﷺ لم أحصها ، والذي قلدته قد علم ذلك ، فقلدت من هو أعلم مني .

قيل له : أما العلماء إذا أجمعوا على تأويل شئ ، من الكتاب ، أو حكاية عن رسول الله ﷺ ، أو اجتمع رأيهم على شئ ، فهو الحق لا شك فيه ، ولكن قد اختلفوا فيما

قلدت فيه بعضهم ، دون بعض ، فما حجتك في تقليد بعضهم دون بعض ، وكلهم عالم ؟ ولعل الذي رغبت عن قوله أعلم من الذي ذهبت إلى مذهبه .

فإن قال : قلدته لأني أعلمه على صواب ، قيل له علمت ذلك من كتاب الله ، أو سنة رسوله ﷺ أو إجماع ؟ فإن قال : نعم ، أبطل التقليد ، وطولب بما ادعاه من الدليل ، وإن قال : قلدته لأنه أعلم مني . قيل له : فقلد كل من هو اعلم منك ، فإنك تجد من ذلك خلقاً كثيراً ، ولا تخص من قلدته إذ علتك فيه أنه أعلم منك .

فإن قال قلدته لأنه أعلم الناس ، قيل له ، فهو إذاً أعلم من الصحابة رضي الله عنهم ، فكفى بقول مثل هذا قبحاً ، فإن قال : أنا أقلد بعض الصحابة ، قيل له : فما حجتك في ترك من لم تقلد منهم ؟ ولعل من تركت منهم أفضل ممن أخذت بقوله ، على أن القول لا يصح بفضل قائله ، وإنما يصح بدلالة الدليل عليه .

وقد ذكر ابن معين عن عيسي ابن دينار ، عن قاسم ، عن مالك ، قال : ليس كلما قال الرجل قولا ـ وإن كان له فضل ـ يتبع عليه ، لقوله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾[١] فإن قال قصرى ، وقلة علمي تحملني على التقليد ، قيل له: أما من قلد فيما ينزل به ، فمعذور ، لأنه قد أتى ما عليه ، وأدى ما لزمه فيما نزل به لجهله ، ولا بد له من تقليد عالم فيما جهله ، لإجماع المسلمين : أن المكفوف يقلد من يثق بخبره في القبلة ، لأنه لا يقدر على أكثر من ذلك .

ولكن من كانت هذه حاله ، هل يجوز له الفتوى في شرائع الله ؟ فيحمل غيره على إباحة الفروج ، وإراقة الدماء ، واسترقاق الرقاب ، وإزالة الأملاك ، يصيرها إلى غير من كانت في يده ، بقول لا يعرف صحته ، ولا قام له الدليل عليه ، وهو مقر أن صاحبه

---

[١] سورة الزمر : ١٨

يخطئ ويصيب ، ـ وأنه مخالف ـ في ذلك ، ربما كان المصيب فيما يخالفه فيه ، فإن أجاز الفتوى لمن جهل الأصل والمعنى ، لحفظه الفروع ، لزمه أن يجيزه للعامة ، وكفى بذلك جهلا وردا للقرآن ، قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

وقد أجمع العلماء : على أن ما لم يتبين ، ولم يستيقن ، فليس بعلم ، وإنما هو ظن ، والظن لا يغني من الحق شيئاً ، ثم ذكر حديث ابن عباس رضي الله عنه ، من أفتى بفتيا ، وهو يعمى عنها ، كان إثمها عليه ، موقوفاً ومرفوعاً ، قال : وثبت عن النبي ﷺ : إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث [3] قال : ولا خلاف بين أئمة الأمصار في فساد التقليد ، انتهى كلام أبي عمر رحمه الله تعالى .

فتأمل : ما في هذا الكلام من الرد ،على من يقول بلزوم التمهذب ، بمذهب من هذه المذاهب الأربعة ، لا يخرج عن ذلك المذهب ، ولو وجد دليلاً يخالفه ، لأن الإمام صاحب المذهب أعلم بمعناه ، ويجعل هذا عذراً له في رد الحديث ، أو ترك العمل به إذا خالف المذهب .

وتأمل ، قوله : لا خلاف بين أئمة الأمصار في فساد التقليد ، ومراده إذا كان المقلد قادراً على الاستدلال ، أما العاجز عنه ، فهو كالأعمى يقلد في جهة القبلة ، فهو معذور إذا كان عاجزاً .

وقد حكى الإمام أبو محمد بن حزم : الإجماع على أنه لا يجوز التزام مذهب بعينه ، لا يخرج عنه ، فقال : أجمعوا على أنه لا يجوز لحاكم ، ولا لمفت تقليد رجل ، فلا يحكم

---

(١) سورة الأسراء : ٣٦

(٢) سورة الأعراف : ٢٨

(٣) أخرجه البخاري : ح/٤٨٤٩/٥/١٩٧٦

و لا يفتي بقوله ، انتهى ، فحكاية الإجماع من هذين الإمامين ، أعني : أبا عمر بن عبدالبر ، وأبا محمد بن حزم : كاف في إبطال قول المتعصبين للمذهب ، والله سبحانه وتعالى أعلم] [١] .

وبين الشيخ : عبد الرحمن بن حسن رأيه فيمن ترك العمل بالحديث الصحيح ، إذا خالف المذهب بقوله :

[هذا من محدثات الأمور ، التي ما أنزل الله بها من سلطان ، قال تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[٢] ، وقال : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾[٣] الآية .

وهذا أصل عظيم من أصول الدين ، قال العلماء رحمهم الله : كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وهذا القول الذي يقوله هؤلاء ، يفضي إلى هجران الكتاب والسنة ، وتبديل النصوص ، والتقليد المفضي إلى هذا الإعراض عن تدبر الكتاب والسنة : فيه شبه بمن قال الله فيهم : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[٤] وقوله : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾[٥] .

وأهل الاجتهاد من العلماء ، وإن كانوا معذورين باجتهادهم ، إنما هو : في معنى أدلة الكتاب والسنة ، وينهون عن تقليدهم ، فالأئمة رحمهم الله : اجتهدوا ، ونصحوا ،

---

[١] الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٦٠ ـ ٦٤
[٢] سورة الأعراف: ٣
[٣] سورة النساء : ٥٩
[٤] سورة التوبة : ٣١
[٥] سورة الشورى : ٢١

قال الشافعي رحمه الله : إذا صح الحديث بخلاف قولي ، فاضربوا بقولي الحائط ، فهو مذهبي .][1] .

وفي إطار إيضاح منهج أئمة الدعوة في الأخذ بالرأي الممدوح شرعاً قال الشيخ : عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين رحمه الله تعالى في جوابه على سائل سأل عن رأيه فيمن اعتمد على كتب المتأخرين ، من غير التفات إلى ما خالفها ، من نصوص القرآن والسنة ، وكلام السلف ، والعلماء المتقدمين ؟ ورأى أن ما حوته : هو الذي شرعه الله لرسوله ، وأوجب أن يعبد ربه ؟ وإن قيل له في ذلك ، قال : قد اختار هذه الكتب من هو أعلم منا ، وأبصر بشريعة محمد ﷺ وما يقال في مثل هذا ؟ وما يخاف عليه منه ، فأجابه بقوله :

[لا ريب : أن الله سبحانه فرض على عباده طاعته ، وطاعة رسوله ، قال تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[2] . وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾[4]، ولم يوجب الله سبحانه على الأمة ، طاعة أحد بعينه في كل ما يأمر به ، إلا رسول الله ﷺ ، قال ابن عبد البر : أجمع العلماء على أن المقلد ليس معدودا من أهل العلم ، وأن العلم : معرفة الحق بدليله ، وقال الشافعي رحمه الله تعالى : أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها

---

(١) الدرر السنية ، ج٤ ، ص ٦٤ ـ ٦٥

(٢) سورة الأعراف : ٣

(٣) سورة الأنفال : ٢٠

(٤) سورة النور : ٥٤

لقول أحد من الناس ، انتهى ، وقال ابن هبيرة في الإفصاح : اتفقوا على أنه لا يجوز أن يولى القضاء ، من ليس من أهل الاجتهاد ، إلا أبا حنيفة فإنه قال يجوز ذلك .

وقال الشيخ أبو محمد في ـ المغنى ـ يشترط في القاضي : أن يكون من أهل الاجتهاد ، وبهذا قال مالك ، والشافعي ، وبعض الحنفية ، وقال بعضهم : يجوز أن يكون عاميا فيحكم بالتقليد ، لأن الغرض منه فصل الخصومات ، فإذا أمكنه ذلك بالتقليد ، جاز كما يحكم بقول المقومين .

ودليلنا قول الله تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[١] ولم يقل بالتقليد ، وقال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[٢] ، وروى بريدة عن رسول الله ﷺ قال : القضاة ثلاثة : اثنان في النار ، وواحد في الجنة رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل ، فهو في النار ، ورجل جار في الحكم فهو في النار [٣] رواه ابن ماجه ، قال : والعامي يقضي على جهل ، ولأن الحكم آكد من الفتيا ، لأنه فتيا وإلزام ، والمفتي لا يجوز أن يكون مقلداً ، فالحكم أولى .

وقال في الإنصاف : ويشترط في القاضي أن يكون مجتهداً ، هذا المذهب .. إلى أن قال : واختار في الترغيب : ومجتهد في مذهب إمامه للضرورة ، واختار في الإفصاح ، الرعاية ، ومقلداً ، قلت : وعليه العمل من مدة طويلة ، وإلا لتعطلت أحكام الناس ، انتهى .

وذكر ابن القيم ـ في مسألة التقليد في الفتيا ـ ثلاثة أقوال ، أحدها : أنه لا يجوز الفتوى في التقليد ، لأنه ليس بعلم ، وأن المقلد لا يطلق عليه اسم عالم ، وهذا قول

---

(١) سورة المائدة : ٤٩

(٢) سورة النساء : ٥٩

(٣) سبق تخريجه صفحة : ٥٤٩

أكثر الأصحاب ، وهو قول جمهور الشافعية ، والثاني : أن ذلك يجوز فيما يتعلق بنفسه ، فيجوز أن يقلد غيره من العلماء ، إذا كانت الفتوى لنفسه ، ولا يجوز أن يقلد العالم فيما يفتي به لغيره ، وهذا قول ابن بطة وغيره من أصحابنا ، والقول الثالث : أنه يجوز ذلك عند الحاجة والضرورة ، ولكن قد دعت الحاجة والضرورة إليه من زمان طويل لا سيما في هذا الوقت .

وحينئذ فيقال : التقليد ثلاثة أنواع ، أحدها : التقليد بعد قيام الحجة ، وظهور الدليل ، فهذا لا يجوز ، كما قال الشافعي رحمه الله : أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس ، النوع الثاني : التقليد مع القدرة على الاستدلال والبحث عن الدليل ، بأن يكون متأهلاً لذلك ، فهذا مذموم أيضاً ، لقدرته ، وتمكنه من معرفة الدليل .

النوع الثالث : التقليد السائغ ، وهو : نوعان ، أحدهما : من كان من العوام ، الذين لا معرفة لهم بالحديث والفقه ، وليس لهم نظر في كلام العلماء ، فهؤلاء لهم التقليد بغير خلاف ، فإذا وقعت له حادثة استفتى من علمه عالماً عدلاً ، ورآه منتصباً للإفتاء والتدريس ، واشترط الشيخ تقي الدين : مع ذلك الاستفاضة ، بأنه أهل للفتيا ، النوع الثاني : من كان متأهلاً لبعض العلوم ، قد تفقه في مذهب من المذاهب ، وتبصر في بعض كتب متأخري الأصحاب كالإقناع ،والمنتهي عند الحنابلة ، لكنه قاصر النظر عن معرفة الدليل ، ومعرفة الراجح من كلام العلماء ، فهذا له التقليد أيضاً إذ لا يجب عليه إلا ما يقدر عليه و ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[١] .

---

[١] سورة البقرة : ٢٨٦

ونصوص العلماء : على جواز التقليد لمثل هذا كثيرة ، وذلك لقول الله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] ، وقال النبي ﷺ : ألا سألوا إذا لم يعلموا ؟ فإنما شفاء العي السؤال [2] ولكن هذا : لا ينبغي له التسرع إلى افتاء غيره ، فإن دعت الحاجة إلى فتواه فهو إخبار عن مذهب إمامه ، الذي ينتسب إليه ، لا فتيا ، قاله جماعة من الأصحاب ، وعليه : أن يتقي الله ما استطاع ، فإن كان له فهم قوي ، وإدراك ، بحيث إذا نظر المسائل الخلافية ، ورأى أدلة كل من المختلفين ، وكان فيه ذكاء وفطنة ، يدرك بها الراجح من المرجوح فيما يراه ، عمل بما ترجح عنده ، فإذا كان طالب العلم : متمذهباً بأحد المذاهب الأربعة ، ثم رأى دليلاً مخالفاً لمذهب إمامه ، وذلك الدليل قد أخذ به بعض أئمة المذاهب ، ولم يعلم له معارضاً ، كان مصيباً ، بل هذا هو الواجب عليه ، ولا يخرج بذلك عن التقليد ، فهو مقلد لذلك الإمام فيجعل إماماً بإزاء إمام ، ويبقى له الدليل بلا معارض .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : من كان متبعاً لإمام فخالفه في بعض المسائل ، لقوة الدليل ، أو لكون أحدهما أعلم ، أو أتقى ، فقد أحسن ، وقال في موضع آخر: بل يجب عليه ، وأن أحمد نص على ذلك ، انتهى .

وعلى كل حال : فلا ينبغي التسرع ، والجسرة بقول هذا حلال ، هذا حرام ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾[3]. فمن عرف أحوال السلف ، وهيبتهم الإفتاء ، مع علمهم ، وفضلهم ، أفاده ذلك اتهام فهمه ، وعدم التسرع الى الفتوى ، لأنه يخبر عن الله تعالى ، والمقلد : إنما

---

(١) سورة النحل : ٤٣

(٢) سبق تخريجه : صفحة ٥٤٣

(٣) سورة النحل : ١١٦

يحكي عن غيره ، فالأولى إذا دعت الضرورة إلى فتواه ، أن يقول : ذكر أصحاب المذهب الفلاني ، أو ذكر في الكتاب الفلاني : كذا وكذا .

وأما قول القائل : قد اختار هذه الكتب وما حوته ، من هو أعلم منا فيقال : حق ، هم أعلم منا ، لكن لا يلزم من ذلك تقليدهم في كل ما وضعوه ، فإذا قال : كل أهل مذهب هذه المقالة ، في كتب من تقدمهم ، فالمصيب عند الله واحد ، فمن هو الذي يجب اتباعه ؟ فإذا اختلفت المذاهب في حكم مسألة ، فالمصيب منهم واحد ، والمجتهد المخطئ : إذا كان أهلاً ، مأجور على اجتهاده ، ولا يجوز له تقليده إذا بان له خطؤه ، مع كونه أعلم ممن بعده ، والله سبحانه إنما أمر بالرد عند التنازع إلى كتابه ، وسنة رسوله ﷺ .

فمن قال : إن ما أودع في بعض الكتب المصنفة ، هو الذي يجب عليه اتباعه ، فهو مخطئ يخاف عليه العقوبة في قلبه ، ولازم هذه المقالة : أنه إذا وجد عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، ما يخالف بعض ما فيها ، أن الذي في هذه الكتب المصنفة هو الذي يجب اتباعه ، فهو مخطئ يخاف عليه العقوبة في قلبه ، بل كثير منهم يصرحون بذلك ، ويلتزمونه ، مع أنه مخالف للكتاب والسنة ، فهو مخالف لقول الأئمة الأربعة ، الذين صنفت هذه الكتب على مذاهبهم ، لأنهم نهوا عن تقليدهم .

قال أبو حنيفة ، وأبو يوسف : لا يحل لأحد أن يقول بقولنا ، حتى يعلم من أين قلناه ، وصرح مالك : بأن من ترك قول عمر بن الخطاب ، لقول إبراهيم النخعي ، أنه يستتاب ، وقال الشافعي : إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط ، وقال الإمام أحمد : لا تقلدوني ، ولا تقلدوا مالكاً ، ولا الشافعي ، ولا الثوري ، وتعلموا كما تعلمنا ، وقال : لا تقلد دينك الرجال ، فإنهم لن يسلموا أن يغلطوا .

وقال الإمام أحمد : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ، يذهبون إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١] أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله ، أن يقع في قلبه شئ من الزيغ فيهلك .

ويقال أيضاً لمن قال : وضع هذه الكتب من هو أعلم منا ، إذا كان ممن ينتسب إلى الحنابلة ، والمالكية ، والحنفية من هو أعلم منك ، فما الذي أوجب اتباع بعضها دون بعض ؟ فلو قال صاحب هذه المقالة : أنا أعلم أن التقليد ليس بعلم ، وأن الواجب اتباع سنة رسول الله ﷺ لكن قصور أفهامنا ، وضعف إدراكنا ، أوجب لنا التقليد ، وألجأت الضرورة إليه ، فلو تبين لي في بعض ما قلدت فيه : أنه مخالف للسنة ، اتبعت السنة ، وهذا هو الواجب علي ـ لأني ـ قليل التمييز ، لقصور فهمي ، وأعتقد أن الواجب : اتباع السنة ، ولا عذر لأحد في مخالفتها إذا ثبتت عنده .

وقائل ذلك يرجى له السلامة ، وهذا كله في غير أصول الدين ، فأما أصول الدين ، من التوحيد ، ومعرفة الرسالة ، وسائر الأصول ، فلا يجوز فيها التقليد عند جميع العلماء]‏[٢].

ومما سبق يتضح أن لأئمة الدعوة منهج واحد في الأخذ بالرأي الممدوح شرعاً ورد الرأي المذموم شرعاً وأن لهم سلف في هذا الشأن ، حيث تبين منهجهم في الاجتهاد والتقليد وما يدور حولهما من أحكام ، فأسأل الله لنا ولهم العفو والمغفرة ـ أمين .

ويلي هذا الجزء ، الجزء الثاني

---

[١] سورة النور : ٦٣

[٢] الدرر السنية ج٤ ، ص ٦٥ - ٧٢